

# الكفاية

## في التفسير بالمأثور والدرّاية

تأليف الفقير إلى رحمة ربه

عبدالله خضر حمد

باحث عراقي

الجزء التاسع والعشرون

[سورة الأحزاب، الآية: ٦٣] - [سورة الصافات، الآية: ٧٤]

منشور إلكترونياً

١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

حقوق النسخ والطبع والنشر مسموح بها لكل مسلم

**ملاحظة:**

**إلى الذين يرغبون بطبع التفسير من دور النشر والجهات الخيرية، يرجى مراسلة المؤلف -لطفًا وتكرما- على البريد الإلكتروني الآتي، وذلك لإرسال التفسير بأحدث نسخة إن شاء الله، وفقنا الله تعالى وإياكم لما يرضيه برحمته، أمين.**

**[abdulla.khdhir@gmail.com](mailto:abdulla.khdhir@gmail.com)**

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

## القرآن

{يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا (٦٣)}

[الأحزاب : ٦٣]

التفسير:

يسألك الناس -أيها الرسول- عن وقت القيامة استبعادًا وتكذيبًا، قل لهم: إنما علم الساعة عند الله، وما يدريك -أيها الرسول- لعل زمانها قريب؟

سبب النزول:

قال الكلبي: "إن أهل مكة سألوا النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الساعة وعن قيامها فنزلت هذه الآية"<sup>(١)</sup>.

وقال مقاتل: "وذلك أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يخطب، فسأله رجل عن الساعة فأوحى الله - عز وجل- إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-: {قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ}، يعنى: القيامة، {تَكُونُ قَرِيبًا}"<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: {يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ} [الأحزاب : ٦٣]، أي: "يسألك الناس -أيها الرسول- عن وقت القيامة استبعادًا وتكذيبًا"<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: {يسألك الناس} يا محمد {عن الساعة} متى هي قائمة؟"<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ} [الأحزاب : ٦٣]، أي: "قل لهم: إنما علم الساعة عند الله"<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: "قل لهم: إنما علم الساعة {عند الله} لا يعلم وقت قيامها غيره"<sup>(٦)</sup>.

قال يحيى: "لا يعلم متى مجيئها إلا الله"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن كثير: "يقول تعالى مخبراً لرسوله صلى الله عليه وسلم: أنه لا علم له بالساعة، وإن سأله الناس عن ذلك. وأرشده أن يرد علمها إلى الله، عز وجل، كما قال له في سورة "الأعراف"، وهي مكية وهذه مدنية، فاستمر الحال في رد علمها إلى الذي يقيمها"<sup>(٨)</sup>.

قال الزمخشري: "كان المشركون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استعجالاً على سبيل الهزاء، واليهود يسألونه امتحاناً، لأن الله تعالى عمى وقتها في التوراة وفي كل كتاب، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يجيبهم بأنه علم قد استأثر الله به، لم يطلع عليه ملكاً ولا نبياً"<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا} [الأحزاب : ٦٣]، أي: "وما يدريك -أيها الرسول- لعل زمانها قريب؟"<sup>(١٠)</sup>.

قال الطبري: "يقول: وما أشعرك يا محمد لعل قيام الساعة يكون منك قريباً. قد قرب وقت قيامها، ودنا حين مجيئها"<sup>(١١)</sup>.

قال عون بن عبد الله بن غنية: "لعلّ من الله واجب"<sup>(١)</sup>. وروي عن سفيان مثله<sup>(٢)</sup>.

(١) ذكره عنه الواحدي في "التفسير البسيط": ٢٩٧/١٨، ولم أفد عليه منسوباً للكلبي وقد ذكر السمرقندي في "بحر العلوم" ٦١ / ٣ قريباً منه غير منسوب لأحد، وكذا ابن الجوزي في "زاد المسير" ٤٩٣ / ٦.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٩/٣.

(٣) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(٤) تفسير الطبري: ٣٢٩/٢٠.

(٥) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(٦) تفسير الطبري: ٣٢٩/٢٠.

(٧) تفسير يحيى بن سلام: ٧٤٠/٢.

(٨) تفسير ابن كثير: ٤٨٣/٦.

(٩) الكشاف: ٥٦٢/٣.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(١١) تفسير الطبري: ٣٣٠/٢٠.

قال يحيى: "أي: أنها قريب" (٣).

قال الزمخشري: "ثم بين لرسوله أنها قريبة الوقوع، تهديدا للمستعجلين، وإسكانا للممتحنين قريبا شيئا قريبا. أو لأن الساعة في معنى اليوم، أو في زمان قريب" (٤).

عن سفيان بن عيينة - من طريق ابن أبي عمر العدني - قال: "كل شيء في القرآن {وما يُدْرِيكَ} فلم يخبره به، وما كان {ما أدراك} فقد أخبره" (٥).

عن عبد الله بن عمر: "أنه كان واقفاً بعرفة، فنظر إلى الشمس حين تدرت مثل الثرس للغروب، فبكى، واشتد بكاءه، وتلا قول الله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ} إلى {الْعَزِيزُ}. فقيل له، فقال: ذكرت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو واقف بمكاني هذا، فقال: «أيها الناس، لم يبق من دنياكم هذه فيما مضى إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه» (٦).

## القرآن

{إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ (٦٦)} [الأحزاب : ٦٤ - ٦٦]

التفسير:

إن الله طرد الكافرين من رحمته في الدنيا والآخرة، وأعدَّ لهم في الآخرة ناراً موقدة شديدة الحرارة، ماكنين فيها أبداً، لا يجدون ولياً يتولاهم ويدافع عنهم، ولا نصيراً ينصرهم، فيخرجهم من النار. يوم تُقَلَّبُ وجوه الكافرين في النار يقولون نادمين متحيرين: يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا رسوله في الدنيا، فكنا من أهل الجنة.

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ} [الأحزاب : ٦٤]، أي: "إن الله طرد الكافرين من رحمته في الدنيا والآخرة" (٧).

قال الطبري: يقول: "إن الله أبعد الكافرين به من كل خير، وأقصاهم عنه" (٨).

قال ابن كثير: "أي: أبعدهم عن رحمته" (٩).

قال مقاتل: "يعني: كفار مكة" (١٠).

قوله تعالى: {وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا} [الأحزاب : ٦٤]، أي: "وأعدَّ لهم في الآخرة ناراً موقدة شديدة الحرارة" (١١).

قال الطبري: يقول: "وأعد لهم في الآخرة ناراً تنتقد وتتسع ليلصليهموها" (١٢).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٥١٦): ص ١٠٨/١، و(٥٤٦): ص ١١٣/١، وانظر: الدر المنثور: ٨٥/١، وزاد نسبه إلى أبي الشيخ.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١١٣/١.

(٣) تفسير يحيى بن سلام: ٧٤٠/٢.

(٤) الكشاف: ٥٦٢/٣.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم - كما في التعليق ٣/ ٢٠٤ - ٢٠٥ - . وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٦) أخرجه أحمد ٣١٣/١٠ - ٣١٤ (٦١٧٣)، والحاكم ٤٨١/٢ (٣٦٥٦)، من طريق إسماعيل بن عمر، عن كثير بن زيد، عن المطلب بن عبد الله، عن عبد الله بن عمر به.

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». وقال الذهبي في التلخيص: «كثير بن زيد ضعفه النسائي، ومشاه غيره».

(٧) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(٨) تفسير الطبري: ٣٣٠/٢٠.

(٩) تفسير ابن كثير: ٤٨٣/٦.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٩/٣.

(١١) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(١٢) تفسير الطبري: ٣٣٠/٢٠.

قال مقاتل: "يعنى: وقوداً"<sup>(١)</sup>.  
قال ابن كثير: "أي: في الدار الآخرة"<sup>(٢)</sup>.  
قال الزمخشري: "السعير: النار المسعورة الشديدة الإيقاد"<sup>(٣)</sup>.  
عن سعيد بن جبير، قال: "السعير: وادي من فيح في جهنم"<sup>(٤)</sup>.  
قوله تعالى: {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} [الأحزاب: ٦٥]، أي: "ماكنين فيها أبداً"<sup>(٥)</sup>.  
عن سعيد بن جبير: {خَالِدِينَ فِيهَا}، يعني: لا يموتون"<sup>(٦)</sup>.  
قال الطبري: "يقول: ماكنين في السعير أبداً إلى غير نهاية"<sup>(٧)</sup>.  
قال يحيى: "لا يموتون ولا يخرجون منها"<sup>(٨)</sup>.  
قال ابن كثير: "أي: ماكنين مستمرين، فلا خروج لهم منها ولا زوال لهم عنها"<sup>(٩)</sup>.  
قوله تعالى: {لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} [الأحزاب: ٦٥]، أي: "لا يجدون ولياً يتولاهم ويدافع عنهم، ولا نصيراً ينصرهم"<sup>(١٠)</sup>.  
قال الطبري: "لا يجدون ولياً يتولاهم، فيستنقذهم من السعير التي أصلاهموها الله {ولا نصيراً} ينصرهم، فينجيهم من عقاب الله إياهم"<sup>(١١)</sup>.  
قال يحيى: "لا يجدون ولياً يمنعهم من العذاب، {ولا نصيراً} ينصرهم"<sup>(١٢)</sup>.  
قال ابن كثير: "أي: وليس لهم مغيث ولا معين ينقذهم مما هم فيه"<sup>(١٣)</sup>.  
قوله تعالى: {يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ} [الأحزاب: ٦٦]، أي: "يوم تُقَلَّبُ وجوه الكافرين في النار"<sup>(١٤)</sup>.  
قال الطبري: "لا يجد هؤلاء الكافرون ولياً ولا نصيراً في يوم تقلب وجوههم في النار حالاً بعد حال"<sup>(١٥)</sup>.  
قال ابن كثير: "أي: يسحبون في النار على وجوههم، وتلوى وجوههم على جهنم"<sup>(١٦)</sup>.  
قال الزمخشري: "معنى تقلبيها: تصريفها في الجهات، كما ترى البضعة تدور في القدر إذا غلت فترامى بها الغليان من جهة إلى جهة. أو تغييرها عن أحوالها وتحويلها عن هيئاتها. أو طرحها في النار مقلوبين منكوسين. وخصت الوجوه بالذكر، لأن الوجه أكرم موضع على الإنسان من جسده"<sup>(١٧)</sup>.  
وقرى: «تقلب»، على البناء للمفعول. و«تقلب»، بمعنى تتقلب. و«نقلب»، أى: نقلب نحن"<sup>(١٨)</sup>.

- (١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٩/٣.
- (٢) تفسير ابن كثير: ٤٨٣/٦.
- (٣) الكشاف: ٥٦٢/٣.
- (٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٤٩٠): ص ٩٨٢/٣.
- (٥) التفسير الميسر: ٤٢٧.
- (٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٩٥٩): ص ٨٩١/٣، و(١٠٥٠٠): ص ١٨٣٣/٦.
- (٧) تفسير الطبري: ٣٣٠/٢٠.
- (٨) تفسير يحيى بن سلام: ٧٤٠/٢.
- (٩) تفسير ابن كثير: ٤٨٣/٦.
- (١٠) التفسير الميسر: ٤٢٧.
- (١١) تفسير الطبري: ٣٣٠/٢٠.
- (١٢) تفسير يحيى بن سلام: ٧٤٠/٢.
- (١٣) تفسير ابن كثير: ٤٨٣/٦.
- (١٤) التفسير الميسر: ٤٢٧.
- (١٥) تفسير الطبري: ٣٣٠/٢٠.
- (١٦) تفسير ابن كثير: ٤٨٣/٦.
- (١٧) الكشاف: ٥٦٢/٣.
- (١٨) انظر: الكشاف: ٥٦٢/٣.

قوله تعالى: {يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ} [الأحزاب : ٦٦]، أي: "يقولون نادمين متحيرين: يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا رسوله في الدنيا، فكنا من أهل الجنة"<sup>(١)</sup>.  
قال الطبري: " {يقولون} وتلك حالهم في النار: {يا ليتنا أطعنا الله} في الدنيا وأطعنا رسوله فيما جاءنا به عنه من أمره ونهيه، فكنا مع أهل الجنة في الجنة، يا لها حسرة وندامة، ما أعظمها وأجلها"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: " يقولون وهم كذلك ، يتمنون أن لو كانوا في الدار الدنيا ممن أطاع الله وأطاع الرسول ، كما أخبر الله عنهم في حال العرصات بقوله : { وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا . يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا \* لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا } [الفرقان : ٢٧ - ٢٩]، وقال تعالى : { رَبِّمَا يَودُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ } [الحجر : ٢] ، وهكذا أخبر عنهم في حالتهم هذه أنهم يودون أن لو كانوا أطاعوا الله ، وأطاعوا الرسول في الدنيا"<sup>(٣)</sup>.

## القرآن

{وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأُضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨)} [الأحزاب : ٦٧-٦٨]  
التفسير:

وقال الكافرون يوم القيامة: ربنا إنا أطعنا أئمتنا في الضلال وكبراءنا في الشرك، فأزالونا عن طريق الهدى والإيمان. ربنا عذبهم من العذاب مثلي عذابنا الذي تعذبنا به، واطردهم من رحمتك طردًا شديدًا.

قوله تعالى: {وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأُضَلُّونَا السَّبِيلَا} [الأحزاب : ٦٧]، أي: "وقال الكافرون يوم القيامة: ربنا إنا أطعنا أئمتنا في الضلال وكبراءنا في الشرك، فأزالونا عن طريق الهدى والإيمان"<sup>(٤)</sup>.

قال الطبري: يقول: " وقال الكافرون يوم القيامة في جهنم: ربنا إنا أطعنا أئمتنا في الضلالة وكبراءنا في الشرك، فأزالونا عن محبة الحق وطريق الهدى والإيمان بك والإقرار بوحدانيتك وإخلاص طاعتك في الدنيا"<sup>(٥)</sup>.

قال ابن كثير: " أي : اتبعنا السادة وهم الأمراء والكبراء من المشيخة ، وخالفنا الرسل واعتقدنا أن عندهم شيئاً ، وأنهم على شيء فإذا هم ليسوا على شيء"<sup>(٦)</sup>.

قال مقاتل: " فهذا قول الأتباع من مشركي العرب من أهل مكة قالوا: {ربنا إنا أطعنا ساداتنا}، نزلت في اثني عشر رجلاً وهم المطعمون يوم بدر فيهم أبو جهل بن هشام، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، {وكبراءنا}، يعني: ذوي الأسنان منا في الكفر، {فأضلونا السبيل}، يعني: المطعمين في غزوة بدر والمستهزئين من قريش، فأضلونا عن سبيل الهدى، يعني: عن التوحيد"<sup>(٧)</sup>.

عن قتادة، قوله: " {ربنا إنا أطعنا ساداتنا وكبراءنا}، أي: رؤوسنا في الشر والشرك"<sup>(٨)</sup>.  
قال ابن زيد: " هم رؤوس الأمم الذين أضلوهم، قال: ساداتنا وكبراءنا واحد"<sup>(٩)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(٢) تفسير الطبري: ٣٣٠/٢٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٤٨٣/٦-٤٨٤.

(٤) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(٥) تفسير الطبري: ٣٣٠/٢٠.

(٦) تفسير ابن كثير: ٤٨٤/٦.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٩/٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٣١/٢٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٣١/٢٠.

وقال طاووس : " {سادتنا} : يعني: الأشراف ، و {كبراءنا} : يعني العلماء" (١).  
قال الزمخشري: " {سادتنا} : هم رؤساء الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم" (٢).  
قال النحاس: " وكان في هذا زجر عن التقليد" (٣).  
وقرأ الحسن: " {إنا أطعنا ساداتنا} ، بكسر التاء، لأنه جمع مسلم لـ «سادة»" (٤).  
قوله تعالى: {رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ} [الأحزاب : ٦٨] ، أي: " ربنا عذبهم من العذاب مثلي عذابنا الذي تعذبنا به" (٥).  
عن قتادة: " {رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ} ، يعني بذلك جهنم" (٦).  
قال الطبري: يقول: " يقول: عذبهم من العذاب مثلي عذابنا الذي تعذبنا" (٧).  
قال السمعاني: " أي: عذبهم ضعفي عذاب غيرهم. وقيل: عذبهم عذاب الدنيا والآخرة، والأول أولى" (٨).  
قال ابن كثير: " أي : بكفرهم وإغوائهم إيانا" (٩).  
قال الزمخشري: " ضعفين ضعفا لضلاله وضعفا لإضلاله: يعترفون، ويستغيثون، ويتمنون، ولا ينفعهم شيء من ذلك" (١٠).  
قال مقاتل: " يعنون القادة والرؤوس من كفار قريش" (١١).  
قوله تعالى: {وَالْعَنُتُمْ لَعْنًا كَبِيرًا} [الأحزاب : ٦٨] ، أي: " واطردهم من رحمتك طردًا شديدًا" (١٢).  
قال الطبري: " يقول: واخزهم خزيا كبيرا" (١٣).  
قال مقاتل: " يعني: عظيما، يعني: اللعن على أثر اللعن" (١٤).  
قال السمعاني: " أي: مرة بعد مرة" (١٥).  
وقرئ: «لعنا كثيرا»، من الكثرة (١٦). قال الزجاج: " ومعناها قريب" (١٧).  
قال الزمخشري: " وقرئ: «كثيرا»، تكثيرا لإعداد اللعائن. و«كبيرا»، ليدل على أشد اللعن وأعظمه" (١٨).  
عن عبيد الله بن أبي رافع، في تسمية مَنْ شهد مع علي ، رضي الله عنه : " الحجاج بن عمرو بن غزِيَّة ، وهو الذي كان يقول عند اللقاء : يا معشر الأنصار ، أتريدون أن تقولوا لربنا إذا لقيناه: {رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا \* رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنُتُمْ لَعْنًا كَبِيرًا}؟" (١٩).

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير ٤٨٤: ٦.

(٢) الكشاف: ٥٦٢/٣.

(٣) إعراب القرآن: ٢٢٤/٣.

(٤) إعراب القرآن: ٢٢٤/٣.

(٥) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٧٩٩) : ص ٣١٥٧/١٠.

(٧) تفسير الطبري: ٣٣٠/٢٠.

(٨) تفسير السمعاني: ٣٠٩/٤.

(٩) تفسير ابن كثير: ٤٨٤/٦.

(١٠) الكشاف: ٥٦٢/٣.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٩/٣.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(١٣) تفسير الطبري: ٣٣٠/٢٠.

(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٩/٣.

(١٥) تفسير السمعاني: ٣٠٩/٤.

(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٣١/٢٠.

(١٧) معاني القرآن: ٢٣٧/٤.

(١٨) الكشاف: ٥٦٢/٣.

(١٩) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢٣/٣).



فوائد الآيات: [٦٣-٦٨]:

- ١- بيان أن علم الساعة استأثر الله به فلا يعلم وقت مجيئها غيره.
- ٢- بيان أن الساعة قريبة القيام، ولا منافاة بين قربها وعدم علم قيامها.
- ٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر أحوال الكافرين فيها.
- ٤- بيان أن طاعة السادة والكبراء في معاصي الله ورسوله يعود بالوبال على فاعليه وموجبه لسخط الله وعقابه، وأن التابع والمتبوع في العذاب مشتركون، فليحذر المسلم ذلك.

## القرآن

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا**  
**{(٦٩) [الأحزاب : ٦٩]}**

التفسير:

يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه لا تؤذوا رسول الله بقول أو فعل، ولا تكونوا أمثال الذين آذوا نبيّ الله موسى، فبرّاه الله مما قالوا فيه من الكذب والزور، وكان عند الله عظيم القدر والجاه.

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [الأحزاب : ٦٩]، أي: "يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لأصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله"<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: {لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا} [الأحزاب : ٦٩]، أي: "لا تؤذوا رسول الله بقول أو فعل، ولا تكونوا أمثال الذين آذوا نبيّ الله موسى، فبرّاه الله مما قالوا فيه من الكذب والزور"<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: يقول: "لا تؤذوا رسول الله بقول يكرهه منكم، ولا بفعل لا يحبه منكم، ولا تكونوا أمثال الذين آذوا موسى نبي الله فرموه بعيب كذبا وباطلا {فبرّاه الله مما قالوا} فيه من الكذب والزور بما أظهر من البرهان على كذبهم"<sup>(٤)</sup>.

وفيما آذوا به رسوله محمد -صلى الله عليه وسلم-، قولان :

أحدهما : قولهم زيد بن محمد ، حكاه النقاش<sup>(٥)</sup>.

الثاني : أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قسم قسماً فقال رجل من الأنصار إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله فذكر ذلك للنبي -صلى الله عليه وسلم- فغضب وقال : « رحم الله موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر »<sup>(٦)</sup>. قاله أبو وائل<sup>(٧)</sup>.

واختلف أهل التأويل في الأذى الذي أودى به موسى الذي ذكره الله في هذا الموضع؛

على أقوال:

أحدها : أن رموه بالسحر والجنون. حكاه الماوردي<sup>(٨)</sup>.

الثاني : أن قوله رموه بأنه أدر. قاله ابن عباس<sup>(٩)</sup>، والحسن<sup>(١٠)</sup>، وقتادة<sup>(١١)</sup>، وابن زيد<sup>(١٢)</sup>، ورواه أبو هريرة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-<sup>(١٣)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(٢) تفسير الطبري: ٣٣٢-٣٣١/٢٠.

(٣) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(٤) تفسير الطبري: ٣٣٢/٢٠.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٤٢٠/٤.

(٦) أخرجه أحمد (٣٨٠/١)، رقم (٣٦٠٨)، والبخاري (١١٤٨/٣)، رقم (٢٩٨١)، ومسلم (٧٣٩/٢)، رقم (١٠٦٢). وأخرجه أيضاً: ابن حبان (١٦٠/١١)، رقم (٤٨٢٩). عن ابن مسعود-رضي الله عنه-.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٤٢٠/٤.

(٨) انظر: النكت والعيون: ٤٢٧/٤.

قال ابن عباس: " قال له قومه: إنك آدر، فخرج ذات يوم يغتسل فوضع ثيابه على صخرة فخرجت الصخرة تشتد بثيابه وخرج يتبعها عريانا حتى انتهت به إلى مجلس بني إسرائيل، قال: فأروه ليس بأدر، قال: فذلك قوله: {فبرأه الله مما قالوا}"<sup>(٦)</sup>.

قال ابن عباس: " كان أذاهم موسى أنهم قالوا والله ما يمنع موسى أن يضع ثيابه عندنا إلا أنه آدر، فأذى ذلك موسى، فبينما هو ذات يوم يغتسل وثوبه على صخرة، فلما قضى موسى غسله وذهب إلى ثوبه ليأخذه انطلقت الصخرة تسعى بثوبه وأنطلق يسعى في أثرها حتى مرت على مجلس بني إسرائيل وهو يطلبها، فلما رأوا موسى صلى الله عليه وسلم متجردا لا ثوب عليه قالوا: والله ما نرى بموسى بأسا، وإنه لبريء مما كنا نقول له فقال الله: {فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها}"<sup>(٧)</sup>.

عن الحسن ، وقتادة، في قوله تعالى: {لا تكونوا كالذين آدوا موسى فبرأه الله مما قالوا} [الأحزاب: ٦٩] قال: إن بني إسرائيل كانوا يغتسلون عراة فلا يستترون ، وكان موسى رجلا حيبا لا يفعل ذلك ، فكانوا يقولون ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر ، فاغتسل يوما ووضع ثوبه على حجر فسعى الحجر بثوبه فأنتبعه موسى يسعى خلفه ويقول: «ثوبي يا حجر ، ثوبي يا حجر ، حتى مر على بني إسرائيل فنظروا إليه فأروه بريئا مما كانوا يقولون ، فأدرك الحجر فأخذ ثوبه»<sup>(٨)</sup>.

وقال ابن زيد: " كان موسى رجلا شديد المحافظة على فرجه وثيابه، قال: فكانوا يقولون: ما يحمله على ذلك إلا عيب في فرجه يكره أن يرى، فقام يوما يغتسل في الصحراء فوضع ثيابه على صخرة، فاشتدت بثيابه، قال: وجاء يطلبها عريانا حتى اطلع عليهم عريانا، فأروه بريئا مما قالوا، وكان عند الله وجيها، قال: والوجيه في كلام العرب: المحب المقبول"<sup>(٩)</sup>.

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: " {لا تكونوا كالذين آدوا موسى}، قال: قالوا هو آدر قال: فذهب موسى يغتسل، فوضع ثيابه على حجر فمر الحجر بثيابه فتبع موسى قفاه، فقال: ثيابي حجر. فمر بمجلس بني إسرائيل، فأروه؛ فبرأه الله مما قالوا (وكان عند الله وجيها)"<sup>(١٠)</sup>.

الثالث: ما رواه أبو هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، أنه قال : "إن موسى كان رجلا حيبا ستيرا لا يرى من جلده شيء استحياء منه فأذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا ما يستتر هذا الستر إلا من عيب بجلده إما برص وإما أدرة وإما آفة وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا بموسى فخلا يوما وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملا من بين إسرائيل فأروه عريانا أحسن ما خلق الله وأبراه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه فوالله إن بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعاً أو خمسا فذلك قوله تعالى: {يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَآ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آدُوا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا}"<sup>(١١)</sup>.

- (١) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٢/٢٠.
- (٢) تفسير عبدالرزاق(٢٣٨٢):ص٥٣/٣.
- (٣) تفسير عبدالرزاق(٢٣٨٢):ص٥٣/٣.
- (٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٣/٢٠.
- (٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٢/٢٠.
- (٦) أخرجه الطبري: ٣٣٢/٢٠.
- (٧) أخرجه الطبري: ٣٣٣-٣٣٢/٢٠.
- (٨) تفسير عبدالرزاق(٢٣٨٢):ص٥٣/٣.
- (٩) أخرجه الطبري: ٣٣٣/٢٠.
- (١٠) أخرجه الطبري: ٣٣٢/٢٠.
- (١١) أخرجه البخارى (١٢٤٩/٣)، رقم (٣٢٢٣)، والترمذى (٣٥٩/٥)، رقم (٣٢٢١) وقال: حسن صحيح.

الرابع : ما رواه ابن عباس عن علي رضي الله عنه أن : "صعد موسى وهارون الجبل، فمات هارون فقالت بنو إسرائيل: أنت قتلته وكان أحبنا منك وألين لنا منك، فأذوه بذلك، فأمر الله الملائكة فحملته حتى مروا به على بني إسرائيل، وتكلمت الملائكة بموته، حتى عرف بنو إسرائيل أنه قد مات، فبرأه الله من ذلك فانطلقوا به فدفنوه، فلم يطلع على قبره أحد من خلق الله إلا الرخم؛ فجعله الله أصم أبكم"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن بني إسرائيل آذوا نبي الله ببعض ما كان يكره أن يؤدي به، فبرأه الله مما آذوه به. وجائز أن يكون ذلك كان قيلهم: إنه أيرص. وجائز أن يكون كان ادعاءهم عليه قتل أخيه هارون. وجائز أن يكون كل ذلك؛ لأنه قد ذكر كل ذلك أنهم قد آذوه به، ولا قول في ذلك أولى بالحق مما قال الله إنهم آذوا موسى، فبرأه الله مما قالوا"<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: {وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا} [الأحزاب : ٦٩]، أي: "وكان عند الله عظيم القدر والجاه"<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: "يقول: وكان موسى عند الله مشفعا فيما يسأل ذا وجه ومنزلة عنده بطاعته إياه"<sup>(٤)</sup>.

عن الحسن، قوله: "وكان عند الله وجيهاً، قال: مستجاب الدعوة"<sup>(٥)</sup>.

قال ابن عباس: "كان حظياً عند الله، لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه"<sup>(٦)</sup>.

عن سنان، عن حدثه في قوله: "وكان عند الله وجيهاً، قال: ما سأل موسى عليه السلام ربه شيئاً قط إلا أعطاه إياه إلا النظر"<sup>(٧)</sup>.

## القرآن

**{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠)} [الأحزاب : ٧٠]**

التفسير:

يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، اعملوا بطاعته، واجتنبوا معصيته؛ لئلا تستحقوا بذلك العقاب، وقولوا في جميع أحوالكم وشؤونكم قولاً مستقيماً موافقاً للصواب خالياً من الكذب والباطل.

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [الأحزاب : ٧٠]، أي: "يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"<sup>(٨)</sup>.

قال الطبري: يقول: "يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله"<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: {اتَّقُوا اللَّهَ} [الأحزاب : ٧٠]، أي: "راقبوا الله في جميع أفعالكم وأفعالكم"<sup>(١٠)</sup>.

قال الطبري: يقول: "اتقوا الله أن تعصوه، فتستحقوا بذلك عقوبته"<sup>(١١)</sup>.

قوله تعالى: {وقولوا قولاً سديداً} [الأحزاب : ٧٠]، أي: "وقولوا قولاً مستقيماً مرضياً لله"<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه الطبري: ٣٣٥/٢٠.

(٢) تفسير الطبري: ٣٣٥/٢٠.

(٣) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(٤) تفسير الطبري: ٣٣٢/٢٠.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٨٠٤) ص: ١٠/٣١٥٨.

(٦) تفسير البغوي ٦/٣٧٨.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٨٠٥) ص: ١٠/٣١٥٨.

(٨) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(٩) تفسير الطبري: ٣٣٥/٢٠.

(١٠) صفوة التفاسير: ٤٩٥/٢.

(١١) تفسير الطبري: ٣٣٥/٢٠.

قال الطبري: " يقول: قولوا في رسول الله والمؤمنين قولاً قاصداً غير جائز، حقا غير باطل" (٢).

قال الزمخشري: "ولا سديداً": قاصداً إلى الحق والسداد: القصد إلى الحق، والقول بالعدل. يقال: سدد السهم نحو الرمية: إذا لم يعدل به عن سمتها، كما قالوا: سهم قاصد، والمراد: نهيمهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول، والبعث على أن يسد قولهم في كل باب لأن حفظ اللسان وسداد القول رأس الخير كله. والمعنى: راقبوا الله في حفظ ألسنتكم، وتسديد قولكم، فإنكم إن فعلتم ذلك أعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والإثابة عليها، ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها. وقيل إصلاح الأعمال التوفيق في المجيء بها صالحة مرضية وهذه الآية مقررة للتي قبلها، بنيت تلك على النهي عما يؤذى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وهذه على الأمر باتقاء الله تعالى في حفظ اللسان، ليتراذف عليهم النهي والأمر، مع اتباع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى عليه السلام، وإتباع الأمر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الأذى والداعي إلى تركه" (٣).

عن مجاهد: "وقولوا قولاً سديداً، يقول: سداداً" (٤).

قال ابن عباس: "صواباً" (٥).

قال قتادة: "أي: عدلاً، يعني به: في منطق وفي عمله كله، و«السديد»: الصدق" (٦).

عن عكرمة، قوله: "وقولوا قولاً سديداً، قولوا: لا إله إلا الله" (٧).

قال مقاتل: "يعني: قولاً عدلاً وهو التوحيد" (٨).

عن الكلبي: "وقولوا قولاً سديداً، قال: صدقاً" (٩).

عن أبي موسى الأشعري، قال: "صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر، ثم قال «على مكانكم اثبتوا، ثم أتى الرجال فقال: إن الله أمرني أن أمركم أن تتقوا الله وأن تقولوا قولاً سديداً ثم أتى النساء فقال: إن الله أمرني أن أمركن أن تتقين الله وأن تقلن قولاً سديداً»" (١٠).

## القرآن

{يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)}

[الأحزاب : ٧١]

التفسير:

إذا اتقيتم الله وقلتم قولاً سديداً أصلح الله لكم أعمالكم، وغفر ذنوبكم. ومن يطع الله ورسوله فيما أمر ونهى فقد فاز بالكرامة العظمى في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى: {يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ} [الأحزاب : ٧١]، أي: "إذا اتقيتم الله وقلتم قولاً سديداً

أصلح الله لكم أعمالكم" (١١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره للمؤمنين: اتقوا الله وقولوا السداد من القول يوفقكم لصالح الأعمال، فيصلح أعمالكم" (١٢).

(١) صفة التفسير: ٤٩٥/٢.

(٢) تفسير الطبري: ٣٣٥/٢٠.

(٣) الكشاف: ٥٦٣/٣-٥٦٤.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٣٥/٢٠.

(٥) تفسير الثعلبي ٦٧/٨، وتفسير البغوي ٣٧٩/٦.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٣٦/٢٠.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٣٦/٢٠.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥١٠/٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٣٦-٣٣٥/٢٠.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٨٠٦): ص ٣١٥٨/١٠.

(١١) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(١٢) تفسير الطبري: ٣٣٦/٢٠.

قال السمعاني: "أي: يترك لكم أعمالكم. وقيل: يصلح لكم أعمالكم: يتقبل منكم الحسنات"<sup>(١)</sup>.

قال ابن عباس: يتقبل حسناتكم"<sup>(٢)</sup>.

وقال مقاتل: يعني: يزكي لكم أعمالكم بالتوحيد"<sup>(٣)</sup>.

قال يحيى: "لا يقبل العمل إلا ممن قال: لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه"<sup>(٤)</sup>.

قال الحسن: "إن الله لا يقبل عمل عبد حتى يرضى قوله"<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: {وَيَعْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} [الأحزاب : ٧١]، أي: ويمحو عنكم الذنوب والأوزار"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: "يقول: ويعف لكم عن ذنوبكم، فلا يعاقبكم عليها"<sup>(٧)</sup>.

قال السمعاني: "أي: يسترها ويعف عنها"<sup>(٨)</sup>.

قال سهل: "من وفقه الله لصلاح الأعمال فذاك دليل على أنه مغفور له، لأن الله تعالى

قال: {يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم}"<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب : ٧١]، أي: ومن

يطع الله ورسوله فيما أمر ونهى فقد فاز بالكرامة العظمى في الدنيا والآخرة"<sup>(١٠)</sup>.

قال الطبري: "ومن يطع الله ورسوله { فيعمل بما أمره به وينتهي عما نهاه ويقبل

السديد، فقد ظفر بالكرامة العظمى من الله"<sup>(١١)</sup>.

قال مقاتل: "يقول: قد نجا بالخير وأصاب منه نصيباً وافراً"<sup>(١٢)</sup>.

قال السمعاني: "أي: ظفر بالخير كله"<sup>(١٣)</sup>.

قال يحيى: "وهي النجاة العظيمة من النار إلى الجنة"<sup>(١٤)</sup>.

## القرآن

{إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} [الأحزاب : ٧٢]

التفسير:

إننا عرضنا الأمانة -التي انتمن الله عليها المكلفين من امتثال الأوامر واجتناب النواهي- على السموات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها، وخفن أن لا يقمن بأدائها، وحملها الإنسان والتزم بها على ضعفه، إنه كان شديد الظلم والجهل لنفسه.

قوله تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا

وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا} [الأحزاب : ٧٢]، أي: "إننا عرضنا الأمانة -التي انتمن الله عليها المكلفين من

(١) تفسير السمعاني: ٣١١/٤.

(٢) انظر: الوسيط للواحدى: ٤٨٤/٣، وتفسير البغوي: ٣٧٩/٦، وزاد المسير: ٤٢٧/٦.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥١٠/٣.

(٤) تفسير يحيى بن سلام: ٧٤١/٢.

(٥) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٤١/٢.

(٦) صفوة التفاسير: ٤٩٥/٢.

(٧) تفسير الطبري: ٣٣٦/٢٠.

(٨) تفسير السمعاني: ٣١١/٤.

(٩) تفسير التستري: ١٢٧.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(١١) تفسير الطبري: ٣٣٦/٢٠.

(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥١٠/٣.

(١٣) تفسير السمعاني: ٣١١/٤.

(١٤) تفسير يحيى بن سلام: ٧٤١/٢.

امتثال الأوامر واجتنب النواهي- على السموات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها، وخفن أن لا يقمن بأدائها"<sup>(١)</sup>.

واختلف أهل التفسير في قوله تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ} [الأحزاب : ٧٢]، على أقوال:

أحدها : أنها الفرائض، عرضها الله على السموات والأرض والجبال، إن أدتها أثابها، وإن ضيعتها عذبها، فكرهت ذلك وعرضها على آدم فقبلها بما فيها، قاله ابن عباس<sup>(٢)</sup>، ومجاهد<sup>(٣)</sup>، والحسن<sup>(٤)</sup>، وابن جبير<sup>(٥)</sup>، وقتادة<sup>(٦)</sup>، والضحاك<sup>(٧)</sup>، وابن زيد<sup>(٨)</sup>، وأبو العالية<sup>(٩)</sup>، وابن جريج<sup>(١٠)</sup>، وبه قال ابن قتيبة<sup>(١١)</sup>، وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور<sup>(١٢)</sup>.

عن ابن عباس، قوله: " {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ}، إن أدوها أثابهم وإن ضيعوها عذبهم، فكرهوا ذلك، وأشفقوا من غير معصية، ولكن تعظيما لدين الله أن لا يقوموا بها، ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها، وهو قوله: {وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا}، غرا بأمر الله"<sup>(١٣)</sup>.

قال ابن عباس: " عرضت على آدم، فقال: خذها بما فيها فإن أطعت غفرت لك وإن عصيت عذبتك، قال: قد قبلت، فما كان إلا قدر ما بين العصر إلى الليل من ذلك اليوم حتى أصاب الخطيئة"<sup>(١٤)</sup>.

قال مجاهد: " لما خلق الله السموات والأرض والجبال، عرض الأمانة عليهن فلم يقبلوها، فلما خلق آدم عليه السلام عرضها عليه قال: يا رب، وما هي؟ قال: هي إن أحسنت أجرتك وإن أسأت عذبتك قال: فقد تحملت يا رب قال: فما كان بين أن تحملها إلى أن أخرج إلا قدر ما بين الظهر والعصر"<sup>(١٥)</sup>.

عن قتادة، قوله: " {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ}، يعني به: الدين والفرائض والحدود، {فأبين أن يحملنها وأشفقن منها}، قيل لهن: احملنها تؤدين حقها؟ فقلن: لا نطيق ذلك: {وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا}، قيل له: أتحملها؟ قال: نعم، قيل: أتؤدي حقها؟ قال: نعم، قال الله: إنه كان ظلوما جهولا عن حقها"<sup>(١٦)</sup>.

قال ابن زيد: " إن الله عرض عليهن الأمانة أن يفترض عليهن الدين، ويجعل لهن ثوابا وعقابا، ويستأمنهن على الدين، فقلن: لا نحن مسخرات لأمرك، لا نريد ثوابا ولا عقابا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " وعرضها الله على آدم، فقال: بين أذني وعاتقي". قال ابن زيد فقال الله له: أما إذ تحملت هذا فسأعينك، أجعل لبصرك حجابا إذا خشيت أن تنظر إلى ما لا يحل

(١) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٦/٢٠-٣٣٧.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٧٨١٥): ص ٣١٦٠/١٠.

(٤) انظر: تفسير عبدالرزاق (٢٣٨٤): ص ٥٤/٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٦/٢٠.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٩/٢٠-٣٤٠.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٨/٢٠، وتفسير عبدالرزاق (٢٣٨٥): ص ٥٤/٣.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٩/٢٠.

(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٧٨١١): ص ٣١٥٩/١٠.

(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٧٨١٣): ص ٣١١٠/١٠.

(١١) انظر: غريب القرآن: ٣٥٢.

(١٢) انظر: زاد المسير: ٤٨٨/٣.

(١٣) أخرجه الطبري: ٣٣٧/٢٠.

(١٤) أخرجه الطبري: ٣٣٧/٢٠.

(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٨١٥): ص ٣١٦٠/١٠.

(١٦) أخرجه الطبري: ٣٣٩/٢٠-٣٤٠.

لك، فأرخ عليه حجابيه، وأجعل للسانك بابا وغلقا، فإذا خشيت فأغلق، وأجعل لفرجك لباسا، فلا تكشفه إلا على ما أحلت لك"<sup>(١)</sup>.

عن ابن أشوع في الآية، قال: "عرض عليهن العمل وجعل لهن الثواب فضجبن ثلاثة أيام ولياليهن، فقلن: ربنا لا طاقة لنا بالعمل ولا نريد الثواب"<sup>(٢)</sup>.  
وقال أهل العلم: "الأمانة قطب الإيمان"<sup>(٣)</sup>.

قال النبي-صلى الله عليه وسلم-: "لا إيمان لمن لا أمانة له"<sup>(٤)</sup>.  
قال السمعاني: "ومن الأمانة: أن يكون الباطن موافقا للظاهر، فكل من عمل عملا يخالف عقيدته فقد خان الله ورسوله. وقد قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ} [الأنفال: ٢٧]، نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر، وقد كان وضع أصبعه على حلقه، يشير إلى بني النضير إنكم إن نزلتم فهو الذبح"<sup>(٥)</sup>.

الثاني: أنها الأمانات التي يآتمن الناس بعضهم بعضاً عليها وأولها انتمان آدم ابنه قابيل على أهله، وولده حين أراد التوجه إلى أمر ربه فخان قابيل الأمانة في قتل أخيه هابيل، قاله السدي<sup>(٦)</sup>.

روي عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كان لا يولد لآدم مولود إلا ولد معه جارية، فكان يزوج غلام هذا البطن جارية هذا البطن الآخر، ويزوج جارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر، حتى ولد له اثنان، يقال لهما: قابيل وهابيل، وكان قابيل صاحب زرع وكان هابيل صاحب ضرع، وكان قابيل أكبرهما وكان له أخت أحسن من أخت هابيل، وإن هابيل طلب أن ينكح أخت قابيل، فأبى عليه وقال: هي أختي ولدت معي وهي أحسن من أختك وأنا أحق أن أتزوجها فأمره أبوه أن يزوجه هابيل فأبى، وإنهما قربا قربانا إلى الله أيهما أحق بالجارية، وكان آدم يومئذ قد غاب عنهما، أي بمكة ينظر إليها، قال الله لآدم: يا آدم هل تعلم أن لي بيتا في الأرض؟ قال: اللهم لا قال: إن لي بيتا بمكة فأتته، فقال آدم للسماء: احفظي ولدي بالأمانة فأبى، وقال للأرض فأبى، فقال للجبال فأبى، فقال لقابيل فقال: نعم، تذهب وترجع وتجد أهلك كما يسرك، فلما انطلق آدم وقربا قربانا وكان قابيل يفخر عليه فيقول: أنا أحق بها منك؛ هي أختي، وأنا أكبر منك، وأنا وصي والدي، فلما قربا، قرب هابيل جذعة سمينة وقرب هابيل حزمة سنبل، فوجد فيها سنبله عظيمة ففركها فأكلها، فنزلت النار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل، فغضب وقال: لأقتلك حتى لا تنكح أختي فقال هابيل {إنما يتقبل الله من المتقين لمن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين ...} إلى قوله {فطوعت له نفسه قتل أخيه} فطلبه ليقترله فراغ الغلام منه في رعوس الجبال، وأتاه يوما من الأيام وهو يرعى غنمه في جبل وهو نائم، فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات، وتركه بالعراء ولا يعلم كيف يدفن؛ فبعث الله غرابين أخوين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه فحفر له ثم حثا عليه فلما رآه قال: {ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سواة أخي} فهو قول الله تبارك وتعالى: {فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سواة أخيه} فرجع آدم فوجد ابنه قد قتل أخاه فذلك حين يقول: {إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال ...} إلى آخر الآية"<sup>(٧)</sup>.

(١) أخرجه الطبري: ٣٣٩/٢٠.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٨١٦): ص ٣١٦٠/١٠.

(٣) تفسير السمعاني: ٣١٢/٤.

(٤) قطعة من حديث أخرجه الطبراني (٢١٣/١١، رقم ١١٥٣٢) قال الهيثمي (١٧٢/١): فيه حسين بن قيس الملقب بحنش، وهو متروك الحديث. وأخرجه أيضا: أبو يعلى (٣٤٣/٤، رقم ٢٤٥٨).

(٥) تفسير السمعاني: ٣١٢/٤.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٤١/٢٠-٣٤٢، وحكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ٤٢٩/٤-٤٣٠، وابن الجوزي في زاد المسير: ٤٨٧/٣-٤٨٨. بدون إسناد.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٤١/٢٠-٣٤٢، وحكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير-مختصرا-: ٤٨٧/٣-٤٨٨.

عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها، أو قال: يكفر كل شيء إلا الأمانة؛ يؤتى بصاحب الأمانة فيقال له: أد أمانتك، فيقول: أي رب وقد ذهبت الدنيا، ثلاثاً. فيقال: اذهبوا به إلى الهاوية، فيذهب به إليها، فيهبوي فيها حتى ينتهي إلى قعرها، فيجدها هناك كهينتها، فيحملها فيضعها على عاتقه فيصعد بها إلى شفير جهنم، حتى إذا رأى أنه قد خرج زلت، فهوى في أثرها أبد الأبدية". قالوا: والأمانة في الصلاة والأمانة في الصوم والأمانة في الحديث، وأشد ذلك الودائع، فلقيت البراء فقلت: ألا تسمع إلى ما يقول أخوك عبد الله؟ فقال: صدق"<sup>(١)</sup>.

الثالث: أنها ائتمان الرجال والنساء على الفروج ، قاله أبي بن كعب<sup>(٢)</sup>.

قال أبي بن كعب: "من الأمانة أن المرأة أوتمنت على فرجها"<sup>(٣)</sup>.

روي عن أبي حازم، قال: "إن الله عرض الأمانة على سماء الدنيا فأبنت ثم التي تليها حتى فرغ منها، ثم الأرضين ثم الجبال، ثم عرضها على آدم فقال: نعم بين أذني وعاتقي. فثلاث أمرك بهن فإنهن لك عون: إني جعلت لك لسانا بين لحيين فكفه عن كل شيء نهيتك عنه، وجعلت لك فرجا وواريته فلا تكشفه إلى ما حرمت عليك"<sup>(٤)</sup>.

وعن أبي حمزة السكري أنه قال: "إني أعلم من نفسي أنني أؤدي الأمانة في مائة ألف دينار، ومائة ألف دينار، ومائة ألف دينار إلى أن ينقطع النفس، ولو باتت عندي امرأة وأتمنت عليها خفت ألا أسلم منها"<sup>(٥)</sup>.

الرابع : أن هذه الأمانة هي ما أودعه الله في السموات والأرض والجبال والخلق من الدلائل على ربوبيته أن يظهورونها فأظهورها إلا الإنسان فإنه كتمها وجدها. حكاه الماوردي عن بعض المتكلمين<sup>(٦)</sup>.

قال ابن كثير: "كل هذه الأقوال لا تنافي بينها ، بل هي متفقة وراجعة إلى أنها التكليف ، وقبول الأوامر والنواهي بشرطها ، وهو أنه إن قام بذلك أثيب ، وإن تركها عُوقِبَ ، فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه ، إلا مَنْ وفق الله ، وبالله المستعان"<sup>(٧)</sup>.

وللمفسرين في المراد بعرض الأمانة على السموات والأرض، ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الله تعالى ركب العقل في هذه الأعيان، وأفهمهن خطابه، وأنطقهن بالجواب حين عرضها عليهن، ولم يرد بقوله: «أبَيِّنَ» المخالفة، ولكن أبين للخشية والمخافة، لأن العرض كان تخييراً لا إلزاماً، و«أشفقن»، بمعنى: خفن منها أن لا يؤدبنا فيلحقهن العقاب، حكاه ابن الجوزي عن الأكثرين<sup>(٨)</sup>.

والثاني: أن المراد بالآية: إنا عرضنا الأمانة على أهل السموات وأهل الأرض وأهل الجبال من الملائكة، قاله الحسن<sup>(٩)</sup>.

قال السمعاني: "وهو مثل قوله: {وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ} أي: أهل القرية"<sup>(١٠)</sup>.

الثالث: ذكره الزجاج، قال: "حقيقة هذه الآية - والله أعلم، وهو موافق للتفسير - أن الله عز وجل ائتمن بني آدم على ما افترضه عليهم من طاعته، وائتمن السموات والأرض والجبال على طاعته والخضوع له، فأعلمنا الله أنه قال: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وللأرض

بدون إسناد.

(١) أخرجه الطبري: ٣٤٠/٢٠.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٩/٢٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٣٩/٢٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٤١-٣٤٠/٢٠.

(٥) حكاه عنه السمعاني في التفسير: ٣١١/٤.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٤٢٩/٤.

(٧) تفسير ابن كثير: ٤٨٩/٦.

(٨) انظر: زاد المسير: ٤٨٨/٣.

(٩) انظر: زاد المسير: ٤٨٨/٣.

(١٠) تفسير السمعاني: ٣١٣/٤.



أَتَيْتَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} [فصلت : ١١]. وأعلمنا أن من الحجارة ما يهبط من خشية الله وأن الشمس والقمر والنجوم والملائكة وكثيرا من الناس يسجدون لله. فأعلمنا الله أن السماوات والأرض والجبال لم تحتمل الأمانة، أي: أدتها، وكل من خان الأمانة فقد احتملها، وكذلك كل من أثم فقد احتمل الإثم، قال الله عز جل: {وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ} [العنكبوت : ١٣]. فأعلم الله أن من باء بالإثم يسمى حاملا للإثم. فالسماوات والأرض والجبال أبين أن يحملن الأمانة وأدينها. وأداؤها طاعة الله فيما أمر به، والعمل به وترك المعصية. وحملها الإنسان، قال الحسن: «الكافر والمنافق حملا الأمانة ولم يطيعا»<sup>(١)</sup>. فهذا المعنى والله أعلم<sup>(٢)</sup>.

قال السمعاني: "وقد أحسن وأجاد أبو إسحاق الزجاج في هذا القول"<sup>(٣)</sup>.  
قوله تعالى: {وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ} [الأحزاب : ٧٢]، أي: "وحملها الإنسان والتزم بها على ضعفه"<sup>(٤)</sup>.

وفي المراد بالإنسان، أربعة أقوال:  
أحدها: أنه آدم-عليه السلام-. قاله أبو العالية<sup>(٥)</sup>، ومقاتل<sup>(٦)</sup>، وحكاة ابن الجوزي عن الجمهور<sup>(٧)</sup>.  
وحكي الماوردي عن الحسن، قال: "أنه آدم ثم انتقلت منه إلى ولده"<sup>(٨)</sup>.  
حكي ابن قتيبة عن بعض المفسرين: "إن آدم لما حضرته الوفاة قال: يا رب! من أستخلف بعدي؟ فقيل له: اعرض خلافتك على جميع الخلق، فعرضها، فكل أباه غير ولده"<sup>(٩)</sup>.  
الثاني: قابيل. في قول السدي<sup>(١٠)</sup>.

الثالث: المنافق والمشرک، قاله الحسن<sup>(١١)</sup>.  
قال الحسن: "هما اللذان ظلماها، هما اللذان خانها: المنافق والمشرک"<sup>(١٢)</sup>.  
الرابع: جميع الناس، قاله ثعلب<sup>(١٣)</sup>.  
قوله تعالى: {إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} [الأحزاب : ٧٢]، أي: "إنه كان شديد الظلم والجهل لنفسه"<sup>(١٤)</sup>.

قال مقاتل: "ظلوما لنفسه بخطيئته، جهولا بعاقبة ما تحمل من الطاعة على الثواب والعقاب"<sup>(١٥)</sup>.

قال ابن عباس: "يعني: غرا بأمر الله"<sup>(١٦)</sup>.  
قال قتادة: "ظلوما لها، يعني: الأمانة، جهولا عن حقها"<sup>(١٧)</sup>.  
قال ابن جريج: "إنه كان ظلوما ظلمه نفسه في خطيئته، جهولا بعاقبة ما تحمل"<sup>(١٨)</sup>.

- 
- (١) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٣٨٠/١، وزاد المسير: ٤٨٨/٣.  
(٢) معاني القرآن: ٢٣٨/٤.  
(٣) تفسير السمعاني: ٣١٤/٤.  
(٤) التفسير الميسر: ٤٢٧.  
(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٧٨١١): ص ٣١٥٩/١٠.  
(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥١١/٣.  
(٧) انظر: زاد المسير: ٤٨٨/٣.  
(٨) انظر: النكت والعيون: ٤٣٠/٤.  
(٩) غريب القرآن: ٣٥٢.  
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٤١ / ٢٠، حكاة عنه الماوردي في النكت والعيون: ٤٢٩/٤-٤٣٠، وابن الجوزي في زاد المسير: ٤٨٧/٣-٤٨٨. بدون إسناد.  
(١١) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٣٨٠/١، وزاد المسير: ٤٨٨/٣.  
(١٢) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٣٨٠/١.  
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٤٣٠/٤، وزاد المسير: ٤٨٨/٣.  
(١٤) التفسير الميسر: ٤٢٧.  
(١٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥١١/٣.  
(١٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٨١٠): ص ٣١٥٩/١٠.  
(١٧) أخرجه الطبري: ٣٤٣/٢٠.

قال يحيى: " {إنه كان ظلوماً} لنفسه. {جهولاً} بربه، وهذا المشرك" (٢).

## القرآن

{لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [الأحزاب : ٧٣]

التفسير:

لتكون عاقبة حمل الإنسان الأمانة أن يعذب الله المنافقين الذين يُظهرون الإسلام ويُخفون الكفر، والمنافقات، والمشركين في عبادة الله غيره، والمشركات، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات بستر ذنوبهم وترك عقابهم. وكان الله غفوراً للتائبين من عباده، رحيماً بهم.

قوله تعالى: {لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ} [الأحزاب : ٧٣]، أي: " لتكون عاقبة حمل الإنسان الأمانة أن يعذب الله المنافقين الذين يُظهرون الإسلام ويُخفون الكفر، والمنافقات، والمشركين في عبادة الله غيره، والمشركات" (٣).

قال الطبري: يقول: " وحمل الإنسان الأمانة كيما يعذب الله المنافقين فيها الذين يظهرون أنهم يؤدون فرائض الله مؤمنين بها وهم مستترون الكفر بها والمنافقات والمشركين بالله في عبادتهم إياه الآلهة والأوثان {والمشركات}" (٤).

قال السمعاني: " «اللام» -ها هنا- لام كي، ومعناه: كي يعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات يعني إذا خانوا" (٥).

قال القرطبي: " اللام في {ليعذب} متعلقة بـ«حمل»، أي: حملها ليعذب العاصي ويثيب المطيع، فهي لام التعليل، لأن العذاب نتيجة حمل الأمانة. وقيل بـ«عرضنا»، أي عرضنا الأمانة على الجميع ثم قلدها الإنسان ليظهر شرك المشرك ونفاق المنافق ليعذبهم الله، وإيمان المؤمن ليثيبه الله" (٦).

قال ابن كثير: " أي : إنما حمل ابن آدم الأمانة وهي التكاليف ليعذب الله المنافقين منهم والمنافقات ، وهم الذين يظهرون الإيمان خوفاً من أهله وبيطنون الكفر متابعة لأهله ، {والمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ} ، وهم الذين ظاهرهم وباطنهم على الشرك بالله ، عز وجل ، ومخالفة رسله" (٧).

وقال مقاتل: " يقول: عرضنا الأمانة على الإنسان لكي يعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات بما خانوا الأمانة وكذبوا الرسل، ونقضوا الميثاق الذي أقروا به على أنفسهم، يوم أخرجهم من ظهر آدم- عليه السلام- حين قال- عز وجل- {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ} [الأعراف : ١٧٢]، فنقضوا هذه المعرفة وتركوا للطاعة، يعني: التوحيد" (٨).

عن قتادة: " {ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات}، هذان اللذان خاناهما" (٩).

قال الحسن: " اللذان خاناهما اللذان ظلماها: المنافق والمشرك" (١٠).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٨١٣): ص ٣١٥٩/١٠.

(٢) تفسير يحيى بن سلام: ٧٤٢/٢.

(٣) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(٤) تفسير الطبري: ٣٤٣/٢٠.

(٥) تفسير السمعاني: ٣١٤/٤.

(٦) تفسير القرطبي: ٢٥٨/١٤.

(٧) تفسير ابن كثير: ٤٩٣/٦.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥١١/٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٤٣/٢٠.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٤٣/٢٠.

قوله تعالى: {وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [الأحزاب : ٧٣]، أي: "ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات بستر ذنوبهم وترك عقابهم"<sup>(١)</sup>.  
 قال الطبري: يقول: "ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات} يرجع بهم إلى طاعته وأداء الأمانات التي ألزمهم إياها حتى يؤديها"<sup>(٢)</sup>.  
 قال السمعاني: "أي: يهديهم ويرحمهم إذا أدوا الأمانة"<sup>(٣)</sup>.  
 قال ابن كثير: "أي : وليرحم المؤمنين من الخلق الذين آمنوا بالله ، وملائكته وكتبه ورسله العاملين بطاعته"<sup>(٤)</sup>.  
 قال مقاتل: "يقول: ولكي يتوب الله على المؤمنين والمؤمنات بما وفوا بالأمانة ولم ينقضوا الميثاق"<sup>(٥)</sup>.

عن قتادة: " {ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات}، هذان اللذان أدياها"<sup>(٦)</sup>.  
 وقرئ الحسن « وَيُتُوبُ » بالرفع يقطع من الأول، أي: يتوب الله عليهم بكل حال<sup>(٧)</sup>.  
 قوله تعالى: {وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [الأحزاب : ٧٣]، أي: "وكان الله غفوراً للتائبين من عباده، رحيماً بهم"<sup>(٨)</sup>.

قال مقاتل: " {وكان الله غفوراً} لذنوبهم، {رحيماً} بهم"<sup>(٩)</sup>.  
 قال الطبري: يقول: " {وكان الله غفوراً} لذنوب المؤمنين والمؤمنات بستره عليها وتركه عقابهم عليها، {رحيماً} أن يعذبهم عليها بعد توبتهم منها"<sup>(١٠)</sup>.  
 فوائد الآيات: [٦٩-٧٣]:

- ١- وجوب تقوى الله عز وجل بفعل الأوامر واجتناب المناهي.
  - ٢- صلاح الأعمال لتثمر للعاملين الزكاة للنفس، وطيب الحياة متوقف على التزام الصدق في القول والعمل وهو القول السديد المنافي للكذب والانحراف في القول والعمل.
  - ٣- طاعة الله ورسوله سبيل الفوز والفلاح في الدين.
  - ٤- وجوب رعاية الأمانة وأدائها، ولم يخل احد من أمانة.
  - ٥- وصف الإنسان بالظلم والجهل والكفر والمهانة والضعف ف آيات أخرى يستلزم طلب علاج لهذه الصفات وعلاجها جاء مبيناً في سورة المعارج في قوله: {إِلَّا الْمُصَلِّينَ} [المعارج : ٢٢]، إلي قوله {وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} [المعارج : ٣٤].
- «آخر تفسير سورة (الأحزاب)، والحمد لله وحده»

(١) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(٢) تفسير الطبري: ٣٤٣/٢٠.

(٣) تفسير السمعاني: ٣١٤/٤.

(٤) تفسير ابن كثير: ٤٩٣/٦.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥١١/٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٤٣/٢٠.

(٧) انظر: تفسير القرطبي: ٢٥٨/١٤.

(٨) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥١١/٣.

(١٠) تفسير الطبري: ٣٤٣/٢٠.



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### تفسير سورة «سبأ»

سورة «سبأ»: هي السورة «الرابعة والثلاثون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «الثامنة والخمسون» بحسب ترتيب النزول، نزلت بعد سورة: «لقمان»<sup>(١)</sup>. عدد آياتها خمس وخمسون في عد الشام، وأربع في عد الباقي. وكلماتها ثمانمائة وثمانون. وحروفها أربعة آلاف وخمسمائة واثنا عشر<sup>(٢)</sup>.

والمختلف فيها آية واحدة: {عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ} [سبأ: ١٥]، فواصل آياتها: «ظن لمدير»<sup>(٣)</sup>.

#### ■ أسماء السورة:

#### ■ اسمها التوقيفي: «سورة سبأ»:

اشتهرت تسميتها باسم «سورة سبأ»، وكتبت في المصاحف وكتب التفسير، سميت سورة سبأ، لاشتمالها على قصة سبأ {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ} [سبأ: ١٥]<sup>(٤)</sup>.

قال المهايمني: "سميت بها، لتضمن قصتها آية تدل على نعيم الجنة في السعة وعدم الكلفة والخلو عن الآفة وتبديلها بها بالنقك، لمن كفر بالمنعم، وهذا من أعظم مقاصد القرآن"<sup>(٥)</sup>. ولا يعرف لهذه السورة اسم غيره.

قال ابن عاشور: "هذا اسمها الذي اشتهرت به في كتب السنة وكتب التفسير وبين القراء ولم أفق على تسميتها في عصر النبوة"<sup>(٦)</sup>.

#### ■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدها: أنها نزلت بمكة. قاله ابن عباس<sup>(٧)</sup>، وقتادة<sup>(٨)</sup>، ويحيى بن سلام<sup>(٩)</sup>.

قال ابن الجوزي: "هي مكية بإجماعهم"<sup>(١٠)</sup>.

قال الفيروزآبادي: "السورة مكية بالاتفاق"<sup>(١١)</sup>.

الثاني: أنها مكية إلا قوله تعالى: {وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٦)} [سبأ: ٦]، نزلت في مدينة. وهذا قول الضحاك<sup>(١٢)</sup>، وابن السائب<sup>(١٣)</sup>، ومقاتل<sup>(١٤)</sup>، وبه قال الزمخشري<sup>(١٥)</sup>.

قال مقاتل: "وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ بالله- عز وجل-، يعني: مؤمني أهل الكتاب"<sup>(١٦)</sup>.

قال ابن عاشور: "عن مقاتل أن آية: {وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ}، إلى قوله: {العزیز الحمید} [سبأ: ٦] نزلت بالمدينة، ولعله بناء على تأويلهم أهل العلم إنما يراد بهم أهل الكتاب

(١) انظر: الكشاف: ٥٦٦/٣.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ٣٨٢/١.

(٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ٣٨٢/١.

(٥) تفسير المهايمني: ١٦٥/٢.

(٦) التحرير والتنوير: ١٣٣/٢٢.

(٧) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/٦٧٣، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/٦٧٣، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٩) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٧٤٤/٢.

(١٠) زاد المسير: ٤٨٩/٣.

(١١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٣٨٢/١.

(١٢) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٤٨٩/٣. بدون إسناد.

(١٣) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٤٨٩/٣. بدون إسناد.

(١٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٤/٣.

(١٥) انظر: الكشاف: ٥٦٦/٣.

(١٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٤/٣.

الذين أسلموا مثل عبد الله بن سلام. والحق أن الذين أوتوا العلم هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup>.

#### ■ مناسبة سورة «سبأ» مع سورة «الأحزاب»:

وجه اتصال سورة «سبأ» بما قبلها:

١- إن الصفات التي أجريت على الله في مفتحتها تشاكل الصفات التي نسبت إليه في مختتم السورة السالفة.

٢- إنه في السورة السابقة ذكر سؤال الكفار عن الساعة استهزاء، وهنا حكى عنهم إنكارها صريحا، وطعنهم على من يقول بالبعث، وقال هنا ما لم يقله هناك<sup>(٢)</sup>.

#### ■ أغراض السورة ومقاصدها

إن المقاصد الكلية التي تضمنتها السورة هي موضوعات العقيدة الرئيسية: توحيد الله، والإيمان بالوحي، والاعتقاد بالبعث. وتفصيل ما تضمنته السورة من مقاصد وفق التالي:

١- إبطال قواعد الشرك وأعظمها إشراك آلهة مع الله، وإنكار البعث، فابتدأ سبحانه السورة بدليل على انفراده تعالى بالإلهية، ونفي الإلهية عن الأصنام، ونفي أن تكون الأصنام شفعا لعبادها.

٢- التركيز الأكبر في السورة على قضية البعث والجزاء.

٣- إثبات إحاطة علم الله بما في السماوات وما في الأرض، فما يخبر به فهو واقع، ومن ذلك إثبات البعث والجزاء.

٤- إثبات صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به، وصدق ما جاء به القرآن، وأن القرآن شهد به علماء أهل الكتاب.

٥- إلزام الحجة على منكري النبوة.

٦- بيان معجزات داود وسليمان عليهما السلام.

٧- تقرير سنة من سنن الله في عباده، وهي أن النعم التي يمنحها الله عباده، إنما تدوم بشكر المنعم، وشكر المنعم إنما يكون بفعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه، والاهتداء بهديه، وأن النعم تتحول إلى نقم وهلاك، إذا أعرض الإنسان عن هدي ربه، بفعله ما نهى الله عنه، وتركه ما أمره الله به، وسلوكه سبيل المفسدين والمكذابين والضالين، كما حصل مع قوم سبأ.

٨- تهديد المشركين وموعظتهم بما حل ببعض الأمم المشركة من قبل، وأن جعلهم الله شركاء كفران لنعمة الخالق؛ فضرب لهم المثل بمن شكروا نعمة الله واتقوه، فأوتوا خير الدنيا والآخرة، وسخرت لهم الخيرات مثل داود وسليمان، وبمن كفروا بالله فسلطت عليه البلايا في الدنيا، وأعد لهم العذاب في الآخرة مثل سبأ.

٩- التحذير من تغرير الشيطان، وأنه عدو للإنسان.

١٠- بيان أن الإيمان والعمل الصالح -لا الأموال ولا الأولاد- هما قوام الحكم والجزاء عند الله.

١١- بيان أنه ما من قوة في الأرض ولا في السماء تعصم من بطش الله، وما من شفاعاة عنده إلا بإذنه.

١٢- وعد المنفقين والمصدقين بالإخلاف.

١٣- تبشير المؤمنين بالنعيم المقيم.

١٤- بيان أن العودة إلى الحياة بعد الممات لتدارك ما فات أمر محال<sup>(٣)</sup>.

#### الناسخ والمنسوخ:

(١) التحرير والتنوير: ١٣٣/٢٢.

(٢) انظر: تفسير المراعي: ٥٥/٢٢.

(٣) انظر: إسلام ويب. [موقع إلكتروني].

- قوله تعالى: {قُلْ لَا تُسْئَلُونَ عَمَّا أُجْرَمْنَا وَلَا نُسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [سبأ: ٢٥].  
قال المفسرون: المعنى: لا تؤاخذون بجرمنا ولا نسأل عما تعملون من الكفر والتكذيب. والمعنى: إظهار التبري منهم، قالوا: وهذا منسوخ بآية السيف ولا أرى لنسخها وجهاً، لأن مؤاخذة كل واحد بفعله لا يمنع من قتال الكفار<sup>(١)</sup>.

#### ■ فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:  
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة سبأ لم يبق نبي ولا رسول إلا كان يوم القيامة له رفيقا ومصافحا»<sup>(٢)</sup>.  
هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١) نواسخ القرآن، لان الجوزي: ١٨٤.  
(٢) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ٦٩/٨، والواحي في التفسير الوسيط (٧٦٧): ٤٨٦/٣. وقد مرّ أنه حديث موضوع غير ثابت.

## القرآن

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ  
{(١)} [سبأ : ١]

التفسير:

الثناء على الله بصفاته التي كلها أوصاف كمال، وبنعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدينية، الذي له ملك ما في السموات وما في الأرض، وله الثناء التام في الآخرة، وهو الحكيم في فعله، الخبير بشؤون خلقه.

قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [سبأ : ١]، أي: "الثناء على الله بصفاته التي كلها أوصاف كمال، وبنعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدينية، الذي له ملك ما في السموات وما في الأرض"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: الشكر الكامل والحمد التام كله للمعبود الذي هو مالك جميع ما في السموات السبع وما في الأرضين السبع دون كل ما يعبدونه، ودون كل شيء سواه لا مالك لشيء من ذلك غيره، فالمعنى الذي هو مالك جميعه"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: "يخبر تعالى عن نفسه الكريمة : أن له الحمدَ المطلق في الدنيا والآخرة ؛ لأنه المنعم المتفضل على أهل الدنيا والآخرة ، المالك لجميع ذلك ، الحاكم في جميع ذلك ، كما قال : { وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } [القصص : ٧٠] ؛ ولهذا قال هاهنا : { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ } أي : الجميع ملكه وعبده وتحت قهره وتصرفه ، كما قال : { وَإِنَّ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى } [الليل : ١٣]"<sup>(٣)</sup>.

قال مقاتل: "وذلك أن كفار مكة لما كفروا بالبعث، حمد الرب نفسه قال- عز وجل- {الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض}، من الخلق"<sup>(٤)</sup>.  
قال يحيى: "حمد نفسه وهو أهل الحمد"<sup>(٥)</sup>.

قال الزجاج: "والله المحمود في الدنيا والآخرة"<sup>(٦)</sup>.  
قال الزمخشري: "ما في السموات والأرض كله نعمة من الله، وهو الحقيق بأن يحمد ويثنى عليه من أجله، ولما قال الحمد لله ثم وصف ذاته بالإنعام بجميع النعم الدينية، كان معناه: أنه المحمود على نعم الدنيا، كما تقول: احمد أخاك الذي كساك وحملك، تريد: احمده على كسوته وحملانه"<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: {وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ} [سبأ : ١]، أي: "وله الثناء التام في الآخرة"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن عباس: "يريد حيث لا يحمد أحد غيره"<sup>(٩)</sup>.

قال الطبري: "يقول: وله الشكر الكامل في الآخرة كالذي هو له ذلك في الدنيا العاجلة؛ لأن منه النعم كلها على كل من في السموات والأرض في الدنيا، ومنه يكون ذلك في الآخرة فالحمد لله خالصا دون ما سواه في عاجل الدنيا وأجل الآخرة لأن النعم كلها من قبله لا يشركه فيها أحد من دونه"<sup>(١٠)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٢٨.

(٢) تفسير الطبري: ٣٤٦/٢٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٤٩٤/٦.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٣/٣.

(٥) تفسير يحيى بن سلام: ٧٤٤/٢.

(٦) معاني القرآن: ٢٣٩/٤.

(٧) الكشاف: ٥٦٦/٣.

(٨) التفسير الميسر: ٤٢٨.

(٩) التفسير البسيط للواحدي: ٣١١/١٨، ولم أقف عليه.

(١٠) تفسير الطبري: ٣٤٦/٢٠.



قال مقاتل: " يعني: يحمده أولياؤه في الآخرة إذا دخلوا الجنة فقالوا: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ} [الزمر : ٧٤] ، {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا} [الأعراف : ٤٣]"<sup>(١)</sup> .  
قال ابن كثير: " فهو المعبود أبدا ، المحمود على طول المدى"<sup>(٢)</sup> .

قال الزجاج: " حمده في الآخرة يدل عليه قول أهل الجنة: {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ} [الزمر : ٧٤] ، أي: أورثنا أرض الجنة"<sup>(٣)</sup> .  
قال ابن المنير في حاشيته: " الفرق بين الحمدتين: أن الأول عبادة مكلف بها، والثاني غير مكلف به ولا متكلف، وإنما هو في النشأة الثانية كالجليات في النشأة الأولى، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام «يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس» وإلا فالنعمة الأولى كالثانية بفضل من الله تعالى على عباده، لا عن استحقاق"<sup>(٤)</sup> .  
قوله تعالى: {وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} [سبأ : ١] ، أي: " وهو الحكيم في فعله، الخبير بشؤون خلقه"<sup>(٥)</sup> .

قال الطبري: " وهو الحكيم في تدبيره خلقه وصرفه إياهم في تقديره، خبير بهم وبما يصلحهم، وبما عملوا وما هم عاملون، محيط بجميع ذلك"<sup>(٦)</sup> .  
قال ابن كثير: " { وَهُوَ الْحَكِيمُ } أي : في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره ، { الْخَبِيرُ } الذي لا تخفى عليه خافية ، ولا يغيب عنه شيء"<sup>(٧)</sup> .  
قال يحيى: " { وهو الحكيم } في أمره، أحكم كل شيء. { الخبير } بخلقه"<sup>(٨)</sup> .  
قال مقاتل: " { وهو الحكيم } : حكم البعث، { الخبير } به"<sup>(٩)</sup> .  
قال قتادة: " حكيم في أمره، خبير بخلقه"<sup>(١٠)</sup> .  
قال ابن عباس: " حكيم في خلقه أن يميتهم ثم يحييهم، الخبير لمن أطاعه ومن عصاه"<sup>(١١)</sup> .

## القرآن

{يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ  
الْغَفُورُ} (٢) [سبأ : ٢]

التفسير:

يعلم كل ما يدخل في الأرض من قطرات الماء، وما يخرج منها من النبات والمعادن والمياه، وما ينزل من السماء من الأمطار والملائكة والكتب، وما يصعد إليها من الملائكة وأفعال الخلق. وهو الرحيم بعباده فلا يعاجل عصاتهم بالعقوبة، الغفور لذنوب التائبين إليه المتوكلين عليه.  
قوله تعالى: {يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا} [سبأ : ٢] ، أي: " يعلم كل ما يدخل في الأرض من قطرات الماء، وما يخرج منها من النبات والمعادن والمياه"<sup>(١٢)</sup> .  
قال الطبري: يقول: " يعلم ما يدخل الأرض وما يغيب فيها من شيء، وما يخرج من الأرض"<sup>(١)</sup> .

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٣/٣ .

(٢) تفسير ابن كثير: ٤٩٤/٦ .

(٣) معاني القرآن: ٢٣٩/٤ .

(٤) الكشاف: ٥٦٦/٣ . الحاشية رقم (١) .

(٥) التفسير الميسر: ٤٢٨ .

(٦) تفسير الطبري: ٣٤٦/٢٠ .

(٧) تفسير ابن كثير: ٤٩٤/٦ .

(٨) تفسير يحيى بن سلام: ٧٤٤/٢ .

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٣/٣ .

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٤٦/٢٠ .

(١١) التفسير البسيط للواحدى: ٣١١/١٨، ولم أقف عليه .

(١٢) التفسير الميسر: ٤٢٨ .

قال أبو عبيدة: "يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ"، أي: يدخل ويغيب فيها قال طرفة<sup>(٢)</sup>:  
 رأيت القوافي يتلجن موالجا ... تضايق عنها أن تولجها الإبر"<sup>(٣)</sup>.  
 قال ابن قتيبة: "ما يلج في الأرض" أي يدخل. {وما يعرج فيها} أي: يصعد"<sup>(٤)</sup>.  
 قال الزجاج: "أي: ما يدخل في الأرض وما يخرج منها. ما يدخل في الأرض من قطر  
 وغيره، وما يخرج منها من زرع وغيره"<sup>(٥)</sup>.  
 قال ابن كثير: "أي: يعلم عدد القطر النازل في أجزاء الأرض، والحب المبدور  
 والكامن فيها، ويعلم ما يخرج من ذلك: عدده وكيفيته وصفاته"<sup>(٦)</sup>.  
 عن السدي: "يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ"، قال: من المطر. {وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا} قال: من  
 النبات"<sup>(٧)</sup>. وروي عن الضحاك مثله"<sup>(٨)</sup>.  
 قوله تعالى: {وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا} [سبأ: ٢]، أي: "وما ينزل من السماء  
 من الأمطار والملائكة والكتب، وما يصعد إليها من الملائكة وأفعال الخلق"<sup>(٩)</sup>.  
 قال الطبري: "يعني: وما يصعد في السماء، وذلك خير من الله أنه العالم الذي لا يخفى  
 عليه شيء في السماوات والأرض، مما ظهر فيها وما بطن"<sup>(١٠)</sup>.  
 قال ابن كثير: " { وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ } أي: من قطر ورزق، { وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا } أي  
 : من الأعمال الصالحة وغير ذلك"<sup>(١١)</sup>.  
 قال الزجاج: " { وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا } : ما يصعد فيها، يقال: عرج يعرج إذا صعد،  
 والمعارج - الدرج - من هذا، ويقال: عرج يعرج، إذا صار ذا عرج، وعرج يعرج، إذا غمز  
 من شيء أصابه"<sup>(١٢)</sup>.  
 عن السدي: " { وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ } ، قال: الملائكة. { وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا } ، قال:  
 الملائكة"<sup>(١٣)</sup>. وروي عن الضحاك نحوه"<sup>(١٤)</sup>.  
 قوله تعالى: { وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ } [سبأ: ٢]، أي: "وهو الرحيم بعباده فلا يعاجل  
 عصاتهم بالعقوبة، الغفور لذنوب التائبين إليه المتوكلين عليه"<sup>(١٥)</sup>.  
 قال الطبري: "وهو الرحيم بأهل التوبة من عباده أن يعذبهم بعد توبتهم، الغفور لذنوبهم  
 إذا تابوا منها"<sup>(١٦)</sup>.  
 قال ابن كثير: "أي: الرحيم بعباده فلا يعاجل عصاتهم بالعقوبة، الغفور عن ذنوب  
 عباده التائبين إليه المتوكلين عليه"<sup>(١٧)</sup>.  
 عن قتادة: "قوله: { غفور }، قال: للذنوب الكثيرة أو الكبيرة"<sup>(١٨)</sup>، " { رحيم }، بعباده"<sup>(١٩)</sup>.

- (١) تفسير الطبري: ٣٤٨/٢٠.
- (٢) في ملحق ديوانه من الستة: ص ١٨٥ وتفسير الطبري: ٣٤٨/٢٠، واللسان والتاج (ولج).
- (٣) مجاز القرآن: ١٤٢/٢.
- (٤) غريب القرآن: ٣٥٣.
- (٥) معاني القرآن: ٢٣٩/٤.
- (٦) تفسير ابن كثير: ٤٩٤/٦.
- (٧) أخرج ابن أبي حاتم (١٧٨٦٨): ص ٣١٦١/١٠.
- (٨) انظر: النكت والعيون: ٤٣٢/٤.
- (٩) التفسير الميسر: ٤٢٨.
- (١٠) تفسير الطبري: ٣٤٨/٢٠.
- (١١) تفسير ابن كثير: ٤٩٤/٦.
- (١٢) معاني القرآن: ٢٣٩/٤.
- (١٣) أخرج ابن أبي حاتم (١٧٨٦٨): ص ٣١٦١/١٠.
- (١٤) انظر: النكت والعيون: ٤٣٢/٤.
- (١٥) التفسير الميسر: ٤٢٨.
- (١٦) تفسير الطبري: ٣٤٨/٢٠.
- (١٧) تفسير ابن كثير: ٤٩٤/٦.
- (١٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٥١٠٣): ص ٩١٥/٣.

عن عطاء بن دينار، قوله: " {غفور} لما كان منهم قبل التوبة، {رحيم} بهم بعد التوبة"<sup>(٢)</sup>.

عن سعيد بن جبير، قوله: " {الغفور}، يعني: غفور الذنوب، {الرحيم}، يعني: رحيمًا بالمؤمنين"<sup>(٣)</sup>.

فوائد الآيتين: [٢-١]:

- ١- وجوب حمد الله تعالى وشكره بالقلب واللسان والجوارح والأركان.
- ٢- بيان أن الحمد لا يصح إلا مع مقتضيه من الجلال والجمال.
- ٣- لا يحمد في الآخرة إلا الله سبحانه وتعالى.
- ٤- بيان علم الله تعالى بالظواهر والبواطن في كل خلقه.
- ٥- تقرير توحيد الله تعالى في ربوبيته وألوهيته.

### القرآن

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٣) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)} [سبأ : ٣-٤]

التفسير:

وقال الكافرون المنكرون للبعث: لا تأتينا القيامة، قل لهم -أيها الرسول-: بلى وربى لتأتينكم، ولكن لا يعلم وقت مجيئها أحد سوى الله علام الغيوب، الذي لا يغيب عنه وزن نملة صغيرة في السموات والأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا هو مسطور في كتاب واضح، وهو اللوح المحفوظ؛ لينيب الذين صدّقوا بالله، واتّبَعوا رسوله، وعملوا الصالحات. أولئك لهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم، وهو الجنة.

قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ} [سبأ : ٣]، أي: " وقال الكافرون المنكرون للبعث: لا تأتينا القيامة"<sup>(٤)</sup>.

قال الطبري: " ويستعجلك يا محمد الذين جحدوا قدرة الله على إعادة خلقه بعد فنائهم بهيئتهم التي كانوا بها من قبل فنائهم من قومك بقيام الساعة؛ استهزاء بوعدك إياهم وتكذيباً لخبرك"<sup>(٥)</sup>.

قال الزمخشري: " قولهم: {لا تأتينا الساعة}، نفى للبعث وإنكار لمجيء الساعة. أو استبطاء لما قد وعدوه من قيامها على سبيل الهزاء والسخرية، كقولهم: «متى هذا الوعد»"<sup>(٦)</sup>.  
قوله تعالى: {قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ} [سبأ : ٣]، أي: " قل لهم-أيها الرسول-: أقسم بالله العظيم لتأتينكم الساعة، فإنها واقعة لا محالة"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: أي: " قل لهم: بلى تأتكم وربى، قسماً به لتأتينكم الساعة"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن كثير: " هذه إحدى الآيات الثلاث التي لا رابع لهن ، مما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد لما أنكره من أنكره من أهل الكفر والعناد ، فأحداهن في سورة يونس : { وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي رَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ } [يونس : ٥٣] ، والثانية هذه : { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ } ،

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٤٩٥):ص٨٩٦/٣

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٧٠٥):ص٢١٥٩/٧

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٦٢٧):ص١٩٩٢/٦

(٤) التفسير الميسر: ٤٢٨

(٥) تفسير الطبري: ٣٤٩/٢٠

(٦) الكشاف: ٥٦٧/٣

(٧) صفوة التفاسير: ٥٠٠/٢. [بتصرف بسيط]

(٨) تفسير الطبري: ٣٤٩/٢٠

والتالفة في التغابن : { زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ } [التغابن : ٧] ، فقله : { قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ } ، ثم وصفه بما يؤكد ذلك ويقرره : { عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ }<sup>(١)</sup> .

قال الزمخشري: "أوجب ما بعد النفي بـ«بلى» على معنى: أن ليس الأمر إلا إتيانها، ثم أعيد إيجابه مؤكدا بما هو الغاية في التوكيد والتشديد، وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل، ثم أمد التوكيد القسمي إمدادا بما أتبع المقسم به من الوصف بما وصف به، إلى قوله ليجزي لأن عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وشدة ثباته واستقامته، لأنه بمنزلة الاستشهاد على الأمر، وكلما كان المستشهد به أعلى كعبا وأبين فضلا وأرفع منزلة، كانت الشهادة أقوى وأكد، والمستشهد عليه أثبت وأرسخ"<sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى: {عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ} [سبأ : ٣]، أي: "هو جل وعلا العالم بما خفي عن الأبصار، وغاب عن الأنظار، لا يغيب عنه مقدار وزن الذرة في العالم العلوي أو السفلي"<sup>(٣)</sup> .

قال الطبري: أي: "ولكنه لا يعلم وقت مجيئها أحد سوى علام الغيوب، الذي لا يغيب عنه شيء من زنة ذرة فما فوقها فما دونها، أين كان في السماوات ولا في الأرض"<sup>(٤)</sup> .  
قال أبو عبيدة: "لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ"، أي: لا يشد ولا يغيب مثقال ذرة، أي: زنة ذرة"<sup>(٥)</sup> .

قال الزمخشري: "لا يعزب": بالضم والكسر في الزاي، من: العزوب، وهو البعد. يقال: روض عزيب: بعيد من الناس مثقال ذرة مقدار أصغر نملة ذلك إشارة إلى مثقال ذرة"<sup>(٦)</sup> .  
قال ابن قتيبة: "لا يعزب عنه" لا يبعد. {مثقال ذرة} أي وزن ذرة، وهي: النملة الحمراء الصغيرة"<sup>(٧)</sup> .

عن ابن عباس، قوله: "لا يعزب عنه"، يقول: لا يغيب عنه"<sup>(٨)</sup> .  
عن مجاهد : {لا يعزب عنه}، قال: لا يغيب"<sup>(٩)</sup> .  
قوله تعالى: {وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [سبأ : ٣]، أي: "ولا أصغر من الذرة والا أكبر منها إلا ويعلمه الله تعالى وهو في اللوح المحفوظ"<sup>(١٠)</sup> .  
قال الطبري: "يقول: ولا يعزب عنه أصغر من مثقال ذرة {ولا أكبر} منه {إلا} هو مثبت في كتاب يبين للناظر فيه أن الله تعالى ذكره قد أثبتته وأحصاه وعلمه فلم يعزب عن علمه"<sup>(١١)</sup> .

قوله تعالى: {لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [سبأ : ٤]، أي: "ليثيب الذين صدقوا بالله، واتبعوا رسوله، وعملوا الصالحات"<sup>(١٢)</sup> .  
قال الطبري: يقول: "أثبت ذلك في الكتاب المبين كي يثيب الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا بما أمرهم الله ورسوله به وانتهوا عما نهاهم عنه على طاعتهم ربهم"<sup>(١)</sup> .

(١) تفسير ابن كثير: ٤٩٥/٦ .

(٢) الكشف: ٥٦٧/٣ .

(٣) صفوة التفاسير: ٥٠٠/٢ .

(٤) تفسير الطبري: ٣٤٩/٢٠-٣٥٠ . [بتصرف]

(٥) مجاز القرآن: ١٤٢/٢ .

(٦) الكشف: ٥٦٨/٣ .

(٧) غريب القرآن: ٣٥٣ .

(٨) أخرجه الطبري: ٣٥٠/٢٠ .

(٩) أخرجه الطبري: ٣٥٠/٢٠ .

(١٠) صفوة التفاسير: ٥٠٠/٢ .

(١١) تفسير الطبري ٣٥٠/٢٠ .

(١٢) التفسير الميسر: ٤٢٨ .

قال الزجاج: " «اللام» دخلت جوابا لقوله: {قل بلى وربى لتأتينكم} للمجازاة، أي: من أجل المجازاة بالثواب والعقاب"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: " ثم بين حكمته في إعادة الأبدان وقيام الساعة بقوله: { لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ.. }"<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: {أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} [سبأ : ٤]، أي: " أولئك لهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم، وهو الجنة"<sup>(٤)</sup>.

قال الطبري: " يقول جل ثناؤه: لهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات مغفرة من ربهم لذنوبهم وعيش هنيء يوم القيامة في الجنة"<sup>(٥)</sup>.

قال الزجاج: " بين الله أن جزاءهم المغفرة وهي التغطية على الذنوب"<sup>(٦)</sup>.

عن قتادة: " {أولئك لهم مغفرة} لذنوبهم، {ورزق كريم}: في الجنة"<sup>(٧)</sup>.

## القرآن

**{وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجْزِ أَلِيمٍ (٥) [سبأ : ٥]}**  
التفسير:

والذين سعوا في الصدّ عن سبيل الله وتكذيب رسله وإبطال آياتنا مشاقين الله مغالبيين أمره، أولئك لهم أسوأ العذاب وأشدّه ألماً.

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ} [سبأ : ٥]، أي: " والذين سعوا في الصدّ عن سبيل الله وتكذيب رسله وإبطال آياتنا مشاقين الله مغالبيين أمره"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن كثير: " أي : سعوا في الصد عن سبيل الله وتكذيب رسله"<sup>(٩)</sup>.

قال أبو عبيدة: " {مُعَاجِزِينَ}، أي: مسابقين، {سعوا}: كذبوا"<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن قتيبة: " {مُعَاجِزِينَ} أي: مسابقين. يقال: ما أنت بمعاجزي، أي بمسابق. وما أنت بمعجزي، أي سابقي وفانتني"<sup>(١١)</sup>.

عن قتادة: " {والذين سعوا في آياتنا معاجزين}، قال: أي: لا يعجزون"<sup>(١٢)</sup>.

وقرى: «معجزين»<sup>(١٣)</sup>.

قوله تعالى: {أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجْزِ أَلِيمٍ} [سبأ : ٥]، أي: " أولئك لهم أسوأ العذاب وأشدّه ألماً"<sup>(١٤)</sup>.

قال ابن كثير: " أي : لينعم السعداء من المؤمنين ، ويعذب الأشقياء من الكافرين ، كما قال : { لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ } [الحشر : ٢٠] ،

(١) تفسير الطبري: ٣٥١-٣٥٠/٢٠.

(٢) معاني القرآن: ٢٣٩/٤.

(٣) تفسير ابن كثير: ٤٩٥/٦.

(٤) التفسير الميسر: ٤٢٨.

(٥) تفسير الطبري: ٣٥١/٢٠.

(٦) معاني القرآن: ٢٣٩/٤.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٥١/٢٠.

(٨) التفسير الميسر: ٤٢٨.

(٩) تفسير ابن كثير: ٤٩٥/٦.

(١٠) مجاز القرآن: ١٤٢/٢.

(١١) غريب القرآن: ٣٥٣.

(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٨٦٩):ص٣١٦١/١٠.

(١٣) انظر: الكشاف: ٥٦٨/٣.

(١٤) التفسير الميسر: ٤٢٨.

وقال تعالى : { أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ } [ص : ٢٨] (١).  
قال قتادة: "الرجز: هو العذاب الأليم الموجع" (٢).  
وقرئ: «أليم»، بالرفع والجر (٣).

## القرآن

{وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ  
{(٦) [سبأ : ٦]}

التفسير:

ويعلم الذين أعطوا العلم أن القرآن الذي أنزل إليك من ربك هو الحق، ويرشد إلى طريق الله، العزيز الذي لا يغالب ولا يمانع، بل قهر كل شيء وغلبه، المحمود في أقواله وأفعاله وشرعه.  
قوله تعالى: {وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ} [سبأ : ٦]،  
أي: "ويعلم الذين أعطوا العلم أن القرآن الذي أنزل إليك من ربك هو الحق" (٤).

قال الطبري: يقول: "أثبت ذلك في كتاب مبين ليجزي الذين آمنوا والذين سعوا في آياتنا ما قد بين لهم، وليرى الذين أوتوا العلم، وهم: مسلمة أهل الكتاب كعبد الله بن سلام، ونظرائه الذين قد قرءوا كتب الله التي أنزلت قبل الفرقان-، يقول: وليرى هؤلاء الذين أوتوا العلم بكتاب الله الذي هو التوراة الكتاب الذي أنزل إليك يا محمد من ربك هو الحق" (٥).

قال الزمخشري: "ويعلم أولو العلم، يعني: أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يبطأ أعقابهم من أمته. أو علماء أهل الكتاب الذين أسلموا مثل كعب الأحبار وعبد الله ابن سلام رضى الله عنهما. الذي أنزل إليك ... الحق" (٦).

قال أبو السعود: "أي يعلم أولو العلم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يشايعهم من علماء الأمة أو من آمن من علماء أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب وأضرابهما رضى الله عنهم {الذى أنزل إليك من ربك} أي: القرآن {هو الحق}" (٧).

قال السمعاني: "وويرى الذين أوتوا العلم، قال بعضهم: هذا في مؤمني أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وغيره، والصحيح أن الآية في الذين آمنوا بالنبي من أهل مكة وغيرهم، وهو بمكة؛ لأن السورة مكية، وعبد الله بن سلام وأشباهه إنما آمنوا بالمدينة، وقوله: {الذي أنزل إليك من ربك هو الحق} يعني: أنه من الله تعالى" (٨).

قال الزجاج: "ههنا علماء اليهود الذين آمنوا بالنبي عليه السلام، منهم: كعب الأحبار وعبد الله بن سلام" (٩).

عن السدي: {وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ}، قال: "ويعلم الذين أوتوا العلم" (١٠).  
عن الضحاك، قوله: "وويرى الذين أوتوا العلم، قال: الذين أوتوا الحكمة من قبل قال: يعني المؤمنين من أهل الكتاب" (١١).

(١) تفسير ابن كثير: ٤٩٥/٦.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٨٦٩): ص ٣١٦١/١٠.

(٣) انظر: الكشف: ٥٦٨/٣.

(٤) التفسير الميسر: ٤٢٨.

(٥) تفسير الطبري: ٣٥٣/٢٠.

(٦) الكشف: ٥٦٨/٣.

(٧) تفسير أبي السعود: ١٢٢/٧.

(٨) تفسير السمعاني: ٣١٧/٤.

(٩) معاني القرآن: ٢٤١/٤.

(١٠) علقه يحيى بن سلام ٧٤٦ / ٢.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٨٧٠): ص ٣١٦١/١٠.

وروي عن قتادة: "ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق"، قال: أصحاب محمد" (١).

قال ابن كثير: "هذه حكمة أخرى معطوفة على التي قبلها ، وهي أن المؤمنين بما أنزل على الرسل إذا شاهدوا قيام الساعة ومجازاة الأبرار والفجار بالذي كانوا قد علموه من كتب الله في الدنيا رأوه حينئذ عين اليقين ، ويقولون يومئذ أيضاً : { لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ { [الأعراف : ٤٣] ، ويقال أيضاً : { هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ { [يس : ٥٢] ، { لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ { [الروم : ٥٦] ، { وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ " (٢).

قوله تعالى: { وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ { [سبأ : ٦] ، أي: "ويرشد إلى طريق الله، العزيز الذي لا يغالب ولا يمانع، بل قهر كل شيء وغلبه، المحمود في أقواله وأفعاله وشرعه" (٣).

قال الطبري: "يقول: ويرشد من اتبعه وعمل بما فيه إلى سبيل الله العزيز في انتقامه من أعدائه الحميد عند خلقه، فأياديه عندهم ونعمه لديهم. وإنما يعني أن الكتاب الذي أنزل على محمد يهدي إلى الإسلام" (٤).

قال الشوكاني: "الصراط: الطريق، أي: ويهدي إلى طريق العزيز في ملكه الحميد عند خلقه، والمراد: أنه يهدي إلى دين الله وهو التوحيد" (٥).

قال السمعاني: "يعني: أن القرآن الذي أنزله الله يهدي إلى صراط العزيز الحميد، وهو الله تعالى" (٦).

قال ابن كثير: "العزيز هو : المنيع الجنب، الذي لا يُغالب ولا يُمانع ، بل قد قهر كل شيء ، الحميد في جميع أقواله وأفعاله وشرعه ، وقدره ، وهو المحمود في ذلك كله" (٧).

قال محمد بن إسحاق: "العزيز في نصرته ممن كفر إذا شاء" (٨).

فوائد الآيات: [٦-٣]:

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بعد تقرير توحيد الألوهية.
- ٢- تقرير عقيدة القضاء والقدر وكتابة الأعمال والأحداث في اللوح المحفوظ.
- ٣- طلب شهادة أهل الكتاب على صحة الإسلام والحصول عليها لموافقة التوراة للقرآن.
- ٤- تقرير النبوة إذ القرآن فرع نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ودليلها المقرر لها.

## القرآن

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُبَيِّنُكُمْ إِذَا مَرَّقْتُمْ كُلَّ مَمْرَقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (٧)}

[سبأ : ٧]

التفسير:

وقال الذين كفروا بعضهم لبعض استهزاء: هل ندلكم على رجل (يريدون محمداً صلى الله عليه وسلم) يخبركم أنكم إذا متم وتفرقت أجسامكم كل تفرق، إنكم سئحيون وتبعثون من قبوركم؟ قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا} [سبأ : ٧] ، أي: "وقال الذين كفروا بعضهم لبعض استهزاء" (١).

(١) أخرجه الطبري: ٣٥٢/٢٠.

(٢) تفسير ابن كثير: ٤٩٥/٦.

(٣) التفسير الميسر: ٤٢٨.

(٤) تفسير الطبري: ٣٥٣/٢٠.

(٥) فتح القدير: ٣٥٩/٤.

(٦) تفسير السمعاني: ٣١٧/٤.

(٧) تفسير ابن كثير: ٤٩٥/٦.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٤٩٨): ص ٩٨٣/٣.

قال الطبري: يقول: " وقال الذين كفروا بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم متعجبين من وعده إياهم البعث بعد الممات بعضهم لبعض" (٢).

قال مقاتل: " {وقال الذين كفروا} بالبعث: أبو سفيان، قال لكفار مكة" (٣).

قال الزجاج: " هذا قول المشركين الذين لا يؤمنون بالبعث" (٤).

قوله تعالى: {هَلْ نَدُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُبَيِّنُكُمْ} [سبأ : ٧]، أي: " هل ندلكم على رجل (يريدون محمداً صلى الله عليه وسلم) يخبركم" (٥).

قال الطبري: يقول: " {هل ندلكم} أيها الناس {على رجل} يخبركم" (٦).

قال مقاتل: " يعني النبي- صلى الله عليه وسلم- {يبيئكم}: يخبركم" (٧).

قال الزجاج: " يقول بعضهم لبعض: هل ندلكم على محمد" (٨).

قال ابن كثير: " هذا إخبار من الله عن استبعاد الكفرة الملحدين قيام الساعة واستهزائهم بالرسول صلى الله عليه وسلم في إخباره بذلك" (٩).

قوله تعالى: {إِذَا مَرَّكُمْ كَلٌّ مُّزْمَقٌ كَلٌّ مُّزْمَقٌ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} [سبأ : ٧]، أي: " أنكم إذا متم وتفرقت أجسامكم كل تفرق، إنكم سحيون وتبعثون من قبوركم؟" (١٠).

قال الطبري: يقول: " أنكم بعد تقطعكم في الأرض بلاء وبعد مصيركم في التراب رفاتا، عائدون كهيئتكم قبل الممات خلقا جديدا" (١١).

قال مقاتل: " يخبركم أنكم إذا تفرقت في الأرض وذهبت اللحوم والعظام، وكنتم ترابا {إنكم لفي خلق جديد}، يعني: البعث بعد الموت" (١٢).

قال يحيى: " إذا متم وتفرقت عظامكم وكانت رفاتا إنكم لمبعوثون خلقا جديدا، إنكار للبعث" (١٣).

قال الزجاج: " الذي يزعم أنكم مبعوثون بعد أن تكونوا عظاما وترابا ورفاتا" (١٤).

قال ابن كثير: " أي : تفرقت أجسادكم في الأرض وذهبت فيها كل مذهب وتمزقت كل ممزق : { إنكم } أي : بعد هذا الحال { لفي خلق جديد } أي : تعودون أحياء ترزقون بعد ذلك" (١٥).

قال السمعاني: " أي: إذا فرقت كل تفريق، وقطعتم كل تقطيع، والمعنى: إذا أكلتم الأرض، وصرتم رفاقا وترابا يبيئكم محمد إنكم لفي خلق جديد، قالوا ذلك على طريق الجحد والتكذيب" (١٦).

- (١) التفسير الميسر: ٤٢٨.
- (٢) تفسير الطبري: ٣٥٣/٢٠.
- (٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٤/٣.
- (٤) معاني القرآن: ٢٤١/٤.
- (٥) التفسير الميسر: ٤٢٨.
- (٦) تفسير الطبري: ٣٥٣/٢٠.
- (٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٤/٣.
- (٨) معاني القرآن: ٢٤١/٤.
- (٩) تفسير ابن كثير: ٤٩٧/٦.
- (١٠) التفسير الميسر: ٤٢٨.
- (١١) تفسير الطبري: ٣٥٣/٢٠.
- (١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٤/٣.
- (١٣) تفسير يحيى بن سلام: ٧٤٦/٢.
- (١٤) معاني القرآن: ٢٤١/٤.
- (١٥) تفسير ابن كثير: ٤٩٧/٦.
- (١٦) تفسير السمعاني: ٣١٧/٤.



عن قتادة: "وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق، قال ذلك مشركو قريش والمشركون من الناس {ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق} إذا أكلتكم الأرض وصرتم رفاتا وعظاما وقطعتكم السباع والطير {إنكم لفي خلق جديد} ستحيون وتبعثون"<sup>(١)</sup>.  
قال ابن زيد: "يقول: {إذا مزقتم} وإذا بليتكم وكنتم عظاما وترابا ورفاتا، ذلك {كل ممزق إنكم لفي خلق جديد}"<sup>(٢)</sup>.

## القرآن

{أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ (٨)}

[سبأ : ٨]

التفسير:

هذا الرجل أختلق على الله كذباً أم به جنون، فهو يتكلم بما لا يدري؟ ليس الأمر كما قال الكفار، بل محمد أصدق الصادقين. والذين لا يصدقون بالبعث ولا يعملون من أجله في العذاب الدائم في الآخرة، والضلال البعيد عن الصواب في الدنيا.

قوله تعالى: {أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ} [سبأ : ٨]، أي: "هذا الرجل هل أختلق الكذب على الله أم به جنون، فهو يتكلم بما لا يدري؟"<sup>(٣)</sup>.

قال مقاتل: "ثم قال أبو سفيان: {أفترى محمد} - صلى الله عليه وسلم - {على الله كذباً} حين يزعم أنا نبعت بعد الموت؟ {أم به جننة}، يقول: أم بمحمد جنون"<sup>(٤)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هؤلاء الذين كفروا به وأنكروا البعث بعد الممات بعضهم لبعض معجبين من رسول الله صلى الله عليه وسلم في وعده إياهم ذلك: أفترى هذا الذي يعدنا أنا بعد أن نمزق كل ممزق في خلق جديد على الله كذباً، فتخلق عليه بذلك باطلاً من القول وتخرص عليه قول الزور، أم هو مجنون فيتكلم بما لا معنى له"<sup>(٥)</sup>.

قال ابن كثير: "وهو في هذا الإخبار لا يخلو أمره من قسمين: إما أن يكون قد تعمد الافتراء على الله أنه قد أوحى إليه ذلك، أو أنه لم يتعمد لكن لبس عليه كما يلبس على المعتوه والمجنون"<sup>(٦)</sup>.

قال قتادة: "قالوا تكذبا: {أفترى على الله كذباً} قال: قالوا: إما أن يكون يكذب على الله {أم به جننة} وإما أن يكون مجنوناً {بل الذين لا يؤمنون ...}، الآية"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن زيد: "قال ابن زيد: ثم قال بعضهم لبعض: {أفترى على الله كذباً أم به جننة} الرجل مجنون فيتكلم بما لا يعقل؟ فقال الله: {الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد}"<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: {بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ} [سبأ : ٨]، أي: "ليس الأمر كما يزعمون من الكذب والجنون، بل الذي يجحدون بالبعث ولا يصدقون بالآخرة"<sup>(٩)</sup>.

قال الطبري: يقول: "ما الأمر كما قال هؤلاء المشركون في محمد صلى الله عليه وسلم وظنوا به من أنه افتري على الله كذباً، أو أن به جننة، لكن الذين لا يؤمنون بالآخرة من هؤلاء

(١) أخرجه الطبري: ٣٥٣/٢٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٥٣/٢٠.

(٣) انظر: صفوة التفسير: ٥٠١/٢.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٤/٣-٥٢٥.

(٥) تفسير الطبري: ٣٥٤/٢٠.

(٦) تفسير ابن كثير: ٤٩٧/٦.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٥٤/٢٠.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٥٤/٢٠.

(٩) صفوة التفسير: ٥٠١/٢.

المشركين في عذاب الله في الآخرة وفي الذهاب البعيد عن طريق الحق وقصد السبيل فهم من أجل ذلك يقولون فيه ما يقولون"<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: ليس الأمر كما زعموا ولا كما ذهبوا إليه، بل محمد صلى الله عليه وسلم هو الصادق البار الراشد الذي جاء بالحق، وهم الكذبة الجهلة الأغبياء، { في العذاب }، أي: في الكفر المفضي بهم إلى عذاب الله، { والضلال البعيد } من الحق في الدنيا"<sup>(٢)</sup>.

قال السدي، ومقاتل ويحيى بن سلام: { الضلال البعيد }، يعني: "الشقاء الطويل"<sup>(٣)</sup>.  
قال ابن زيد: "وأمره أن يحلف لهم ليعتبروا وقرأ: { قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن ... } الآية كلها، وقرأ: { قل بلى وربي لتأتينكم }"<sup>(٤)</sup>.

## القرآن

{ أَقْلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَشْأَ نَخَسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نَسُقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ { (٩) } [سبأ : ٩] }  
التفسير:

أقلم ير هؤلاء الكفار الذين لا يؤمنون بالآخرة عظيم قدرة الله فيما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض مما يبهر العقول، وأنهما قد أحاطتا بهم؟ إن نشأ نخسف بهم الأرض، كما فعلنا بفارون، أو ننزل عليهم قطعاً من العذاب، كما فعلنا بقوم شعيب، فقد أمطرت السماء عليهم ناراً فأحرقتهم. إن في ذلك الذي ذكرنا من قدرتنا لدلالة ظاهرة لكل عبد راجع إلى ربه بالتوبة، ومقر له بتوحيده، ومخلص له في العبادة.

قوله تعالى: { أَقْلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ } [سبأ : ٩]، أي: "أقلم ير هؤلاء الكفار الذين لا يؤمنون بالآخرة عظيم قدرة الله فيما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض مما يبهر العقول، وأنهما قد أحاطتا بهم؟"<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: يقول: "أقلم ينظر هؤلاء المكذبون بالمعاد الجاحدون البعث بعد الممات القائلون لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم { أفترى على الله كذباً أم به جنة } إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض، فيعلموا أنهم حيث كانوا فإن أرضي وسمائي محيطية بهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم؛ فيرتدعوا عن جهلهم وينزجروا عن تكذيبهم بآياتنا"<sup>(٦)</sup>.

قال الزجاج: "أي: ألم يتأملوا ويعلموا أن الذي خلق السماء والأرض قادر على أن يبعثهم"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: حيثما توجهوا وذهبوا فالسما مظللة مظللة عليهم، والأرض تحتهم، كما قال: { وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ. وَالْأَرْضَ قَرَشْنَاهَا فَتَنَعَمَ الْمَاهِدُونَ } [الذاريات : ٤٧، ٤٨]"<sup>(٨)</sup>.

قال قتادة: "ينظرون عن أيمنهم وعن شمائلهم كيف السماء قد أحاطت بهم"<sup>(٩)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ٣٥٤/٢٠.

(٢) تفسير ابن كثير: ٤٩٧/٦.

(٣) حكاة الماوردي في النكت والعيون: ٤٣٤/٤ عن السدي، وانظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٥/٣، وتفسير يحيى بن سلام: ٧٤٧/٢.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٥٤/٢٠.

(٥) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(٦) تفسير الطبري: ٣٥٥/٢٠.

(٧) معاني القرآن: ٢٤١/٤.

(٨) تفسير ابن كثير: ٤٩٧/٦.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٥٦/٢٠.

قوله تعالى: {إِنْ نَشَأْ نُخَسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ} [سبأ : ٩]، أي: "إن نشأ نخسف بهم الأرض، كما فعلنا بقارون، أو نزل عليهم قطعاً من العذاب، كما فعلنا بقوم شعيب"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: يقول: "حذرا أن نأمر الأرض فتخسف بهم أو السماء فتسقط عليه قطعاً، فإننا إن نشأ نفعل ذلك بهم فعلنا"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: "أي : لو شئنا لفعلنا بهم ذلك لظلمهم وقدرتنا عليهم ، ولكن نؤخر ذلك لحلمنا وعفونا"<sup>(٣)</sup>.

قال الزجاج: "وقادر أن يخسف بهم الأرض أو يسقط السماء عليهم كسفا"<sup>(٤)</sup>.

قال قتادة: " {إِنْ نَشَأْ نُخَسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ} ، كما خسفنا بمن كان قبلهم، {أو نسقط عليهم كسفا من السماء}، أي: قطعاً من السماء"<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ} [سبأ : ٩]، أي: "إن في ذلك الذي ذكرنا من قدرتنا لدلالة ظاهرة لكل عبد راجع إلى ربه بالتوبة، ومقر له بتوحيده، ومخلص له في العبادة"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: يقول: "إن في إحاطة السماء والأرض بعباد الله لآية: يقول: لدلالة لكل عبد منيب: يقول لكل عبد أناب إلى ربه بالتوبة، ورجع إلى معرفة توحيده والإقرار بربوبيته والاعتراف بوحديته والإذعان لطاعته على أن فاعل ذلك لا يمتنع عليه فعل شيء أراد فعله ولا يتعذر عليه فعل شيء شاءه"<sup>(٧)</sup>.

قال الزجاج: "أي: إن في ذلك علامة تدل من أناب إلى الله ورجع إليه وتأمل ما خلق على أنه قادر على أن يحيي الموتى"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن كثير: "أي : إن في النظر إلى خلق السماء والأرض لدلالة لكل عبد فطن لبيب رجّاع إلى الله ، على قدرة الله على بعث الأجساد ووقوع المعاد ؛ لأن من قدر على خلق هذه السموات في ارتفاعها واتساعها ، وهذه الأرضين في انخفاضها وأطوالها وأعراضها ، إنه لقادر على إعادة الأجسام ونشر الرميم من العظام ، كما قال تعالى : { أَوْلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى } [يس : ٨١] ، وقال : { لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } [غافر : ٥٧]"<sup>(٩)</sup>.

قال قتادة: "المنيب: المقبل التائب"<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن عباس: "المنيب: المقبل إلى طاعة الله"<sup>(١١)</sup>.

عن مجاهد وعكرمة، قالوا: "المنيب: المخبت"<sup>(١٢)</sup>.

قال يحيى بن سلام: "هو المقبل إلى الله بالإخلاص له"<sup>(١٣)</sup>.

فوائد الآيات: [٧-٩]:

١- بيان ما كان المشركون عليه من استهزاء وتكذيب وسخرية بالنبي صلى الله عليه وسلم.

(١) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(٢) تفسير الطبري: ٣٥٥/٢٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٤٩٧/٦.

(٤) معاني القرآن: ٢٤١/٤.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٥٦/٢٠.

(٦) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(٧) تفسير الطبري: ٣٥٦/٢٠.

(٨) معاني القرآن: ٢٤١/٤.

(٩) تفسير ابن كثير: ٤٩٧/٦.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٥٦/٢٠.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٠٤٦): ص ٢٠٥٩/٦.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٠٤٧): ص ٢٠٥٩/٦.

(١٣) تفسير يحيى بن سلام: ٧٤٧/٢.

- ٢- تقرير البعث وأن المكذبين به محكوم عليهم بالعذاب فيه.
- ٣- لفت الأنظار إلى قدرة الله تعالى المحيطة بالإنسان ليخشى الله تعالى ويرهبه فيؤمن به ويعبده ويوحده.
- ٤- فضل الإنابة إلى الله وشرف المنيب. والإنابة الرجوع إلى التوبة بعد الذنب والمعصية، والمنيب الذي رجع في كل شيء إلى ربه تعالى.

## القرآن

{وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالنَّارُ لَهُ الْحَدِيدَ (١٠)} [سبأ : ١٠]

التفسير:

ولقد آتينا داود نبوة، وكتاباً وعلماً، وقلنا للجبال والطيور: سبّحي معي، وألنا له الحديد، فكان كالعجين يتصرف فيه كيف يشاء.

قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا} [سبأ : ١٠]، أي: "ولقد آتينا داود نبوة، وكتاباً وعلماً"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: يقول: "ولقد أعطينا داود منا فضلاً"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: "يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله داود، صلوات الله وسلامه عليه، مما آتاه من الفضل المبين، وجمع له بين النبوة والملك المتمكن، والجنود ذوي العُدَد والعدَد، وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم، الذي كان إذا سبّح به تسبّح معه الجبال الراسيات، الصم الشامخات، وتقف له الطيور السارحات، والغايات والرائحات، وتجاوبه بأنواع اللغات"<sup>(٣)</sup>.

عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «يا أبا موسى لقد أوتيت مزاراً من مزامير آل داود»<sup>(٤)</sup>.

وقال أبو عثمان النهدي: "صليت خلف أبي موسى الأشعري فما سمعت صوت صنّج ولا برّبط ولا ناي أحسن من صوته"<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: {يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ} [سبأ : ١٠]، أي: "ولقد آتينا داود نبوة، وكتاباً معي"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: يقول: "ولقد آتينا داود نبوة، وكتاباً معي"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن قتيبة: "أي: سبّحي. وأصله: التأويب في السير؛ وهو: أن تسير النهار كله وتنزل ليلاً. قال ابن مقبل"<sup>(٨)</sup>.

لحقنا بحي أوبوا السير بعد ما ... دفعنا شعاع الشمس والظرف يجنح كأنه أراد: أوبي النهار كله بالتسبيح إلى الليل"<sup>(٩)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(٢) تفسير الطبري: ٣٥٦/٢٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٤٩٧/٦.

(٤) صحيح بخاري (٥٠٤٨): ص ١٩٥/٦.

(٥) مسند أبي عوانة (٤٣٦٢): ص ١٢٩/١١، ورواه أبو عبيد في غريب الحديث ١٩٠ / ٢ ، ٢٧٩ / ٤ ، وابن سعد في الطبقات ٤ / ١٠٨ ، بألفاظ متقاربة. وقال الحافظ في الفتح ٩٣ / ٩ : "وأخرج ابن أبي داود من طريق أبي عثمان النهدي قال: دخلت دار أبي موسى الأشعري فما سمعت ... فذكره. وقال: سنده صحيح، وهو في الحلية لأبي نعيم. اهـ. ولم أقف عليه في الحلية.

صنّج: الصنّج العربي: هو الذي يكون في الدفوف ونحوه، فأما الصنّج ذو الأوتار فدخيل معرب، تختص به المعجم، وقد تكلمت به العرب. لسان العرب ٣١١ / ٢.

(٦) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(٧) تفسير الطبري: ٣٥٦/٢٠.

(٨) البيت له: في تفسير القرطبي ٢٦٥/١٤ ، والبحر ٢٦٣/٧.

(٩) غريب القرآن: ٣٥٣.

قال أبو عبيدة: "التأويب: أن يبيت في أهله، قال سلامة بن جندل<sup>(١)</sup>:  
يومان يوم مقامات وأندية ... ويوم سير إلى الأعداء تأويب  
أي: رجوع"<sup>(٢)</sup>.

عن ابن عباس: "أوبي معه"، قال: سبّحي معه"<sup>(٣)</sup>. وروي عن مجاهد<sup>(٤)</sup>، والضحاك<sup>(٥)</sup>،  
وعطاء الخراساني<sup>(٦)</sup>، والزهري<sup>(٧)</sup>، وابن جريج<sup>(٨)</sup>، وابن زيد<sup>(٩)</sup>، مثله.  
قال قتادة: "أي: سبّحي معه إذا سبّح"<sup>(١٠)</sup>.

عن أبي ميسرة: "يا جبال أوبي معه"، قال: سبّحي بلسان الحبشة"<sup>(١١)</sup>.  
قال ابن كثير: "وزعم أبو ميسرة أنه بمعنى سبّحي بلسان الحبشة، وفي هذا نظر، فإن  
التأويب في اللغة هو الترجيع، فأمرت الجبال والطير أن ترجع معه بأصواتها، وقال أبو القاسم  
عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي في كتابه "الجمل" في باب النداء منه: { يَا جِبَالَ أُوْبِي مَعَهُ }  
أي: سيرني معه بالنهار كله، والتأويب: سير النهار كله، والإسآد: سير الليل كله. وهذا لفظه  
، وهو غريب جداً لم أجد له غيره، وإن كان له مساعدة من حيث اللفظ في اللغة، لكنه بعيد في  
معنى الآية هاهنا. والصواب أن المعنى في قوله تعالى: { أُوْبِي مَعَهُ } أي: رَجَّعي معه مُسَبِّحة  
معه، كما تقدم، والله أعلم"<sup>(١٢)</sup>.

قوله تعالى: {وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ} [سبأ: ١٠]، أي: "وجعلنا الحديد ليناً بين يديه حتى كان  
كالعجين"<sup>(١٣)</sup>.

قال الحسن: "يصير في يده مثل العجين، فيصنع منه الدروع"<sup>(١٤)</sup>.  
قال قتادة: "لينه الله فكان يعمل به بغير نار"<sup>(١٥)</sup>.  
قال قتادة: "سخر الله له الحديد بغير نار"<sup>(١٦)</sup>.  
قال قتادة: "كان يسويها بيده ولا يدخلها نارا ولا يضربها بحديدة"<sup>(١٧)</sup>.  
قال يحيى: "ألانه الله له فكان يعمل به بلا نار ولا مطرقة، بأصابعه الثلاث كهيئة الطين  
بيده"<sup>(١٨)</sup>.

## القرآن

{أَنْ أَعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (١١) [سبأ: ١١]  
التفسير:

(١) في ديوانه ص ٧ ومن كلمة مفضلية ص ٢٢٤ - ٢٤٥ وهو في الكامل ص ٤٦٩ وتفسير الطبري:  
٣٥٦/٢٠، وتفسير القرطبي ١٤ / ٨٨ واللسان والتاج (أوب).

(٢) مجاز القرآن: ١٤٢/٢.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٥٧/٢٠.

(٤) انظر: الصدر نفسه: ٣٥٨.

(٥) انظر: الصدر نفسه: ٣٥٨.

(٦) أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه ص ٨٩ (تفسير عطاء الخراساني).

(٧) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٩٣ / ١٧.

(٨) أخرجه إسحاق البستي ص ١٤٥.

(٩) انظر: الصدر نفسه: ٣٥٨.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٥٨/٢٠.

(١١) أخرجه الطبري: ٣٥٧/٢٠.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٤٩٧/٦.

(١٣) صفوة التفاسير: ٥٠٢/٢.

(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٨٧٤): ص ٣١٦٢/١٠.

(١٥) تفسير عبدالرزاق (٢٣٩٧): ص ٥٧/٣.

(١٦) أخرجه الطبري: ٣٥٩/٢٠.

(١٧) أخرجه الطبري: ٣٥٩/٢٠.

(١٨) تفسير يحيى بن سلام: ٧٤٧/٢.

أن اعمل دروعاً تامات واسعات وقدّر المسامير في حلق الدروع، فلا تعمل الحلقة صغيرة فتضعف، فلا تقوى الدروع على الدفاع، ولا تجعلها كبيرة فتثقل على لابسها، واعمل يا داود أنت وأهلك بطاعة الله، إني بما تعملون بصير لا يخفى عليّ شيء منها.

قوله تعالى: {أَنْ اَعْمَلْ سَابِغَاتٍ} [سبأ : ١١]، أي: "أن اعمل منه دروعاً تامات واسعات التي تقي الإنسان شر الحرب"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: "يقول: وعهدنا إليه أن اعمل سابغات: وهي التوام الكوامل من الدروع"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن قتيبة: {السابغات}: الدروع الواسعة"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن زيد: "السابغات دروع الحديد"<sup>(٤)</sup>.

قال قتادة: "دروع سابغات"<sup>(٥)</sup>.

عن قتادة: "أن اعمل سابغات}: دروع وكان أول من صنعها داود، إنما كان قيل ذلك صفائح"<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: {وَقَدَّرْ فِي السَّرْدِ} [سبأ : ١١]، أي: "وقدر في نسج الدروع بحيث تتناسب حلقاتها"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: يقول: "وقدر المسامير في حلق الدروع حتى يكون بمقدار لا تغلظ المسامير، وتضيّق الحلقة فتفصم الحلقة، ولا توسع الحلقة وتصغر المسامير وتدقها فتسلس في الحلقة"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن قتيبة: "أي: في النسج، أي: لا تجعل المسامير دقاقا فتثقل ولا غلاظا فتكسر الحلق. ومنه قيل لصانع حلق الدروع: سرد وزراد. تبدل من السين الزاي، كما يقال: سراط وزراط. والسرد: الخرز أيضا. قال الشماخ"<sup>(٩)</sup>:

كما تابعت سرد العنان الخوازر

ويقال للإثقي: مسرد وسراد"<sup>(١٠)</sup>.

قال مجاهد: "قدر المسامير والحلق؛ لا تدق المسامير فتسلس ولا تجلها، قال محمد بن عمرو وقال الحارث: فتفصم"<sup>(١١)</sup>.

قال الحكم: "لا تغلظ المسامير فيفصم الحلقة ولا تدقه فيثقل"<sup>(١٢)</sup>.

قال ابن كثير: "هذا إرشاد من الله لنبيه داود، عليه السلام، في تعليمه صناعة الدروع"<sup>(١٣)</sup>.

وفي معنى «السرد»، هاهنا- قولان:

أحدهما: أن السرد هو مسمار حلق الدرع. قاله قتادة"<sup>(١)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٢٩، وصفوة التفاسير: ٥٠٢/٢.

(٢) تفسير الطبري: ٣٥٩/٢٠.

(٣) غريب القرآن: ٣٥٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٥٩/٢٠.

(٥) تفسير عبدالرزاق(٢٣٩٧):ص٥٧/٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٥٩/٢٠.

(٧) صفوة التفاسير: ٥٠٢/٢.

(٨) تفسير الطبري: ٣٦١/٢٠.

(٩) صدره كما في ديوانه ص ٥٠:

(شككن بأحشاء الذنابي على هدى)

وكما في القرطبي ٢٦٨/١٤ (فظلت تباعا خيلنا في بيوتكم) وفي البحر: "فظن تباعا ... سرد الضأن"!.

(١٠) غريب القرآن: ٣٥٤.

(١١) أخرجه الطبري: ٣٦١/٢٠.

(١٢) أخرجه الطبري: ٣٦٢/٢٠.

(١٣) تفسير ابن كثير: ٤٩٨/٦.

قال قتادة: "كان يجعلها بغير نار، ولا يقرعها بحديد، ثم يسردها. والسرد: المسامير التي في الحلق"<sup>(٢)</sup>.

الثاني: انه الحلق بعينها. وهذا قول ابن زيد<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن عابس: "يعني بالسرد: ثقب الدروع فيسد قنيرها"<sup>(٤)</sup>.

عن وهب بن مئبه ما مضمونه: "أن داود، عليه السلام، كان يخرج متنكراً، فيسأل الركبان عنه وعن سيرته، فلا يسأل أحداً إلا أتى عليه خيراً في عبادته وسيرته ومعدلته، صلوات الله وسلامه عليه. قال وهب: حتى بعث الله ملكاً في صورة رجل، فلقبه داود فسأله كما كان يسأل غيره، فقال: هو خير الناس لنفسه ولأمته، إلا أن فيه خصلة لو لم تكن فيه كان كاملاً قال: ما هي؟ قال: يأكل ويطعم عياله من مال المسلمين، يعني: بيت المال، فعند ذلك نصب داود، عليه السلام، إلى ربه في الدعاء أن يعلمه عملاً بيده يستغني به ويغني به عياله، فالآن له الحديد، وعلمه صنعة الدروع، فعمل الدرع، وهو أول من عملها، فقال الله: {أَنْ اَعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ} يعني: مسامير الحلق، قال: وكان يعمل الدرع، فإذا ارتفع من عمله درع باعها، فتصدق بثلاثها، واشترى بثلاثها ما يكفيه وعياله، وأمسك الثلث يتصدق به يوماً بيوم إلى أن يعمل غيرها. وقال: إن الله أعطى داود شيئاً لم يعطه غيره من حسن الصوت، إنه كان إذا قرأ الزبور تسمع الوحش حتى يؤخذ بأعناقها وما تنفر، وما صنعت الشياطين المزامير والبرابط والصنوج إلا على أصناف صوته. وكان شديد الاجتهاد، وكان إذا افتتح الزبور بالقراءة كأنما ينفخ في المزامير، وكان قد أعطي سبعين مزمراً في حلقه"<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: {وَاعْمَلُوا صَالِحًا} [سبأ: ١١]، أي: "واعمل يا داود أنت وأهلك بطاعة الله"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: يقول: "واعمل يا داود أنت وألك بطاعة الله"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: في الذي أعطاكم الله من النعم"<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: {إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [سبأ: ١١]، أي: "إني بما تعملون بصير لا يخفى عليّ شيء منها"<sup>(٩)</sup>.

قال الطبري: يقول: "إني بما تعمل أنت وأتباعك ذو بصر لا يخفى عليّ منه شيء، وأنا مجازيك وإياهم على جميع ذلك"<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: مراقب لكم، بصير بأعمالكم وأقوالكم، لا يخفى عليّ من ذلك شيء"<sup>(١١)</sup>.

## القرآن

{وَأَسْلَمْنَا لَمَسْرُورٍ وَأَسْلَمْنَا لَهُ مِنَ الْعَذَابِ وَمِمَّنْ يَنْتَظِرُونَ} [سبأ: ١٢]  
التفسير:

(١) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٠/٢٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٦٠/٢٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٠/٢٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٦٠/٢٠.

(٥) تاريخ دمشق (٧٠٨/٥ المخطوط).

(٦) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(٧) تفسير الطبري: ٣٦٢/٢٠.

(٨) تفسير ابن كثير: ٤٩٨/٦.

(٩) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(١٠) تفسير الطبري: ٣٦٢/٢٠.

(١١) تفسير ابن كثير: ٤٩٨/٦.

وسحّرنا لسليمان الريح تجري من أول النهار إلى انتصافه مسيرة شهر، ومن منتصف النهار إلى الليل مسيرة شهر بالسير المعتاد، وأسلنا له النحاس كما يسيل الماء، يعمل به ما يشاء، وسحّرنا له من الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه، ومن يعدل منهم عن أمرنا الذي أمرناه به من طاعة سليمان نذقه من عذاب النار المستعرة.

قوله تعالى: {وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ} [سبأ : ١٢]، أي: "وسحّرنا لسليمان الريح تجري من أول النهار إلى انتصافه مسيرة شهر، ومن منتصف النهار إلى الليل مسيرة شهر بالسير المعتاد"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: يقول: "وسحّرنا لسليمان الريح، غدوها إلى انتصاف النهار مسيرة شهر، ورواحها من انتصاف النهار إلى الليل مسيرة شهر"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: "لما ذكر تعالى ما أنعم به على داود، عطف بذكر ما أعطى ابنه سليمان، من تسخير الريح له تحمل بساطه، غدوها شهر ورواحها شهر"<sup>(٣)</sup>.

قال قتادة: "تغدو مسيرة شهر وتروح مسيرة شهر، قال: مسيرة شهرين في يوم"<sup>(٤)</sup>.

قال الحسن: "كان يغدو فيقيل في إصطخر، ثم يروح منها فيكون رواحها بكابل"<sup>(٥)</sup>.

قال ابن زيد: "كان له مركب من خشب، وكان فيه ألف ركن، في كل ركن ألف بيت تركب فيه الجن والإنس، تحت كل ركن ألف شيطان، يرفعون ذلك المركب هم والعصار فإذا ارتفع أتت الريح رخاء فسارت به وساروا معه، يقيل عند قوم بينه وبينهم شهر، ويمسى عند قوم بينه وبينهم شهر، ولا يدري القوم إلا وقد أظلمهم معه الجيوش والجنود"<sup>(٦)</sup>.

قال وهب بن منبه: "ذكر لي أن منزلاً بناحية دجلة مكتوب فيه كتاب كتبه بعض صحابة سليمان؛ إما من الجن وإما من الإنس: نحن نزلناه وما بنيناها، ومبنيها وجدناه، غدونا من إصطخر فقلناه، ونحن رائحون منه إن شاء الله فبائنون بالشام"<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: {وَأَسْلَمْنَا لَهُ بَعْنُ الْقَطْرِ} [سبأ : ١٢]، أي: "وأسلنا له النحاس كما يسيل الماء، يعمل به ما يشاء"<sup>(٨)</sup>.

قال الطبري: يقول: "وأذبنا له عين النحاس، وأجريناها له"<sup>(٩)</sup>.

قال ابن عباس: "يعني: عين النحاس أسيلت"<sup>(١٠)</sup>.

قال قتادة: "عين النحاس كانت بأرض اليمن، وإنما ينتفع اليوم بما أخرج الله لسليمان"<sup>(١١)</sup>.

قال ابن زيد: "الصفير سال كما يسيل الماء، يعمل به كما كان يعمل العجين في اللبن"<sup>(١٢)</sup>.

قوله تعالى: {وَمِنَ الْجِنَّةِ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ} [سبأ : ١٢]، أي: "وسحّرنا له من الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه"<sup>(١٣)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(٢) تفسير الطبري: ٣٦٢/٢٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٤٩٩/٦.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٦٢/٢٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٦٣/٢٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٦٣/٢٠.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٦٣/٢٠.

(٨) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(٩) تفسير الطبري: ٣٦٣/٢٠.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٦٤/٢٠.

(١١) أخرجه الطبري: ٣٦٤-٣٦٣/٢٠.

(١٢) أخرجه الطبري: ٣٦٤/٢٠.

(١٣) التفسير الميسر: ٤٢٩.



قال قتادة: " ليس كل الجن صخر له كما تسمعون: {ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه}"<sup>(١)</sup>.

عن مجاهد: "{ بإذن ربه: بالسخرة التي سخرها الله له}"<sup>(٢)</sup>.  
قال الطبري: يقول: " ومن الجن من يطيعه ويأتمر بأمره وينتهي لنتهيه؛ فيعمل بين يديه ما يأمره طاعة له بإذن ربه، يقول: بأمر الله بذلك، وتسخره إياه له"<sup>(٣)</sup>.  
قال ابن كثير: " أي : وسخرنا له الجن يعملون بين يديه بإذن الله ، أي : بقدره، وتسخره لهم بمشيئته ما يشاء من البنائيات وغير ذلك"<sup>(٤)</sup>.  
عن أبي ثعلبة الخُشَنِيِّ ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "الجن على ثلاثة أصناف : صنف لهم أجنحة يطفرون في الهواء ، وصنف حيات وكلات ، وصنف يحلون ويظعنون"<sup>(٥)</sup>.

عن ابن أنعم أنه قال : الجن ثلاثة : صنف لهم الثواب وعليهم العقاب ، وصنف طيارون فيما بين السماء والأرض ، وصنف حيات وكلات"<sup>(٦)</sup>.

وقال الحسن: "الجن ولد إبليس ، والإنس ولد آدم ، ومن هؤلاء مؤمنون ومن هؤلاء مؤمنون ، وهم شركاؤهم في الثواب والعقاب ، ومن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمنا فهو ولي الله ، ومن كان من هؤلاء وهؤلاء كافرا فهو شيطان"<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: {وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ} [سبأ : ١٢] ، أي: "ومن يعدل منهم عن أمرنا الذي أمرناه به من طاعة سليمان نذقه من عذاب النار المستعرة"<sup>(٨)</sup>.  
قال الطبري: " يقول: ومن يزل ويعدل من الجن عن أمرنا الذي أمرناه من طاعة سليمان {نذقه من عذاب السعير} في الآخرة، وذلك عذاب نار جهنم الموقدة"<sup>(٩)</sup>.  
قال ابن كثير: " أي : ومن يعدل ويخرج منهم عن الطاعة { نذقه من عَذَابِ السَّعِيرِ } وهو الحريق"<sup>(١٠)</sup>.

عن مجاهد: "{ومن يزغ منهم عن أمرنا} قال: من الجن"<sup>(١١)</sup>.  
عن قتادة، قوله: "{ومن يزغ منهم عن أمرنا}، يعدل منهم عن أمرنا عما أمره به سليمان نذقه من عذاب السعير"<sup>(١٢)</sup>.

## القرآن

{يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ وَجَفَانَ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} {١٣} [سبأ : ١٣]

التفسير:

يعمل الجن لسليمان ما يشاء من مساجد للعبادة، وصور من نحاس وزجاج، وقصاع كبيرة كالأحواض التي يجتمع فيها الماء، وقدر ثابتات لا تتحرك من أماكنها لعظمتها، وقلنا يا آل

(١) الدر المنثور: ٦٧٨/٦، واعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٤٩/٢.

(٣) تفسير الطبري ٣٦٤/٢٠.

(٤) تفسير ابن كثير: ٤٩٩/٦.

(٥) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٤٩٩/٦، قال ابن كثير: " رفعه غريب جداً".

(٦) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٤٩٩/٦.

(٧) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٠٠/٦.

(٨) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(٩) تفسير الطبري ٣٦٤/٢٠.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٤٩٩/٦.

(١١) الدر المنثور: ٦٧٨/٦، واعزاه إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(١٢) أخرجه الطبري: ٣٦٤/٢٠.

داود: اعملوا شكراً لله على ما أعطاكم، وذلك بطاعته وامتثال أمره، وقليل من عبادي من يشكر الله كثيراً.

قوله تعالى: {يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ} [سبأ : ١٣]، أي: "يعمل الجن لسليمان ما يشاء من مساجد للعبادة"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: يقول: "يعمل الجن لسليمان ما يشاء من محارِبٍ وهي جمع محراب قال ابن كثير: "أما المحارِبِ فهي البناء الحسن ، وهو أشرف شيء في المسكن وصدره"<sup>(٢)</sup>.

قال الفراء: "المحارِبِ: المساجد"<sup>(٣)</sup>.

قال أبو عمر الزاهد: "أي: من غرف"<sup>(٤)</sup>.

عن مجاهد: "من محارِبٍ} قال: بنيان دون القصور"<sup>(٥)</sup>.

عن عطية في الآية، قال: "المحارِبِ: القصور"<sup>(٦)</sup>.

عن قتادة: "من محارِبٍ} قال: قصور ومساجد"<sup>(٧)</sup>.

عن الضحاك: "من محارِبٍ} قال: المساجد"<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: {وَتَمَائِيلٌ} [سبأ : ١٣]، أي: "وصور من نحاس وزجاج"<sup>(٩)</sup>.

قال أبو عبيدة: "المحراب: سيد المجالس ومقدمها وأشرفها، وكذلك هو من المساجد"<sup>(١٠)</sup>.

وقال أبو عبيدة: "« المحارِبِ »: واحدها: محراب، وهو مقدم كل مسجد ومصلى وبيت قال وضاح اليمن<sup>(١١)</sup>:

رَبَّةٌ مَحْرَابٌ إِذَا جَنَّتْهَا ... لَمْ أَلْقِهَا أَوْ أُرْتَقَى سَلْمًا"<sup>(١٢)</sup>.

قال الفراء: "تمائيل: ذكر أنها صور الملائكة والأنبياء، كانت تصور في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة"<sup>(١٣)</sup>.

عن مجاهد: "وتمائيل} قال: من نحاس"<sup>(١٤)</sup>.

عن عطية في الآية، قال: "التمائيل: الصور"<sup>(١٥)</sup>.

عن قتادة: "وتمائيل} قال: من رخام وشبه"<sup>(١٦)</sup>.

عن الضحاك: "وتمائيل} قال: الصور"<sup>(١٧)</sup>.

قال الجصاص: "قوله تعالى: {يعملون له ما يشاء من محارِبٍ وتمائيل} يدل على أن عمل التصاوير كان مباحاً، وهو محظور في شريعة النبي صلى الله عليه وسلم لما روي عنه أنه

(١) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٠٠/٦.

(٣) معاني القرآن: ٣٥٦/٢.

(٤) ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن: ٤١٤.

(٥) الدر المنثور: ٦٧٩/٦، وعزاه إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) الدر المنثور: ٦٧٩/٦، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٧) الدر المنثور: ٦٧٩/٦، وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٨) الدر المنثور: ٦٧٩/٦، وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي شيبة وابن المنذر.

(٩) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(١٠) مجاز القرآن: ٩١/١.

(١١) البيت في الجمهرة ٢١٩ /١ واللسان والتاج (حرب).

(١٢) مجاز القرآن: ١٤٤/٢.

(١٣) معاني القرآن: ٣٥٦/٢.

(١٤) الدر المنثور: ٦٧٩/٦، وعزاه إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١٥) الدر المنثور: ٦٧٩/٦، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(١٦) الدر المنثور: ٦٧٩/٦، وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(١٧) الدر المنثور: ٦٧٩/٦، وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي شيبة وابن المنذر.

قال: «لا يدخل الملائكة بيتا فيه صورة»<sup>(١)</sup>، وقال: «من صور صورة كلف يوم القيامة أن يحييها وإلا فالنار»<sup>(٢)</sup>، وقال: «لعن الله المصورين»<sup>(٣)</sup>.  
وقد قيل فيه: إن المراد من شبه الله تعالى بخلقه<sup>(٤)</sup>.  
قوله تعالى: {وَجَفَانَ كَالْجَوَابِ} [سبأ: ١٣]، أي: "وقصاع كبيرة كالأحواض التي يجتمع فيها الماء"<sup>(٥)</sup>.

عن مجاهد: {وجفان} قال: صحاف كالجوابي، قال: الجفنة مثل الجوبة من الأرض<sup>(٦)</sup>.  
عن قتادة: {وجفان كالجواب} كالحياض<sup>(٧)</sup>.  
عن عطية، قال: {وجفان كالجواب} قال: كالجوبة من الأرض<sup>(٨)</sup>.  
عن الضحاك: "الصور {وجفان كالجواب} قال: كحياض الإبل العظام"<sup>(٩)</sup>.  
قال الفراء: {وجفان}: وهي القصاع الكبار {كالجواب} الحياض التي للإبل<sup>(١٠)</sup>.  
قال أبو عبيدة: "وجفان كالجواب} واحدها: جابية، وهي الحوض الذي يجبي فيه الماء  
قال<sup>(١١)</sup>:

فصبحت جابية صهارجا ... كأنه جلد السماء خارجا<sup>(١٢)</sup>.  
قوله تعالى: {وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ} [سبأ: ١٣]، أي: "وقدور ثابتات لا تتحرك من أماكنها  
لعظمن"<sup>(١٣)</sup>.

قال الفراء: "يقول: عظام لا تنزل عن مواضعها"<sup>(١٤)</sup>.  
عن مجاهد: {وقدور راسيات} قال: عظام"<sup>(١٥)</sup>.  
عن سعيد بن جبير: "وقدور راسيات}، قال: عظام تفرغ افراغا"<sup>(١٦)</sup>.  
عن الضحاك: "وقدور راسيات} قال: قدور عظام كانوا ينحتونها من الجبال"<sup>(١٧)</sup>.  
عن قتادة: "وقدور راسيات} قال: ثابتات لا يزلن عن مكانهن كن يرين بأرض  
اليمن"<sup>(١٨)</sup>.

قال أبو عبيدة: "وقدور راسيات}: عظام، ويقال: ثابتات دائمت، قال زهير<sup>(١)</sup>:

---

(١) رواه مسلم في الصحيح (٣/ ١٦٦٦)، ٣٧- كتاب اللباس، ٢٦- باب حديث رقم (٩٦/ ٠٠٠)، والبخاري في الصحيح (٧/ ٨٧)، ٧٧- كتاب اللباس، ٩٥- باب من لم يدخل حديث رقم (٥٩٦١).  
(٢) الحديث: «من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ».  
رواه البخاري: كتاب اللباس، باب من صور صورة كلف أن ينفخ فيها وليس بنافخ (٥/ ٢٢٢٣) حديث رقم (٥٦١٨). ومسلم: كتاب اللباس والزينة باب تحريم تصوير صورة الحيوان ... (٣/ ١٦٧١) حديث رقم (٢١١٠).

(٣) مسند أحمد: ٣٠٨/٤ بلفظ "المصور" بالإفراض.

(٤) أحكام القرآن: ٤٨٨/٣.

(٥) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(٦) الدر المنثور: ٦٧٩/٦، وعزاه إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٧) الدر المنثور: ٦٧٩/٦، وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٨) الدر المنثور: ٦٧٩/٦، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٩) الدر المنثور: ٦٧٩/٦، وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي شيبه وابن المنذر.

(١٠) معاني القرآن: ٣٥٦/٢.

(١١) وينسب في السمط (ص ٥٧٢) إلى هميان بن قحافة أحد بنى عوافة بن سعد بن زيد مناة وفي الطبري

(١٢) (٤٣/ ٢٢) من غير عزو، والشطر الأول فقط في اللسان (صهرج).

(١٣) مجاز القرآن: ١٤٤/٢.

(١٤) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(١٥) معاني القرآن: ٣٥٦/٢.

(١٦) الدر المنثور: ٦٧٩/٦، وعزاه إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١٧) الدر المنثور: ٦٨٠/٦، وعزاه إلى الفريابي وعبد بن حميد.

(١٨) الدر المنثور: ٦٧٩/٦، وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي شيبه وابن المنذر.

(١٩) الدر المنثور: ٦٧٩/٦، وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

وأين الذين يحضرون جفانه ... إذا قَدِّمَتْ ألقوا عليها المراسيا  
أي: أثبتوا عليها"<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: {اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا} [سبأ : ١٣]، أي: "وقلنا يا آل داود: اعملوا شكرًا  
لله على ما أعطاكم، وذلك بطاعته وامتنال أمره"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن شهاب: "قولوا الحمد لله"<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: يقول: "وقلنا لهم اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكرا له على ما أنعم عليكم  
من النعم التي خصكم بها عن سائر خلقه مع الشكر له على سائر نعمه التي عمكم بها مع سائر  
خلقه"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: "أي : وقلنا لهم اعملوا شكرًا على ما أنعم به عليكم في الدنيا والدين.  
وشكرًا : مصدر من غير الفعل ، أو أنه مفعول له ، وعلى التقديرين فيه دلالة على أن الشكر  
يكون بالفعل كما يكون بالقول وبالنية ، كما قال"<sup>(٥)</sup>:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة : ... يدي ، ولساني ، والضمير المحجَّب"<sup>(٦)</sup>.

عن ابن زيد، قوله: "{ اعملوا آل داود شكرا}، قال: أعطاكم وعلمكم وسخر لكم ما لم  
يسخر لغيركم، وعلمكم منطق الطير، اشكروا له يا آل داود قال: الحمد طرف من الشكر"<sup>(٧)</sup>.

عن أبي عبد الرحمن الحبلي، قوله: "{ اعملوا آل داود شكرا}، فالصلاة شكر، والصيام  
شكر، وكل خير يعمل لله شكر؛ وأفضل الشكر الحمد"<sup>(٨)</sup>.

قال محمد بن كعب الفرّطي: "الشكر: تقوى الله والعمل الصالح"<sup>(٩)</sup>.

وفي رواية: "الشكر تقوى الله والعمل بطاعته"<sup>(١٠)</sup>.

قال مجاهد: "قال داود لسليمان -عليهما السلام-: قد ذكر الله الشكر فاكفني قيام النهار  
أكفك قيام الليل، قال: لا أستطيع. قال: فاكفني صلاة النهار، فكفاه"<sup>(١١)</sup>.

قال السعدي: "الشكر: اعتراف القلب بمنة الله تعالى، وتلقيها افتقارا إليها، وصرفها في  
طاعة الله تعالى، وصونها عن صرفها في المعصية"<sup>(١٢)</sup>.

قال ثابت البناني: "كان داود ، عليه السلام ، قد جزأ على أهله وولده ونسائه الصلاة ،  
فكان لا تأتي عليهم ساعة من الليل والنهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي ، فغمرتهم هذه  
الآية : { اَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ }"<sup>(١٣)</sup>.

وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إن أحب الصلاة إلى الله  
صلاة داود ، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ، وأحب الصيام إلى الله صيام داود ،  
كان يصوم يوما ويفطر يوما. ولا يفر إذا لاقى"<sup>(١٤)</sup>.

(١) ديوانه ص ٢٩٠.

(٢) مجاز القرآن: ١٤٤/٢.

(٣) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(٤) الدر المنثور: ٦٨٠/٦، وعزاه إلى البيهقي في "شعب الإيمان".

(٥) تفسير الطبري: ٣٦٨/٢٠.

(٦) ورد البيت بدون عزو في "غريب الحديث" للخطابي ١/ ٣٤٦، "الكشاف" ١/ ٤٧، "الفائق" ١/ ٣١٤،  
"الدر المصون" ١/ ٣٦، وانظر: "مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف" ص ٧.

(٧) تفسير ابن كثير: ٥٠٠/٦.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٦٩/٢٠.

(٩) أخرجه الطبري: ١٤٢/١.

(١٠) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٠٠/٦.

(١١) أخرجه الطبري: ٣٦٨/٢٠.

(١٢) الدر المنثور: ٦٨٠/٦، وعزاه إلى الفريابي وابن أبي حاتم.

(١٣) تفسير السعدي: ٦٧٦.

(١٤) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٠١/٦.

(١٥) صحيح البخاري برقم (١١٣١) وصحيح مسلم برقم (١١٥٩).

عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "قالت أم سليمان بن داود لسليمان : يا بني ، لا تكثر النوم بالليل ، فإن كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيراً يوم القيامة"<sup>(١)</sup> .  
وعن أبي يزيد فيض بن إسحاق الرقي قال : "قال فضيل في قوله تعالى : { اَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا } . فقال داود : يا رب ، كيف أشكرك ، والشكر نعمة منك ؟ قال : "الآن شكرتني حين علمت أن النعمة مني"<sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى: {وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ} [سبأ : ١٣] ، أي: "وقليل من عبادي من يشكر الله كثيراً"<sup>(٣)</sup> .

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: وقليل من عبادي المخلصو توحيدني والمفردو طاعتي وشكري على نعمتي عليهم"<sup>(٤)</sup> .

قال ابن عباس: "يقول: قليل من عبادي الموحدون توحيدهم"<sup>(٥)</sup> .  
قال القرطبي: "يحتمل أن تكون مخاطبة لآل داود، ويحتمل أن تكون مخاطبة لآل محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى كل وجه ففيها تنبيه وتحريض"<sup>(٦)</sup> .

قال ابن كثير: "قوله: {وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ} إخبار عن الواقع"<sup>(٧)</sup> .  
عن إبراهيم التيمي، قال: "قال رجل عند عمر: اللهم اجعلني من القليل، قال: فقال عمر: «ما هذا الذي تدعو به؟»، فقال: إني سمعت الله يقول: {وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ} [سبأ: ١٣] ، فأنا أدعو أن يجعلني من أولئك القليل، قال: فقال عمر: «كل الناس أعلم من عمر»<sup>(٨)</sup> .  
عن الضحاك، قال: «المتقين هم القليل»<sup>(٩)</sup> .

## القرآن

{فَلَمَّا قُضِيَنا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (٤٤)} [سبأ : ١٤]

التفسير:

فلما قضينا على سليمان بالموت ما دلَّ الجن على موته إلا الأرضة تأكل عساه التي كان متكئاً عليها، فوقع سليمان على الأرض، عند ذلك علمت الجن أنهم لو كانوا يعلمون الغيب ما أقاموا في العذاب المذلِّ والعمل الشاق لسليمان؛ ظنا منهم أنه من الأحياء. وفي الآية إبطال لاعتقاد بعض الناس أن الجن يعلمون الغيب؛ إذ لو كانوا يعلمون الغيب لعلموا وفاة سليمان عليه السلام، ولما أقاموا في العذاب المهين.

قوله تعالى: {فَلَمَّا قُضِيَنا عَلَيْهِ الْمَوْتَ} [سبأ : ١٤] ، أي: "فلما قضينا على سليمان بالموت"<sup>(١٠)</sup> .

قال السدي: "يعني: فلما أنزلنا عليه الموت"<sup>(١١)</sup> .

قال الطبري: يقول: "فلما أمضينا قضاءنا على سليمان بالموت فمات"<sup>(١٢)</sup> .

(١) سنن ابن ماجه برقم (١٣٣٢) وقال البوصيري في الزوائد (٤٣٣/١) : "هذا إسناد ضعيف".

(٢) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٠١/٦ .

(٣) التفسير الميسر: ٤٢٩ .

(٤) تفسير الطبري: ٣٦٩/٢٠ .

(٥) اخرجه الطبري: ٣٦٩/٢٠ .

(٦) المحرر الوجيز: ٤١٠/٤ .

(٧) تفسير ابن كثير: ٥٠١/٦ .

(٨) مصنف ابن ابي شيبة (٢٩٥١٤) :ص٦/٦٥ .

(٩) مصنف ابن ابي شيبة (٦٣٠٣) :ص٢/٤٧ .

(١٠) التفسير الميسر: ٤٢٩ .

(١١) علقه يحيى بن سلام في "التفسير" : ٧٥١/٢ .

(١٢) تفسير الطبري: ٣٦٩/٢٠ .

قال القرطبي: "أي: فلما حكمنا على سليمان بالموت حتى صار كالأمر المفروغ منه ووقع به الموت"<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: {مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ} [سبأ : ١٤]، أي: "ما دلّ الجن على موته إلا الأرضة تأكل عصاه التي كان متكئاً عليها"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: "يقول: لم يدل الجن على موت سليمان {إلا دابة الأرض} وهي الأرضة وقعت في عصاه التي كان متكئاً عليها فأكلتها"<sup>(٣)</sup>.

قال القرطبي: "وذلك أنه كان متكئاً على المنسأة، فمات كذلك وبقي خافي الحال إلى أن سقط ميتاً لانكسار العصا لأكل الأرض إياها، فعلم موته بذلك، فكانت الأرضة دالة على موته، أي سبباً لظهور موته، وكان سأل الله تعالى ألا يعلموا بموته حتى تمضي عليه سنة"<sup>(٤)</sup>.

قال السعدي: "فلم يزل الشياطين يعملون لسليمان، عليه الصلاة والسلام، كل بناء، وكانوا قد موهوا على الإنس، وأخبروهم أنهم يعلمون الغيب، ويطلعون على المكنونات، فأراد الله تعالى أن يري العباد كذبهم في هذه الدعوى، فمكثوا يعملون على عملهم، وقضى الله الموت على سليمان عليه السلام، واثكأ على عصاه، وهي المنسأة، فصاروا إذا مروا به وهو متكئ عليها، ظنوه حياً، وهابوه، فغدوا على عملهم كذلك سنة كاملة على ما قيل، حتى سلطت دابة الأرض على عصاه، فلم تزل ترعاها، حتى باد وسقط فسقط سليمان عليه السلام وتفرقت الشياطين وتبينت الإنس أن الجن {لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين} وهو العمل الشاق عليهم، فلو علموا الغيب، لعلموا موت سليمان، الذي هم أحرص شيء عليه، ليسلموا مما هم فيه"<sup>(٥)</sup>.

عن ابن عباس، قوله: {إلا دابة الأرض تأكل منسأته}، يقول: الأرضة تأكل عصاه"<sup>(٦)</sup>.

قال قتادة: "أكلت عصاه حتى خر"<sup>(٧)</sup>.

قال عطاء: "كان سليمان بن داود يصلي، فمات وهو قائم يصلي والجن يعملون لا يعلمون بموته، حتى أكلت الأرضة عصاه فخر"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن زيد: "المنسأة العصا"<sup>(٩)</sup>.

قال السدي: "المنسأة: العصا بلسان الحبشة"<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن قتيبة: "المنسأة: العصا. وهي مفعلة من نسأت الدابة: إذا سقتها قال الشاعر"<sup>(١١)</sup>:

إذا دببت على المنسأة من كبر ... فقد تباعد عنك اللهو والغزل

وقال الآخر"<sup>(١٢)</sup>:

وعنس كالأواح الإران نسأتها ... إذا قيل للمشبوبتين: هماهما"<sup>(١٣)</sup>.

(١) تفسير القرطبي: ٢٧٨/١٤.

(٢) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(٣) تفسير الطبري: ٣٦٩/٢٠.

(٤) تفسير القرطبي: ٢٧٨/١٤.

(٥) تفسير السعدي: ٦٧٦.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٧٠/٢٠.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٧٠/٢٠.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٧٤/٢٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٧٠/٢٠.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٧٠/٢٠.

(١١) ورد البيت غير منسوب في اللسان ١٦٤/١، وتفسير الطبري ٥١/٢٢، والقرطبي ٢٧٩/١٤، والبحر ٢٥٥/٧. و "المنسأة" تهمز وتسهل. وقرأ أبو عمرو بالتسهيل، وقال: إنه لا يعرف لها اشتقاقاً، كما في البحر ٢٦٧/٧.

(١٢) ورد البيت غير منسوب في اللسان ١٦٤/١. وانظر القرطبي ٢٨٠/١٤.

(١٣) غريب القرآن: ٣٥٤-٣٥٥.

قال الفراء: {منسأته}: "هي العصا العظيمة التي تكون مع الراعي: أخذت من نسأت البعير: زجرته ليزداد سيره كما يقال: نسأت اللبن إذا صببت عليه الماء وهو النسيء. ونسأت المرأة إذا حبلت. ونسأ الله في أهلك، أي: زاد الله فيه"<sup>(١)</sup>.  
وقرى: «منسأته»، غير مهموزة<sup>(٢)</sup>.

قال ابن زيد: "قال سليمان لملك الموت: يا ملك الموت إذا أمرت بي فأعلمني، قال: فأتاه فقال: يا سليمان قد أمرت بك، قد بقيت لك سويعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير، ليس له باب فقام يصلي واتكأ على عصاه، قال: فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه، ولم يصنع ذلك فرارا من ملك الموت، قال: والجن تعمل بين يديه وينظرون إليه يحسبون أنه حي، قال: فبعث الله دابة الأرض، قال: دابة تأكل العيدان يقال لها القادح، فدخلت فيها فأكلتها، حتى إذا أكلت جوف العصا، ضعفت وثقل عليها فخر ميتا، قال: فلما رأت الجن ذلك انفضوا وذهبوا، قال: فذلك قوله: {ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته}، قال: والمنسأة: العصا"<sup>(٣)</sup>.

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كان سليمان نبي الله إذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول لها ما اسمك؟ فنقول كذا، فيقول لأي شيء أنت؟ فإن كانت تغرس غرس، وإن كان لدواء كتبت، فبينما هو يصلي ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: الخروب، قال: لأي شيء أنت؟ قالت: لخراب هذا البيت، فقال سليمان: اللهم عم على الجن موتي؛ حتى يعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب، فنحتها عصا فتوكتا عليها حولا ميتا، والجن تعمل، فأكلتها الأرضة، فسقطت، فتبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولا في العذاب المهين". قال: وكان ابن عباس يقرؤها كذلك، قال: فشكرت الجن للأرضة فكانت تأتيها بالماء"<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: {فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ} [سبأ: ١٤]، أي: "فلما سقط سليمان عن عصاه ظهر للجن واتضح لهم أنهم لو كانوا يعرفون الغيب كما زعموا، ما مكثوا في الأعمال الشاقة تلك المدة الطويلة"<sup>(٥)</sup>.  
قال الطبري: يقول: "فلما خر، تبين وانكشف أن لو كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين"<sup>(٦)</sup>.

قال ابن قتيبة: "كان الناس يرون الشياطين تعلم كثيرا من الغيب والسر؛ فلما خر سليمان تبينت الجن أي ظهر أمرها، ثم قال: {أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين}، وقد يجوز أن يكون {تبينت الجن} أي علمت وظهر لها العجز. وكانت تسترق السمع وتلبس بذلك على الناس أنها تعلم الغيب؛ فلما خر سليمان زال الشك في أمرها كأنها أقرت بالعجز"<sup>(٧)</sup>.  
قال ابن كثير: "تبينت الجن والإنس أيضا أن الجن لا يعلمون الغيب، كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك"<sup>(٨)</sup>.

عن عكرمة: "أنها كانت تنبت في مسجد سليمان بن داود، كل يوم شجرة فيسألها، لأي شيء تصلحين؟ فتقول: لكذا وكذا، فيأخذ بها لذلك، قال: فنبئت يوما في مسجده شجرة، فقال: ما أنت؟ فقالت: أنا الخروبة قال: ما أراك نبت إلا على خراب بيت المقدس، وما كان الله ليخربه وأنا حي، ثم لبس ثيابه، وسأل الله أن يعمي موته على الجن، حولا، فاعتمد على

(١) معاني القرآن: ٣٥٦/٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٠/٢٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٧٤/٢٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٧٢/٢٠. قال ابن كثير: ٥٠١/٦: "حديث مرفوع غريب، وفي صحته نظر".

(٥) صفوة التفاسير: ٥٠٣/٢.

(٦) تفسير الطبري: ٣٧٤/٢٠.

(٧) غريب القرآن: ٣٥٥.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٠١/٦.

عصاه فقبض روحه وهو كذلك ، فأكلت دابة الأرض ، وهي الأرضة ، عصاه بعد حول فخر: {تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين} [سبأ: ١٤] (١).

قال قتادة: " كانت الجن تخبر الإنس أنهم كانوا يعلمون من الغيب أشياء، وأنهم يعلمون ما في غد، فابتلوا بموت سليمان، فمات فلبث سنة على عصاه وهم لا يشعرون بموته، وهم مسخرون تلك السنة يعملون دائبين {فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين} ولقد لبثوا يدأبون، ويعملون له حولا" (٢).

عن قتادة ، قال: " كانت الجن تخبر الإنس أنهم يعلمون الغيب ، فذلك قول الله عز وجل {تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا} [سبأ: ١٤] في العذاب المهين قال: وفي بعض الحروف تبينت الإنس أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين" (٣).

وفي مصحف عبد الله بن مسعود: «تبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب» (٤).  
عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كان سليمان يتجرد في بيت المقدس السنة والسنتين، والشهر والشهرين، وأقل من ذلك وأكثر، يدخل طعامه وشرابه، فدخله في المرة التي مات فيها، وذلك أنه لم يكن يوم يصيح فيه، إلا تنبت فيه شجرة، فيسألها: ما اسمك؟ فتقول الشجرة: اسمي كذا وكذا، فيقول لها: لأي شيء نبتت، فتقول: نبت لكذا وكذا. فيأمر بها فتقطع؛ فإن كانت نبتت لغرس غرسها، وإن كانت نبتت لدواء قالت: نبت دواء لكذا وكذا، فيجعلها كذلك، حتى نبتت شجرة يقال لها الخروبة، فسألها ما اسمك؟ فقالت له: أنا الخروبة، فقال: لأي شيء نبتت، قالت: لخراب هذا المسجد، قال سليمان: ما كان الله ليخربه وأنا حي، أنت التي على وجهك هلاك وخراب بيت المقدس، فنزعها وغرسها في حائط له ثم دخل المحراب، فقام يصلي متكئا على عصاه، فمات ولا تعلم به الشياطين في ذلك، وهم يعملون له يخافون أن يخرج فيعاقبهم، وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب، وكان المحراب له كوى بين يديه وخلفه، وكان الشيطان الذي يريد أن يخلع يقول: ألسنت جلد إن دخلت، فخرجت من الجانب الآخر، فدخل شيطان من أولئك فمر، ولم يكن شيطان ينظر إلى سليمان في المحراب إلا احترق، فمر ولم يسمع صوت سليمان عليه السلام، ثم رجع فلم يسمع، ثم رجع فوقع في البيت فلم يحترق، ونظر إلى سليمان قد سقط فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات، ففتحوا عنه فأخرجوه ووجدوا منسأته، وهي العصا بلسان الحبشة قد أكلتها الأرضة، ولم يعلموا منذ كم مات، فوضعوا الأرضة على العصا، فأكلت منها يوما وليلة، ثم حسبوا على ذلك النحو، فوجدوه قد مات منذ سنة". وهي في قراءة ابن مسعود: فمكثوا يدأبون له من بعد موته حولا كاملا فأيقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبونهم، ولو أنهم علموا الغيب لعلموا بموت سليمان ولم يلبثوا في العذاب سنة يعملون له، وذلك قول الله: {وما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين}، يقول: تبين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبونهم، ثم إن الشياطين قالوا للأرضة: لو كنت تأكلين الطعام أتيناك بأطيب الطعام، ولو كنت تشربين الشراب سقينك أطيب الشراب، ولكننا سننقل إليك الماء والطين، فالذي يكون في جوف الخشب فهو ما تأتيها به الشياطين شكرا لها" (٥).

فوائد الآيات: [١٠-١٤]:

- ١- بيان إكرام الله تعالى لآل داود وما وهب داود وسليمان من الآيات.
- ٢- فضيلة صنع السلاح وآلات الحرب لغرض الجهاد في سبيل الله.
- ٣- مركبة سليمان سبقت صنع الطائرات الحالية بألاف السنين.

(١) تفسير عبدالرزاق (٢٤٠٤): ص ٦٠/٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٧٣-٣٧٤.

(٣) تفسير عبدالرزاق (٢٤٠٥): ص ٦٠/٣.

(٤) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة: ٣٥٥.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٧٣/٢٠-٣٧٢.



- ٤- شرع من قبلنا شرع لنا إلا ما خصه الدليل كتحريم الصور والتماثيل علينا ولم تحرم عندهم.  
٥- وجوب الشكر على النعم، وأهم ما يكون به الشكر الصلاة والإكثار منها.  
٦- تقرير أن علم الغيب لله وحده.

## القرآن

{لَقَدْ كَانَ لِسِبَا فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ (١٥)} [سبأ : ١٥]

التفسير:

لقد كان لقبيلة سبأ ب «اليمن» في مسكنهم دلالة على قدرتنا: بستانان عن يمين وشمال، كلوا من رزق ربكم، واشكروا له نعمه عليكم؛ فإن بلدتكم كريمة التربة حسنة الهواء، وربكم غفور لكم. قوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لِسِبَا فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ} [سبأ : ١٥]، أي: "لقد كان لقبيلة سبأ ب «اليمن» في مسكنهم دلالة على قدرتنا

قال الصابوني: "«اللام» موطنة للقسم، أي: والله لقد كان لقوم سبأ في موضع سكانهم باليمن آية عظيمة دالة على الله جل وعلا وعلى قدرته على مجازات المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، فإن قوم سبأ لما كفروا نعمة الله خرَّ الله ملكهم، وشنتَّ شملهم، ومزَّقهم شرَّ مزَّق، وجعلهم عبرة لمن يعتبر"<sup>(١)</sup>.

اختلف أهل العلم في «سبأ» على قولين :

أحدهما : أنه اسم أرض باليمن يقال لها مأرب، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام. قاله قتادة<sup>(٢)</sup>.

قال ابن لهيعة: "يقولون: إن مأرب مدينة بلقيس لم يكن بينها وبين بيت المقدس إلا ميل، فلما غضب الله عليها بعدها فهي اليوم باليمن وهي التي ذكر الله في القرآن: {لقد كان لسبأ في مسكنهم آية}، حتى بلغ: {ذلك جزيناهم بما كفروا}"<sup>(٣)</sup>.

قال النحاس: "قرأ أبو عمرو: «لقد كان لسبأ» بغير صرف جعله اسما للقبيلة، وهو اختيار أبي عبيد واستدل على أنه اسم قبيلة أن بعده في مسكنهم ولو كان كما كان لكان في مساكنها"<sup>(٤)</sup>.

الثاني : اسم قبيلة.

واختلف من قال بهذا هل هو اسم امرأة أو رجل على قولين:

أحدهما : أنه اسم امرأة نسبت القبيلة إليها لأنها أهم. حكاها الماوردي<sup>(٥)</sup>.

الثاني : أنه رجل. قاله مقاتل<sup>(٦)</sup>، واختاره الواحدي<sup>(٧)</sup>، وهو قول الأكثرين<sup>(٨)</sup>.

قال مقاتل: "وهو رجل بن يشجب<sup>(٩)</sup> بن يعرب بن قحطان"<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن كثير: "قال علماء النسب ، منهم محمد بن إسحاق : اسم سبأ : عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان"<sup>(١١)</sup>.

قال السمعاني: "أكثر أهل التفسير على أن سبأ اسم رجل، ونسبت القبيلة إليه، كما أن تميما اسم رجل، ونسبت القبيلة إليه"<sup>(١)</sup>.

(١) صفوة التفاسير: ٥٠٥/٢.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٦٢٤٢): ص٢٨٦٤/٩، و(١٦٢٥٤): ص٢٨٦٦/٩.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٢٤١): ص٢٨٦٤/٩.

(٤) إعراب القرآن: ٢٣١/٣-٢٣٢، وانظر تيسير الداني ١٤٦.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٤٤٣/٤.

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٨/٣.

(٧) انظر التفسير البسيط: ٣٣٩ / ١٨.

(٨) انظر: تفسير السمعاني: ٣٢٤/٤.

(٩) وحكاها الواحدي عنه بلفظ: "هو رجل من يشجب بن يعرب بن قحطان". انظر: التفسير البسيط: ٣٣٩/١٨.

(١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٨/٣.

(١١) تفسير ابن كثير: ٥٠٥/٦.

قال النحاس: " هو في الأصل اسم رجل جاء بذلك التوقيف عن النبي صلى الله عليه وسلم" (٢).

عن ثابت بن سعيد عن أبيه: "أن فروة بن مسيك المرادي، حدثه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبأ فقال: يا رسول الله ما سبأ؟ أرجل أم جبل أم واد؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا، بل رجل ولد عشرة فتشاءم أربعة، وتيامن ستة، تشاءم لحم، وجذام، وعاملة، وغسان، وتيامن حمير، ومذحج، والأزد، وكندة، والأشعريون، وأنمار التي منها بجيلة» (٣).

وفي رواية عن عبد العزيز بن يحيى، قال: "كنا عند عبيدة بن عبد الرحمن بأفريقية فقال يوماً: ما أظن قوما بأرض إلا وهم من أهلها. فقال علي بن رباح: كلا قد حدثني فلان أن فروة بن مسيك العُطيفي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن سبأ قوم كان لهم عز في الجاهلية، وإني أخشى أن يرتدوا عن الإسلام، أفأقاتلهم؟ فقال: "ما أمرت فيهم بشيء بعد". فأنزلت هذه الآية: {لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ} الآيات، فقال له رجل: يا رسول الله، ما سبأ؟ فذكر مثل هذا الحديث الذي قبله: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن سبأ: ما هو؟ أبلد، أم رجل، أم امرأة؟ قال: "بل رجل، ولد له عشرة فسكن اليمن منهم ستة، والشام أربعة، أما اليمانيون: فمذحج، وكندة، والأزد، والأشعريون، وأنمار، وحمير غير ما حلها. وأما الشام: فلخم، وجذام، وغسان، وعاملة" (٤).

قال ابن كثير: "كانت سبأ ملوك اليمن وأهلها، وكانت التبابعة منهم، وبلقيس - صاحبة سليمان - منهم.. وإنما سمي سبأ لأنه أول من سبأ في العرب، وكان يقال له: الرائش؛ لأنه أول من غنم في الغزو فأعطى قومه، فسمي الرائش، والعرب تسمي المال: ريشا ورياشا. وذكروا أنه بشر برسول الله صلى الله عليه وسلم في زمانه المتقدم" (٥).

قال ابن الجوزي: "قال المفسرون: المراد بـ«سبأ» -ها هنا-: القبيلة التي هم من أولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان" (٦).

قال أبو عبيدة: "ينون «سبأ» بعضهم لأنه يجعله اسم أب، ويهمزه وبعضهم لا ينون فيه بجعله اسم أرض" (٧).

قوله تعالى: {جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ} [سبأ: ١٥]، أي: "بستانان عن يمين وشمال" (٨). قال الطبري: "يعني: بستانان كانا بين جبلين، عن يمين من أتاهما وشماله" (٩). قال مقاتل: "جنتان أحدهما عن يمين الوادي والأخرى عن شمال الوادي، واسم الوادي العرم" (١٠).

قال قتادة: "كانت جنتان بين جبلين فكانت المرأة تخرج مكلتها على رأسها فتمشي بين جبلين، فيمتلئ مكلتها، وما مست بيدها، فلما طغوا بعث الله عليهم دابة، يقال لها «جرذ» فنقبت عليهم فغرقتهم، فما بقي لهم إلا أثل، وشيء من سدر قليل" (١١).

(١) تفسير السمعاني: ٣٢٤/٤.

(٢) إعراب القرآن: ٢٣١/٣.

(٣) المعجم الكبير للطبراني (٨٣٨): ص ٣٢٦/١٨، والمستدرک علی الصحیحین (٣٥٨٦): ص ٤٦٠/٢ [سكت عنه الذهبي في التلخيص].

(٤) قال ابن كثير: ٥٠٥/٦: "فيه غرابية من حيث ذكر نزول الآية بالمدينة، والسورة مكية كلها، والله أعلم".

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٠٤/٦-٥٠٦. [باختصار]

(٦) زاد المسير: ٤٩٤/٣.

(٧) مجاز القرآن: ١٤٦/٢.

(٨) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٩) تفسير الطبري: ٣٧٦/٢٠.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٩/٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٣٧٦/٢٠.

قال ابن زيد: " ولم يكن يرى في قرينهم بعوضة قط، ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية، وإن كان الركب ليأتون وفي ثيابهم القمل والدواب، فما هم إلا أن ينظروا إلى بيوتهم، فتموت الدواب، قال: وإن كان الإنسان ليدخل الجنتين، فيمسك القفة على رأسه فيخرج حين يخرج، وقد امتلأت تلك القفة من أنواع الفاكهة ولم يتناول منها شيئاً بيده، قال: والسد يسقيها"<sup>(١)</sup>.  
قوله تعالى: {كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ} [سبأ : ١٥]، أي: "كلوا من رزق ربكم، واشكروا له نعمه عليكم"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: أي: "الذي يرزقكم من هاتين الجنتين من زروعهما وأثمارهما، {واشكروا له} على ما أنعم به عليكم من رزقه ذلك"<sup>(٣)</sup>.

قال الصابوني: "أي: وقلنا لهم على لسان الرسل: كلوا من فضل الله وإنعامه واشكروا ربكم على هذه النعم"<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: {بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ} [سبأ : ١٥]، أي: "فإن بلدتكم كريمة التربة حسنة الهواء، وربكم غفور لكم"<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: "بلدة ليست بسبخة، لم يكن فيها شيء مؤذ؛ الهمج والديبيب والهوام، ورب غفور لذنوبكم إن أنتم أطعتموه"<sup>(٦)</sup>.

قال السمعاني: "أي: [بلدة] طيبة الهواء، عذبة الماء، كثيرة الفواكه، ورب غفور للذنوب إن شكرتم نعمه"<sup>(٧)</sup>.

قال قتادة: "وربكم غفور لذنوبكم، قوم أعطاهم الله نعمة، وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته"<sup>(٨)</sup>.

فإن قيل: "أي فائدة لتخصيصهم بهذا، والله غفور لكل العباد؟

والجواب عنه: أن مغفرة الرب مع طيب البلدة على تلك الغاية لم تكن إلا لهم"<sup>(٩)</sup>.

## القرآن

{فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهُمْ لَئِيذٌ يُجَازَىٰ إِلَّا الْكُفُورَ (١٧)} [سبأ : ١٦-١٧]  
التفسير:

فأعرضوا عن أمر الله وشكره وكذبوا الرسل، فأرسلنا عليهم السيل الجارف الشديد الذي خرب السد وأغرق البساتين، وبدلناهم بجنتيهم المثمرتين جننتين ذواتي أكل خمط، وهو الثمر المر الكريه الطعم، وأثل وهو شجر شبيه بالطرفاء لا ثمر له، وقليل من شجر التَّبَق كثير الشوك. ذلك التبديل من خير إلى شر بسبب كفرهم، وعدم شكرهم نعم الله، وما نعاقب بهذا العقاب الشديد إلا الجحود المبالغ في الكفر، يجازى بفعله مثلاً بمثل.

قوله تعالى: {فَأَعْرَضُوا} [سبأ : ١٦]، أي: "فأعرضوا عن أمر الله وشكره وكذبوا الرسل"<sup>(١٠)</sup>.

(١) أخرجه الطبري: ٣٧٦/٢٠-٣٧٧.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٣) تفسير الطبري: ٣٧٧/٢٠.

(٤) صفوة التفاسير: ٥٠٥/٢.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٦) تفسير الطبري: ٣٧٧/٢٠.

(٧) تفسير السمعاني: ٣٢٥/٤.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٧٧/٢٠.

(٩) تفسير السمعاني: ٣٢٥/٤.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٣٠.

قال الطبري: يقول: " فأعرضت سبأ عن طاعة ربها وصدت عن اتباع ما دعتها إليه رسلها من أنه خالقها"<sup>(١)</sup>.

قال السمعاني: " أي: فأعرضوا عن شكر النعم"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: " أي : عن توحيد الله وعبادته وشكره على ما أنعم به عليهم ، وعدلوا إلى عبادة الشمس ، كما قال هدهد سليمان : { وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ . إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ . وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ } [النمل : ٢٢ ، ٢٤]"<sup>(٣)</sup>.

قال وهب بن منبه: "لقد بعث الله إلى سبأ ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم"<sup>(٤)</sup>.

قال السدي: " بعث إلى سبأ اثنا عشر نبيا فسمى تبع لكثرة من تبعه"<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم سَيْلَ الْعَرْمِ} [سبأ : ١٦] ، أي: " فأرسلنا عليهم السيل الجارف الشديد الذي خرب السد وأغرق اليساتين"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: يقول: " فثقبنا عليهم حين أعرضوا عن تصديق رسلنا سدهم الذي كان يحبس عنهم السيول، وكان العرم فيما ذكر مما بنته بلقيس"<sup>(٧)</sup>.

قال الفراء: " فلما أعرضوا وجدوا الرسل بثق الله عليهم المسناة، فغرقت أرضهم ودفن بيوتهم الرمل"<sup>(٨)</sup>.

عن مجاهد: " أن ذلك السيل الذي أرسل عليهم من العرم كان ماء أحمر أتى الله به من حيث شاء هو شق السد وهدمه، وحفر بطن الوادي عن الجنين، فارتفعتا وغار عنهما الماء فبيستا"<sup>(٩)</sup>.

واختلفوا في العرم على أربعة أقوال:

أحدها: أنه اسم الوادي. قاله ابن عباس<sup>(١٠)</sup>، وقتادة<sup>(١١)</sup>، والضحاك<sup>(١٢)</sup>، وعطاء<sup>(١٣)</sup>.

قال ابن عباس: "وادي كان باليمن، كان يسيل إلى مكة، وكانوا يسقون وينتهي سيلهم إليه"<sup>(١٤)</sup>.

قال قتادة: " ذكر لنا أن «سيل العرم» وادي كانت تجتمع إليه مسایل من أودية شتى، فعمدوا فسدوا ما بين الجبلين بالقيير والحجارة وجعلوا عليه أبوابا، وكانوا يأخذون من مائه ما احتاجوا إليه، ويسدون عنهم ما لم يعنوا به من مائه شيئا"<sup>(١٥)</sup>.

قال الضحاك: " وادي يدعى العرم، وكان إذا مطر سالت أودية اليمن إلى العرم، واجتمع إليه الماء فعمدت سبأ إلى العرم فسدوا ما بين الجبلين، فحجزوه بالصخر والقار، فانسد زمانا من الدهر، لا يرجون الماء، يقول: لا يخافون"<sup>(١٦)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ٣٧٨/٢٠.

(٢) تفسير السمعاني: ٣٢٥/٤.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٠٧/٦.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٧٨/٢٠.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٢٤٣): ص ٢٨٦٤/٩.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٧) تفسير الطبري: ٣٧٨/٢٠.

(٨) معاني القرآن: ٣٥٨/٢.

(٩) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٥٣/٢.

(١٠) أنظر: تفسير الطبري: ٣٨٠/٢٠.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٠/٢٠.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٠/٢٠.

(١٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٧٨٩١): ص ٣١٦٦/١٠.

(١٤) أخرجه الطبري: ٣٨٠/٢٠.

(١٥) أخرجه الطبري: ٣٨٠/٢٠.

(١٦) أخرجه الطبري: ٣٨٠/٢٠.

الثاني: أن «العرم»: المسناة التي تحتبس الماء، وهذا قول المغيرة بن حكيم<sup>(١)</sup>، ومجاهد<sup>(٢)</sup>، والسدي<sup>(٣)</sup>، وعمرو بن شرحبيل<sup>(٤)</sup>، والفراء<sup>(٥)</sup>، والميرد<sup>(٦)</sup>، وأبي عبيدة<sup>(٧)</sup>، وابن قتيبة<sup>(٨)</sup>.

قال أبو عبيدة: «{سَيْلُ الْعَرَمِ}: واحدها: «عرمة»، وهو بناء مثل المشار يحبس به الماء ببناء فيشرف به على الماء في وسط الأرض ويترك فيه سبيل للسفينة فتلك: العرمة، واحدها: عرمة، و«المشار» بلسان العجم. قال الأعشى<sup>(٩)</sup>:

وفي ذاك للمؤتسى إسوة ... ومأرب ققى عليها العرم  
رخام بناه لهم حمير ... إذا جاش دقاعه لم يرم  
أي: حبسه. وقال آخر<sup>(١٠)</sup>:

من سبأ الحاضرين مأرب إذ ... بينون من دون سيله العرما<sup>(١١)</sup>.

قال مجاهد: «هي: المسناة التي يجتمع فيه الماء ثم ينشف»<sup>(١٢)</sup>.

قال مجاهد: «العرم» بالحبشة، وهي المسناة التي يجتمع فيها الماء ثم ينبثق<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٩/٢٠.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٧٨٩٠): ص ٣١٦٦/١٠.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٧٨٨٨): ص ٣١٦٥-٣١٦٦.

قال السدي: «كان أهل سبأ أعطوا ما لم يعطه أحد من أهل زمانهم، فكانت المرأة على رأسها المكمل فتريد حاجتها، فلا تبلغ مكانها الذي تريد حتى يمتلأ مكملها من أنواع الفاكهة، فأجمعوا ذلك فكذبوا رسلهم، وقد كان السيل يأتيهم من مسيرة عشرة أيام حتى يستقر في واديهم، فيجمع الماء من تلك السيول والجبال في ذلك الوادي، وكان قد حفروه بمسناة وهم يسمون المسناة عرم- وكان يفتحون إذا شأوا من ذلك الماء، فيسقون جنانهم إذا شأوا، فلما غضب الله عليهم، وأذن في هلاكهم، دخل رجل إلى جنته- وهو عمر بن عامر فيما بلغنا، وكان كاهنا فنظر إلى جرزة تنقل أولادها من بطن الوادي إلى أعلى الجبل فقال: ما نقلت هذه أولادها من هاهنا إلا وقد حضر أهل هذه البلاد عذاب ويقدر أنها خرقت ذلك العرم فلقيت لقباً فسأل ذلك اللقب ماء إلى جنته، فأمر عمر بن عامر بذلك اللقب ففسد فأصبح وقد انفجر بأعظم ما كان، فأمر به أيضا فسد ثم انفجر بأعظم ما كان، فلما رأى ذلك دعا ابن أخيه فقال: إذ أنا جلست العشية في نادي قومي فانتنتي فقل علام تحبس علي مالي؟ فإني سأقول: ليس لك عندي مال ولا ترك أبوك شيئا وإنك لكاذب، فإذا أنا كذبتك فكذبني واردد علي مثل ما قلت لك فإذا فعلت ذلك فإني سأشتمك، فاشتمني، فإذا أنت شتمتني لطمتك، فإذا أنا لطمتك فقم فالطمني قال: ما كنت لأستقبلك بذلك يا عم! قال: بلى فافعل فإني أريد بها صلاحك. وصلاح أهل بيتك فقال الفتى: نعم، حيث عرف هو عمه، فجاء فقال:

ما أمر به حتى لطمه، فتناوله الفتى فطمه فقال الشيخ: يا معشر بني فلان أطم فيكم؟ لأسكنت في بلد لطمني فيه فلان أبدا، لم يبتاع مني فلما عرف القوم منه الجد أعطوه فنظر إلى أفضلهم عطية، فأوجب له البيع، فدعا بالمال فنقده وتحمل هو وبنوه من ليلته، فتفرقوا».

(٤) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٥٣/٢.

(٥) انظر: معاني القرآن: ٣٥٨/٢.

(٦) انظر: الكامل: ٢٠٧/٣، وقال: «العرمة: كالسكر، وجمعها عرم». ثم استشهد بقول النابغة الجعدي:

وقل النابغة الجعدي:

من سبأ الحاضرين مأرب إذ ... بينون من دون سيله العرما

وانظر البيت في: «ديوانه» ص ١٣٤، «الكتاب» ٢٥٣/٣، «جمهرة اللغة» ص ٧٧٣، «سمط الآلي» ص ١٨، «اللسان» ٣٩٦/١ مادة: (عرم).

(٧) انظر: مجاز القرآن: ١٤٦/٢-١٣٧.

(٨) انظر: غريب القرآن: ٣٥٥.

(٩) ديوان الأعشى: ٩٣، وسيرة ابن هشام: ١/١٤، وتفسير الطبري: ٣٧٨/٢٠، والبيت الأول في معجم البلدان (مأرب) وبلا نسبة في لسان العرب (قفا)، وتهذيب اللغة ٩/٣٢٧.

(١٠) اختلفوا في غرو هذا البيت بعضهم نسبوه إلى النابغة الجعدي وبعضهم إلى أمية ابن أبي الصلت وهو في ديوان أمية بن أبي الصلت رقم ٥١ وفي ملحق ديوان الأعشى أيضا ص ٢٥٨ وانظره في الكتاب ٢/٢٦ والسيرة ص ٩ والشعراء ص ١٦٢ والكامل للمبرد ص ٦١١ والجمهرة ٣/٢٠٥، ٣٨٨ والسمط ص ١٨ واللسان والتاج (عرم) والقرطبي ١٤/٢٨٣.

(١١) مجاز القرآن: ١٤٦/٢-١٣٧.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٨٩٠): ص ٣١٦٦/١٠.

روي عن أبي ميسرة، قوله: "فأرسلنا عليهم سيل العرم"، قال: المسناة بلحن اليمن<sup>(٢)</sup>. قال يحيى بن سليمان الجعفي: "المسناة هي التي يسميها أهل مصر الجسر فكانوا يفتحونها إذا شأوا فإذا رويت جنتهم سدوها"<sup>(٣)</sup>.

قال يحيى بن سليمان: "هذا الذي يسمونه الجسر يحبس به الماء، وكان سدا قد جعل في موضع الوادي تجتمع فيه المياه. وذكروا أنه إنما نقيه دابة يقال له الخلد، ليس له عينان، له نابان يحفر بهما الأرض"<sup>(٤)</sup>.

قال السمعاني: "وقد كانوا بنوا المسناة بالصخر والقار بينه وبين الماء، وجعلوا على المسناة أبوابا تفتح وتسد، فإذا احتاجوا إلى الماء فتحوا، وإذا استغنوا سدوا"<sup>(٥)</sup>.

قال الفراء: "كانت مسناة كانت تحبس الماء على ثلاثة أبواب منها، فيسقون من ذلك الماء من الباب الأول، ثم الثاني، ثم الآخر، فلا بنفد حتى يثوب الماء من السنة المقبلة. وكانوا أنعم قوم عيشا"<sup>(٦)</sup>.

وذكر النقاش: "أنه كان ذلك من عمل بلقيس، وكانت جعلت على المسناة اثني عشرة مخرجا، يخرج منها اثنا عشر نهرا، وكانت المسناة سدا بين جبلين، والمياه وراء السد تجتمع من السيول"<sup>(٧)</sup>.

وعن هب، قال أبي: "فسألت المغيرة بن حكيم عن «العرم»، فقال: هو بكلام حمير المسناة، فسدت ما بين الجبلين فحبست الماء من وراء السد، وجعلت له أبوابا بعضها فوق بعض وبنت من دونه بركة ضخمة، فجعلت فيها اثني عشر مخرجا على عدة أنهارهم، فلما جاء المطر احتبس السيل من وراء السد فأمرت بالباب الأعلى ففتح فجرى ماؤه في البركة، وأمرت بالبعر فألقي فيها فجعل بعض البعر يخرج أسرع من بعض، فلم تزل تضيق تلك الأنهار، وترسل البعر في الماء حتى خرج جميعا معا، فكانت تقسمه بينهم على ذلك، حتى كان من شأنها وشأن سليمان ما كان"<sup>(٨)</sup>.

قال المغيرة بن حكيم: "لما ملكت بلقيس، جعل قومها يقتتلون على ماء واديهم، قال فجعلت تنهاهم فلا يطيعونها، فتركت ملكها وانطلقت إلى قصر لها وتركتهم، فلما كثر الشر بينهم وندموا أتوها، فأرادوها على أن ترجع إلى ملكها فأبى فقالوا: لترجعن أو لنقتلنك، فقالت: إنكم لا تطيعونني وليست لكم عقول، ولا تطيعوني، قالوا: فإننا نطيعك، وإننا لم نجد فينا خيرا بعدك، فجاءت فأمرت بواديهم، فسد بالعرم"<sup>(٩)</sup>.

الثالث: أن «العرم»: هو اسم الجرذ، وهو الفأرة، وقيل: كان اسم الخلد، وسلطه الله تعالى على المسناة حتى نقيها، ودخل الماء وغرق البلد والبساتين<sup>(١٠)</sup>.

وقال ابن الأعرابي: "العرم والبر من أسماء الفأرة، ومنه قولهم: فلان لا يعرف هرا من برا أي: السنور من الفأرة"<sup>(١١)</sup>.

قال الراغب: "قيل: «العرم»: الجرذ الذكر، ونسب إليه السيل من حيث إنه نقيب المسناة"<sup>(١٢)</sup>.

(١) الدر المنثور ٦/ ٦٩٠، وغريب القرآن وتفسيره لليزدي ص ٣٠٧.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٧٩/٢٠.

(٣) حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن: ٢٣٢/٣.

(٤) تفسير يحيى بن سلام: ٧٥٣/٢.

(٥) تفسير السمعاني: ٣٢٦/٤.

(٦) معاني القرآن: ٣٥٨/٢.

(٧) نقلا عن تفسير السمعاني: ٣٢٦/٤.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٧٩/٢٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٧٩/٢٠.

(١٠) انظر: تفسير السمعاني: ٣٢٦/٤.

(١١) نقلا عن تفسير السمعاني: ٣٢٦/٤.

(١٢) المفردات: ٥٦٢.

وذكر أبو الحسين بن فارس في تفسيره: "أن القوم كانوا قد سمعوا أن هلاك بلدهم بالفأر من كهانهم، فجاعوا بالسنانير وربطوها عند كل جرف في المسناة، فجاءت فأرة حمراء كبيرة وساورت السنور وهزمته ودخلت في الجرف، وتغلغلت المسناة حتى نقبتها وخرقتها"<sup>(١)</sup>.  
الرابع: أن «العرم»: هو السيل الشديد، أي: أرسلنا عليهم السيل الشديد. وهذا قول ابن عباس<sup>(٢)</sup>، ومجاهد<sup>(٣)</sup>.

قال الراغب: "العرامة: شراسة وصعوبة في الخلق، وتظهر بالفعل، يقال: عرم فلان فهو عارم، وعرم: تخلق بذلك، ومنه: عرام الجيش، وقوله تعالى: {فأرسلنا عليهم سيل العرم} [سبأ: ١٦]، قيل: أراد سيل الأمر العرم"<sup>(٤)</sup>.  
قال الواحدي: "فأكثر المفسرين على أن العرم: السكر<sup>(٥)</sup>، والمسناة، وهي التي تحبس الماء"<sup>(٦)</sup>.

وقال ابن عباس: "وكان السبب الذي سبب الله لإرسال ذلك السيل عليهم فيما ذكر لي جرذا ابتعثه الله على سدهم، فثقب فيه ثقباً"<sup>(٧)</sup>.  
ثم اختلف أهل العلم في صفة ما حدث عن ذلك الثقب مما كان فيه خراب جنتيهم، على قولين:

أحدهما: أن السيل لما وجد عملاً في السد عمل فيه، ثم فاض الماء على جناتهم؛ فغرقها وخرّب أرضهم وديارهم. قاله قتادة<sup>(٨)</sup>، والضحاك<sup>(٩)</sup>، وابن زيد<sup>(١٠)</sup>، ووهب بن منبه<sup>(١١)</sup>.  
قال قتادة: "لما ترك القوم أمر الله بعث الله عليهم جرذا يسمى الخلد، فثقبه من أسفله حتى غرق به جناتهم، وخرّب به أرضهم عقوبة بأعمالهم"<sup>(١٢)</sup>.  
قال الضحاك: "لما طغوا وبغوا، يعني سبأ، بعث الله عليهم جرذا فخرق عليهم السد فأغرقهم الله"<sup>(١٣)</sup>.

قال ابن زيد: "بعث الله عليه جرذا وسلطه على الذي كان يحبس الماء الذي يسقيها، فأخرّب في أفواه تلك الحجارة وكل شيء منها من رصاص وغيره، حتى تركها حجارة، ثم بعث الله سيل العرم، فاقتلع ذلك السد وما كان يحبس، واقتلع تلك الجنتين، فذهب بهما، وقرأ {فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين}، قال: ذهب بتلك القرى والجننتين"<sup>(١٤)</sup>.  
قال وهب بن منبه اليماني: "كان لهم، يعني لسبأ، سد، قد كانوا بنوه بنيانا أبداً، وهو الذي كان يرد عنهم السيل إذا جاء أن يغشى أموالهم، وكان فيما يزعمون في علمهم من كهانتهم، أنه إنما يخرّب عليهم سدهم ذلك فأرة، فلم يتركوا فرجة بين حجرين إلا ربطوا عندها هرة، فلما جاء زمانه وما أراد الله بهم من التعريق، أقبلت فيما يذكرون فأرة حمراء إلى هرة من تلك الهرر فساورتها، حتى استأخرت عنها أي الهرة، فدخلت في الفرجة التي كانت عندها، فغلغلت

(١) نقلاً عن تفسير السمعاني: ٣٢٦/٤.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٠/٢٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٩/٢٠.

(٤) المفردات: ٥٦٢.

(٥) قال في "اللسان" ٤/ ٣٧٥: سكر النهر يسكره سكرًا، سد فاه، وكل شق سد فقد سكر، والسكر ما سد به، والسكر: أيضاً المسناة. اهـ والمسناة بلغة أهل اليمن.

(٦) التفسير البسيط: ٣٤٣/١٨.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٨٠/٢٠.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٨١/٢٠.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٨١/٢٠.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٨١/٢٠.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٣٨١/٢٠.

(١٢) أخرجه الطبري: ٣٨١/٢٠.

(١٣) أخرجه الطبري: ٣٨١/٢٠.

(١٤) أخرجه الطبري: ٣٨١/٢٠.

في السد فحفرت فيه حتى وهنته للسيل وهم لا يدرون، فلما جاء السيل وجد خلا فدخل فيه حتى قلع السد وفاض على الأموال فاحتملها فلم يبق منها إلا ما ذكره الله، فلما تفرقوا نزلوا على كهانة عمران بن عامر<sup>(١)</sup>.

الثاني: أن الماء الذي كانوا يعمرون به جناتهم سال إلى موضع غير الموضع الذي كانوا ينتفعون به، فبذلك خربت جناتهم. وهذا قول ابن عباس<sup>(٢)</sup>.

قال ابن عباس: "بعث الله عليهم، يعني على العرم، دابة من الأرض فتقبت فيه ثقباً، فسأل ذلك الماء إلى موضع غير الموضع الذي كانوا ينتفعون به، وأبدلهم الله مكان جنيتهم جنتين ذواتي أكل خمط، وذلك حين عصوا، وبطروا المعيشة"<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: "والقول الأول أشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر أنه أرسل عليهم سيل العرم، ولا يكون إرسال ذلك عليهم إلا بإسأله عليهم، أو على جناتهم وأرضهم لا بصرفه عنهم"<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: {وَبَدَّلْنَا هُمْ بَجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أَكْلِ خَمَطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ} [سبأ: ١٦]، أي: "وبدّلناهم بجنيتهم المثمرتين جنتين ذواتي أكل خمط، وهو الثمر المر الكريه الطعم، وأثل وهو شجر شبيه بالطرفاء لا ثمر له، وقليل من شجر النَّبَق كثير الشوك"<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: "وجعلنا لهم مكان بساتينهم من الفواكه والثمار بساتين من جنى ثمر الأراك، والأراك هو الخمط، والأثل: فإنه يقال له: الطرفاء، وقيل: شجر شبيه بالطرفاء غير أنه أعظم منها، وقيل: إنها السمر، وشيء من سدر قليل"<sup>(٦)</sup>.

قال ابن كثير: "فهذا الذي صار أمر تينك الجنتين إليه، بعد الثمار النضيجة والمناظر الحسنة، والظلال العميقة والأنهار الجارية، تبدلت إلى شجر الأراك والطرفاء والسدر ذي الشوك الكثير والثمر القليل"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن قتيبة: "«الخمط»: شجر العضاة. وهي: كل شجرة ذات شوك، و«الأثل»: شبيه بالطرفاء إلا أنه أعظم منه"<sup>(٨)</sup>.

قال أبو عبيدة: "«الخمط»: كل شجرة ذى شوك والأكل هو الجنى"<sup>(٩)</sup>.

قال ابن عباس: "أبدلهم الله مكان جنيتهم جنتين ذواتي أكل خمط، والخمط: الأراك"<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن عباس: "الأثل: الطرفاء"<sup>(١١)</sup>.

قال الحسن ومجاهد: "الخمط: الأراك"<sup>(١٢)</sup>.

قال قتادة: "الخمط: الأراك، وأكله: بريره"<sup>(١٣)</sup>.

قال الضحاك: "بدلهم الله بجنان الفواكه والأعنان، إذ أصبحت جناتهم خمطاً وهو الأراك"<sup>(١٤)</sup>.

(١) أخرجه الطبري: ٣٨١/٢٠.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٢/٢٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٨٢/٢٠.

(٤) تفسير الطبري: ٣٨٢/٢٠.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٦) تفسير الطبري: ٣٨٢/٢٠، ٣٨٤. [باختصار]

(٧) تفسير ابن كثير: ٥٠٨/٦.

(٨) غريب القرآن: ٣٥٦.

(٩) مجاز القرآن: ١٤٧/٢.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٨٢/٢٠.

(١١) أخرجه الطبري: ٣٨٤/٢٠.

(١٢) رواه عنهما الطبري: ٣٨٢/٢٠.

(١٣) أخرجه الطبري: ٣٨٣/٢٠.

(١٤) أخرجه الطبري: ٣٨٣/٢٠.



قال ابن زيد: "أذهب تلك القرى والجننتين، وأبدلهم الذي أخبرك ذواتي أكل خمط، قال: فالخمط: الأراك، قال: جعل مكان العنب أراكا، والفاكهة أثلا وشيئا من سدر قليل"<sup>(١)</sup>.  
 قال قتادة: "بينما شجر القوم خير الشجر، إذ صيره الله من شر الشجر بأعمالهم"<sup>(٢)</sup>.  
 قوله تعالى: {ذَلِكَ جَزَائُهُمْ بِمَا كَفَرُوا} [سبأ : ١٧]، أي: "ذلك التبديل من خير إلى شر بسبب كفرهم، وعدم شكرهم نعم الله"<sup>(٣)</sup>.  
 قال الطبري: يقول: "هذا الذي فعلنا بهؤلاء القوم من سبأ من إرسالنا عليهم سيل العرم، حتى هلكت أموالهم، وخربت جناتهم، جزاء منا على كفرهم ببناء، وتكذيبهم رسلنا"<sup>(٤)</sup>.  
 قال ابن كثير: "وذلك بسبب كفرهم وشركهم بالله، وتكذيبهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل"<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: {وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ} [سبأ : ١٧]، أي: "وما نعاقب بهذا العقاب الشديد إلا الجحود المبالغ في الكفر، يجازى بفعله مثلا بمثل"<sup>(٦)</sup>.  
 قال الطبري: يقول: "وهل يجازى إلا الكفور لنعمة الله"<sup>(٧)</sup>.  
 قال ابن كثير: "أي : عاقبناهم بكفرهم"<sup>(٨)</sup>.  
 عن مجاهد: "وهل نجازي: نعاقب"<sup>(٩)</sup>.  
 قال الحسن البصري: "صدق الله العظيم. لا يعاقب بمثل فعله إلا الكفور"<sup>(١٠)</sup>.  
 وقال طاوس: "يجازى ولا يغفر له؛ والمؤمن لا يناقش الحساب"<sup>(١١)</sup>.  
 قال ابن خيرة: "جزاء المعصية الوهن في العبادة، والضيق في المعيشة، والتعسر في اللذة. قيل: وما التعسر في اللذة؟ قال: لا يصادف لذة حلالا إلا جاءه من يُنَعِّصه إياها"<sup>(١٢)</sup>.  
 قال قتادة: "إن الله تعالى إذا أراد بعبده كرامة تقبل حسناته، وإذا أراد بعبده هوانا أمسك عليه ذنوبه حتى يوافى به يوم القيامة. قال: وذكر لنا أن رجلا بينما هو في طريق من طريق المدينة، إذ مرت به امرأة، فأتبعها بصره، حتى أتى على حائط، فشج وجهه، فأتى نبي الله ووجهه يسيل دما، فقال: يا نبي الله فعلت كذا وكذا، فقال له نبي الله: «إن الله إذا أراد بعبد كرامة عجل له عقوبة ذنبه في الدنيا، وإذا أراد الله بعبد هوانا أمسك عليه ذنوبه حتى يوافى به يوم القيامة، كأنه غير أبتّر»"<sup>(١٣)</sup>.

## القرآن

{وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَيْرُوا فِيهَا لِيَأْتِيَهُمْ} [سبأ : ١٨]  
 التفسير:

وجعلنا بين أهل «سبأ» - وهم «باليمن» - والقرى التي باركنا فيها - وهي «الشام» - مُدُنًا متصلة يرى بعضها من بعض، وجعلنا السير فيها سيرا مقدرًا من منزل إلى منزل لا مشقة فيه،

(١) أخرجه الطبري: ٣٨٣/٢٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٨٤ / ٢٠.

(٣) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٤) تفسير الطبري: ٣٨٤ / ٢٠.

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٠٨/٦.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٧) تفسير الطبري: ٣٨٤ / ٢٠.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٠٨/٦.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٨٥/٢٠.

(١٠) نقلا عن تفسير ابن كثير: ٥٠٨/٦.

(١١) نقلا عن غريب القرآن لابن قتيبة: ٣٥٦.

(١٢) رواه ابن أبي حاتم كما تفسير ابن كثير: ٥٠٨/٦.

(١٣) أخرجه الطبري: ٣٨٥/٢٠.

وقلنا لهم: سيروا في تلك القرى في أي وقت شئتم من ليل أو نهار، آمنين لا تخافون عدوًا، ولا جوعًا ولا عطشًا.

قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا فُورًا ظَاهِرَةً} [سبأ: ١٨]، أي: "وجعلنا بين أهل «سبأ» - وهم «باليمن» - والقرى التي باركنا فيها - وهي «الشام» - مُدُنًا متصلة يُرى بعضها من بعض" (١).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره مخبراً عن نعمته التي كان أنعمها على هؤلاء القوم الذين ظلموا أنفسهم: وجعلنا بين بلدهم وبين القرى التي باركنا فيها وهي الشام، قرى متصلة، وهي قرى عربية" (٢).

قال ابن كثير: "يذكر تعالى ما كانوا فيه من العِبْطَةِ والنعمة، والعيش الهني الرغيد، والبلاد الرخية، والأماكن الآمنة، والقرى المتواصلة المتقاربة، بعضها من بعض، مع كثرة أشجارها وزروعها وثمارها، بحيث إن مسافرهم لا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء، بل حيث نزل وجد ماء وثمرًا، ويَقِيلُ في قرية ويبيت في أخرى، بمقدار ما يحتاجون إليه في سيرهم" (٣).

قال الحسن: "قرى متواصلة، قال: كان أحدهم يغدو فيقبل في قرية ويروح فيأوي إلى قرية أخرى. قال: وكانت المرأة تضع زنبيلها على رأسها، ثم تمتن بمغزلها، فلا تأتي بيتها حتى يمتلئ من كل الثمار" (٤).

عن معمر، قوله: {التي باركنا فيها}، قال: "هي قرب الشام" (٥).  
عن مجاهد، قوله: {التي باركنا فيها}، قال: "هي قرى الشام" (٦).  
وأخرج الطبري عن مجاهد، وقتادة، في قوله: {القرى التي باركنا فيها}، قالاً: "الشام" (٧).

عن قتادة: "قرى ظاهرة}، أي: متواصلة" (٨).  
عن مجاهد: "قرى ظاهرة}، قال: السروات" (٩).  
عن مجاهد: {قرى ظاهرة}، قال: "كل يوم هم على ماء" (١٠).  
قال سعيد بن جبیر: "هي قرى عربية، وهي القرى التي ما بين مأرب، والشام" (١١).  
عن ابن عباس، قوله: "قرى ظاهرة}، يعني: قرى عربية بين المدينة والشام" (١٢).  
وروي عن الضحاك مثله (١٣).

وعن ابن عباس، قوله: "وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة}، قال: الأرض التي باركنا فيها: هي الأرض المقدسة" (١٤).

(١) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٢) تفسير الطبري: ٣٨٦ / ٢٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٠٨ / ٦ - ٥٠٩.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٨٦ / ٢٠ - ٣٨٧.

(٥) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٤١١): ص ٦٢ / ٣.

(٦) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٤١١): ص ٦٢ / ٣.

(٧) تفسير الطبري: ٣٨٦ / ٢٠.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٨٧ / ٢٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٨٧ / ٢٠.

(١٠) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٤١٢): ص ٦٢ / ٣.

(١١) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٤١٣): ص ٦٢ / ٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٣٨٧ / ٢٠.

(١٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(١٤) أخرجه الطبري: ٣٨٦ / ٢٠.

قال ابن زيد: " كان بين قريتهم وقرى الشام قرى ظاهرة، قال: إن كانت المرأة لتخرج معها مغزلها ومكتلها على رأسها، تروح من قرية وتغدوها، وتبيت في قرية لا تحمل زادا ولا ماء لما بينها وبين الشام" (١).

قوله تعالى: {وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ} [سبأ : ١٨]، أي: " وجعلنا السير فيها سيراً مقدراً من منزل إلى منزل لا مشقة فيه" (٢).

قال ابن قتيبة: أي: جعلنا ما بين القرية والقرية مقداراً واحداً" (٣).

قال الطبري: يقول: " وجعلنا بين قراهم والقرى التي باركنا فيها سيرا مقدرا من منزل إلى منزل وقرية إلى قرية، لا ينزلون إلا في قرية ولا يغدون إلا من قرية" (٤).

قال الحسن: " يصبحون في منزل وقرية وماء، ويمسون في منزل وقرية وماء" (٥).

قوله تعالى: {سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ} [سبأ : ١٨]، أي: " وقلنا لهم: سيروا في تلك القرى في أي وقت شئتم من ليل أو نهار، آمنين لا تخافون عدواً، ولا جوعاً ولا عطشاً" (٦).

قال الطبري: " يقول: وقلنا لهم سيروا في هذه القرى ما بين قراكم والقرى التي باركنا فيها ليالي وأياماً آمنين لا تخافون جوعاً ولا عطشاً، ولا من أحد ظلماً" (٧).

عن ابن زيد، قوله: " {وأياماً آمنين}، قال: ليس فيها خوف" (٨).

قال قتادة: " لا يخافون ظلماً ولا جوعاً، وإنما يغدون فيقبلون، ويروحون فيبيتون في قرية أهل جنة ونهر، حتى لقد ذكر لنا أن المرأة كانت تضع مكتلها على رأسها، وتمتهن بيدها، فيمتلئ مكتلها من الثمر قبل أن ترجع إلى أهلها من غير أن تخترف شيئاً، وكان الرجل يسافر لا يحمل معه زادا ولا سقاء مما بسط للقوم" (٩).

## القرآن

{فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فُجَعَلْنَا لَهُمْ أَحَادِيثٌ وَمَرَّقْنَاَهُمْ كُلَّ مُمَرَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (١٩)} [سبأ : ١٩]

التفسير:

فبطغيانهم ملؤا الراحة والأمن ورغد العيش، وقالوا: ربنا اجعل فرانا متباعدة؛ ليبعد سفرنا بينها، فلا نجد قرى عامرة في طريقنا، وظلموا أنفسهم بكفرهم فأهلكناهم، وجعلناهم عبراً وأحاديث لمن يأتي بعدهم، وفرقناهم كل تفريق وخربت بلادهم، إن فيما حل «بسبأ» لعبرة لكل صبار على المكروه والشدائد، شكور لنعم الله تعالى.

قوله تعالى: {فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا} [سبأ : ١٩]، أي: " فبطغيانهم ملؤا الراحة والأمن ورغد العيش، وقالوا: ربنا اجعل فرانا متباعدة؛ ليبعد سفرنا بينها، فلا نجد قرى عامرة في طريقنا" (١٠).

قال الطبري: يقول: " فقالوا: يا ربنا باعد بين أسفارنا؛ فاجعل بيننا وبين الشام فلات ومفاوز، لنركب فيها الرواحل، وننزود معنا فيها الأزواد، وهذا من الدلالة على بطر القوم نعمة الله عليهم وإحسانه إليهم، وجهلهم بمقدار العافية، ولقد عجل لهم ربهم الإجابة، كما عجل

(١) أخرجه الطبري: ٣٨٧ / ٢٠.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٣) غريب القرآن: ٣٥٦.

(٤) تفسير الطبري: ٣٨٧ / ٢٠.

(٥) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٥٥/٢.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٧) تفسير الطبري: ٣٨٧-٣٨٨ / ٢٠.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٨٨ / ٢٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٨٨ / ٢٠.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٣٠.

للقائلين: {وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [الأنفال : ٣٢]، أعطاهم ما رغبوا إليه فيه وطلبوا من المسألة<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير: "وذلك أنهم بطروا هذه النعمة، وأحبوا مفاوز ومهامه يحتاجون في قطعها إلى الزاد والرواحل والسير في الحرور والمخاوف، كما طلب بنو إسرائيل من موسى أن يخرج الله لهم مما تنبت الأرض، من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها، مع أنهم كانوا في عيش رغيد في من وسلوى وما يشتهون من مآكل ومشرب وملابس مرتفعة؛ ولهذا قال لهم: {أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ} [البقرة : ٦١]، وقال تعالى: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا} [القصص : ٥٨]، وقال تعالى: {وَضُرِبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةٍ كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} [النحل : ١١٢]"<sup>(٢)</sup>.

قال أبو مالك: "كانت لهم قرى متصلة باليمن، كان بعضها ينظر إلى بعض، فبطروا ذلك، وقالوا: ربنا باعد بين أسفارنا، قال: فأرسل الله عليهم سيل العرم، وجعل طعامهم أثلا وخطا وشيئا من سدر قليل"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن عباس: "فإنهم بطروا عيشهم، وقالوا: لو كان جنى جناتنا أبعد مما هي كان أجدر أن نشتهي، فمزقوا بين الشام وسبأ، وبدلوا بجننتهم جننتين ذواتي أكل خمط، وأثل وشيء من سدر قليل"<sup>(٤)</sup>.

عن ابن زيد، قوله: {فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا}، حتى نبئت في القلوات والصحاري، {فَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ}"<sup>(٥)</sup>.

قال قتادة: "بطر القوم نعمة الله وغمطوا كرامة الله، قال الله: {ووظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث}"<sup>(٦)</sup>.

قال الحسن: "إنهم ملوا النعمة كما ملت بنو إسرائيل المن والسلوى"<sup>(٧)</sup>.  
وعن الكلبي: "إنهم قالوا لرسلم حين ابتلوا حين كذبوهم: قد كنا نأتي عليكم وأرضنا عامرة، خير أرض، فكيف اليوم وأرضنا خراب"<sup>(٨)</sup>.  
وقراه قوم: "ربنا بعد بين أسفارنا"<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: {وَوَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ} [سبأ : ١٩]، أي: "وظلموا أنفسهم بكفرهم وجحودهم النعمة"<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: بكفرهم"<sup>(١١)</sup>.  
قال الطبري: "وكان ظلمهم إياها عملهم بما يسخط الله عليهم من معاصيه مما يوجب لهم عقاب الله"<sup>(١٢)</sup>.

قوله تعالى: {فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ} [سبأ : ١٩]، أي: "وجعلناهم عبراً وأحاديث لمن يأتي بعدهم"<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ٣٨٩ / ٢٠.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٠٩ / ٦.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٨٩ / ٢٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٨٩ / ٢٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٩٠ / ٢٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٨٩ / ٢٠.

(٧) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٥٥ / ٢.

(٨) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٥٥ / ٢.

(٩) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١٤٧ / ٢.

(١٠) صفوة التفاسير: ٥٠٦ / ٢.

(١١) تفسير ابن كثير: ٥٠٩ / ٦.

(١٢) تفسير الطبري: ٣٩٠ / ٢٠.

قال ابن قتيبة: أي: عظة ومعتبرا<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: "يقول: صيرناهم أحاديث للناس يضربون بهم المثل في السب، فيقال: تفرق القوم أيادي سبا، وأيدي سبا إذا تفرقوا وتقطعوا"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: جعلناهم حديثا للناس، وسَمَرًا يتحدثون به من خبرهم، وكيف مكر الله بهم، وفرق شملهم بعد الاجتماع والألفة والعيش الهنيء تفرقوا في البلاد هاهنا وهاهنا"<sup>(٤)</sup>.

قال الفراء: "صاروا مثلا عند العرب. والعرب تقول: تفرقوا أيادي سبا وأيادي سبا قال الشاعر<sup>(٥)</sup>:

عينا ترى الناس إليها نيسبا ... من صادر ووارد أيدي سبا"<sup>(٦)</sup>.

إبراهيم بن حبيب بن الشهيد، سمعت أبي يقول: "سمعت عكرمة يحدث بحديث أهل سبا، قال: { لَقَدْ كَانَ لِسَبَا فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ } إلى قوله: { فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ } وكانت فيهم كهنة، وكانت الشياطين يسترقون السمع، فأخبروا الكهنة بشيء من أخبار السماء، فكان فيهم رجل كاهن شريف كثير المال، وإنه خُبِرَ أن زوال أمرهم قد دنا، وأن العذاب قد أظلمهم. فلم يدر كيف يصنع؛ لأنه كان له مال كثير من عقار، فقال لرجل من بنيه - وهو أعزهم أخوالا - : إذا كان غدا وأمرتك بأمر فلا تفعل، فإذا انتهرتك فانتهرني، فإذا تناولتكم فالطمني. فقال: يا أبت، لا تفعل، إن هذا أمر عظيم، وأمر شديد، قال: يا بني، قد حدث أمر لا بد منه. فلم يزل به حتى وافاه على ذلك. فلما أصبحوا واجتمع الناس، قال: يا بني، افعل كذا وكذا. فأبى، فانتهره أبوه، فأجابته، فلم يزل ذلك بينهما حتى تناوله أبوه، فوثب على أبيه فطمه، فقال: ابني يلطمني؟ عليّ بالشفرة. قالوا: وما تصنع بالشفرة؟ قال: أدبجه. قالوا: تذبج ابنك. الطمه أو اصنع ما بدا لك. قال: فأبى، قال: فأرسلوا إلى أخواله فأعلموهم ذلك، فجاء أخواله فقالوا: خذ منا ما بدا لك. فأبى إلا أن يذبجه. قالوا: فلتموتن قبل أن تذبجه. قال: فإذا كان الحديث هكذا فإني لا أرى أن أقيم ببلد يحال بيني وبين ولدي فيه، اشتروا مني دوري، اشتروا مني أرضي، فلم يزل حتى باع دوره وأرضيه وعقاره، فلما صار الثمن في يده وأحرزه، قال: أي قوم، إن العذاب قد أظلمكم، وزوال أمركم قد دنا، فمن أراد منكم دارا جديدا، وجملا شديدا، وسفرا بعيدا، فليلق بعمان. ومن أراد منكم الخمر والخمير والعصير - وكلمة، قال إبراهيم: لم أحفظها - فليلق ببصرى، ومن أراد الراسخات في الوحل، المطاعم في المحل، المقيمات في الضحل، فليلق بيثرب ذات نخل. فأطاعه قومه فخرج أهل عمان إلى عمان. وخرجت غسان إلى بصرى. وخرجت الأوس والخزرج وبنو عثمان إلى يثرب ذات النخل. قال: فأتوا على بطن مر فقال بنو عثمان: هذا مكان صالح، لا نبغي به بدلا. فأقاموا به، فسموا لذلك خزاعة، لأنهم انزعوا من أصحابهم، واستقامت الأوس والخزرج حتى نزلوا المدينة، وتوجه أهل عمان إلى عمان، وتوجهت غسان إلى بصرى"<sup>(٧)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٢) غريب القرآن: ٣٥٦.

(٣) تفسير الطبري: ٣٩٠ / ٢٠.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٠٩ / ٦.

(٥) هو دكين الراجز. والنيسب: الطريق المستقيم الواضح يريد سالكين هذا الطريق. وفي اللسان (نسب) عن ابن برى أن الذي في رجز دكين:

ملكا ترى الناس إليه نيسبا ... من داخل وخارج أيدي سبا

ويروى: من صادر أو وراة.

(٦) معاني القرآن: ٣٥٨ / ٢.

(٧) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٠٩ / ٦ - ٥١٠، قال ابن كثير: "هذا أثر غريب عجيب، وهذا الكاهن هو عمرو بن عامر أحد رؤساء اليمن وكبراء سبا وكهانهم".

قوله تعالى: {وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ} [سبأ : ١٩]، أي: "وَفَرَّقْنَاهُمْ كُلَّ تَفْرِيقٍ وَخَرَّبْتُ بِلَادَهُمْ"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: "يقول: وقطعناهم في البلاد كل مقطع"<sup>(٢)</sup>.

قال أبو عبيدة: "أي: قطعناهم وفرقناهم"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن قتيبة: فرقناهم في كل وجه. ولذلك قالت العرب للقوم إذا أخذوا في وجوه مختلفة: تفرقوا أيدي سبا. و«أيدي»<sup>(٤)</sup>، بمعنى: مذاهب وطرق"<sup>(٥)</sup>.

قال عامر الشعبي: "أما غسان فقد لحقوا بالشأم، وأما الأنصار فلحقوا بيثرب، وأما خزاعة فلحقوا بتهامة، وأما الأزد فلحقوا بعمان"<sup>(٦)</sup>.

قال ابن إسحاق: "يزعمون أن عمران بن عامر وهو عم القوم كان كاهنا، فرأى في كهانته أن قومه سيمزقون ويتباعدون؛ فقال لهم: إني قد علمت أنكم ستمزقون، فمن كان منكم ذا هم بعيد وجمل شديد ومزاد جديد فليلحق بكأس أو كرود، قال: فكانت وادعة بن عمرو، ومن كان منكم ذا هم مدن وأمرد عن فليلحق بأرض شن فكانت عوف بن عمرو، وهم الذين يقال لهم بارق، ومن كان منكم يريد عيشا أيننا وحرما أمنا فليلحق بالأرزين فكانت خزاعة، ومن كان يريد الراسيات في الوحل المطعمات في المحل فليلحق بيثرب ذات النخل فكانت الأوس والخزرج فهما هذان الحيان من الأنصار، ومن كان يريد خمرا وخميرا وذهبا وحريرا وملكا وتأميرا فليلحق بكوسى وبصرى فكانت غسان بنو جفنة ملوك الشأم ومن كان منهم بالعراق، قال ابن إسحاق: قد سمعت بعض أهل العلم يقول: إنما قالت هذه المقالة طريفة امرأة عمران بن عامر، وكانت كاهنة، فرأت في كهانته ذلك، والله أعلم أي ذلك كان، قال: فلما تفرقوا، نزلوا على كهانة عمران بن عامر"<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} [سبأ : ١٩]، أي: "إن فيما حل «بسبأ» لعبرة لكل صَبَّارٍ على المكاره والشدائد، شكور لنعم الله تعالى"<sup>(٨)</sup>.

قال الطبري: يقول: "إن في تمزيقناهم كل ممزق لآيات، يقول: لعظة وعبرة ودلالة على واجب حق الله على عبده من الشكر على نعمه إذا أنعم عليه وحقه من الصبر على محنته إذا امتحنه ببلاء لكل صبار شكور على نعمه"<sup>(٩)</sup>.

قال قتادة: "كان مطرف يقول: نعم العبد الصبار الشكور الذي إذا أعطي شكر وإذا ابتلي صبر"<sup>(١٠)</sup>.

فوائد الآيات: [١٥-١٩]:

- ١- التحذير من الإعراض عن دين الله فإنه متى حصل لأمة نزلت بها النقم وسلبها الله النعم. وكم هذه الحال مشاهدة هنا وهناك لا بين الأمم والشعوب فحسب بل حتى بين الأفراد.
- ٢- التحذير من كفر النعم بالإسراف فيها وصرفها في غير مرضاة الله واهبها عز وجل.
- ٣- خطر الحسد وأنه داء لا دواء له، والعياذ بالله يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.
- ٤- فضيلة الصبر والشكر وعلو شأن الصبور الشكور.

(١) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٢) تفسير الطبري: ٣٩٠ / ٢٠.

(٣) مجاز القرآن: ١٤٧/٢.

(٤) اللسان ٨٧/١-٨٨.

(٥) غريب القرآن: ٣٥٦.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٩٠ / ٢٠.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٩٠-٣٩١.

(٨) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٩) تفسير الطبري: ٣٩١ / ٢٠.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٩١ / ٢٠.

## القرآن

{وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِنَّهُ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠)} [سبأ : ٢٠]

التفسير:

ولقد ظن إبليس ظناً غير يقين أنه سيضل بني آدم، وأنهم سيطيعونه في معصية الله، فصدق ظنه عليهم، فأطاعوه وعصوا ربهم إلا فريقاً من المؤمنين بالله، فإنهم ثبتوا على طاعة الله.

قوله تعالى: {وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ} [سبأ : ٢٠]، أي: "ولقد ظن إبليس ظناً غير يقين أنه سيضل بني آدم، وأنهم سيطيعونه في معصية الله، فصدق ظنه عليهم"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: يقول: "ولقد ظن إبليس بهؤلاء الذين بدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط عقوبة منا لهم، ظناً غير يقين، علم أنهم يتبعونه ويطيعونه في معصية الله فصدق ظنه عليهم بإغوائه إياهم"<sup>(٢)</sup>.

قال السعدي: "يحتمل أن قصة سبأ، انتهت عند قوله: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ}، ثم ابتداء فقال: {وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ} أي: على جنس الناس، فتكون الآية عامة في كل من اتبعه"<sup>(٣)</sup>.

عن ابن عباس، أنه قرأ: {وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ}، مشددة، وقال: ظن ظناً فصدق ظنه"<sup>(٤)</sup>.

قال مجاهد: "يقول: صدق إبليس ظنه فيهم حيث جاء أمرهم على ما ظن"<sup>(٥)</sup>.

قال الحسن: "ظن ظنه ولم يقل ذلك بعلم، يقول: فصدق ظنه فيهم"<sup>(٦)</sup>.

قال قتادة: "والله ما كان إلا ظناً ظنه، فنزل الناس عند ظنه"<sup>(٧)</sup>.

قال قتادة: "قال الله: ما كان إلا ظناً ظنه، والله لا يصدق كاذباً ولا يكذب صادقاً"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن الجوزي: "صدقته في ظنه أنه ظن بهم أنهم يتبعونه إذ أغواهم، فوجدهم كذلك. وإنما قال: ولأضلنهم ولأمنينهم بالظن، لا بالعلم"<sup>(٩)</sup>.

وفي قوله تعالى: {وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ} [سبأ : ٢٠]، وجوه من التفسير:

أحدها: أنه لما أهبط آدم من الجنة ومعه حواء، وهبط إبليس، قال إبليس أما إذ أصيب من الأبوين ما أصبت فالذرية أضعف وأضعف وكان ظناً من إبليس، فأنزل الله تعالى: {وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ}. قاله الحسن<sup>(١٠)</sup>.

وقال الحسن: "فقال عند ذلك إبليس: "لا أفارق ابن آدم ما دام فيه الروح، أعدته وأمّيته وأخذه". فقال الله: «وعزتي لا أحجب عنه التوبة ما لم يُغرغر بالموت، ولا يدعوني إلا أحبته، ولا يسألني إلا أعطيته، ولا يستغفري إلا غفرت له»"<sup>(١١)</sup>.

الثاني: أن إبليس إذ قال: خُلِقْتُ من نار وخلق آدم من طين والنار تحرق كل شيء، لأحتكن ذريته إلا قليلاً، فصدق ظنه عليه، قاله ابن عباس<sup>(١٢)</sup>، ومقاتل<sup>(١٣)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٢) تفسير الطبري ٣٩٢/٢٠.

(٣) تفسير السعدي: ٦٧٧.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٩٢ / ٢٠.

(٥) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٥٦/٢.

(٦) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٥٦/٢.

(٧) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٣٩١): ص ٥٦/٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٩٢ / ٢٠.

(٩) زاد المسير: ٤٩٦/٣.

(١٠) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥١٣/٦.

(١١) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥١٣/٦.

(١٢) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ٤٤٧/٤، والقرطبي في التفسير: ٢٩٢/١٤-٢٩٣.

(١٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣١/٣.

الثالث : أنه قال : يا رب أرأيت هؤلاء القوم الذين كرمتهم وشرقتهم وفضلتهم على لا تجد أكثرهم شاكرين ، وكان ذلك ظنا منه بغير علم، فصدق عليهم ظنه ، قاله ابن زيد<sup>(١)</sup>.  
 الرابع : أنه ظن أنه إن أغواهم أجابوه وإن أضلهم أطاعوه فصدق ظنه فاتبعوه قاله الكلبي<sup>(٢)</sup>.  
 وقرئ: «ولقد صدق» بتخفيف الدال، بمعنى: ولقد صدق عليهم ظنه<sup>(٣)</sup>.  
 قوله تعالى: {فَاتَّبِعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ} [سبأ : ٢٠]، أي: " فأطاعوا إبليس وعصوا ربهم إلا فريقًا من المؤمنين بالله، فإنهم ثبتوا على طاعة الله"<sup>(٤)</sup>.  
 قال الطبري: يقول: " أطاعوه وعصوا ربهم إلا فريقًا من المؤمنين بالله فإنهم ثبتوا على طاعة الله ومعصية إبليس"<sup>(٥)</sup>.

قال السمعاني: " يعني: إلا كل المؤمنين، هكذا قاله أكثر أهل التفسير؛ لأن المؤمنين لم يتبعوه في أصل الدين، وقد قال الله تعالى: {إن عبادي ليس لك عليهم سلطان}، يعني: المؤمنين وعن بعضهم: إلا فريقًا من المؤمنين: خواص المؤمنين؛ وهم الذين يطيعون الله ولا يعصونه"<sup>(٦)</sup>.

قال الزمخشري: " وقلل المؤمنين بقوله: {إلا فريقًا}، لأنهم قليل بالإضافة إلى الكفار، كما قال {لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء : ٦٢]، {وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ} [الأعراف : ١٧]"<sup>(٧)</sup>.

عن سفيان بن عيينة -من طريق ابن أبي عمر- في قوله: "ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقًا من المؤمنين}، قال: إن الناس يظنون أن الفريق قليل وهم كثير، قال الله - جل ذكره-: {فريق في الجنة وفريق في السعير} [الشورى : ٧]"<sup>(٨)</sup>.

## القرآن

{وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٢١)} [سبأ : ٢١]  
 التفسير:

وما كان لإبليس على هؤلاء الكفار من قهر على الكفر، ولكن حكمة الله اقتضت تسويله لبني آدم؛ ليظهر ما علمه سبحانه في الأزل؛ لنميز من يصدق بالبعث والثواب والعقاب ممن هو في شك من ذلك. وربك على كل شيء حفيظ، يحفظه ويجازي عليه.

قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ} [سبأ : ٢١]، أي: " وما كان لإبليس على هؤلاء الكفار من قهر على الكفر، ولكن حكمة الله اقتضت تسويله لبني آدم؛ ليظهر ما علمه سبحانه في الأزل؛ لنميز من يصدق بالبعث والثواب والعقاب ممن هو في شك من ذلك، وقيل: إلا لنعلم ذلك موجودا ظاهرا ليستحق به الثواب أو العقاب"<sup>(٩)</sup>.

(١) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٢ / ٢٠.

(٢) انظر: النكت والعيون: ٤٤٧ / ٤.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٩١ / ٢٠.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٥) تفسير الطبري ٣٩٢ / ٢٠.

(٦) تفسير السمعاني: ٣٣٠ / ٤.

(٧) الكشف: ٥٧٩ / ٣.

(٨) أخرجه إسحاق البستي ص ١٥٤.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٠.



قال الطبري: يقول: "وما كان لإبليس على هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم من حجة يضلهم بها إلا بتسليطناه عليهم؛ ليعلم حزينا وأوليأونا من يصدق بالبعث والثواب والعقاب {ممن هو منها في شك} فلا يوقن بالمعاد، ولا يصدق بثواب ولا عقاب"<sup>(١)</sup>.

قال الزمخشري: "وما كان له عليهم من تسليط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء إلا لغرض صحيح وحكمة بينة، وذلك أن يتميز المؤمن بالآخرة من الشاك فيها، وعلل التسليط بالعلم والمراد ما تعلق به العلم"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: إنما سلطناه عليهم ليظهر أمر من هو مؤمن بالآخرة وقيامها والحساب فيها والجزاء، فيحسن عبادة ربه عز وجل في الدنيا، ممن هو منها في شك"<sup>(٣)</sup>.

قال السمعاني: "وما كان له عليهم من سلطان {أي: من سلطان على المؤمنين، وقوله: {إلا لنعلم} معناه: لكي نعلم {من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك} أي: لنعلم المؤمن من الكافر علم وقوع، وقد علم علم الغيب، وقد بينا هذا من قبل. قال ابن فارس: هذا على عادة كلام العرب مع الجهلة، فإنك لو قلت: السكين تقطع اللحم، أو اللحم يقطع السكين، وقد علم قطعا أن السكين هو الذي يقطع اللحم، ولكن يخرج الكلام على خطاب الجاهل، وتقرير الأمر له"<sup>(٤)</sup>.

قال يحيى: "وإنما جحد المشركون الآخرة ظنا منهم، وذلك منهم على الشك"<sup>(٥)</sup>.  
قال الحسن: "والله ما ضربهم بعصا ولا سيف ولا سوط، إلا أمانى وغرورا دعاهم إليها"<sup>(٦)</sup>.

قال قتادة: "وإنما كان بلاء ليعلم الله المؤمن من الكافر"<sup>(٧)</sup>.

وقرى: «ليعلم»، على البناء للمفعول<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: {وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ} [سبأ: ٢١]، أي: وربك على كل شيء حفيظ، يحفظه ويجازي عليه"<sup>(٩)</sup>.

قال الطبري: يقول: "وربك يا محمد على أعمال هؤلاء الكفرة به، وغير ذلك من الأشياء كلها {حفيظ} لا يعزب عنه علم شيء منه، وهو مجاز جميعهم يوم القيامة بما كسبوا في الدنيا من خير وشر"<sup>(١٠)</sup>.

قال السمعاني: "أي: رقيب"<sup>(١١)</sup>.

قال يحيى: "حتى يجازيهم في الآخرة"<sup>(١٢)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: ومع حفظه ضلّ من ضلّ من اتباع إبليس، وبحفظه وكلاءته سلّم من سلّم من المؤمنين أتباع الرسل"<sup>(١٣)</sup>.

قال السعدي: "يحفظ العباد، ويحفظ عليهم أعمالهم، ويحفظ تعالى جزاءها، فيوفيهما إياها، كاملة موفرة"<sup>(١٤)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ٣٩٣/٢٠.

(٢) الكشاف: ٥٧٩/٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥١٣/٦.

(٤) تفسير السمعاني: ٣٣٠/٤.

(٥) تفسير يحيى بن سلام: ٧٥٧/٢.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٩٣/٢٠.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٩٣/٢٠.

(٨) انظر: الكشاف: ٥٧٩/٣.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(١٠) تفسير الطبري: ٣٩٣/٢٠.

(١١) تفسير السمعاني: ٣٣٠/٤.

(١٢) تفسير يحيى بن سلام: ٧٥٧/٢.

(١٣) تفسير ابن كثير: ٥١٣/٦.

(١٤) تفسير السعدي: ٦٧٧.

## القرآن

{قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢٢)} [سبأ : ٢٢]  
التفسير:

قل -أيها الرسول- للمشركين: ادعوا الذين زعمتموهم شركاء لله فعبدتموهم من دونه من الأصنام والملائكة والبشر، واقصدوهم في حوائجكم، فإنهم لن يجيبوكم، فهم لا يملكون وزن نملة صغيرة في السموات ولا في الأرض، وليس لهم شراكة فيهما، وليس لله من هؤلاء المشركين معين على خلق شيء، بل الله -سبحانه وتعالى- هو المتفرد بالإيجاد، فهو الذي يُعْبَدُ وحده، ولا يستحق العبادة أحد سواه.

قوله تعالى: {قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [سبأ : ٢٢]، أي: "قل -أيها الرسول- للمشركين: ادعوا الذين زعمتموهم شركاء لله فعبدتموهم من دونه من الأصنام والملائكة والبشر، واقصدوهم في حوائجكم"<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير: "أي : من الآلهة التي عبدت من دونه"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: يقول: " فهذا فعلنا بولينا ومن أطاعنا، داود وسليمان الذي فعلنا بهما من إنعامنا عليهما النعم التي لا كفاء لها إذ شكرانا، وذلك فعلنا بسبأ الذين فعلنا بهم، إذ بطروا نعمتنا وكذبوا رسلنا وكفروا أيادينا، فقل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم من قومك الجاحدين نعمنا عندهم: ادعوا أيها القوم الذين زعمتم أنهم لله شريك من دونه، فسلوهم أن يفعلوا بكم بعض أفعالنا بالذين وصفنا أمرهم من إنعام أو إياس، فإن لم يقدرُوا على ذلك فاعلموا أنكم مبطلون؛ لأن الشركة في الربوبية لا تصلح ولا تجوز"<sup>(٣)</sup>.

قال الزمخشري: " قل لمشركي قومك ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله من الأصنام والملائكة وسميتوهم باسمه كما تدعون الله، والتجئوا إليهم فيما يعرفكم كما تلتجئون إليه، وانتظروا استجابتهم لدعائكم ورحمتهم كما تنتظرون أن يستجيب لكم ويرحمكم"<sup>(٤)</sup>.

قال السعدي: "أي: {قُلْ} يا أيها الرسول، للمشركين بالله غيره من المخلوقات، التي لا تنفع ولا تضر، ملزما لهم بعجزها، ومبيناً لهم بطلان عبادتها: {ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ} أي: زعمتموهم شركاء لله، إن كان دعاؤكم ينفع، فإنهم قد توفرت فيهم أسباب العجز، وعدم إجابة الدعاء من كل وجه"<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: {لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ} [سبأ : ٢٢]، أي: "فهم لا يملكون وزن نملة صغيرة في السموات ولا في الأرض"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: يقول: "إنهم لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض من خير ولا شر ولا ضر ولا نفع، فكيف يكون لها من كان كذلك"<sup>(٧)</sup>.

قال السعدي: أي: "على وجه الاستقلال، ولا على وجه الاشتراك"<sup>(٨)</sup>.

قال الزمخشري: "يريد: أنهم على هذه الصفة من العجز والبعد عن أحوال الربوبية، فكيف يصح أن يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى"<sup>(٩)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥١٣/٦.

(٣) تفسير الطبري: ٣٩٤/٤.

(٤) الكشف: ٥٧٩/٣.

(٥) تفسير السعدي: ٦٧٨.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٧) تفسير الطبري: ٣٩٤/٤.

(٨) تفسير السعدي: ٦٧٨.

(٩) الكشف: ٥٧٩/٣.

قوله تعالى: {وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ} [سبأ : ٢٢]، أي: "وليس لتلك الآلهة شركة مع الله لا خلقاً ولا ملكاً ولا تصرفاً"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: يقول: "ولا هم إذ لم يكونوا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض منفردين بملكه من دون الله يملكونه على وجه الشركة، لأن الأملاك في المملوكات لا تكون لمالكها إلا على أحد وجهين: إما مقسوماً، وإما مشاعاً، يقول: والتهتم التي يدعون من دون الله لا يملكون وزن ذرة في السماوات ولا في الأرض، لا مشاعاً ولا مقسوماً، فكيف يكون من كان هكذا شريكاً لمن له ملك جميع ذلك"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: لا يملكون شيئاً استقلالاً ولا على سبيل الشركة"<sup>(٣)</sup>.  
قال السعدي: "أي: لتلك الآلهة الذين زعمتم {فيهما} أي: في السماوات والأرض، {من شريك} أي: لا شرك قليل ولا كثير، فليس لهم ملك، ولا شركة ملك"<sup>(٤)</sup>.

قال قتادة: "يقول: ما لله من شريك في السماء ولا في الأرض"<sup>(٥)</sup>.  
قوله تعالى: {وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ} [سبأ : ٢٢]، أي: "وليس له تعالى من الآلهة معينٌ يعينه في تدبير أمرهما، بل هو وحده الخالق لكل شيء، المنفرد بالإيجاد والإعدام"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: "يقول: وما لله من الآلهة التي يدعون من دونه معين على خلق شيء من ذلك، ولا على حفظه، إذ لم يكن لها ملك شيء منه مشاعاً ولا مقسوماً، فيقال: هو لك شريك من أجل أنه أعان وإن لم يكن له ملك شيء منه"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: وليس لله من هذه الأنداد من ظهير يستظهر به في الأمور، بل الخلق كلهم فقراء إليه، عبيد لديه"<sup>(٨)</sup>.

قال قتادة: "وما له منهم} من الذين يدعون من دون الله، {من ظهير} من عون بشيء"<sup>(٩)</sup>.

قال السعدي: "بقي أن يقال: ومع ذلك، فقد يكونون أعواناً للمالك، ووزراء له، فدعائهم يكون نافعا، لأنهم - بسبب حاجة الملك إليهم - يقضون حوائج من تعلق بهم، فنفي تعالى هذه المرتبة فقال: {وَمَا لَهُ} أي: لله تعالى الواحد القهار {منهم} أي: من هؤلاء المعبودين {من ظهير} أي: معاون ووزير يساعده على الملك والتدبير"<sup>(١٠)</sup>.

## القرآن

{وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} (٢٣) [سبأ : ٢٣]

التفسير:

ولا تنفع شفاعة الشافع عند الله تعالى إلا لمن أذن له. ومن عظمته وجلاله عز وجل أنه إذا تكلم سبحانه بالوحي فسمع أهل السماوات كلامه أرددوا من الهيبة، حتى يلحقهم مثل الغشي، فإذا زال الفزع عن قلوبهم سأل بعضهم بعضاً: ماذا قال ربكم؟ قالت الملائكة: قال الحق، وهو العليُّ بذاته وقهره وعلو قدره، الكبير على كل شيء.

(١) صفوة التفاسير: ٥٠٧/٢.

(٢) تفسير الطبري: ٣٩٤/٤.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥١٣/٦.

(٤) تفسير السعدي: ٦٧٨.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٩٥/٢٠.

(٦) صفوة التفاسير: ٥٠٧/٢.

(٧) تفسير الطبري: ٣٩٤/٤.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥١٣/٦-٥١٤.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٩٥/٢٠.

(١٠) تفسير السعدي: ٦٧٨.

قوله تعالى: {وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ} [سبأ : ٢٣]، أي: "ولا تنفع شفاعة الشافع عند الله تعالى إلا لمن أذن له"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: يقول: "ولا تنفع شفاعة شافع كائنا من كان الشافع لمن شفيع له، إلا أن يشفع لمن أذن الله في الشفاعه، يقول تعالى: فإذا كانت الشفاعات لا تنفع عند الله أحدا إلا لمن أذن الله في الشفاعه له، والله لا يأذن لأحد من أوليائه في الشفاعه لأحد من الكفرة به وأنتم أهل كفر به أيها المشركون، فكيف تعبدون من تعبدونه من دون الله زعما منكم أنكم تعبدونه ليقربكم إلى الله زلفى وليشفع لكم عند ربكم"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: "أي : لعظمته وجلاله وكبريائه لا يجترئ أحد أن يشفع عنده تعالى في شيء إلا بعد إذنه له في الشفاعه ، كما قال تعالى : { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } [البقرة : ٢٥٥] ، وقال : { وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُعْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذِنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى } [النجم : ٢٦] ، وقال : { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفَعُونَ } [الأنبياء : ٢٨]"<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ} [سبأ : ٢٣]، أي: "ومن عظمته وجلاله عز وجل أنه إذا تكلم سبحانه بالوحي فسمع أهل السماوات كلامه أوعدا من الهيبة، حتى يلحقهم مثل الغشي، فإذا زال الفزع عن قلوبهم سأل بعضهم بعضاً: ماذا قال ربكم؟ قالت الملائكة: قال الحق"<sup>(٤)</sup>.

قال الطبري: "معنى الكلام: لا تنفع الشفاعه عنده إلا لمن أذن له أن يشفع عنده، فإذا أذن الله لمن أذن له أن يشفع فزع لسماعه إذنه، حتى إذا فزع عن قلوبهم فجلي عنها، وكشف الفزع عنهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالت الملائكة: الحق"<sup>(٥)</sup>.

قال المراغي: "أي: يقف الناس منتظرين الإذن بالشفاعة وجلين حتى إذا أذن للشافعين وأزيل الفزع عن قلوب المنتظرين قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم في الإذن بالشفاعة؟ قالوا قال ربنا القول الحق، وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى. والآيات تدل على أن المشفوع لهم هم المؤمنون، والكافرون بمعزل عن موقف الاستشفاع"<sup>(٦)</sup>.

وفي قوله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ} [سبأ : ٢٣]، وجوه من التفسير: أحدها : معناه: جلي عن قلوبهم الفزع، قاله ابن عباس<sup>(٧)</sup>، وقناة<sup>(٨)</sup>.

وقال قطرب : "أخرج ما فيها من الخوف"<sup>(٩)</sup>.

وقال أبو عبيدة: "نفس الفزع عن قلوبهم وطير عنها"<sup>(١٠)</sup>.

وقال ابن قتيبة: "خفف عنها الفزع"<sup>(١١)</sup>.

الثاني : كشف عن قلوبهم الغطاء يوم القيامة ، قاله مجاهد<sup>(١٢)</sup>.

الثالث : أنهم دعوا فاستجابوا من قبورهم مأخوذ من الفزع الذي هو الدعاء والاستصراخ، فسمي الداعي فزعاً والمجيب فزعاً. حكاه الماوردي وأبو حيان<sup>(١٣)</sup>، قال زهير<sup>(١)</sup>:

(١) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٢) تفسير الطبري: ٣٩٥ / ٢٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥١٤ / ٦.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٥) تفسير الطبري: ٤٠٠ / ٢٠.

(٦) تفسير المراغي: ٧٨ / ٢٢.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٥ / ٢٠.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٦ / ٢٠.

(٩) نقلا عن: النكت والعيون: ٤٤٨ / ٤.

(١٠) مجاز القرآن: ١٤٧ / ٢.

(١١) غريب القرآن: ٣٥٦.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٥ - ٣٩٦.

(١٣) انظر: النكت والعيون: ٤٤٨ / ٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٤٦ / ٨.

إذا فزعوا طاروا إلى مستغيثهم ... طوال الرماح لا قصار ولا عُزْلُ  
الرابع : وهو تفسير قراءة الحسن : «حتى فرغ عن قلوبهم»<sup>(٢)</sup>، بالغين معجمة، وفي معناها  
وجهان:

الأول: يعني: فرغ ما فيها ما فيها من الشك والتكذيب. قاله الحسن<sup>(٣)</sup>، وروي عن ابن زيد  
نحوه<sup>(٤)</sup>.

الثاني: يعني: صارت فارغة من الفزع الذي كان حل بها. ذكره الطبري<sup>(٥)</sup>، وابن قتيبة<sup>(٦)</sup>.  
قال الطبري: "دُكر عن مجاهد أنه قرأ ذلك «فُزِعَ» بمعنى: كشف الله الفزع عنها"<sup>(٧)</sup>.  
واختلف أهل التفسير في الموصوفين بهذه الصفة من هم؟ وما السبب الذي من أجله  
فزع عن قلوبهم؟، وفيه أقوال:

أحدها: أن الذي فزع عن قلوبهم هم الملائكة، وذلك من غشية تصيبهم عند سماعهم الله تعالى  
بالوحي. وهذا قول ابن مسعود<sup>(٨)</sup>، وابن عباس<sup>(٩)</sup>، ومسروق<sup>(١٠)</sup>، وسعيد<sup>(١١)</sup>، وقتادة<sup>(١٢)</sup>،  
والكلبي<sup>(١٣)</sup>، ومقاتل<sup>(١٤)</sup>، وبه قال الطبري<sup>(١٥)</sup>، ابن عطية<sup>(١٦)</sup>، وأبو حيان<sup>(١٧)</sup>، والثعالبي<sup>(١٨)</sup>،  
وابن كثير<sup>(١٩)</sup>.

قال الطبري: "بالصواب القول الذي ذكره الشعبي عن ابن مسعود لصحة الخبر الذي  
ذكرناه عن ابن عباس عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتأييده"<sup>(٢٠)</sup>.

قال ابن كثير: "وهذا أيضا مقام رفيع في العظمة. وهو أنه تعالى إذا تكلم بالوحي ، سمع  
أهل السموات كلامه ، أرعدوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشي، {حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ }  
أي : زال الفزع عنها، فإذا كان كذلك يسأل بعضهم بعضا : ماذا قال ربكم ؟ فيخبر بذلك حملة  
العرش للذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم لمن تحتهم ، حتى ينتهي الخبر إلى أهل السماء الدنيا؛  
ولهذا قال : { قَالُوا الْحَقُّ } أي : أخبروا بما قال من غير زيادة ولا نقصان.. وقد اختار ابن  
جرير القول الأول : أن الضمير عائد على الملائكة هذا هو الحق الذي لا مريّة فيه ، لصحة  
الأحاديث فيه والآثار"<sup>(٢١)</sup>.

(١) انظر: النكت والعيون: ٤٤٨/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٤٦/٨، وتفسير الالوسي: ٣١٢/١١.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٠/٢٠.

(٣) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٢٤/٦، وانظر: النكت والعيون: ٤٤٨/٤.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٣٩٩-٤٠٠.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٤٠٠.

(٦) انظر: غريب القرآن: ٣٥٧.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠ / ٤٠٠.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٣٩٦-٣٩٧.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٣٩٨.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٣٩٦.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٣٩٧.

(١٢) انظر: تفسير عبدالرزاق (٢٤٢٠): ص ٦٤/٣.

(١٣) انظر: تفسير عبدالرزاق (٢٤٢٠): ص ٦٤/٣.

(١٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٢/٣.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٤٠٠.

(١٦) انظر: المحرر الوجيز: ٤١٨/٤.

(١٧) انظر: البحر المحيط: ٥٤٣/٨.

(١٨) انظر: الجواهر الحسان: ٣٧٣/٤.

(١٩) انظر: تفسير ابن كثير: ٥١٥/٦.

(٢٠) تفسير الكبير: ٤٠٠/٢٠. وانظر: خبر ابن مسعود في المصدر نفسه: ٣٩٦/٤.

(٢١) تفسير ابن كثير: ٥١٥/٦.

قال الثعالبي: "إنما هي في الملائكة إذا سمعت الوحي إلى جبريل، أو الأمر يأمر الله به، سمعت كجر سلسلة الحديد على الصفوان، فتفرع عند ذلك تعظيماً وهيباً لله تبارك وتعالى" (١).  
قال ابن عطية: "وتظاهرت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذه الآية أعني قوله {حتى إذا فرغ عن قلوبهم}، إنما هي الملائكة إذا سمعت الوحي إلى جبريل وبالأمر يأمر به سمعت كجر سلسلة الحديد على صفوان فتفرع عند ذلك تعظيماً وهيباً، وقيل خوف أن تقوم الساعة فإذا فرغ ذلك فرغ عن قلوبهم أي أطير الفرع عنها وكشف فيقول بعضهم لبعض ولجبريل ماذا قال ربكم فيقول المسئولون قال الحق وهو العلي الكبير وبهذا المعنى من ذكر الملائكة في صدر الآيات تتسق هذه الآية على الأولى، ومن لم يشعر أن الملائكة مشار إليهم من أول قوله: {الذين زعمتم} [سبأ: ٢٢] لم تتصل لهم هذه الآية بما قبلها فذلك اضطرب المفسرون في تفسيرها" (٢).

قال عبدالله بن مسعود: "إن الوحي إذا قضى في زوايا السماء، قال: مثل وقع الفولاذ على الصخرة، قال: فيشفقون لا يدرون ما حدث فيفزعون، فإذا مرت بهم الرسل: {قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير}" (٣).

وقال ابن مسعود: "إذا حدث أمر عند ذي العرش سمع من دونه من الملائكة صوتاً كجر السلسلة على الصفا فيغشى عليهم، فإذا ذهب الفرع عن قلوبهم تتادوا: {ماذا قال ربكم}؟ قال: فيقول: من شاء قال الحق وهو العلي الكبير" (٤).

قال ابن عباس: "لما أوحى الله تعالى ذكره إلى محمد صلى الله عليه وسلم دعا الرسول من الملائكة فبعث بالوحي، سمعت الملائكة صوت الجبار يتكلم بالوحي فلما كشف عن قلوبهم سألوها عما قال الله فقالوا الحق وعلموا أن الله لا يقول إلا حقاً وأنه منجز ما وعد، قال ابن عباس: وصوت الوحي كصوت الحديد على الصفا فلما سمعوه خروا سجداً، فلما رفعوا رؤوسهم: {قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير} ثم أمر الله نبيه أن يسأل الناس {قل من يرزقكم من السماوات ...} إلى قوله: {في ضلال مبين}" (٥).

قال سعيد: "ينزل الأمر من عند رب العزة إلى السماء الدنيا؛ فيفرغ أهل السماء الدنيا، حتى يستبين لهم الأمر الذي نزل فيه، فيقول بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم؟ فيقولون: قال الحق وهو العلي الكبير، فذلك قوله: {حتى إذا فرغ عن قلوبهم ...}، الآية" (٦).

عن أبي هريرة، إن نبي الله صلى الله عليه وسلم، قال: "إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فرغ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع - هكذا بعضه فوق بعض - ووصف سفيان بيده - فحرفها وبد بين أصابعه - فيسمع الكلمة، فيلقبها إلى من تحته، ثم يلقبها الآخر إلى من تحته، حتى يلقبها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقبها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء" (٧).

عن النواس بن سمعان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أراد الله أن يوحى بأمره تكلم بالوحي، فإذا تكلم السموات منه رجفة - أو قال: رعدة - شديدة؛ من

(١) الجواهر الحسان: ٣٧٣/٤.

(٢) المحرر الوجيز: ٤١٨/٤، وانظر: البحر المحيط: ٥٤٣/٨.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٩٩-٣٩٨/٢٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٩٦/٢٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٩٨/٢٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٩٧/٢٠.

(٧) صحيح البخاري برقم (٤٨٠٠) وسنن أبي داود برقم (٣٩٨٩) وسنن الترمذي برقم (٣٢٢٣) وسنن ابن ماجه برقم (١٩٤).

خوف الله ، فإذا سمع بذلك أهل السموات صعقوا وخرروا لله سجدا ، فيكون أول مَنْ يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، فيمضي به جبريل على الملائكة ، كلما مرّ بسماء سماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول : قال : الحق ، وهو العلي الكبير . فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل ، فينتهي جبريل بالوحي حيث أمره الله من السماء والأرض<sup>(١)</sup> .

وقال مقاتل: " وذلك أن أهل السموات من الملائكة لم يكونوا سمعوا صوت الوحي ما بين زمن عيسى ومحمد- صلى الله عليه وسلم- وكان بينهما قريب من ستمائة عام، فلما نزل الوحي على محمد- صلى الله عليه وسلم- سمعوا صوت الوحي كوقع الحديد على الصفا، فخرروا سجدا مخافة القيامة، إذ هبط جبريل على أهل كل سماء فأخبرهم أنه الوحي، فذلك قوله- عز وجل:- {حتى إذا فزع عن قلوبهم} تجلى الفزع عن قلوبهم قاموا من السجود قالوا فتسأل الملائكة بعضها بعضا ماذا قال جبريل عن ربكم؟ {قالوا الحق}، يعني: الوحي"<sup>(٢)</sup> .

قال الزجاج: " وتفسير هذا أن جبريل عليه السلام كان لما نزل إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - بالوحي ظنت الملائكة أنه نزل لشيء من أمر الساعة فتفرعت لذلك، فلما انكشف عنها الفزع: {قالوا ماذا قال ربكم}، فسألت لأي شيء ينزل جبريل؟ {قالوا الحق}، أي: قالوا قال الحق"<sup>(٣)</sup> .

الثاني : أن الموصوفين هم الشفعاء من الملائكة والأنبياء، والمعنى: حتى إذا زال الفزع والخوف عن قلوب الشفعاء، من الملائكة والأنبياء، قال بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم في أمر الشفاعة؟ فأجابوهم بقولهم: قد أذن فيها للمؤمنين. ذكره الزمخشري<sup>(٤)</sup>، والقرطبي<sup>(٥)</sup>، واختاره الصابوني<sup>(٦)</sup> . ويدخل هذا القول في عموم القول الأول.

قال الزمخشري: " يفهم من هذا الكلام، من أن ثم انتظارا للإذن وتوقعا وتمهلا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعاء، هل يؤذن لهم أو لا يؤذن؟ وأنه لا يطلق الإذن إلا بعد ملي من الزمان، وطول من التربص، ومثل هذه الحال دل عليه قوله عز وجل: {رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا} [النبأ : ٣٧]، {يَوْمَ يَفُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا} [النبأ : ٣٨] ، كأنه قيل: يتربصون ويتوقفون كليا فزعين وهلين، {حتى إذا فزع عن قلوبهم}، أي: كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في إطلاق الإذن: تباشروا بذلك وسأل بعضهم بعضا ماذا قال ربكم قالوا قال الحق أي القول الحق، وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى"<sup>(٧)</sup> .

قال القرطبي: " إن الله تعالى يأذن للأنبياء والملائكة في الشفاعة وهم على غاية الفزع من الله، كما قال: {وهم من خشيته مشفقون} [الأنبياء: ٢٨] والمعنى: أنه إذا أذن لهم في الشفاعة وورد عليهم كلام الله فزعوا، لما يقترن بتلك الحال من الأمر الهائل والخوف أن يقع في تنفيذ ما أذن لهم فيه تقصير، فإذا سري عنهم قالوا للملائكة فوقهم وهم الذين يوردون عليهم الوحي بالإذن: {ماذا قال ربكم}، أي: ماذا أمر الله به، فيقولون لهم: {قالوا الحق}، هو أنه أذن لكم في الشفاعة للمؤمنين"<sup>(٨)</sup> .

(١) تفسير الطبري (٣٩٧/٢٠-٣٩٨)، والتوحيد لابن خزيمة ص (٩٥) ورواه ابن عاصم في السنة برقم

(٥١٥) من طريق محمد بن عوف ، عن نعيم بن حماد ، به.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٢/٣ .

(٣) معاني القرآن: ٢٥٣/٤ .

(٤) انظر: الكشف: ٥٨٠/٣ .

(٥) تفسير القرطبي: ٣٩٥/١٤ .

(٦) صفوة التفاسير: ٥٠٧/٢ .

(٧) الكشف: ٥٨٠/٣ .

(٨) تفسير القرطبي: ٣٩٥/١٤ .

الثالث : أن الموصوفين بذلك هم الملائكة، إنما يفزع عن قلوبهم فزعهم من قضاء الله الذي يقضيه حذرا أن يكون ذلك قيام الساعة. وهذا قول قتادة<sup>(١)</sup>.

قال قتادة: "يوحى الله إلى جبرائيل فتفترق الملائكة، أو تفزع مخافة أن يكون شيء من أمر الساعة، فإذا جلي عن قلوبهم وعلموا أنه ليس ذلك من أمر الساعة: {قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير}"<sup>(٢)</sup>.

الرابع: أن ذلك من فعل ملائكة السموات إذا مرت بها المعقبات فزعا أن يكون حدث أمر الساعة. وهذا القول حكاه الضحاك عن ابن مسعود<sup>(٣)</sup>.

قال الضحاك: "زعم ابن مسعود أن الملائكة المعقبات الذين يختلفون إلى الأرض يكتبون أعمالهم، إذا أرسلهم الرب فأنحدروا سمع لهم صوت شديد، فيحسب الذين هم أسفل منهم من الملائكة أنه من أمر الساعة، فخرروا سجدا، وهكذا كلما مروا عليهم يفعلون ذلك من خوف ربهم"<sup>(٤)</sup>.

الخامس: أن الموصوفين بذلك هم المشركون، وإنما يفزع الشيطان عن قلوبهم، فيقولون: ماذا قال ربكم عند نزول المنية بهم. وهذا قول زيد بن أسلم<sup>(٥)</sup>، وابنه<sup>(٦)</sup>.

عن زيد بن أسلم: "في قوله {حتى إذا فزع عن قلوبهم} قال: فزع الشيطان عن قلوبهم ففارقهم وأمانيتهم وما كان يضلهم {قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير} قال: وهذا في بني آدم عند الموت أقروا حين لا ينفعهم الإقرار"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن زيد: "فزع الشيطان عن قلوبهم وفارقهم وأمانيتهم، وما كان يضلهم: {قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير} قال: وهذا في بني آدم، وهذا عند الموت أقروا به حين لم ينفعهم الإقرار"<sup>(٨)</sup>.

وقال السعدي: "يحتمل أن الضمير في هذا الموضع، يعود إلى المشركين، لأنهم مذكورون في اللفظ، والقاعدة في الضمائر، أن تعود إلى أقرب مذكور، ويكون المعنى: إذا كان يوم القيامة، وفزع عن قلوب المشركين، أي: زال الفزع، وسئلوا حين رجعت إليهم عقولهم، عن حالهم في الدنيا، وتكذيبهم للحق الذي جاءت به الرسل، أنهم يقرون، أن ما هم عليه من الكفر والشرك، باطل، وأن ما قال الله، وأخبرت به عنه رسله، هو الحق فبدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وعلموا أن الحق لله، واعترفوا بذنوبهم"<sup>(٩)</sup>.

قال ابن عاشور: "التفريع يحصل لهم بانكشاف إجمالي يلهمون به فيعلمون بأن الله أذن بالشفاعة ثم يتطلبون التفصيل بقولهم: «ماذا قال ربكم» ليعلموا من أذن له ممن لم يؤذن له، وهذا كما يكرر النظر ويعاود المطالعة من ينتظر القبول، أو هم يتساءلون عن ذلك من شدة الخشية فإنهم إذا فزع عن قلوبهم تساءلوا لمزيد التحقق بما استبشروا به فيجابون أنه قال الحق. فضمير «قالوا ماذا قال ربكم» عائد على بعض مدلول قوله: «لمن أذن له». وهم الذين أذن للشفعاء بقبول شفاعتهم منهم وهم يوجهون هذا الاستفهام إلى الملائكة الحافين، وضمير «قالوا الحق» عائد إلى المسئولين وهم الملائكة، ويظهر أن كلمة الحق وقعت حكاية لمقول الله بوصف يجمع متنوع أقوال الله تعالى حينئذ من قبول شفاعة في بعض المشفوع فيهم ومن حرمان لغيرهم كما يقال: ماذا قال القاضي للخصم؟ فيقال: قال الفصل. فهذا حكاية لمقول الله بالمعنى.

(١) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٩ / ٢٠ .

(٢) أخرجه الطبري: ٣٩٩ / ٢٠ .

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٩ / ٢٠ .

(٤) أخرجه الطبري: ٣٩٩ / ٢٠ .

(٥) الدر المنثور: ٧٠١ / ٦، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٩ - ٤٠٠ .

(٧) الدر المنثور: ٧٠١ / ٦، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٩٩ - ٤٠٠ .

(٩) تفسير السعدي: ٦٧٨ .



هذا هو المعنى الذي يقتضيه نظم الآية وبلتئم مع معانيها. وقد ذهب في تفسيرها أقوال كثير من المفسرين طرائق قdda، وتفرقوا بددا بددا<sup>(١)</sup>.  
 قوله تعالى: {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [سبأ : ٢٣]، أي: "وهو العليُّ بذاته وقهره وعلوُّ قدره، الكبير على كل شيء"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: "وهو العليُّ {على كل شيء {الكبير} الذي لا شيء دونه"<sup>(٣)</sup>.  
 فوائد الآيات: [٢٣-٢٠]:

- ١- بيان أن إبليس صدق ظنه في بني آدم وأنهم سيتبعونه ويغويهم.
- ٢- تقرير التوحيد وأنه لا إله إلا الله ولا يستحق العبادة سواه.
- ٣- بيان بطلان دعاء غير الله إذ المدعو كائنا من كان لا يملك مثقال ذرة في الكون لا بالاستقلال ولا بالشركة، وليس لله تعالى من ظهير أي ولا معينين يمكن التوسل بهم، وأخيراً والشفاعة لا تتم إلا بإذنه ولمن رضي له بها. ولذلك بطل دعاء غير الله ومن دعا غير الله من ملك أو نبي أو ولي أو غيرهم فقد ضل الطريق وأشرك بالله في أعظم عبادة وهي الدعاء، والعياذ بالله تعالى.

### القرآن

{قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ  
 (٢٤) } [سبأ : ٢٤]

التفسير:

قل -أيها الرسول- للمشركين: مَنْ يرزقكم من السماوات بالمطر، ومن الأرض بالنبات والمعادن وغير ذلك؟ فإنهم لا بدّ أن يُقرّوا بأنه الله، وإن لم يُقرّوا بذلك فقل لهم: الله هو الرزاق، وإنّ أحد الفريقين منا ومنكم لعلىٰ هدىٰ متمكن منه، أو في ضلالٍ بيّن منغمس فيه.

قوله تعالى: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [سبأ : ٢٤]، أي: "قل -أيها الرسول- للمشركين: مَنْ يرزقكم من السماوات بالمطر، ومن الأرض بالنبات والمعادن وغير ذلك"<sup>(٤)</sup>.

عن ابن عباس، قال: "ثم أمره الله أن يسأل الناس فقال {قل من يرزقكم من السماوات والأرض}"<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلّى الله عليه وسلّم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم الأوثان والأصنام: من يرزقكم من السماوات والأرض بإنزاله الغيث عليكم منها حياة لحروثكم، وصلاًحاً لمعايشكم، وتسخيره الشمس والقمر والنجوم لمنافعكم، ومنافع أقاتكم، والأرض بإخراجه منها أقاتكم وأقوات أنعامكم"<sup>(٦)</sup>.

قال ابن كثير: "يقول تعالى مقررًا تفرّده بالخلق والرزق، وانفراده بالإلهية أيضا ، فكما كانوا يعترفون بأنه لا يرزقهم من السماء والأرض - أي : بما ينزل من المطر وينبت من الزرع - إلا الله ، فكذلك فليعلموا أنه لا إله غيره"<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: {قُلِ اللَّهُ} [سبأ : ٢٤]، أي: "أي قل لهم: الله الرزاق لا آلهتكم"<sup>(٨)</sup>.

(١) التحرير والتنوير: ١٨٩/٢٢.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٣) تفسير الطبري: ٤٠٠/٢٠.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣١.

(٥) الدر المنثور: ٧٠١/٦، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن مردويه.

(٦) تفسير الطبري: ٤٠١/٢٠.

(٧) تفسير ابن كثير: ٥١٧/٦.

(٨) صفوة التفاسير: ٥٠٨/٢.

قال الطبري: "ترك الخبر عن جواب القوم استغناء بدلالة الكلام عليه، ثم ذكره، وهو: فإن قالوا: لا ندري، قل: الذي يرزقكم ذلك الله" (١).  
 قوله تعالى: {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} [سبأ : ٢٤]، أي: "وإن أحد الفريقين منا ومنكم لعلى هدى متمكن منه، أو في ضلال بين منغمس فيه" (٢).  
 قال الطبري: يقول: "وإننا أو إياكم أيها القوم لعلى هدى أو في ضلال مبين: يقول: قل لهم: إنا لعلى هدى أو في ضلال، أو إنكم على ضلال أو هدى" (٣).  
 قال يحيى: "أي: أن أحد الفريقين نحن وأنتم {لعلى هدى أو في ضلال مبين}" (٤).  
 قال ابن كثير: "هذا من باب اللف والنشر، أي: واحد من الفريقين مبطل، والآخر محق، لا سبيل إلى أن تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال، بل واحد منا مصيب، ونحن قد أقمنا البرهان على التوحيد، فدل على بطلان ما أنتم عليه من الشرك بالله" (٥).  
 قال قتادة: "قد قال ذلك أصحاب محمد للمشركين، والله ما أنا وأنتم على أمر واحد، إن أحد الفريقين لمهتد" (٦).  
 وروي عن عكرمة وزبيد بن أبي مريم في قوله: {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}، قال: إنا لعلى هدى، وإنكم لفي ضلال مبين" (٧).

## القرآن

{قُلْ لِمَا سُئِلْتُمْ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٥)} [سبأ : ٢٥]

التفسير:

قل: لا نسألون عن ذنوبنا، ولا نسأل عن أعمالكم؛ لأننا بريئون منكم ومن كفركم.  
 قوله تعالى: {قُلْ لِمَا سُئِلْتُمْ عَمَّا أَجْرَمْنَا} [سبأ : ٢٥]، أي: "قل: لا تؤاخذون على ما ارتكبنا من إجرام" (٨).  
 قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء المشركين: أحد فريقنا على هدى والآخر على ضلال، لا تسألون أنتم عما أجرمنا نحن من جرم" (٩).  
 قال ابن عباس: "لا تؤاخذون بجرمنا" (١٠).  
 قوله تعالى: {وَلِمَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [سبأ : ٢٥]، أي: "ولا تؤاخذ نحن بما اقترفتكم، وإنما يعاقب كل إنسان بجريرته" (١١).  
 قال ابن عباس: "ولا نسأل عن كفركم وتكذيبكم، وهذا على التبري منهم ومن أعمالهم" (١٢).  
 قال الطبري: يقول: "ولا نسأل نحن عما تعملون أنتم من عمل" (١٣).

(١) تفسير الطبري: ٤٠١/٢٠.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣١.

(٣) تفسير الطبري: ٤٠١/٢٠.

(٤) تفسير يحيى بن سلام: ٧٦٠/٢.

(٥) تفسير ابن كثير: ٥١٧/٦.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٠١ / ٢٠.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٠١ / ٢٠.

(٨) صفوة التفاسير: ٥٠٨/٢.

(٩) تفسير الطبري ٤٠٥/٢٠.

(١٠) علقه الواحدي في "التفسير البسيط": ٣٦٤/١٨-٣٦٥. وانظر: "تفسير ابن عباس" بهامش المصحف ص

٤٣١، وذكر هذا المعنى أكثر المفسرين، ولم ينسبه لابن عباس.

(١١) صفوة التفاسير: ٥٠٨/٢.

(١٢) علقه الواحدي في "التفسير البسيط": ٣٦٤/١٨-٣٦٥. وانظر: "تفسير ابن عباس" بهامش المصحف ص

٤٣١، وذكر هذا المعنى أكثر المفسرين، ولم ينسبه لابن عباس.

(١٣) تفسير الطبري ٤٠٥/٢٠.

قال ابن كثير في الآية: "معناه التبري منهم ، أي : لستم منا ولا نحن منكم ، بل ندعوكم إلى الله وإلى توحيده وإفراد العبادة له ، فإن أحببتم فأنتم منا ونحن منكم ، وإن كذبتهم فنحن برآء منكم وأنتم برآء منا ، كما قال تعالى : { وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ } [يونس : ٤١] ، وقال : { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ. وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ. وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ } [سورة الكافرون]"<sup>(١)</sup>.

## القرآن

**{قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ (٢٦)} [سبأ : ٢٦]**

التفسير:

قل: ربنا يجمع بيننا وبينكم يوم القيامة، ثم يقضي بيننا بالعدل، وهو الفتاح الحاكم بين خلقه، العليم بما ينبغي أن يقضى به، وبأحوال خلقه، لا تخفى عليه خافية.

قوله تعالى: {قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ} [سبأ : ٢٦]، أي: "قل: ربنا يجمع بيننا وبينكم يوم القيامة، ثم يقضي بيننا بالعدل"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: أي: "قل لهم: يجمع بيننا ربنا يوم القيامة عنده ثم يقضي بيننا بالعدل، فيتبين عند ذلك المهتدي ممًا من الضال"<sup>(٣)</sup>.

قال القرطبي: "يريد يوم القيامة، يقضي فيثيب المهتدي ويعاقب الضال"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: "أي : يوم القيامة ، يجمع بين الخلائق في صعيد واحد ، ثم يفتح بيننا بالحق ، أي : يحكم بيننا بالعدل ، فيجزئ كل عامل بعمله ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر. وستعلمون يومئذ لمن العزة والنصرة والسعادة الأبدية ، كما قال تعالى : { وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِئذٍ يَنفِرُ قَوْمًا مِمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ. وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَإِقَاءِ الْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ } [الروم : ١٤ - ١٦]"<sup>(٥)</sup>.

عن قتادة، قوله: "قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا"، يوم القيامة، {ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا}، أي: يقضي بيننا"<sup>(٦)</sup>. قوله تعالى: {وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ} [سبأ : ٢٦]، أي: "وهو الفتاح الحاكم بين خلقه، العليم بما ينبغي أن يقضى به، وبأحوال خلقه، لا تخفى عليه خافية"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: "يقول: والله القاضي العليم بالقضاء بين خلقه، لأنه لا تخفى عنه خافية، ولا يحتاج إلى شهود تعرفه المحق من المبطل"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن كثير: "أي : الحاكم العادل العالم بحقائق الأمور"<sup>(٩)</sup>.

عن ابن عباس، قوله: "وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ"، يقول: القاضي"<sup>(١٠)</sup>.

عن السدي: {وَهُوَ الْفَتَّاحُ}، "يعني: القاضي"<sup>(١١)</sup>.

قال محمد بن إسحاق: "العليم بما يخفون"<sup>(١٢)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير: ٥١٧/٦.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣١.

(٣) تفسير الطبري: ٤٠٥/٢٠.

(٤) تفسير القرطبي: ٣٠٠/١٤.

(٥) تفسير ابن كثير: ٥١٧/٦.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٠٥/٢٠.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣١.

(٨) تفسير الطبري: ٤٠٥/٢٠.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥١٧/٦.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٠٥/٢٠.

(١١) علقه يحيى بن سلام ٧٦٠ / ٢.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤١):ص١٧٦٤/٦، وانظر: النكت والعيون: ٤٥٠/٤.

قال القرطبي: " {وهو الفتاح} أي: القاضي بالحق {العليم} بأحوال الخلق. وهذا كله منسوخ بآية السيف"<sup>(١)</sup>.

## القرآن

{قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَحَقُّهُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} {سبأ : ٢٧}

التفسير:

قل: أروني بالحجة والدليل الذين أحقتموهم بالله وجعلتموهم شركاء له في العبادة، هل خلقوا شيئاً؟ ليس الأمر كما وصفوا، بل هو المعبود بحق الذي لا شريك له، العزيز في انتقامه ممن أشرك به، الحكيم في أقواله وأفعاله وتدبير أمور خلقه.

قوله تعالى: {قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَحَقُّهُمْ بِهِ شُرَكَاءَ} {سبأ : ٢٧}، أي: "قل: أروني بالحجة والدليل الذين أحقتموهم بالله وجعلتموهم شركاء له في العبادة، هل خلقوا شيئاً؟"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الآلهة والأصنام: أروني أيها القوم الذين أحقتموهم بالله فصيرتموهم له شركاء في عبادتكم إياهم ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات"<sup>(٣)</sup>.

قال يحيى: " يعني: أوثانهم ما نفعوكم وأجابوكم به"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: " أي : أروني هذه الآلهة التي جعلتموها لله أندادا وصيرتموها له عدلاً"<sup>(٥)</sup>.

قال القرطبي: " يكون {أروني} هنا من رؤية القلب، فيكون {شركاء} المفعول الثالث، أي: عرفوني الأصنام والأوثان التي جعلتموها شركاء لله عز وجل، وهل شاركت في خلق شيء، فبينوا ما هو؟ وإلا فلم تعبدونها. ويجوز أن تكون من رؤية البصر، فيكون {شركاء} حالا"<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: {كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} {سبأ : ٢٧}، أي: " ليس الأمر كما وصفوا، بل هو المعبود بحق الذي لا شريك له، العزيز في انتقامه ممن أشرك به، الحكيم في أقواله وأفعاله وتدبير أمور خلقه"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: كذبوا ليس الأمر كما وصفوا، ولا كما جعلوا وقالوا من أن لله شريكاً، بل هو المعبود الذي لا شريك له، ولا يصلح أن يكون له شريك في ملكه، العزيز في انتقامه ممن أشرك به من خلقه، الحكيم في تدبيره خلقه"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن كثير: " أي : ليس له نظير ولا نديد ، ولا شريك ولا عديل ، ولهذا قال : { بَلْ هُوَ اللَّهُ } : أي : الواحد الأحد الذي لا شريك له { الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } أي : ذو العزة التي قد قهر بها كل شيء ، وَغَلَبَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، الحكيم في أفعاله وأقواله ، وشرعه وقدره ، تعالى وتقدس"<sup>(٩)</sup>.

قال القرطبي: " {كلا}، أي: ليس الأمر كما زعمتم. وقيل: إن {كلا}، رد لجوابهم المحذوف، كأنه قال: أروني الذين أحقتم به شركاء. قالوا: هي الأصنام. فقال كلا، أي ليس له شركاء: {بل هو الله العزيز الحكيم}"<sup>(١٠)</sup>.

(١) تفسير القرطبي: ٣٠٠/١٤.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣١.

(٣) تفسير الطبري ٤٠٥/٢٠.

(٤) تفسير يحيى بن سلام: ٧٦٠/٢.

(٥) تفسير ابن كثير: ٥١٧/٦.

(٦) تفسير القرطبي: ٣٠٠/١٤.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣١.

(٨) تفسير الطبري ٤٠٥/٢٠.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥١٧/٦-٥١٨.

(١٠) تفسير القرطبي: ٣٠٠/١٤.

قال يحيى: "أي: لم ينفعوكم ولم يجيبوكم ولا ينفعونكم ولا أنفسهم"<sup>(١)</sup>.  
قال أبو العالية: "عزير" {عزير} في نغمته إذا انتقم"<sup>(٢)</sup>. وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك"<sup>(٣)</sup>.

عن الحسن: "الحكيم" الذي أحكم كل شيء"<sup>(٤)</sup>.  
عن قتادة بن دعامة: {الحكيم} في أمره"<sup>(٥)</sup>.

## القرآن

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٨)} [سبأ : ٢٨]

التفسير:

وما أرسلناك -أيها الرسول- إلا للناس أجمعين مبشراً بثواب الله، ومنذراً عقابه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون الحق، فهم معرضون عنه.

قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} [سبأ : ٢٨]، أي: "وما أرسلناك -أيها الرسول- إلا للناس أجمعين مبشراً بثواب الله، ومنذراً عقابه"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: يقول: "وما أرسلناك يا محمد إلى هؤلاء المشركين بالله من قومك خاصة، ولكننا أرسلناك كافة للناس أجمعين؛ العرب منهم والعجم، والأحمر والأسود، بشيراً من أطاعك، ونذيراً من كذبك"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن كثير: "أي : إلا إلى جميع الخلق من المكلفين ، كقوله تعالى : { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } [الأعراف : ١٥٨] ، { تَبَارَكَ الَّذِي نَزَلَ الْفُرْقَانُ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا } [الفرقان : ١] . { بَشِيرًا وَنَذِيرًا } أي: تبشر مَنْ أطاعك بالجنة ، وتنذر مَنْ عصاك بالنار"<sup>(٨)</sup>.

قال قتادة: "أرسل الله محمداً إلى العرب والعجم، فأكرمهم على الله أطوعهم له"<sup>(٩)</sup>.  
قال قتادة: "ذكر لنا نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «أنا سابق العرب وصهيب سابق الروم وسلمان سابق الفرس وبلال سابق الحبشة»"<sup>(١٠)</sup>.

عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر. وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، فأیما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل. وأحللت لي الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلي. وأعطيت الشفاعة. وكان النبي يبعث إلى قومه ، وبعثت إلى الناس عامة"<sup>(١١)</sup>.

قوله تعالى: {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [سبأ : ٢٨]، أي: "ولكن أكثر الناس لا يعلمون الحق، فهم معرضون عنه"<sup>(١٢)</sup>.

(١) تفسير يحيى بن سلام: ٧٦٠/٢.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٣) :ص١٦٦٤/٥.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.

(٤) علقه يحيى بن سلام ٧٦١ /٢.

(٥) علقه يحيى بن سلام ٧٦١ /٢.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣١.

(٧) تفسير الطبري ٤٠٥/٢٠.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥١٨/٦.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٠٥/٢٠.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٠٥/٢٠، وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١٨٥/١) ، والحاكم (٤٥٤/٣) ، رقم (٥٧١٥) وتعقبه الذهبي بأن فيه عمارة بن زاذان وقال: عمارة واه، ضعفه الدارقطني. وأخرجه أيضا: الطبراني (٢٩/٨) ، رقم (٧٢٨٨) ، قال الهيثمي (٣٠٥/٩) : رجاله رجال الصحيح غير عمارة بن زاذان وهو ثقة وفيه خلاف. وابن عدى (١٦٦/٧) ، ترجمة (٢٠٧٢).

(١١) صحيح البخاري برقم (٣٣٥) وصحيح مسلم برقم (٥٢١).

(١٢) التفسير الميسر: ٤٣١.

قال الطبري: يقول: يقول: " {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} أن الله أرسلك كذلك إلى جميع البشر" (١).

قال ابن كثير: " {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} ، كقوله تعالى : { وَمَا أَكْثَرَ النَّاسَ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ } [يوسف : ١٠٣] ، { وَإِنْ نُطِعَ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ } [الأنعام : ١١٦]" (٢).

قال القرطبي: " {ولكن أكثر الناس لا يعلمون} ما عند الله وهم المشركون، وكانوا في ذلك الوقت أكثر من المؤمنين عددا" (٣).

## القرآن

**{وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٩)} [سبأ : ٢٩]**

التفسير:

ويقول هؤلاء المشركون مستهزئين: متى هذا الوعد الذي تعدوننا أن يجمعنا الله فيه، ثم يقضي بيننا، إن كنتم صادقين فيما تعدوننا به؟

قال الطبري: يقول: " ويقول هؤلاء المشركون بالله إذا سمعوا وعيد الله الكفار وما هو فاعل بهم في معادهم مما أنزل الله في كتابه {مَتَى هَذَا الْوَعْدُ} جانبا، وفي أي وقت هو كائن {إِنْ كُنْتُمْ} فيما تعدوننا من ذلك {صَادِقِينَ} أنه كائن" (٤).

قال البيضاوي: " ويقولون من فرط جهلهم: متى هذا الوعد يعنون المبشر به والمنذر عنه أو الموعد بقوله: {يجمع بيننا ربنا}. {إن كنتم صادقين}، يخاطبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين" (٥).

قال السمعاني: " يعني: القيامة" (٦).

قال القرطبي: " يعني: موعدكم لنا بقيام الساعة" (٧).

## القرآن

**{قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ (٣٠)} [سبأ : ٣٠]**

التفسير:

قل لهم -أيها الرسول-: لكم ميعاد هو آتيكم لا محالة، وهو ميعاد يوم القيامة، لا تستأخرون عنه ساعة للتوبة، ولا تستقدمون ساعة قبله للعذاب. فاحذروا ذلك اليوم، وأعدوا له عدته.

قال الطبري: " قال الله لنبيه: {قُلْ} لهم يا محمد {لَكُمْ} أيها القوم {مِيعَادُ يَوْمٍ} هو آتيكم {لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ} إذا جاءكم {سَاعَةً} فتتنظروا للتوبة والإنابة {وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ} قبله بالعذاب لأن الله جعل لكم ذلك أجل" (٨).

قال ابن كثير: " أي : لكم ميعاد مؤجل معدود محرر ، لا يزداد ولا ينقص ، فإذا جاء فلا يؤخر ساعة ولا يقدم ، كما قال تعالى : { إِنْ أَجَلَ اللَّهُ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ } [نوح : ٤] ، وقال { وَمَا يُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدُّودٍ . يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ سُقِيُّ وَسَعِيدٌ } [هود : ١٠٤] ، ١٠٥" (٩).

(١) تفسير الطبري ٤٠٥/٢٠.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥١٨/٦.

(٣) تفسير القرطبي: ٣٠١/١٤.

(٤) تفسير الطبري: ٤٠٦/٢٠.

(٥) تفسير البيضاوي: ٢٤٧/٤.

(٦) تفسير السمعاني: ٣٣٤/٤.

(٧) تفسير القرطبي: ٣٠١/١٤.

(٨) تفسير الطبري: ٤٠٦/٢٠.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥١٩/٦.

قال القرطبي: أي: " فلا يغرنكم تأخيرها. والميعاد: الميقات. ويعني بهذا الميعاد: وقت البعث وقيل وقت حضور الموت، أي: لكم قبل يوم القيامة وقت معين تموتون فيه فتعلمون حقيقة قولي. وقيل: أراد بهذا اليوم يوم بدر، لأن ذلك اليوم كان ميعاد عذابهم في الدنيا في حكم الله تعالى" (١).

قال الضحّاك بن مزاحم: "قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ" يوم الموت لا تتأخرون عنه ولا تتقدمون؛ بأن يزداد في أجلكم أو يُنقص منه" (٢).  
قال السمعاني في الآية: "قد فسر هذا بيوم البعث، وقد فسر بيوم الموت، وكلاهما صحيح" (٣).

قال البيضاوي، الآية: " جواب تهديد جاء مطابقاً لما قصدوه بسؤالهم من التعتت والإنكار" (٤).

فوائد الآيات: [٣٠-٢٤]:

- ١- مشروعية التلطف مع الخصم فسحاً له في مجال التفكير لعله يثوب إلى رشده.
- ٢- تقرير عقيدة البعث والجزاء وتنويع الأسلوب الدعوي في ذلك.
- ٣- تقرير عقيدة النبوة المحمدية، وعموم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة.
- ٤- يوم القيامة مقرر الساعة واليوم فلا يصح تقديمه ولا تأخيرته بحال.

## القرآن

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١)} [سبأ : ٣١]

التفسير:

وقال الذين كفروا: لن نصدّق بهذا القرآن ولا بالذي تقدّمه من التوراة والإنجيل والزرور، فقد كذبوا بجميع كتب الله. ولو ترى -أيها الرسول- إذ الظالمون محبوسون عند ربهم للحساب، يتراجعون الكلام فيما بينهم، كل يُلقي بالعتاب على الآخر، لرأيت شيئاً فظيماً، يقول المستضعفون للذين استكبروا -وهم القادة والرؤساء الضالون المضلون-: لولا أنتم أضللتونا عن الهدى لكنا مؤمنين بالله ورسوله.

قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ} [سبأ : ٣١]، أي: " وقال الذين كفروا: لن نصدّق بهذا القرآن ولا بالذي تقدّمه من التوراة والإنجيل والزرور، فقد كذبوا بجميع كتب الله" (٥).

قال الطبري: "يقول: " {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا} من مشركي العرب {لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ} الذي جاءنا به محمد صلى الله عليه وسلم ولا بالكتاب الذي جاء به غيره من بين يديه" (٦).  
قال الفراء: " {لا بالذي بين يديه} : التوراة لما قال أهل الكتاب: صفة محمد في كتابنا كفر أهل مكة بالقرآن وبالذي بين يديه: الذي قبله التوراة" (٧).  
قال الزجاج: " يعنون: لا نؤمن بما أتى به محمد - صلى الله عليه وسلم - ولا بالكتب المتقدمة" (٨).

(١) تفسير القرطبي: ٣٠١/١٤.

(٢) تفسير البغوي ٤٠٠/٦.

(٣) تفسير السمعاني: ٣٣٤/٤.

(٤) تفسير البيضاوي: ٢٤٧/٤.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣١.

(٦) تفسير الطبري: ٤٠٦/٢٠.

(٧) معاني القرآن: ٣٦٢/٢.

(٨) معاني القرآن: ٢٥٤/٤.

قال قتادة: " قال المشركون: لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه من الكتب والأنبياء"<sup>(١)</sup>.

عن السدي: " {ولا بالذي بين يديه}، قال: بالتوراة، والإنجيل"<sup>(٢)</sup>.  
قال الزمخشري: " {الذي بين يديه}: ما نزل قبل القرآن من كتب الله: يروى أن كفار مكة سألوا أهل الكتاب فأخبروهم أنهم يجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم، فأغضبهم ذلك وقرنوا إلى القرآن جميع ما تقدمه من كتب الله عز وجل في الكفر، فكفروا بها جميعا. وقيل: {الذي بين يديه}: يوم القيامة، والمعنى: أنهم جحدوا أن يكون القرآن من الله تعالى، وأن يكون لما دل عليه من الإعادة للجزاء حقيقة"<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: {وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْفُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ} [سبأ : ٣١]، أي: "ولو ترى - أيها الرسول- إذ الظالمون محبوسون عند ربهم للحساب"<sup>(٤)</sup>.

قال السمعاني: " أي: محبوسون عند ربهم"<sup>(٥)</sup>.  
قال الزمخشري: " أخبر عن عاقبة أمرهم ومآلهم في الآخرة فقال لرسوله عليه الصلاة والسلام أو للمخاطب: ولو ترى في الآخرة موقفهم"<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: {يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلُ} [سبأ : ٣١]، أي: " يتراجعون الكلام فيما بينهم، كل يُقفي بالعتاب على الآخر"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: يقول: " يتلاومون، يحاور بعضهم بعضا"<sup>(٨)</sup>.  
قال السمعاني: " أي: يجادل بعضهم بعضا"<sup>(٩)</sup>.

قال الزمخشري: أي: " وهم يتجادبون أطراف المحادثة ويتراجعونها بينهم، لرأيت العجيب، فحذف الجواب"<sup>(١٠)</sup>.

قوله تعالى: {يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ} [سبأ : ٣١]، أي: " يقول المستضعفون للذين استكبروا -وهم القادة والرؤساء الضالون المضلون-: لولا أنتم أضللتنا عن الهدى لكانا مؤمنين بالله ورسوله"<sup>(١١)</sup>.

قال الطبري: " يقول المستضعفون، كانوا في الدنيا، للذين كانوا عليهم فيها يستكبرون: لولا أنتم أيها الرؤساء والكبراء في الدنيا لكانا مؤمنين بالله وآياته"<sup>(١٢)</sup>.

قال السمعاني: " {يقول الذين} أي: استحقروا، وهم الأتباع {للذين} تجبروا، وهم القادة والأشراف: لولا أنكم كنتم قادتنا ورؤساءنا لأما بالله وبرسوله"<sup>(١٣)</sup>.

قال ابن كثير: " {الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا} منهم وهم الأتباع { لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا } وهم قادتهم وسادتهم : { لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ } أي : لولا أنتم تصدونا ، لكانا اتبعنا الرسل وأما بما جاؤونا به"<sup>(١٤)</sup>.

(١) أخرجه الطبري: ٤٠٦ / ٢٠.

(٢) عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

(٣) الكشف: ٥٨٤ / ٣.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣١.

(٥) تفسير السمعاني: ٣٣٤ / ٤.

(٦) الكشف: ٥٨٤ / ٣.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣١.

(٨) تفسير الطبري: ٤٠٦ / ٢٠.

(٩) تفسير السمعاني: ٣٣٤ / ٤.

(١٠) الكشف: ٥٨٤ / ٣.

(١١) التفسير الميسر: ٤٣١.

(١٢) تفسير الطبري: ٤٠٦ / ٢٠.

(١٣) تفسير السمعاني: ٣٣٤ / ٤.

(١٤) تفسير ابن كثير: ٥١٩ / ٦.



قال الزمخشري: "المستضعفون: هم الأتباع، والمستكبرون: هم الرءوس والمقدمون" (١).  
 عن السدي: "يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضِعُّوا { قال: هم الأتباع-وفي لفظ: الأتباع من الكفار-  
 لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا { هم القادة-وفي لفظ: الكبراء والقادة في الكفر -" (٢).

## القرآن

{قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضِعُّوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ  
 مُجْرِمِينَ (٣٢) { [سبأ : ٣٢]

التفسير:

قال الرؤساء للذين استضعفوا: أنحن منعناكم من الهدى بعد إذ جاءكم؟ بل كنتم مجرمين إذ دخلتم  
 في الكفر بإرادتكم مختارين.

قوله تعالى: {قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضِعُّوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ  
 جَاءَكُمْ} [سبأ : ٣٢]، أي: "قال الرؤساء للذين استضعفوا: أنحن منعناكم من الهدى بعد إذ  
 جاءكم؟" (٣).

قال الطبري: "قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا { في الدنيا، فرأسوا في الضلالة والكفر بالله {لِلَّذِينَ  
 اسْتُضِعُّوا { فيها فكانوا أتباعاً لأهل الضلالة منهم إذ قالوا لهم {لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ} : {أَنَحْنُ  
 صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى} ومنعناكم من اتباع الحق {بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ} من عند الله يبين لكم" (٤).

قال الزمخشري: "كأنهم قالوا: أنحن أجبرناكم وحلنا بينكم وبين كونكم ممكنين مختارين  
 بعد إذ جاءكم بعد أن صمتم على الدخول في الإيمان وصحت نياتكم في اختياره؟" (٥).

قال ابن كثير: "أي: نحن ما فعلنا بكم أكثر من أننا دعوناكم فاتبعتمونا من غير دليل ولا  
 برهان" (٦).

عن السدي: "عَنِ الْهُدَى {، يعني: عن الإيمان" (٧).

قوله تعالى: {بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ} [سبأ : ٣٢]، أي: "بل كنتم مجرمين إذ دخلتم في الكفر  
 بإرادتكم مختارين" (٨).

قال الطبري: "فمنعكم إيثاركم الكفر بالله على الإيمان من اتباع الهدى، والإيمان بالله  
 ورسوله" (٩).

قال الزمخشري: أي: "بل أنتم منعتم أنفسكم حظها وأثرتم الضلال على الهدى وأطعتم  
 أمر الشهوة دون أمر النهي، فكنتم مجرمين كافرين لا اختياركم لا لقولنا وتسويلنا" (١٠).

قال السمعاني: "أي: الجرم كان لكم في اتباعكم أهواءكم" (١١).

قال ابن كثير: أي: "خالفت الأدلة والبراهين والحجج التي جاءت بها الأنبياء ، لشهوتكم  
 واختياركم لذلك" (١٢).

## القرآن

- (١) الكشاف: ٥٨٤/٣.
- (٢) الدر المنثور: ٧٠٣/٦، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، والزيادات في تفسير يحيى بن سلام: ٧٦٢/٢.
- (٣) التفسير الميسر: ٤٣٢.
- (٤) تفسير الطبري: ٤٠٧ / ٢٠.
- (٥) الكشاف: ٥٨٤/٣.
- (٦) تفسير ابن كثير: ٥١٩/٦.
- (٧) علقه يحيى بن سلام ٧٦٢ / ٢.
- (٨) التفسير الميسر: ٤٣٢.
- (٩) تفسير الطبري: ٤٠٧ / ٢٠.
- (١٠) الكشاف: ٥٨٤/٣.
- (١١) تفسير السمعاني: ٣٣٥/٤.
- (١٢) تفسير ابن كثير: ٥١٩/٦.

{وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٣)} [سبأ : ٣٣]

التفسير:

وقال المستضعفون لرؤسائهم في الضلال: بل تدبيركم الشر لنا في الليل والنهار هو الذي أوقعنا في التهلكة، فكنتم تطلبون منا أن نكفر بالله، ونجعل له شركاء في العبادة، وأسر كل من الفريقين الحسرة حين رأوا العذاب الذي أعد لهم، وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا، لا يعاقبون بهذا العقاب إلا بسبب كفرهم بالله وعملهم السيئات في الدنيا.

قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا} [سبأ : ٣٣]، أي: "وقال المستضعفون لرؤسائهم في الضلال: بل تدبيركم الشر لنا في الليل والنهار هو الذي أوقعنا في التهلكة، فكنتم تطلبون منا أن نكفر بالله، ونجعل له شركاء في العبادة"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: يقول: " {وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا} من الكفرة بالله في الدنيا، فكانوا أتباعاً لرؤسائهم في الضلالة {لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا} فيها، فكانوا لهم رؤساء {بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} صدنا عن الهدى حين تأمروننا أن نكفر بالله {وَنَجْعَلَ لَهُ} أمثالا وأشباها في العبادة والألوهة"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: " أي : بل كنتم تمكرون بنا ليلا ونهارا ، وتغرّونا وثمّونا ، وتخبرونا أنا على هدى وأنا على شيء ، فإذا جميع ذلك باطل وكذبٌ ومينٌ، {إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا} أي نظراء وآلهة معه ، وتقيموا لنا شئبها وأشياء من المحال تصلونا بها"<sup>(٣)</sup>.

قال السمعاني: " أي: مكركم بنا في الليل والنهار، وقيل: بل مكر الليل والنهار معناه: طول الأمل، وطول الأمل هو مكر الليل والنهار على طريق المجاز"<sup>(٤)</sup>.

قال الزجاج: " {بل مكر الليل والنهار}، معناه: بل مكركم في الليل والنهار، {ونجعل له أندادا}: أشباها"<sup>(٥)</sup>.

قال الفراء: " { المكر ليس ليل ولا للنهار}، إنما المعنى: بل مكركم بالليل والنهار. وقد يجوز أن نضيف الفعل إلى الليل والنهار، ويكونا كالفاعلين، لأن العرب تقول: نهارك صائم، وليلك نائم، ثم نضيف الفعل إلى الليل والنهار، وهو في المعنى للآدميين، كما تقول: نام ليالك وعزم الأمر، إنما عزمه القوم. فهذا مما يعرف معناه فتتسع به العرب"<sup>(٦)</sup>.

قال الزمخشري: " لما أنكر المستكبرون بقولهم: «أنحن صددناكم» أن يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين وأثبتوا بقولهم: «بل كنتم مجرمين» أن ذلك بكسبهم واختيارهم، كر عليهم المستضعفون بقولهم: «بل مكر الليل والنهار» فأبطلوا إضرابهم بإضرابهم، كأنهم قالوا: ما كان الإجراء من جهتنا، بل من جهة مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا، وحملكم إيانا على الشرك واتخاذ الأنداد"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن زيد: " يقول: بل مكركم بنا في الليل والنهار أيها العظماء الرؤساء حتى أزلتمونا عن عبادة الله"<sup>(٨)</sup>.

عن سعيد بن جبیر: " {بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ}، قال: مرُّ الليل والنهار"<sup>(١)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(٢) تفسير الطبري: ٤٠٧/٢٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥١٩/٦-٥٢٠.

(٤) تفسير السمعاني: ٣٣٥/٤.

(٥) معاني القرآن: ٢٥٤/٤.

(٦) معاني القرآن: ٣٦٢/٢.

(٧) الكشف: ٥٨٥/٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٠٨/٢٠.

عن قتادة، قوله: "وَتَجْعَلْ لَهُ أُنْدَادًا"، شركاء" (٢).  
وقرئ في الشاذ: «بل مكر الليل والنهار»، أي: مرور الليل والنهار" (٣).  
عن سفيان بن عيينة -من طريق ابن أبي عمر- في قوله: "بل مكر الليل والنهار إذ  
تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادًا"، قال: أعمالكم بالليل والنهار. قال سفيان: وكل مكر في  
القرآن فهو عمل" (٤).  
قوله تعالى: {وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ} [سبأ : ٣٣]، أي: "وأسرَّ كلُّ من الفريقين  
الحسرة حين رأوا العذاب الذي أعدَّ لهم" (٥).  
قال الطبري: "يقول: وندموا على ما فرطوا من طاعة الله في الدنيا حين عاينوا عذاب  
الله الذي أعده لهم" (٦).  
قال الزجاج: "أسروها بينهم. أقبل بعضهم يلوم بعضا، ويعرف بعضهم بعضا  
الندامة" (٧).  
قال ابن كثير: "أي: الجميع من السادة والأتباع، كلُّ ندم على ما سلف منه" (٨).  
عن قتادة: "وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ" بينهم، {لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ} (٩).  
قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا الْأَعْتَالِ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا} [سبأ : ٣٣]، أي: "وجعلنا السلاسل  
في رقاب الكفار زيادةً على تعذيبهم بالنار" (١٠).  
قال الطبري: "وغلَّت أيدي الكافرين بالله في جهنم إلى أعناقهم في جوامع من نار  
جهنم" (١١).  
قال ابن كثير: "هي السلاسل التي تجمع أيديهم مع أعناقهم" (١٢).  
قال السمعاني: "هو فرع من عذاب أهل النار" (١٣).  
قوله تعالى: {هَلْ يُجْزَوْنَ لَنَا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [سبأ : ٣٣]، أي: "لا يعاقبون بهذا العقاب  
إلا بسبب كفرهم بالله وعملهم السيئات في الدنيا" (١٤).  
قال الطبري: يقول: "ما يفعل الله ذلك بهم إلا ثوابًا لأعمالهم الخبيثة التي كانوا في الدنيا  
يعملونها، ومكافأة لهم عليها" (١٥).  
قال السمعاني: "أي: يعملون من الكفر والمعاصي" (١٦).  
قال ابن كثير: "أي: إنما نجازيكم بأعمالكم، كلُّ بحسبه، للقيادة عذاب بحسبهم،  
وللأتباع بحسبهم { قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ } [الأعراف : ٣٨]" (١٧).  
قال ابن عباس: "غلو بها في النيران والشركاء، وهم من الشياطين" (١٨).

- (١) أخرجه الطبري: ٤٠٨/٢٠.
- (٢) أخرجه الطبري: ٤٠٩/٢٠.
- (٣) تفسير السمعاني: ٣٣٥/٤.
- (٤) أخرجه إسحاق البستي ص ١٥٧.
- (٥) التفسير الميسر: ٤٣٢.
- (٦) تفسير الطبري: ٤٠٩/٢٠.
- (٧) معاني القرآن: ٢٥٥/٤.
- (٨) تفسير ابن كثير: ٥٢٠/٦.
- (٩) أخرجه الطبري: ٤٠٩/٢٠.
- (١٠) صفة التفسير: ٥٠٩/٢.
- (١١) تفسير الطبري: ٤٠٩/٢٠.
- (١٢) تفسير ابن كثير: ٥٢٠/٦.
- (١٣) تفسير السمعاني: ٣٣٥/٤.
- (١٤) التفسير الميسر: ٤٣٢.
- (١٥) تفسير الطبري: ٤٠٩/٢٠.
- (١٦) تفسير السمعاني: ٣٣٥/٤.
- (١٧) تفسير ابن كثير: ٥٢٠/٦.
- (١٨) علقه الواحدي في "التفسير البسيط": ٣٧٠/١٨، ولم أقف عليه. وانظر: "القرطبي" ٣٥٥ / ١٤.

عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن جهنم لما سيق إليها أهلها تلقاهم لهابها ، ثم لفتحهم لفة فلم يبق لحم إلا سقط على العرقوب"<sup>(١)</sup> .  
 عن الحسن بن يحيى الخشنى، قال : ما في جهنم دار ولا مغار ولا غل ولا سلسلة ولا قيد ، إلا اسم صاحبها عليه مكتوب. قال : فحدثته أبا سليمان - يعني : الداراني ، رحمة الله عليه- فبكى ثم قال : ويحك. فكيف به لو جمع هذا كله عليه ، فجعل القيد في رجليه ، والغل في يديه والسلسلة في عنقه ، ثم أدخل النار وأدخل المغار؟!"<sup>(٢)</sup> .  
 فوائد الآيات: [٣١-٣٣]:

١- تشابه الظلمة والمجرمين فالعرب المشركون كانوا يركنون إلى أهل الكتاب يحتجون بما عندهم على الرسول والمؤمنين، ولما وجدوا التوراة والإنجيل يقرران عقيدة البعث والجزاء والنبوة تبرأوا منهما وقالوا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالتوراة والإنجيل. واليهود كانوا يحتجون بالتوراة على المسلمين ولما وجدوا التوراة تقرر ما يقرره القرآن تركوا الاحتجاج بالتوراة وأخذوا يحتجون بالسحر كما تقدم في البقرة في قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، وَآتَبَعُوا مَا تَتَّبِعُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ .

٢- تقرير عقيدة البعث والجزاء بعرض كامل لموقف من مواقف يوم القيامة، ومشهد من مشاهده.

٣- بطلان احتجاج الناس بعمل العلماء أو الحكماء وأشرف الناس إذا كان غير موافق لشرع الله تعالى وما جاء به رسوله من الحق والدين الصحيح.

## القرآن

**{وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٣٤)} [سبأ : ٣٤]**  
 التفسير:

وما أرسلنا في قرية من رسول يدعو الى توحيد الله وإفراده بالعبادة، إلا قال المنغمسون في اللذات والشهوات من أهلها: إنا بالذي جنتم به -أيها الرسل- جاحدون.

قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ} [سبأ : ٣٤]، أي: "وما أرسلنا في قرية من رسول يدعو الى توحيد الله وإفراده بالعبادة"<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: يقول: "وما بعثنا إلى أهل قرية نذيراً ينذيرهم بأسنا أن ينزل بهم على معصيتهم إيانا"<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: {إِنَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ} [سبأ : ٣٤]، أي: "إلا قال المنغمسون في اللذات والشهوات من أهلها: إنا بالذي جنتم به -أيها الرسل- جاحدون"<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: يقول: "إلا قال كبارؤها ورؤساؤها في الضلالة كما قال قوم فرعون من المشركين له: إنا بما أرسلتم به من النذارة، وبعثتم به من توحيد الله، والبراءة من الآلهة والأنداد، كافرون"<sup>(٦)</sup>.

قال مقاتل: "مترفوها: أغنياؤها وجبابرتها"<sup>(٧)</sup>.

(١) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٢١/٦، ورواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٤٨٤٨) "مجمع البحرين" وأبو نعيم في الحلية (٣٦٣/٤) من طرق عن محمد بن سليمان الأصبهاني ، به. وقال الهيثمي في المجمع (٣٨٩/١٠) : "وفيه محمد بن سليمان الأصبهاني وهو ضعيف".

(٢) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٢٠/٦.

(٣) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(٤) تفسير الطبري: ٤٠٩/٢٠.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(٦) تفسير الطبري: ٤٠٩/٢٠.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٥/٣.

قال قتادة: "هم رؤوسهم وقادتهم في الشر"<sup>(١)</sup>.  
قال ابن كثير: "هم أولو النعمة والحشمة والثروة والرياسة"<sup>(٢)</sup>.  
قال الزمخشري: "«مترفوها»: الذين أترفهم النعمة، أى أبطرتهم فلا يحبون إلا الشهوات والملاهي، ويعافون مشاق الدين وتكاليفه"<sup>(٣)</sup>.  
قال يحيى: "«المترفون»: أهل السعة والنعمة، [قالوا]: {إنا بما أرسلتم به كافرون}، فاتبعهم على ذلك السفلة، فجددوا كلهم"<sup>(٤)</sup>.  
عن أبي رزين قال: "كان رجلان شريكان خرج أحدهما إلى الساحل وبقي الآخر، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى صاحبه يسأله: ما فعل؟ فكتب إليه أنه لم يتبعه أحد من قريش، إنما اتبعه أرادل الناس ومساكينهم. قال: فترك تجارته ثم أتى صاحبه فقال: دلني عليه - قال: وكان يقرأ الكتب، أو بعض الكتب - قال: فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إلام تدعو؟ قال: "إلى كذا وكذا". قال: أشهد أنك رسول الله. قال: "وما علمك بذلك؟" قال: إنه لم يبعث نبي إلا اتبعه رذالة الناس ومساكينهم. قال: فنزلت هذه الآية: {وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ} الآيات، قال: فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله قد أنزل تصديق ما قلت»"<sup>(٥)</sup>.  
قال ابن كثير: "وهكذا قال هرقل لأبي سفيان حين سأله عن تلك المسائل، قال فيها: وسألتك: أضعفاء الناس اتبعه أم أشرافهم فزعمت: بل ضعفاؤهم، وهم أتباع الرسل"<sup>(٦)</sup>.

## القرآن

{وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ} [سبأ: ٣٥]

التفسير:

وقالوا: نحن أكثر منكم أموالاً وأولاداً، والله لم يعطنا هذه النعم إلا لرضاه عنا، وما نحن بمعذبين في الدنيا ولا في الآخرة.  
قوله تعالى: {وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا} [سبأ: ٣٥]، أي: "وقالوا: نحن أكثر منكم أموالاً وأولاداً، والله لم يعطنا هذه النعم إلا لرضاه عنا"<sup>(٧)</sup>.  
قال الطبري: يقول: "وقال أهل الاستكبار على الله من كل قرية أرسلنا فيها نذيراً لأنبيائنا ورسلنا: نحن أكثر أموالاً وأولاداً"<sup>(٨)</sup>.  
قال مقاتل: "وقالوا أيضاً لفقراء المسلمين: أهؤلاء خير منا أم هم أولى بالله منا {نحن أكثر أموالاً وأولاداً}"<sup>(٩)</sup>.

قال يحيى: "قالوا ذلك للأنبياء والمؤمنين يعيرونهم بالفقر وبقلة المال"<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: افتخروا بكثرة الأموال والأولاد، واعتقدوا أن ذلك دليل على محبة الله لهم واعتناؤه بهم، وأنه ما كان ليعطيهم هذا في الدنيا، ثم يعذبهم في الآخرة، وهيهات لهم ذلك، قال الله: {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ} [المؤمنون: ٥٥، ٥٦] وقال: {فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي

(١) أخرجه الطبري: ٤٠٩/٢٠.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٢١/٦.

(٣) الكشف: ٢٤٥/٤.

(٤) تفسير يحيى بن سلام: ٧٦٣/٢.

(٥) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٢١/٦، ورواه ابن أبي شيبة وابن المنذر كما في الدر المنثور

(٦) (٧٠٤/٦) ووقع في الدر: "ابن زيد" بدل: "أبو رزين".

(٧) تفسير ابن كثير: ٥٢١/٦.

(٨) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(٩) تفسير الطبري: ٤١٠/٢٠.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٥/٣.

(١١) تفسير يحيى بن سلام: ٧٦٣/٢.

الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ } [التوبة : ٥٥] ، وقال تعالى : { ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا. وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا. وَبَنِينَ شُهُودًا. وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا. ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ. كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا. سَأَرْهُقُهُ صَعُودًا } [المدثر : ١١ - ١٧] ، وقد أخبر الله عن صاحب تينك الجنيتين : أنه كان ذا مال وولد وثمر ، ثم لم تُغن عنه شيئاً ، بل سلب ذلك كله في الدنيا قبل الآخرة" (١).

قال الزمخشري: " هذه تسليية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما منى به (٢) من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به، والمنافسة بكثرة الأموال والأولاد، والمفاخرة وزخارفها، والتكبر بذلك على المؤمنين، والاستهانة بهم من أجله، وقولهم: {أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا} [مريم : ٧٣] ، وأنه لم يرسل قط إلى أهل قرية من نذير إلا قالوا له مثل ما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة وكادوه بنحو ما كادوه به" (٣).

قوله تعالى: {وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ} [سبأ : ٣٥] ، أي: "وما نحن بمعذِّبين في الدنيا ولا في الآخرة" (٤).

قال الطبري: يقول: "وما نحن في الآخرة بمعذِّبين، لأن الله لو لم يكن راضيًا ما نحن عليه من الملة والعمل لم يخولنا الأموال والأولاد، ولم يبسط لنا في الرزق، وإنما أعطانا ما أعطانا من ذلك لرضاه أعمالنا، وآثرنا بما آثرنا على غيرنا لفضلنا، وزلفة لنا عنده" (٥).

قال الزمخشري: "قاسوا أمر الآخرة الموهومة أو المفروضة عندهم على أمر الدنيا، واعتقدوا أنهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم، ولولا أن المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم، فعلى قياسهم ذلك قالوا: {وما نحن بمعذِّبين}، أرادوا أنهم أكرم على الله من أن يعذبهم، نظرا إلى أحوالهم في الدنيا" (٦).

## القرآن

{قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٦)} [سبأ : ٣٦]

التفسير:

قل لهم -أيها الرسول-: إن ربي يوسع الرزق في الدنيا لمن يشاء من عباده، ويضيِّق على مَنْ يشاء، لا لمحبة ولا لبغض، ولكن يفعل ذلك اختبارًا، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن ذلك اختبار لعباده؛ لأنهم لا يتأملون.

قوله تعالى: {قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ} [سبأ : ٣٦] ، أي: "قل لهم -أيها الرسول-: إن ربي يوسع الرزق في الدنيا لمن يشاء من عباده، ويضيِّق على مَنْ يشاء، لا لمحبة ولا لبغض، ولكن يفعل ذلك اختبارًا" (٧).

قال الطبري: "يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهم يا محمد {إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ} من المعاش والرياش في الدنيا {لِمَنْ يَشَاءُ} من خلقه {وَيَقْدِرُ} فيضيِّق على من يشاء لا لمحبة فيمن يبسط له ذلك ولا خير فيه ولا زلفة له استحق بها منه، ولا لبغض منه لمن قدر عليه ذلك ولا مقت، ولكنه يفعل ذلك محنة لعباده وابتلاء" (٨).

قال ابن كثير: "أي : يعطي المال لمن يحب ومن لا يحب ، فيفقر مَنْ يشاء ويغني مَنْ يشاء ، وله الحكمة التامة البالغة ، والحجة الدامغة القاطعة" (٩).

(١) تفسير ابن كثير: ٥٢١/٦-٥٢٢.

(٢) أي: ابتلى به.

(٣) الكشاف: ٥٨٥/٣.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(٥) تفسير الطبري: ٤١٠ / ٢٠.

(٦) الكشاف: ٥٨٥/٣.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(٨) تفسير الطبري: ٤١٠ / ٢٠.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥٢٢/٦.

عن الحسن، في قوله: "إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر"، قال: ينظر له، فإن كان الغنى خيراً له أغناه وإن كان الفقر خيراً له أفقره"<sup>(١)</sup>.  
 قال الزمخشري: "قد أبطل الله تعالى حسابهم بأن الرزق فضل من الله يقسمه كما يشاء على حسب ما يراه من المصالح، وربما وسع على العاصي وضيق على المطيع، وربما عكس، وربما وسع عليهما وضيق عليهما، فلا ينفاس عليه أمر الثواب الذي مبناه على الاستحقاق"<sup>(٢)</sup>.  
 وقرئ: «يقدر»، بالتشديد والتخفيف"<sup>(٣)</sup>.  
 قوله تعالى: {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [سبأ : ٣٦]، أي: "ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن ذلك اختبار لعباده؛ لأنهم لا يتأملون"<sup>(٤)</sup>.  
 قال الطبري: يقول: "وأكثر الناس لا يعلمون أن الله يفعل ذلك اختباراً لعباده ولكنهم يظنون أن ذلك منه محبة لمن بسط له ومقت لمن قدر عليه"<sup>(٥)</sup>.  
 قال مقاتل: "كفار مكة {لا يعلمون} أن البسط والقدر بيد الله- عز وجل-"<sup>(٦)</sup>.  
 قال يحيى: "يعني: جماعة المشركين لا يعلمون"<sup>(٧)</sup>.

### القرآن

{وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ  
 الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ (٣٧)} [سبأ : ٣٧]  
 التفسير:

وليس أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا قربي، وترفع درجاتكم، لكن من آمن بالله وعمل صالحاً فهؤلاء لهم ثواب الضعف من الحسنات، فالحسنة بعشر أمثالها إلى ما يشاء الله من الزيادة، وهم في أعالي الجنة آمنون من العذاب والموت والأحزان.  
 قوله تعالى: {وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ} [سبأ : ٣٧]، أي: "وليس أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا قربي، وترفع درجاتكم"<sup>(٨)</sup>.  
 قال الطبري: يقول: "وما أموالكم التي تفتخرون بها أيها القوم على الناس ولا أولادكم الذين تتكبرون بهم، بالتي تقربكم منّا قربة"<sup>(٩)</sup>.  
 قال يحيى: "يقوله للمشركين، و«الزلفى»: القرابة"<sup>(١٠)</sup>.  
 قال ابن كثير: "أي: ليست هذه دليلاً على محبتنا لكم، ولا اعتنائنا بكم"<sup>(١١)</sup>.  
 عن مجاهد، قوله: "{عِنْدَنَا زُلْفَىٰ}"، قال: قربي"<sup>(١٢)</sup>.  
 قال ابن زيد: "قالوا: نحن أكثر أموالاً وأولاداً، فأخبرهم الله أنه ليست أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى، {إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا}، قال: وهذا قول المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، قالوا: لو لم يكن الله عنا راضياً لم يعطنا هذا، كما

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٢٦١): ص ٢٣٢٧/٧.

(٢) الكشاف: ٥٨٦/٣.

(٣) انظر: الكشاف: ٥٨٦/٣.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(٥) تفسير الطبري: ٤١٠ / ٢٠.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٥/٣.

(٧) تفسير يحيى بن سلام: ٧٦٤/٢.

(٨) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(٩) تفسير الطبري: ٤١١ / ٢٠.

(١٠) تفسير يحيى بن سلام: ٧٦٤/٢.

(١١) تفسير ابن كثير: ٥٢٢/٦.

(١٢) أخرجه الطبري: ٤١١ / ٢٠.

قال قارون: لولا أن الله رضي بي وبحالي ما أعطاني هذا، قال: {أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبليه من القرون...} إلى آخر الآية<sup>(١)</sup>.

قال قتادة: "لا يعتبر الناس بكثرة المال والولد، وإن الكافر قد يعطى المال، وربما حبس عن المؤمن. وقال جل ثناؤه: {وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُفَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُفَى}"<sup>(٢)</sup>.

وروى ليث عن طاوس أنه كان يقول: "اللهم ارزقني الإيمان والعمل، وجنبي المال والولد، فإني سمعت فيما أوحيت: {وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً}"<sup>(٣)</sup>.

قال القرطبي: "قول طاوس فيه نظر، والمعنى والله أعلم: جنبي المال والولد المطغيين أو الذين لا خير فيهما، فأما المال الصالح والولد الصالح للرجل الصالح فنعمة هذا!"<sup>(٤)</sup>.

عن أبي هريرة، قال: "جاء رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله مالي أرى لونك منكفئاً؟ قال: الخمص فانطلق الأنصاري إلى رحله فلم يجد فيه شيئاً، فخرج يطلب فإذا هو بيهودي يسقي نخلا له، فقال الأنصاري لليهودي: أسقي لك؟ قال: نعم كل دلو بتمرّة واشترط عليه الأنصاري أن لا يأخذ فيه خدرة ولا تارزة ولا حشفة، ولا يأخذ إلا جيدة فاستقى له بنحو من صاعين تمرًا، فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "من أين لك هذا؟" فأخبره الأنصاري وكان يسأل عن الشيء إذا أتى به، فأرسل إلى نسائه بصاع، وأكل هو وأصحابه صاعاً، وقال للأنصاري: أتحنني؟ قال: نعم والذي بعثك بالحق لأحبك، قال: "إن كنت تحبني فأعد للبلاء تجفافاً، فوالذي نفسي بيده للبلاء أسرع إلى من يحبني من الماء الجاري من قلة الجبل إلى حضيض الأرض"، ثم قال: "اللهم فمن أحبني فارزقه العفاف والكفاف، ومن أبغضني فأكثر ماله وولده"<sup>(٥)</sup>.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: {إِنَّمَا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا} [سبأ: ٣٧]، أي: "لكن من آمن وعمل صالحاً فإيمانهم وعملهم يقربانهم مني"<sup>(٧)</sup>.

قال الزمخشري: "المعنى: أن الأموال لا تقرب أحداً إلا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله، والأولاد لا تقرب أحداً إلا من علمهم الخير وفقهم في الدين ورشحهم للصالح والطاعة"<sup>(٨)</sup>.

قال السعدي: أي: "وإنما الذي يقرب منه زلفى، الإيمان بما جاء به المرسلون، والعمل الصالح الذي هو من لوازم الإيمان"<sup>(٩)</sup>.

قال يحيى: "أي: ليس القربة عندنا إلا لمن آمن {وعمل صالحاً}"<sup>(١٠)</sup>.

وفي قوله تعالى: {إِنَّمَا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا} [سبأ: ٣٧]، قولان:

أحدهما: أن هذا استثناء منقطع، ومعناه: لكن من آمن وعمل صالحاً<sup>(١١)</sup>.

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/٤١٠-٤١١.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/٤١١.

(٣) نقلاً عن تفسير القرطبي: ٣٠٥/١٤.

(٤) تفسير القرطبي: ٣٠٥/١٤.

(٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٧٤/٢)، رقم (١٤٧٥)، وابن عساكر (١١٥/٤) قال ابن عساكر: قال البيهقي: عبد الله بن سعيد غير قوى في الحديث.

(٦) المسند (٥٣٩/٢) وصحيح مسلم برقم (٢٥٦٤) وسنن ابن ماجه برقم (٤١٤٣).

وعن الحسن مرسلًا: «ولكن ينظر إلى قولكم وإلى أعمالكم». رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٦٤/٢.

(٧) تفسير المراعي: ٨٩/٢٢.

(٨) الكشف: ٥٨٦/٣.

(٩) تفسير السعدي: ٦٨١.

(١٠) تفسير يحيى بن سلام: ٧٦٤/٢.

(١١) تفسير السمعاني: ٣٣٦/٤.



الثاني: أن معنى الآية {إلا من آمن وعمل صالحاً} فأولئك تقربهم أموالهم وأولادهم إلى طاعة الله. وهذا قول ابن زيد<sup>(١)</sup>، واختيار الزجاج<sup>(٢)</sup>.

قال الزجاج: "أي: ما تقرب الأموال إلا من آمن وعمل بها في طاعة الله"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن زيد، قوله: "إلا من آمن وعمل صالحاً} قال: لم تضرهم أموالهم ولا أولادهم في الدنيا للمؤمنين، وقرأ: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ}، فالحسنى: الجنة، والزيادة: ما أعطاهم الله في الدنيا لم يحاسبهم به، كما حاسب الآخرين"<sup>(٤)</sup>.

قال السمعاني: الثاني "أظهر القولين"<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: {فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا} [سبأ : ٣٧]، أي: "فهؤلاء لهم ثواب الضعف من الحسنات"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: "يقول: فهؤلاء لهم من الله على أعمالهم الصالحة الضعف من الثواب، بالواحدة عشر"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن زيد: "بأعمالهم الواحد عشر، وفي سبيل الله بالواحد سبعمائة"<sup>(٨)</sup>.

عن مجاهد: "جزاء الضعف}، قال: تضعيف الحسنة"<sup>(٩)</sup>.

قال السمعاني: "المضاعفة": هو أنه يجزي بالواحد عشرا إلى سبعمائة"<sup>(١٠)</sup>.

قال الزجاج: "الضعف» -ههنا- يحتاج إلى تفسير، ولا أعلم أحدا فسره تفسيراً بيناً. و«جزاء الضعف» -ههنا- عشر حسنات، تأويله: فأولئك لهم جزاء الضعف الذي أعلمناكم مقداره، وهو قوله: {من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها}<sup>(١١)</sup>.

قوله تعالى: {وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ} [سبأ : ٣٧]، أي: "وهم في أعالي الجنة آمنون من العذاب والموت والأحزان"<sup>(١٢)</sup>.

قال الطبري: "يقول: وهم في غرفات الجنات آمنون من عذاب الله"<sup>(١٣)</sup>.

قال يحيى: "يعني: غرف الجنة، {آمنون} من النار، ومن الموت، ومن الخروج منها، ومن الأحزان ومن الأسقام"<sup>(١٤)</sup>.

قال الضحاك: "الغرفة: الجنة"<sup>(١٥)</sup> وروى عن سعيد بن جبير وأبي جعفر محمد بن علي والسدي مثل ذلك<sup>(١٦)</sup>.

## القرآن

{وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (٣٨)} [سبأ : ٣٨]  
التفسير:

- (١) انظر: الطبري: ٤١٢ / ٢٠.
- (٢) انظر: معاني القرآن: ٢٥٥ / ٤.
- (٣) معاني القرآن: ٢٥٥ / ٤.
- (٤) أخرجه الطبري: ٤١٢ / ٢٠.
- (٥) تفسير السمعاني: ٣٣٦ / ٤.
- (٦) التفسير الميسر: ٤٣٢.
- (٧) تفسير الطبري: ٤١٢ / ٢٠.
- (٨) أخرجه الطبري: ٤١٢ / ٢٠.
- (٩) أخرجه يحيى بن سلام ٧٦٤ / ٢. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
- (١٠) تفسير السمعاني: ٣٣٧ / ٤.
- (١١) معاني القرآن: ٢٥٥ / ٤.
- (١٢) التفسير الميسر: ٤٣٢.
- (١٣) تفسير الطبري: ٤١٢ / ٢٠.
- (١٤) تفسير يحيى بن سلام: ٧٦٥ / ٢.
- (١٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٤٩٥): ص ٢٧٤٣ / ٨.
- (١٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٢٧٤٣ / ٨.

والذين يسعون في إبطال حججنا، ويصدون عن سبيل الله مشاقين مغالبيين، هؤلاء في عذاب جهنم يوم القيامة، تحضرهم الزبانية، فلا يخرجون منها.

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ} [سبأ : ٣٨]، أي: "والذين يسعون في إبطال حججنا، ويصدون عن سبيل الله مشاقين مغالبيين"<sup>(١)</sup>.

قال الحسن: "يَطُّونَ أَنَّهُمْ يَسْبِقُونَا حَتَّى لَا نَقْدِرَ عَلَيْهِمْ فَنُعَذِّبُهُمْ"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: يقول: "والذين يعملون في حججنا وأي كتابنا، يبتغون إبطاله ويريدون إطفاء نوره معاوين، يحسبون أنهم يفوتوننا بأنفسهم ويعجزوننا"<sup>(٣)</sup>.

قال البيضاوي: أي: "بالرد والطعن فيها، مسابقين لأنبيائنا أو ظانين أنهم يفوتوننا"<sup>(٤)</sup>.

قال البغوي: أي: "{الذين} يعملون في إبطال حججنا، معاندين يحسبون أنهم يعجزوننا ويفوتوننا"<sup>(٥)</sup>.

قال مقاتل: "يقول: عملوا بالتكذيب بالقرآن مثبطين عن الإيمان بالقرآن"<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: {أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ} [سبأ : ٣٨]، أي: "هؤلاء في عذاب جهنم يوم القيامة، تحضرهم الزبانية، فلا يخرجون منها"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: "يعني: في عذاب جهنم محضرون يوم القيامة"<sup>(٨)</sup>.

قال أبو الليث السمرقندي: "يعني: في النار معذبون"<sup>(٩)</sup>.

قال قتادة: "محضرون في العذاب"<sup>(١٠)</sup>.

قال الكلبي: "{مُحْضَرُونَ} مدخلون"<sup>(١١)</sup>.

## القرآن

{قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} (٣٩) [سبأ : ٣٩]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المغترين بالأموال والأولاد: إن ربي يوسع الرزق على من يشاء من عباده، ويضيِّقه على من يشاء؛ لحكمة يعلمها، ومهما أعطيتم من شيء فيما أمركم به فهو يعوضه لكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالثواب، وهو -سبحانه- خير الرازقين، فاطلبوا الرزق منه وحده، واسعوا في الأسباب التي أمركم بها.

قوله تعالى: {قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ} [سبأ : ٣٩]، أي: "قل -أيها الرسول- لهؤلاء المغترين بالأموال والأولاد: إن ربي يوسع الرزق على من يشاء من عباده، ويضيِّقه على من يشاء؛ لحكمة يعلمها"<sup>(١٢)</sup>.

قال الطبري: يقول: "قل يا محمد إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من خلقه فيوسعه عليه تكرمة له وغير تكرمة، ويقدر على من يشاء منهم فيضيِّقه ويقتره إهانة له وغير إهانة، بل محنة واختباراً"<sup>(١)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(٢) علقه يحيى بن سلام ٧٦٥/٢.

(٣) تفسير الطبري: ٤١٣/٢٠.

(٤) تفسير البيضاوي: ٢٤٩/٤.

(٥) تفسير البغوي: ٤٠٢/٦.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٥/٣.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(٨) تفسير الطبري: ٤١٣/٢٠.

(٩) بحر العلوم: ٩٣/٣.

(١٠) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٦٥/٢.

(١١) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٦٥/٢.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٣٢.

قال ابن كثير: "أي : بحسب ما له في ذلك من الحكمة ، يبسط على هذا من المال كثيرا ، ويضيق على هذا ويقتصر على هذا رزقه جدا ، وله في ذلك من الحكمة ما لا يدركها غيره ، كما قال تعالى : { انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِالْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا } [الإسراء : ٢١] أي : كما هم متفاوتون في الدنيا : هذا فقير مدقع ، وهذا غني موسّع عليه ، فكذلك هم في الآخرة : هذا في العُرفات في أعلى الدرجات ، وهذا في العُمرات في أسفل الدرجات. وأطيب الناس في الدنيا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «قد أفلح من أسلم ورزق كفافا ، وقنعه الله بما آتاه»<sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup>.

عن الحسن، في قوله: "إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر"، قال: ينظر له، فإن كان الغنى خيرا له أغناه وإن كان الفقر خيرا له أفقره"<sup>(٤)</sup>.

قال الفخر الرازي: فيه" إشارة إلى أن نعيم الآخرة لا ينافي نعمة الدنيا، بل الصالحون قد يحصل لهم في الدنيا النعم مع القطع بحصول النعيم لهم في العقبى بناء على الوعد، قطعاً لقول من يقول: إذا كانت العاجلة لنا والآجلة لهم فالتنقد أولى، فقال هذا النقد غير مختص بكم، فإن كثيرا من الأشقياء مدقعون، وكثير من الأتقياء ممتعون"<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ} [سبأ : ٣٩]، أي: "ومهما أعطيتم من شيء فيما أمركم به فهو يعوضه لكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالثواب"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: "يقول: وما أنفقتم أيها الناس من نفقة في طاعة الله، فإن الله يخلفها عليكم"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن كثير: "أي : مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم ، فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل ، وفي الآخرة بالجزاء والثواب"<sup>(٨)</sup>.

قال سعيد بن جبير: "ما كان في غير إسراف ولا تقتير"<sup>(٩)</sup>.

في الحديث: يقول الله تعالى : أنفق أنفق عليك"<sup>(١٠)</sup>.

وفي الحديث : أن ملكين يصيحان كل يوم ، يقول أحدهما : "اللهم أعط مُسِكًا ثَلَقًا" ، ويقول الآخر : "اللهم أعط منفقًا خَلَقًا"<sup>(١١)</sup>.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنفق بلالا ولا تخش من ذي العرش إقلالا"<sup>(١٢)</sup>.

قوله تعالى: {وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [سبأ : ٣٩]، أي: "وهو سبحانه- خير الرازقين، فاطلبوا الرزق منه وحده، واسعوا في الأسباب التي أمركم بها"<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ٤١٣/٢٠.

(٢) صحيح مسلم برقم (١٠٥٤).

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٢٣-٥٢٢/٦.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٢٦١): ص ٢٣٢٧/٧.

(٥) مفاتيح الغيب: ٢١٠/٢٥.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(٧) تفسير الطبري: ٤١٣/٢٠.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٢٣/٦.

(٩) أخرجه الطبري: ٤١٣/٢٠.

(١٠) رواه البخاري في صحيحه برقم (٤٦٨٤) ومسلم في صحيحه برقم (٩٩٣) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه.

(١١) رواه البخاري في صحيحه برقم (١٤٤٢) ومسلم في صحيحه برقم (١٠١٠) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه.

(١٢) جاء عن جماعة من الصحابة ، فرواه الطبراني في المعجم الكبير (٣٤٠/١) من طريق قيس بن الربيع عن أبي حصين ، عن يحيى بن وثاب ، عن مسروق عن ابن مسعود ، رضي الله عنه ، وقيس بن الربيع ضعفه. ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٣٤٢/١) ، وأبو يعلى في مسنده (٤٢٩/١٠) وأبو نعيم في الحلية (٢٨٠/٢) عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة ، رضي الله عنه. ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٣٥٩/١) من طريق أبي إسحاق عن مسروق عن بلال ، رضي الله عنه ، وفيه ابن زبالة وهو ضعيف.

قال الطبري: "يقول: وهو خير من قيل إنه يرزق ووصف به، وذلك أنه قد يوصف بذلك من دونه فيقال: فلان يرزق أهله وعياله"<sup>(١)</sup>.

قال مكحول: "بلغني عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا إن بعدكم زمان عضوض، يعرض الموسر على ما في يده حذار الإنفاق». ثم تلا هذه الآية: { وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ }"<sup>(٢)</sup>.

وقال مجاهد: "إذا كان في يد أحدكم ما يقيمه فليقتصد فإن الرزق مقسوم ولا تناول هذه الآية: { وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ }"<sup>(٣)</sup>.

وفي رواية: "لا يتأول أحدكم هذه الآية: { أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ }، يعني: أن يسرف في ماله فينفقه، فإن الرزق مقسوم"<sup>(٤)</sup>.  
فوائد الآيات: [٣٤-٣٩]:

- ١- بيان سنة الله في الأمم والشعوب وأنهم ما أتاهم من رسول إلا كفر به الأغنياء والكبراء.
- ٢- بيان اغترار المترفين بما أتاهم الله من مال وولد ظانين أن ذلك من رضا الله تعالى عليهم.
- ٣- بيان الحكمة في التوسعة على بعض والتضييق على بعض، وأنها الامتحان والابتلاء فلا تدل على حب الله ولا على بغضه للعبد.
- ٤- بيان ما يقرب إلى الله ويدني منه وهو الإيمان والعمل الصالح ومن ذلك الإنفاق في سبيل الله لا كثرة المال والولد كما يظن المغرورون المفتنون بالمال والولد.
- ٥- بيان حكم الله فيمن يحارب الإسلام ويريد إبطاله وأنه محضر في جهنم لا محالة.
- ٦- بيان وعد الله تعالى بالخلف لكل من أنفق في سبيله مالا.

## القرآن

{ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) } [سبأ: ٤٠]

التفسير:

واذكر -أيها الرسول- يوم يحشر الله المشركين والمعبودين من دونه من الملائكة، ثم يقول للملائكة على وجه التوبيخ لمن عبدتهم: أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون من دوننا؟

قوله تعالى: { وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا } [سبأ: ٤٠]، أي: "واذكر -أيها الرسول- يوم يحشر الله المشركين والمعبودين من دونه من الملائكة"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: يقول: "ويوم نحشر هؤلاء الكفار بالله جميعًا"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن الجوزي: "يعني: المشركين"<sup>(٣)</sup>.

وقال مقاتل: "يعني: الملائكة ومن عبدها، يجمعهم جميعا في الآخرة"<sup>(٤)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(٢) تفسير الطبري: ٤١٣/٢٠.

(٣) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٢٣/٦، وذكره السيوطي في الدر (٧٠٧/٦) وقال: "أخرج أبو يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه بسند ضعيف فذكره".

وفي رواية في آخره: "ويُثَلَّ شرار الخلق يبائعون كل مضطر، ألا إن بيع المضطرين حرام، [ألا إن بيع المضطرين حرام المسلم أخو المسلم. لا يظلمه ولا يخذله، إن كان عندك معروف، فعد به على أخيك، وإلا فلا تزد هلاكا إلى هلاكه".

قال ابن كثير: "هذا حديث غريب من هذا الوجه، وفي إسناده ضعف".

انظر: تفسير ابن كثير: ٥٢٣/٦، وذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٢٦١/١) وعزاه لأبي يعلى في مسنده.

(٤) أخرجه سفيان الثوري في التفسير (٧١: ٨٥): ص ٥٩/١.

(٥) تفسير سفيان الثوري (٧٨٤: ٦: ٧): ص ٢٤٤.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٧) تفسير الطبري: ٤١٤/٢٠.

(٨) زاد المسير: ٥٠٢/٣.

عن مجاهد: "ويوم نحشرهم جميعاً"، قال: الحشر: الموت" (٢).  
 قوله تعالى: {ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْوَأُ لَكُمْ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ} [سبأ : ٤٠]، أي: "ثم يقول للملائكة على وجه التوبيخ لمن عبدهم: أهوَأُ لَكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ؟" (٣).  
 قال الطبري: يقول: "ثم نقول للملائكة: أهوَأُ لَكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ؟" (٤).  
 قال مقاتل: "يعني: عن أمركم عبدوكم؟" (٥).  
 قال ابن كثير: "يخبر تعالى أنه يقرع المشركين يوم القيامة على رؤوس الخلائق ، فيسأل الملائكة الذين كان المشركون يزعمون أنهم يعبدون الأنداد التي هي على صورة الملائكة ليقربوهم إلى الله زلفى ، فيقول للملائكة : { أَهْوَأُ لَكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ } ؟ أي : أنتم أمرتم هؤلاء بعبادتكم ؟ كما قال في سورة الفرقان : { أَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ } [الفرقان : ١٧] ، وكما يقول لعيسى : { أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ } [المائدة : ١١٦]" (٦).  
 عن السدي، قوله: {أهوَأُ لَكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ}، قال: "يعني: يطيعون في الشرك" (٧).  
 قال ابن الجوزي: " هذا استفهام تقرير وتوبيخ للعباديين" (٨).  
 قال قتادة: " استفهام كقوله لعيسى: { أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ }" (٩).

## القرآن

**{قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (٤١)} [سبأ : ٤١]**

التفسير:

قالت الملائكة: ننزهك يا الله عن أن يكون لك شريك في العبادة، أنت وليُّنا الذي نطيعه ونعبده وحده، بل كان هؤلاء يعبدون الشياطين، أكثرهم بهم مصدقون ومطيعون.  
 قوله تعالى: {قَالُوا سُبْحَانَكَ} [سبأ : ٤١]، أي: "قالت الملائكة: ننزهك يا الله عن أن يكون لك شريك في العبادة" (١٠).  
 قال الطبري: يقول: "فتتبرأ منهم الملائكة {قَالُوا سُبْحَانَكَ} ربنا؛ تنزيهاً لك وتبرئة مما أضاف إليك هؤلاء من الشركاء والأنداد" (١١).  
 قال ابن الجوزي: " أي: تنزيهاً لك مما أضافوه إليك من الشركاء" (١٢).  
 قال ابن كثير: " أي : تعاليتَ وتقدست عن أن يكون معك إله" (١٣).  
 قال مقاتل: " فنزهت الملائكة ربها- عز وجل- عن الشرك" (١٤).  
 قال يحيى: " ينزهون الله عما قال المشركون" (١٥).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٦/٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٨٨٩):ص٤/١٣٨٧.

(٣) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٤) تفسير الطبري: ٤١٤ / ٢٠.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٦/٣.

(٦) تفسير ابن كثير: ٥٢٤/٦.

(٧) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٦٧/٢.

(٨) زاد المسير: ٥٠٢/٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٤١٤ / ٢٠.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(١١) تفسير الطبري: ٤١٤ / ٢٠.

(١٢) زاد المسير: ٥٠٢/٣.

(١٣) تفسير ابن كثير: ٥٢٤/٦.

(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٦/٣.

قوله تعالى: {أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ} [سبأ : ٤١]، أي: "أنت وليُّنا الذي نطيعه ونعبده وحده"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: أي: " {أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ} لا نتخذ وليًّا دونك"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن الجوزي: "أي: أنت ولينا من دونهم أي: نحن نتبرأ إليك منهم، ما توليناهم ولا اتخذناهم عابدين، ولسنا نريد وليا غيرك"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: نحن عبيدك ونبرأ إليك من هؤلاء"<sup>(٥)</sup>.

قال يحيى: "أي: أنا لم نكن نواليهم على عبادتهم إيانا"<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: {بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ} [سبأ : ٤١]، أي: "بل كان هؤلاء يعبدون الشياطين"<sup>(٧)</sup>.

قال مقاتل: "بل أطاعوا الشيطان في عبادتهم"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: نحن عبيدك ونبرأ إليك من هؤلاء ، { بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ } يعنون : الشياطين؛ لأنهم هم الذين يزينون لهم عبادة الأوثان ويضلونهم أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ { ، كما قال تعالى: {إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا } [النساء : ١١٧]"<sup>(٩)</sup>.

وقال يحيى: "أي: الشياطين من الجن هي التي دعتهن إلى عبادتنا ولم ندعهن إلى عبادتنا، فهم بطاعتهم الشياطين عابدون لهم كقوله: {لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ} [يس : ٦٠] وكقوله: {إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا} [النساء : ١١٧]"<sup>(١٠)</sup>.

عن مجاهد، قوله: {بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ}، قال: "الشيطان"<sup>(١١)</sup>.

عن السدي: {قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ}، يعني: "يطيعون الشياطين في عبادتهم إيانا"<sup>(١٢)</sup>.

قوله تعالى: {أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ} [سبأ : ٤١]، أي: "أكثرهم بهم مصدقون ومطيعون"<sup>(١٣)</sup>.

قال الطبري: "يقول: أكثرهم بالجن مصدقون، يزعمون أنهم بنات الله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً"<sup>(١٤)</sup>.

قال مقاتل: "مصدقين بالشيطان"<sup>(١٥)</sup>.

قال ابن الجوزي: "أي: مصدقون لهم فيما يخبرونهم من الكذب أن الملائكة بنات الله"<sup>(١٦)</sup>.

(١) تفسير يحيى بن سلام: ٧٦٧/٢.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٣) تفسير الطبري: ٤١٤ / ٢٠.

(٤) زاد المسير: ٥٠٢/٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٢٤/٦.

(٦) تفسير يحيى بن سلام: ٧٦٧/٢.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٦/٣.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥٢٤/٦.

(١٠) تفسير يحيى بن سلام: ٧٦٧/٢.

(١١) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٦٧/٢.

(١٢) علقه يحيى بن سلام ٧٦٧ / ٢.

(١٣) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(١٤) تفسير الطبري: ٤١٤ / ٢٠.

(١٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٦/٣.

(١٦) زاد المسير: ٥٠٢/٣.

قال يحيى: " يعني: المشركين بالشياطين مصدقون بما وسوس إليهم من عبادة من عبدوا فعبدوهم. وقوله عز وجل: {أكثرهم} جماعتهم"<sup>(١)</sup>.

## القرآن

{فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (٤٢)} [سبأ : ٤٢]

التفسير:

ففي يوم الحشر لا يملك المعبدون للعابدين نفعاً ولا ضرراً، ونقول للذين ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي: ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون.

قوله تعالى: {فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا} [سبأ : ٤٢]، أي: " ففي يوم الحشر لا يملك المعبدون للعابدين نفعاً ولا ضرراً"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: يقول: " فالיום لا يملك بعضكم أيها الملائكة للذين كانوا في الدنيا يعبدونكم نفعاً ينفعونكم به، ولا ضرراً ينالونكم به أو تنالونهم به"<sup>(٣)</sup>.

قال يحيى: " {فاليوم} ، يعني: يوم القيامة. {لا يملك بعضكم لبعض نفعاً ولا ضراً}: الشياطين والكفار"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن الجوزي: " يعني: العابدين والمعبدون نفعاً بالشفاعة ولا ضراً بالتعذيب"<sup>(٥)</sup>.

قال ابن كثير: " أي : لا يقع لكم نفع ممن كنتم ترجون نفعه اليوم من الأنداد والأوثان ، التي ادخرتم عبادتها لشئائكم وكرهكم ، اليوم لا يملكون لكم نفعاً ولا ضراً"<sup>(٦)</sup>.

قال مقاتل: " لا تقدر الملائكة على أن تسوق إلى من عبدها نفعاً، ولا تقدر على أن تدفع عنهم سوءاً"<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: {وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ} [سبأ : ٤٢]، أي: " ونقول للذين ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي: ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون"<sup>(٨)</sup>.

قال الطبري: "يقول: ونقول للذين عبدوا غير الله فوضعوا العبادة في غير موضعها، وجعلوها لغير من تتبغى أن تكون له {ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا} في الدنيا {تُكَذِّبُونَ} فقد وردتموها"<sup>(٩)</sup>.

قال ابن كثير: " {وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا} - وهم المشركون - { ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ } أي : يقال لهم ذلك ، تقريباً وتوبيخاً"<sup>(١٠)</sup>.

قال مقاتل: " يأمر الله الخزنة أن تقول للمشركين من أهل مكة: {ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون}"<sup>(١١)</sup>.

قال يحيى: " وهم جميعاً قرناء في النار: الشياطين ومن أضلوا، يلعن بعضهم بعضاً، ويبرأ بعضهم من البعض"<sup>(١٢)</sup>.

(١) تفسير يحيى بن سلام: ٧٦٧/٢.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٣) تفسير الطبري: ٤١٤ / ٢٠.

(٤) تفسير يحيى بن سلام: ٧٦٨/٢.

(٥) زاد المسير: ٥٠٢/٣.

(٦) تفسير ابن كثير: ٥٢٤/٦.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٦/٣.

(٨) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٩) تفسير الطبري: ٤١٤ / ٢٠.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٥٢٤/٦.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٦/٣.

(١٢) تفسير يحيى بن سلام: ٧٦٨/٢.

فوائد الآيات: [٤٠-٤٢]:

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر بعض أحوالها.
- ٢- أن من كانوا يعبدون الملائكة والأنبياء والصالحين كانوا يعبدون الشياطين إذ هي التي زينت لهم الشرك. أما الملائكة والأنبياء والأولياء فلم يرضوا بذلك منهم فضلاً عن أن يأمرهم به.
- ٣- بيان توبيخ أهل النار بتكذيبهم في الدنيا بالآخرة وكفرهم بوجود نار يعذبون بها يوم القيامة.

### القرآن

{وَإِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرَىٰ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾} [سبأ : ٤٣]

التفسير:

وإذا تنلى على كفار «مكة» آيات الله واضحات قالوا: ما محمد إلا رجل يرغب أن يمنعكم عن عبادة الآلهة التي كان يعبدها آبؤكم، وقالوا: ما هذا القرآن الذي تتلوه علينا -يا محمد- إلا كذب مختلق، جئت به من عند نفسك، وليس من عند الله، وقال الكفار عن القرآن لما جاءهم: ما هذا إلا سحر واضح.

قوله تعالى: {وَإِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ} [سبأ : ٤٣]، أي: "وإذا تنلى على كفار «مكة» آيات الله واضحات قالوا: ما محمد إلا رجل يرغب أن يمنعكم عن عبادة الآلهة التي كان يعبدها آبؤكم" (١).

قال الطبري: يقول: "وإذا تنلى على هؤلاء المشركين آيات كتابنا بيّنات، يقول: واضحات أنهن حق من عندنا، قالوا عند ذلك: لا تتبعوا محمداً، فما هو إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آبؤكم من الأوثان، ويغير دينكم ودين آبائكم" (٢).  
قال ابن كثير: "يعنون أن دين آبائهم هو الحق، وأن ما جاءهم به الرسول عندهم باطل - عليهم وعلى آبائهم لعائن الله -" (٣).

قال يحيى: " {قالوا ما هذا}، يعنون: محمداً صلى الله عليه وسلم" (٤).  
قال السعدي: "أي: هذا قصده، حين يأمركم بالإخلاص لله، لتتركوا عوائد آبائكم، الذين تعظمون وتمشون خلفهم، فردوا الحق، بقول الضالين، ولم يوردوا برهاناً، ولا شبهة، فأى شبهة إذا أمرت الرسل بعض الضالين، باتباع الحق، فادّعوا أن إخوانهم، الذين على طريقتهم، لم يزلوا عليه؟ وهذه السفاهة، ورد الحق، بأقوال الضالين، إذا تأملت كل حق رد، فإذا هذا ماله لا يرد إلا بأقوال الضالين من المشركين، والدهريين، والفلاسفة، والصابئين، والملحدين في دين الله، المارقين، فهم أسوة كل من رد الحق إلى يوم القيامة" (٥).

قوله تعالى: {وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرَىٰ} [سبأ : ٤٣]، أي: "وقالوا: ما هذا القرآن الذي تتلوه علينا -يا محمد- إلا كذب مختلق، جئت به من عند نفسك، وليس من عند الله" (٦).  
قال الطبري: يقول: "وقال هؤلاء المشركون: ما هذا الذي تتلو علينا يا محمد، يعنون القرآن، إلا كذب مختلق متخرف" (٧).

قال السعدي: "ولما احتجوا بفعل آبائهم، وجعلوها دافعة لما جاءت به الرسل، طعنوا بعد هذا بالحق، {وقالوا ما هذا إلا إفكٌ مُفْتَرَىٰ}، أي: كذب افتراه هذا الرجل، الذي جاء به" (٨).

(١) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٢) تفسير الطبري: ٤١٥ / ٢٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٢٥ / ٦.

(٤) تفسير يحيى بن سلام: ٧٦٨ / ٢.

(٥) تفسير السعدي: ٦٨٢.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٧) تفسير الطبري: ٤١٥ / ٢٠.



قال ابن كثير: "يعنون : القرآن" (٢).  
 قال القرطبي: "يعنون: القرآن، أي: ما هو إلا كذب مختلق" (٣).  
 قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ} [سبأ : ٤٣]،  
 أي: "وقال الكفار عن القرآن لما جاءهم: ما هذا إلا سحر واضح" (٤).  
 قال الطبري: يقول: "وقال الكفار لمحمداً صلى الله عليه وسلم، لما بعثه الله نبياً: ما هذا  
 إلا سحر مبين، يبين لمن رآه وتأمله أنه سحر" (٥).  
 قال السعدي: "أي: سحر ظاهر بين لكل أحد، تكذيباً بالحق، وترويجاً على السفهاء" (٦).  
 قال القرطبي: "فتارة قالوا سحر، وتارة قالوا إفك. ويحتمل أن يكون منهم من قال سحر  
 ومنهم من قال إفك" (٧).  
 عن ابن إسحاق: "هذا سحر مبين، أي: ما ساحر أسحر منك" (٨).

## القرآن

{وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ (٤٤)} [سبأ : ٤٤]

التفسير:

وما أنزلنا على الكفار من كُتُبٍ يقرؤونها قبل القرآن فتدلهم على ما يزعمون من أن ما جاءهم به  
 محمد سحر، وما أرسلنا إليهم قبلك -أيها الرسول- من رسول ينذرهم بأسنا.  
 قوله تعالى: {وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا} [سبأ : ٤٤]، أي: "وما أنزلنا على الكفار  
 من كُتُبٍ يقرؤونها قبل القرآن فتدلهم على ما يزعمون من أن ما جاءهم به محمد سحر" (٩).  
 قال الطبري: يقول: "وما أنزلنا على المشركين القائلين لمحمد صلى الله عليه وسلم لما  
 جاءهم بآياتنا: هذا سحر مبين، بما يقولون من ذلك كتباً يقرءونها" (١٠).  
 قال الزمخشري: أي: "وما آتيناهم كتباً يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك" (١١).  
 قال ابن كثير: "أي: ما أنزل الله على العرب من كتاب قبل القرآن" (١٢).  
 عن قتادة، قوله: "وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا، أي: يقرءونها" (١٣).  
 قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ} [سبأ : ٤٤]، أي: "وما أرسلنا إليهم قبلك -  
 أيها الرسول- من رسول ينذرهم بأسنا" (١٤).  
 قال الطبري: "يقول: وما أرسلنا إلى هؤلاء المشركين من قومك يا محمد فيما يقولون  
 ويعملون قبلك من نبي ينذرهم بأسنا عليه" (١٥).  
 قال الزمخشري: أي: "ولا أرسلنا إليهم نذيراً ينذرهم بالعقاب إن لم يشركوا" (١٦).

(١) تفسير السعدي: ٦٨٢.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٢٥/٦.

(٣) تفسير القرطبي: ٣١٠/١٤.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٥) تفسير الطبري: ٤١٥ / ٢٠.

(٦) تفسير السعدي: ٦٨٢.

(٧) تفسير القرطبي: ٣١٠/١٤.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦١٦٨): ص ٢٨٥٢/٩.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(١٠) تفسير الطبري: ٤١٥ / ٢٠.

(١١) الكشاف: ٥٨٩/٣.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٥٢٥/٦.

(١٣) أخرجه الطبري: ٤١٦ / ٢٠.

(١٤) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(١٥) تفسير الطبري: ٤١٦ / ٢٠.

(١٦) الكشاف: ٥٨٩/٣.

قال ابن كثير: أي: "وما أرسل إليهم نبياً قبل محمد صلى الله عليه وسلم، وقد كانوا يودون ذلك ويقولون: لو جاءنا نذير أو أنزل علينا كتاب، لكننا أهدى من غيرنا، فلما من الله عليهم بذلك كذبوه وعاندوه وجحدوه"<sup>(١)</sup>.

قال قتادة: "ما أنزل الله على العرب كتاباً قبل القرآن، ولا بعث إليهم نبياً قبل محمد صلى الله عليه وسلم"<sup>(٢)</sup>.

قال الزجاج في الآية: "يعنى: به مشركو العرب بمكة لم يكونوا أصحاب كتب ولا بعث نبي قبل محمد - صلى الله عليه وسلم -"<sup>(٣)</sup>.

قال القرطبي في الآية: "أي: لم يقرءوا في كتاب أوتوه بطلان ما جئت به، ولا سمعوه من رسول بعث إليهم، كما قال: {أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون} [الزخرف: ٢١]، فليس لتكذيبهم وجه يتشبه به ولا شبهة متعلق كما يقول أهل الكتاب وإن كانوا مبطلين: نحن أهل كتاب وشرائع ومستندون إلى رسل من رسل الله"<sup>(٤)</sup>.

## القرآن

**{وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٥)}** [سبأ : ٤٥]

التفسير:

وكذب الذين من قبلهم كعاد وتماد رسلنا، وما بلغ أهل «مكة» عشر ما آتينا الأمم السابقة من القوة، وكثرة المال، وطول العمر وغير ذلك من النعم، فكذبوا رسلي فيما جاؤوهم به فأهلكناهم، فانظر -أيها الرسول- كيف كان إنكاري عليهم وعقوبي إياهم؟ قوله تعالى: {وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [سبأ : ٤٥]، أي: "وكذب الذين من قبلهم كعاد وتماد رسلنا"<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: "يقول: وكذب الذين من قبلهم من الأمم رسلنا وتنزلنا"<sup>(٦)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: من الأمم"<sup>(٧)</sup>.

قال القرطبي: "أي: كذب قبلهم أقوام كانوا أشد من هؤلاء بطشا وأكثر أموالا وأولادا وأوسع عيشا، فأهلكتهم كتماد وعاد"<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: {وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ} [سبأ : ٤٥]، أي: "وما بلغ أهل «مكة» عشر ما آتينا الأمم السابقة من القوة، وكثرة المال، وطول العمر وغير ذلك من النعم"<sup>(٩)</sup>.

قال الطبري: "يقول: ولم يبلغ قومك يا محمد عشر ما أعطينا الذين من قبلهم من الأمم من القوة والأيدي والبطش، وغير ذلك من النعم"<sup>(١٠)</sup>.

قال الزجاج: "أي: عشر الذي آتينا من قبلهم من القوة والقدرة"<sup>(١١)</sup>.

قال القرطبي: "قيل: ما أعطى الله تعالى من قبلهم معشار ما أعطاهم من العلم والبيان والحجة والبرهان"<sup>(١٢)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير: ٥٢٥/٦.

(٢) أخرجه الطبري: ٤١٦/٢٠.

(٣) معاني القرآن: ٢٥٦/٤.

(٤) تفسير القرطبي: ٣١٠/١٤.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٦) تفسير الطبري: ٤١٦/٢٠.

(٧) تفسير ابن كثير: ٥٢٥/٦.

(٨) تفسير القرطبي: ٣١٠/١٤.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(١٠) تفسير الطبري: ٤١٦/٢٠.

(١١) معاني القرآن: ٢٥٦/٤.

(١٢) تفسير القرطبي: ٣١٠/١٤.

قال الزمخشري: " وما بلغ هؤلاء بعض ما آتينا أولئك من طول الأعمار وقوة الأجرام وكثرة الأموال"<sup>(١)</sup>.

وحكي النقاش: "ما بلغ الذين من قبلهم معشار شكر ما أعطيناهم"<sup>(٢)</sup>.  
قال ابن كثير: هو " كما قال تعالى : { وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } [الأحقاف : ٢٦] ، { أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً } [غافر : ٨٢] ، أي : وما دفع ذلك عنهم عذاب الله ولا رده ، بل دمر الله عليهم لما كذبوا رسله"<sup>(٣)</sup>.

عن ابن عباس، قوله: " {وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ}، من القوة في الدنيا"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن عباس: " يقول: ما جاوزوا معشار ما أنعمنا عليهم"<sup>(٥)</sup>.

قال قتادة: " يخبركم أنه أعطى القوم ما لم يعطكم من القوة وغير ذلك"<sup>(٦)</sup>.

قال ابن زيد: " ما بلغ هؤلاء، أمة محمد صلى الله عليه وسلم، معشار ما آتينا الذين من قبلهم، وما أعطيناهم من الدنيا، وبسطنا عليهم"<sup>(٧)</sup>.

وقال الحسن: " ما عملوا بعشر ما أمرُوا به"<sup>(٨)</sup>.

قال الجوهري: " معشار الشيء: عشره"<sup>(٩)</sup>.

قال الماوردي: " المعشار: هو عشير العشير ، والعشير عشر العشر ، فيكون جزءاً من ألف جزء ، وهو الأظهر ، لأن المراد به المبالغة في التقليل"<sup>(١٠)</sup>.

قوله تعالى: {فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ} [سبأ : ٤٥]، أي: " فكذبوا رسلي فيما جاؤوهم به فأهلكناهم، فانظر -أيها الرسول- كيف كان إنكاري عليهم وعقوبتي إياهم؟"<sup>(١١)</sup>.

قال قتادة: " يقول: فقد أهلك الله أولئك وهم أقوى وأجدد"<sup>(١٢)</sup>.

قال الطبري: " يقول: فكذبوا رسلي فيما أتوهم به من رسالتي، فعاقبناهم بتغييرنا بهم ما كنا آتيناهم من النعم، فانظر يا محمد كيف كان نكير، يقول: كيف كان تغييري بهم وعقوبتي"<sup>(١٣)</sup>.

قال الزمخشري: " فحين كذبوا رسلهم جاءهم إنكارى بالتدمير والاستئصال، ولم يغن عنهم استظهارهم بما هم به مستظرون، فما بال هؤلاء؟"<sup>(١٤)</sup>.

قال ابن كثير: " أي : فكيف كان نکالی وعقابی وانتصاري لرسلي"<sup>(١٥)</sup>.

قال السعدي: " قد أعلمنا ما فعل بهم من النكال، وأن منهم من أغرقه، ومنهم من أهلكه بالريح العقيم، وبالصيحة، وبالرجفة، وبالخسف بالأرض، وبإرسال الحاصب من السماء،

- 
- (١) الكشاف: ٥٨٩/٣.
  - (٢) نقلا عن النكت والعيون: ٤٥٥/٤.
  - (٣) تفسير ابن كثير: ٥٢٥/٦.
  - (٤) أخرجه الطبري: ٤١٦/٢٠.
  - (٥) أخرجه الطبري: ٤١٦/٢٠.
  - (٦) أخرجه الطبري: ٤١٦/٢٠-٤١٧.
  - (٧) أخرجه الطبري: ٤١٧/٢٠.
  - (٨) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٦٩/٢.
  - (٩) نقلا عن : تفسير القرطبي: ٣١٠/١٤.
  - (١٠) النكت والعيون: ٤٥٥/٤.
  - (١١) التفسير الميسر: ٤٣٣.
  - (١٢) أخرجه عبد الرزاق ١٣٢ /٢ بنحوه، وابن جرير ٤١٦-٤١٧، من طريق سعيد مختصراً. وعزه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم.
  - (١٣) تفسير الطبري: ٤١٧/٢٠.
  - (١٤) الكشاف: ٥٨٩/٣.
  - (١٥) تفسير ابن كثير: ٥٢٥/٦.

فاحذروا يا هؤلاء المكذوبون، أن تدوموا على التكذيب، فيأخذكم كما أخذ من قبلكم، ويصيبكم ما أصابهم" (١).

## القرآن

{قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ خِزْفٍ ثُمَّ تَذْكُرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ حِجَّةٍ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٤٦)} [سبأ : ٤٦]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المكذبين المعاندين: إنما أنصح لكم بخصلة واحدة أن تنهضوا في طاعة الله اثنين اثنين وواحدًا واحدًا، ثم تتفكروا في حال صاحبكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما نسب إليه، فما به من جنون، وما هو إلا مخوف لكم، ونذير من عذاب جهنم قبل أن تقاسوا حرها.

قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ} [سبأ : ٤٦]، أي: قل -أيها الرسول- لهؤلاء المكذبين المعاندين: إنما أنصح لكم بخصلة واحدة" (٢).

قال ابن كثير: " يقول تعالى : قل يا محمد لهؤلاء الكافرين الزاعمين أنك مجنون : { إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ } أي : إنما أمركم بواحدة" (٣).

قال السعدي: " {قُلْ} يا أيها الرسول، لهؤلاء المكذبين المعاندين، المتصددين لرد الحق وتكذيبه، والقدح بمن جاء به: {إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ} أي: بخصلة واحدة، أشير عليكم بها، وأنصح لكم في سلوكها، وهي طريق نصف، لست أدعوكم بها إلى اتباع قولي، ولا إلى ترك قولكم، من دون موجب لذلك" (٤).

وفي قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ} [سبأ : ٤٦]، أقوال:

أحدها : يعني: بطاعة الله عز وجل ، قاله مجاهد (٥)، وبه قال الطبري (٦).

قال الطبري: يقول: " قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك: إنما أعظم أيها القوم بواحدة وهي طاعة الله" (٧).

الثاني : بلا إله إلا الله ، قاله مجاهد-أيضا- (٨)، والسدي (٩)، ومقاتل (١٠)، ويحيى بن سلام (١١).

قال مقاتل: " بكلمة واحدة كلمة الإخلاص" (١٢).

قال الزجاج: " أي: أعظمكم بأن توحدوا الله وأن تقولوا لا إله إلا الله مخلصا، وقد قيل واحدة في الطاعة، والطاعة تتضمن التوحيد والإخلاص" (١٣).

الثالث : المعنى: إنما أعظمكم بخصلة واحدة، ثم بينها فقال: {أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ خِزْفٍ}. وهذا قول قتادة (١٤).

(١) تفسير السعدي: ٦٨٢.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٢٥/٦.

(٤) تفسير السعدي: ٦٨٢.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤١٧ / ٢٠.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤١٧ / ٢٠.

(٧) تفسير الطبري: ٤١٧ / ٢٠.

(٨) انظر: الدر المنثور: ٧١٠/٦، وعزاه إلى الفريابي وعبد بن حميد.

(٩) الدر المنثور: ٧١٠/٦، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٧/٣.

(١١) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٧٦٩/٢.

(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٧/٣.

(١٣) معاني القرآن: ٢٥٦/٤.

(١٤) انظر: تفسير عبدالرزاق (٢٤٢٦): ص ٦٥/٣.

عن قتادة، قوله: "﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُ بَواحدة﴾، يقول بواحدة: {أن تقوموا لله مثني وفردى}، فهذه واحدة وعظمهم بها"<sup>(١)</sup>.

الرابع: بالقرآن، لأنه يجمع كل المواضع. أفاده الماوردي<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: {أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ وَفَرَادَى} [سبأ: ٤٦]، أي: "وهي أن تنهضوا في طاعة الله اثنين اثنين وواحدًا واحدًا"<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: "يقول: وتلك الواحدة التي أعظمكم بها هي أن تقوموا لله اثنين اثنين، {وَفَرَادَى} فردى"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: تقوموا قيامًا خالصًا لله، من غير هوى ولا عصبية، فيسأل بعضكم بعضًا: هل بمحمد من جنون؟ فينصح بعضكم بعضًا، {ثُمَّ تَنَفَّكْرُوا} أي: ينظر الرجل لنفسه في أمر محمد صلى الله عليه وسلم، ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه، ويتفكر في ذلك"<sup>(٥)</sup>.

قال الزجاج: "أي: أعظمكم بطاعة الله لأن تقوموا لله منفردين ومجتمعين"<sup>(٦)</sup>.

قال الفراء: "أي: يكفيني منكم أن يقوم الرجل منكم وحده، أو هو وغيره"<sup>(٧)</sup>.

عن مجاهد: "﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ وَفَرَادَى﴾، قال: واحدًا واثنين"<sup>(٨)</sup>.

قال قتادة: "رجلا ورجلين"<sup>(٩)</sup>.

قال السدي: "ليس بالقيام على الأرجل، كقوله: {كُونُوا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ} [النساء:

١٣٥]"<sup>(١٠)</sup>.

عن محمد بن كعب القرظي، في قوله: {قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُ بَواحدة أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ

وفردى}، قال: يقوم الرجل مع الرجل أو وحده، فيتفكر {ما بصاحبكم من حجة}"<sup>(١١)</sup>.

قال السدي: "أي: تنهضوا بهمة، ونشاط، وقصد لاتباع الصواب، وإخلاص لله،

مجتمعين، ومتباحثين في ذلك، ومتناظرين، وفردى، كل واحد يخاطب نفسه بذلك، فإذا قمتم لله،

(١) أخرجه عبدالرزاق (٢٤٢٦): ص ٦٥/٣.

(٢) انظر: النكت والعيون: ٤٥٥/٤.

(٣) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٤) تفسير الطبري: ٤١٧/٢٠.

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٢٥/٦. ثم قال ابن كثير: "هذا معنى ما ذكره مجاهد، ومحمد بن كعب، والسدي، وفتادة، وغيرهم، وهذا هو المراد من الآية.

فأما الحديث الذي رواه ابن أبي حاتم: حدثنا هاشم بن عمار، حدثنا صدقة بن خالد، حدثنا عثمان بن أبي العاتكة، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول:

"أعطيت ثلاثًا لم يعطهن من قبلي ولا فخر: أحلت لي الغنائم، ولم تحل لمن قبلي، كانوا قبلي يجمعون غنائمهم فيحرقونها. وبُعِثت إلى كل أحمر وأسود، وكان كل نبي يبعث إلى قومه، وجعلت لي الأرض مسجدًا

وظهورًا، أتيتم بالصعيد، وأصلي حيث أدركتني الصلاة، قال الله: {أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ وَفَرَادَى} وأعنت بالربح مسيرة شهر بين يدي" - فهو حديث ضعيف الإسناد، وتفسير الآية بالقيام في الصلاة في جماعة

وفردى بعيد، ولعله مقم في الحديث من بعض الرواة، فإن أصله ثابت في الصحاح وغيرها والله أعلم.

[تفسير ابن كثير: ٥٢٥/٦-٥٢٦].

والحديث: "أخرجه الدارمي (٣٧٤/١)، رقم (١٣٨٩)، وعبد بن حميد (ص ٣٤٩، رقم ١١٥٤)، والبخاري (١٢٨/١).

رقم (٣٢٨)، ومسلم (٣٧٠/١)، رقم (٥٢١)، والنسائي (٢٠٩/١)، رقم (٤٣٢)، وأبو عوانة (٣٣٠/١)، رقم (١١٧٣)، وابن حبان (٣٠٨/١٤)، رقم (٦٣٩٨).

(٦) معاني القرآن: ٢٥٧/٤.

(٧) معاني القرآن: ٣٦٤/٢.

(٨) أخرجه الطبري: ٤١٨/٢٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٤١٨/٢٠.

(١٠) الدر المنثور: ٧١٠/٦، وعزاه إلى ابن المنذر.

(١١) الدر المنثور: ٧١٠/٦، وعزاه إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم.

مثنى وفرادى، استعملتم فكركم، وأجلتموه، وتدبرتم أحوال رسولكم، هل هو مجنون، فيه صفات المجانين من كلامه، وهيئته، وصفته؟ أم هو نبي صادق، منذر لكم ما يضركم، مما أمامكم من العذاب الشديد؟ فلو قبلوا هذه الموعظة، واستعملوها، لتبين لهم أكثر من غيرهم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليس بمجنون، لأن هيئته ليست كهيئات المجانين، في خفقهم، واختلاجهم، ونظرهم، بل هيئته أحسن الهيئات، وحركاته أجل الحركات، وهو أكمل الخلق، أدبا، وسكينة، وتواضعا، ووقارا، لا يكون إلا لأرزن الرجال عقلا. ثم إذا تأملوا كلامه الفصيح، ولفظه المليح، وكلماته التي تملأ القلوب، أمانا، وإيمانا، وتركى النفوس، وتطهر القلوب، وتبعث على مكارم الأخلاق، وتحت على محاسن الشيم، وترهب عن مساوئ الأخلاق وردائلها، إذا تكلم رمقته العيون، هيبة وإجلالا وتعظيما، فهل هذا يشبه هذيان المجانين، وعربدتهم، وكلامهم الذي يشبه أحوالهم؟ فكل من تدبر أحواله ومقصده استعلام هل هو رسول الله أم لا؟ سواء تفكر وحده، أو مع غيره، جزم بأنه رسول الله حقا، ونبيه صدقا، خصوصا المخاطبين، الذي هو صاحبهم يعرفون أول أمره وآخره"<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ حِجَّةٍ﴾ [سبأ : ٤٦]، أي: "ثم تتفكروا في حال صاحبكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما نسب إليه، فما به من جنون"<sup>(٢)</sup>  
قال الفراء: "ثم تتفكروا هل جربتم على محمد كذبا أو رأوا به جنونا ففي ذلك ما يتيقنون أنه بنى"<sup>(٣)</sup>.

قال الزجاج: "المعنى: ثم تتفكروا فتعلموا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ما هو بمجنون كما تقولون، والجنة الجنون"<sup>(٤)</sup>.

قال النحاس: "أي: يقوم أحدكم وحده ويشاور غيره فيقول هل علمت أن هذا الرجل كذب قط أو سحر أو كهن أو شعر ثم تتفكروا بعد ذلك فإنه يعلم أن ما جاء به من عند الله جل وعز ويقال إن من تحير في أمر ثم شاور فيه ثم فكر بعد ذلك تبين له الحق واعتبر"<sup>(٥)</sup>.

قال ابن قتيبة في الآية: "تأويله أن المشركين قالوا: إن محمدا مجنون وساحر، وأشبهه هذا من خرصهم، فقال الله جل وعز لنبيه صلى الله عليه وسلم: قل لهم: اعتبروا أمري بواحدة، وهي أن تنصحو لأنفسكم، ولا يميل بكم هوى عن حق، فتقوموا لله وفي ذاته، مقاما يخلو فيه الرجل منكم بصاحبه فيقول له: هلم فلنتصدق، هل رأينا بهذا الرجل جنة قط أو جرينا عليه كذبا؟ فهذا موضع قيامهم مثنى. ثم ينفرد كل واحد عن صاحبه فيفكر وينظر ويعتبر. فهذا موضع قيامهم فرادى. فإن في ذلك ما دلهم على أنه نذير. وكل من تحير في أمر قد اشتبه عليه واستبهم، أخرجه من الحيرة فيه: أن يسأل وينظر، ثم يفكر ويعتبر"<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ : ٤٦]، أي: "وما هو إلا مخوف لكم، ونذير من عذاب جهنم قبل أن تقاسوا حرها"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: "يقول: ما محمد إلا نذير لكم ينذركم على كفركم بالله عقابه أمام عذاب جهنم قبل أن تصلوها"<sup>(٨)</sup>.

قال الزجاج: "أي: ينذركم أنكم إن عصيتم لقيتم عذابا شديدا"<sup>(٩)</sup>.

(١) تفسير السعدي: ٦٨٢.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٣) معاني القرآن: ٣٦٤/٢.

(٤) معاني القرآن: ٢٥٧/٤.

(٥) معاني القرآن: ٤٢٣/٥.

(٦) تاويل مشكل القرآن: ١٩١.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٨) تفسير الطبري: ٤١٨/٢٠.

(٩) معاني القرآن: ٢٥٧/٤.

عن ابن عباس قال : "صَعَدَ النبي صلى الله عليه وسلم الصفا ذات يوم ، فقال : "يا صباحاه". فاجتمعت إليه قريش ، فقالوا : ما لك ؟ فقال : "أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو يُصَبِّحكم أو يُمَسِّبكم ، أما كنتم تصدقوني؟" قالوا : بلى. قال : "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد". فقال أبو لهب : تبا لك! ألهذا جمعنا ؟ فأنزل الله : { تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ } { المسد" (١) }.

وعن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فنادى ثلاث مرات فقال : "أيها الناس ، أتدرون ما مثلي ومثلكم ؟" قالوا : الله ورسوله أعلم. قال : "إنما مثلي ومثلكم مثل قوم خافوا عدوا يأتيهم ، فبعثوا رجلا يترأى لهم ، فبينما هو كذلك أبصر العدو ، فأقبل لينذرهم وخشي أن يدركه العدو قبل أن ينذر قومه ، فأهوى بثوبه : أيها الناس ، أوتيتم. أيها الناس ، أوتيتم - ثلاث مرات" (٢).

فوائد الآيات: [٤٣-٤٦]:

- ١- بيان عناد المشركين وسخف عقولهم وهبوطهم الفكري.
- ٢- ضعف كفار قريش وتشدهم وعتوهم إذا قيسوا بالأمم السابقة فإنهم لا يملكون من القوة نسبة واحد إلى ألف إذ المعشار هو عشر عشر العشر.
- ٣- تقرير النبوة المحمدية وإثباتها وذلك ينفي الجئة عنه صلى الله عليه وسلم وإثبات أنه نذير.

## القرآن

{قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٤٧)} [سبأ

: ٤٧]

التفسير:

قل -أيها الرسول- للكفار: ما سألتكم على الخير الذي جئتمكم به من أجر فهو لكم، ما أجري الذي أنتظره إلا على الله المطَّلِع على أعمالكم وأعمالكم، لا يخفى عليه شيء فهو يجازي الجميع، كل بما يستحقه.

قوله تعالى: {قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ} [سبأ : ٤٧]، أي: "قل -أيها الرسول- للكفار: ما سألتكم على الخير الذي جئتمكم به من أجر فهو لكم" (٣).

قال الطبري: يقول: " قل يا محمد لقومك المكذبيك، الرادين عليك ما أتيتهم به من عند ربك: ما أسألكم من جُعلٍ على إنذاركم عذاب الله، وتخويفكم به بأسه، ونصيحتي لكم في أمري إياكم بالإيمان بالله، والعمل بطاعته، فهو لكم لا حاجة لي به. وإنما معنى الكلام: قل لهم: إني لم أسألكم على ذلك جعلاً فنتهموني، وتظنوا أنني إنما دعوتكم إلى اتباعي لمال أخذه منكم" (٤).

قال الزجاج: "معناه: ما سألتكم من أجر على الرسالة أوديتها إليكم، والقرآن الذي أتيتكم به من عند الله - فهو لكم - وتأويله: أنني إنما أذكركم وأبلغكم الرسالة ولست أجر إلى نفسي عرضاً من أعراض الدنيا" (٥).

قال ابن كثير: "أي : لا أريد منكم جُعلاً ولا عطاءً على أداء رسالة الله إليكم ، ونصيحتي إياكم ، وأمركم بعبادة الله" (٦).

قال السعدي: "وتم مانع للنفوس آخر عن اتباع الداعي إلى الحق، وهو أنه يأخذ أموال من يستجيب له، ويأخذ أجرة على دعوته. فبين الله تعالى نزاهة رسوله صلى الله عليه وسلم عن

(١) صحيح البخاري برقم (٤٨٠١).

(٢) المسند (٣٤٨/٥).

(٣) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٤) تفسير الطبري: ٤١٨/٢٠ - ٤١٩.

(٥) معاني القرآن: ٢٥٧/٤.

(٦) تفسير ابن كثير: ٥٢٦/٦.

هذا الأمر فقال: {قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ} أي: على اتباعكم للحق {فَهُوَ لَكُمْ} أي: فأشهدكم أن ذلك الأجر - على التقدير - أنه لكم" (١).

عن قتادة، قوله: "قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ، أي: جُعِلَ {فَهُوَ لَكُمْ}، يقول: لم أسألكم على الإسلام جعلاً" (٢).

قوله تعالى: {إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ} [سبأ : ٤٧]، أي: "ما أجري الذي أنتظره إلا على الله" (٣).

قال الطبري: "يقول: ما ثوابي على دعائكم إلى الإيمان بالله والعمل بطاعته، وتبليغكم رسالته، إلا على الله" (٤).

قال الزجاج: "أي: إنما أطلب ثواب الله بتأدية الرسالة" (٥).

قال ابن كثير: "أي: إنما أطلب ثواب ذلك من عند الله" (٦).

قوله تعالى: {وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [سبأ : ٤٧]، أي: "هو تعالى رقيب وحاضر على أعمالكم، لا يخفى عليه شيء وسيجازي الجميع، كل بما يستحقه" (٧).

قال الطبري: "يقول: والله على حقيقة ما أقول لكم شهيد يشهد لي به، وعلى غير ذلك من الأشياء كلها" (٨).

قال ابن كثير: "أي: عالم بجميع الأمور، بما أنا عليه من إخباري عنه بإرساله إياي إليكم، وما أنتم عليه" (٩).

قال السعدي: "أي: محيط علمه بما أدعو إليه، فلو كنت كاذباً، لأخذني بعقوبته، وشهيد أيضاً على أعمالكم، سيحفظها عليكم، ثم يجازيكم بها" (١٠).

## القرآن

{قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (٤٨)} [سبأ : ٤٨]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لمن أنكر التوحيد ورسالة الإسلام: إن ربي يقذف الباطل بحجج من الحق، فيفضحه ويهلكه، والله علام الغيوب، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

قوله تعالى: {قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ} [سبأ : ٤٨]، أي: "قل -أيها الرسول- لمن أنكر التوحيد ورسالة الإسلام: إن ربي يقذف الباطل بحجج من الحق، فيفضحه ويهلكه" (١١).

قال الطبري: "يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: {قُلْ} يا محمد لمشركي قومك {إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ} وهو الوحي، يقول: ينزله من السماء، فيقذفه إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم" (١٢).

قال الزجاج: "معنى: «يقذف بالحق» أي: يأتي بالحق ويرمي بالحق، كما قال - جل وعز -: {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ} [الأنبياء : ١٨]" (١٣).

(١) تفسير السعدي: ٦٨٢.

(٢) أخرجه الطبري: ٤١٩ / ٢٠.

(٣) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٤) تفسير الطبري: ٤١٩ / ٦.

(٥) معاني القرآن: ٢٥٧ / ٤.

(٦) تفسير ابن كثير: ٥٢٦ / ٦.

(٧) انظر: التفسير الميسر: ٤٣٣. [بتصرف]

(٨) تفسير الطبري: ٤١٩ / ٦.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥٢٦ / ٦.

(١٠) تفسير السعدي: ٦٨٢.

(١١) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(١٢) تفسير الطبري: ٤١٩ / ٢٠.

(١٣) معاني القرآن: ٢٥٨ / ٤.



قال ابن كثير هو: "كقوله تعالى: { يُقَيِّ الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ } [غافر : ١٥]. أي: يرسل الملك إلى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ" (١).

عن قتادة، قوله: " {إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ} ، أي: بالوحي" (٢).  
قوله تعالى: {عَلَامُ الْغُيُوبِ} [سبأ : ٤٨] ، أي: "والله علام الغيوب، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء" (٣).

قال الطبري: "يقول: علام ما يغيب عن الأبصار، ولا مظهر لها، وما لم يكن مما هو كائن" (٤).

قال ابن كثير هو: "فلا تخفى عليه خافية في السموات ولا في الأرض" (٥).  
قال السعدي: أي: "الذي يعلم ما تنطوي عليه القلوب، من الوسوس والشبه، ويعلم ما يقابل ذلك، ويدفعه من الحجج" (٦).

قال ابن زيد: "يزهق الله الباطل، ويثبت الله الحق الذي دمع به الباطل، يدمغ بالحق على الباطل، فيهلك الباطل ويثبت الحق، فذلك قوله: {قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَامُ الْغُيُوبِ}" (٧).

## القرآن

**{قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ (٤٩)} [سبأ : ٤٩]**

التفسير:

قل -أيها الرسول-: جاء الحق والشرع العظيم من الله، وذهب الباطل واضمحلاً سلطانه، فلم يبق للباطل شيء يبذوه ويعيده.

قوله تعالى: {قُلْ جَاءَ الْحَقُّ} [سبأ : ٤٩] ، أي: "قل -أيها الرسول-: جاء الحق والشرع العظيم من الله" (٨).

قال الطبري: "يقول: قل لهم يا محمد: جاء القرآن ووحى الله" (٩).

قال الزجاج: "أي: قل جاء أمر الله الذي هو الحق" (١٠).

قال السعدي: "أي: ظهر وبان، وصار بمنزلة الشمس، وظهر سلطانه" (١١).

قال النحاس: "التقدير: جاء صاحب الحق، أي: الكتاب الذي فيه البراهين والحجج الحق" (١٢).

قال ابن كثير هو: "أي: جاء الحق من الله والشرع العظيم ، وذهب الباطل وزهق واضمحلاً ، كقوله: { بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ [فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ] { [الأنبياء : ١٨] ، ولهذا لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد الحرام يوم الفتح ، ووجد تلك الأصنام منصوبة حول الكعبة ، جعل يطعن الصنم بسية قوسه ، ويقرأ : { وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا } ، { قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ }" (١٣) (١).

(١) تفسير ابن كثير: ٥٢٧/٦.

(٢) اخرج الطبري: ٤٢٠ / ٢٠.

(٣) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٤) تفسير الطبري: ٤١٩ / ٢٠.

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٢٧/٦.

(٦) تفسير السعدي: ٦٨٢.

(٧) اخرج الطبري: ٤٢٠ / ٢٠.

(٨) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(٩) تفسير الطبري: ٤١٩ / ٢٠.

(١٠) معاني القرآن: ٢٥٨/٤.

(١١) تفسير السعدي: ٦٨٣.

(١٢) إعراب القرآن: ٢٤٢/٣.

(١٣) صحيح البخاري برقم (٢٤٧٨ ، ٤٢٨٧) وصحيح مسلم برقم (١٧٨١) وسنن الترمذي برقم (٣١٣٨) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١٤٢٨).

عن قتادة، قوله: "قُلْ جَاءَ الْحَقُّ"، أي: القرآن<sup>(٢)</sup>.  
 قوله تعالى: {وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ} [سبأ : ٤٩]، أي: "ذهب الباطل بالمرّة فلم يبق له شيء يبده ويعيده"<sup>(٣)</sup>.  
 قال ابن فورك: أي: "أن الحق إذا جاء أذهب الباطل فلن يبق له بقية يبدي بها ولا يعيد"<sup>(٤)</sup>.

قال الثعلبي: "يعني: ذهب الباطل وزهق فلم تبق له بقية يبدي بها ولا يعيد"<sup>(٥)</sup>.  
 قال السعدي: "أي: اضمحل وبطل أمره، وذهب سلطانه، فلا يبدي ولا يعيد"<sup>(٦)</sup>.  
 قال ابن كثير: "أي: لم يبق للباطل مقالة ولا رياسة ولا كلمة"<sup>(٧)</sup>.  
 وقال الحسن: "وما يبدي الباطل} لأهله خيرا {وما يعيد}، أي: بخير الآخرة"<sup>(٨)</sup>.  
 قال مقاتل: "يقول: ما يبدي الشيطان الخلق فيخلقهم وما يعيد خلقهم في الآخرة فيبعثهم بعد الموت والله - جل وعز - بفعل ذلك"<sup>(٩)</sup>.  
 وقال الضحاك: "الباطل: الآلهة، وقال: {وما يبدي وما يعيد}، أي: ما يحيى وما يميت"<sup>(١٠)</sup>.

قال الطبري: "يقول: وما ينشئ الباطل خلقًا، ولا يعيده حيًّا بعد فناءه، والباطل هو فيما فسره أهل التأويل: إبليس"<sup>(١١)</sup>.  
 قال الزجاج: "الباطل: -ههنا- إبليس، والمعنى: وما يعيد إبليس وما يفيد، أي: لا يخلق ولا يبعث، والله - عز وجل - الخالق والباعث، ويجوز أن يكون الباطل صاحب الباطل وهو إبليس"<sup>(١٢)</sup>.

قال قتادة و«الباطل»: إبليس، أي: ما يخلق إبليس أحدًا ولا يبعثه"<sup>(١٣)</sup>.  
 قال ابن كثير: "وهذا [أي: ان الباطل هو إبليس] وإن كان حقًا ولكن ليس هو المراد هاهنا. والله أعلم"<sup>(١٤)</sup>.  
 قال القشيري في الآية: "الباطل على ممر الأيام لا يزيد إلا زهوفا، والحق على ممر الأيام لا يزداد إلا قوة وظهوراً"<sup>(١٥)</sup>.

## القرآن

{قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ} (٥٠)  
 [سبأ : ٥٠]  
 التفسير:

- (١) تفسير ابن كثير: ٥٢٧/٦.
- (٢) أخرجه الطبري: ٤٢٠ / ٢٠.
- (٣) التفسير الميسر: ٤٣٤. [بتصرف]
- (٤) تفسير ابن فورك: ١٥٥/٢.
- (٥) الكشف والبيان: ٩٤/٨.
- (٦) تفسير السعدي: ٦٨٣.
- (٧) تفسير ابن كثير: ٥٢٧/٦.
- (٨) حكاه عنه ابن فورك في التفسير: ٥٥١/٢.
- (٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٨/٣.
- (١٠) حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن: ٢٤٢/٣.
- (١١) تفسير الطبري: ٤١٩ / ٢٠.
- (١٢) معاني القرآن: ٢٥٨/٤.
- (١٣) أخرجه الطبري: ٤٢٠ / ٢٠.
- (١٤) تفسير ابن كثير: ٥٢٧/٦.
- (١٥) لطائف الإشارات: ١٨٨/٣.

قل: إن ملّت عن الحق فأثمّ ضلالي على نفسي، وإن استقمّت عليه فبوحى الله الذي يوحىه إليّ، إن ربي سمع لما أقول لكم، قريب ممّن دعاه وسأله.

قوله تعالى: {قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي} [سبأ : ٥٠]، أي: "قل: إن ملّت عن الحق فأثمّ ضلالي على نفسي"<sup>(١)</sup>.

عن عمر بن سعد: "قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي"، قال: أوخذ بجنايتي"<sup>(٢)</sup>. قال الطبري: يقول: "قل يا محمد لقومك: إن ضللت عن الهدى فسلكت غير طريق الحق، إنما ضلالي عن الصواب على نفسي، يقول: فإن ضلالي عن الهدى على نفسي ضره"<sup>(٣)</sup>.

قال البيضاوي: أي: "قل إن ضللت عن الحق، فإن وبال ضلالي عليها لأنه بسببها إذ هي الجاهلة بالذات والأمارة بالسوء"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: أي: "ومَنْ ضل فإنما يضل من تلقاء نفسه، كما قال عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، لما سئل عن تلك المسألة في المفوضة: أقول فيها برأيي، فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه"<sup>(٥)</sup><sup>(٦)</sup>. قال مقاتل: "وذلك أن كفار مكة قالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم- لقد ضللت حين تركت دين آبائك، {فإنما أضل على نفسي}، إنما ضلّلتني على نفسي"<sup>(٧)</sup>.

قال السعدي: "لما تبين الحق بما دعا إليه الرسول، وكان المكذبون له، يرمونه بالضلّال، أخبرهم بالحق، ووضحه لهم، وبين لهم عجزهم عن مقاومته، وأخبرهم أن رميهم له بالضلّال، ليس بضائر الحق شيئاً، ولا دافع ما جاء به. وأنه إن ضل - وحاشاه من ذلك، لكن على سبيل التنزل في المجادلة - فإنما يضل على نفسه، أي: ضلاله قاصر على نفسه، غير متعد إلى غيره"<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: {وَإِنْ اهْتَدَيْتُمْ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي} [سبأ : ٥٠]، أي: "وإن استقمّت عليه فبوحى الله الذي يوحىه إليّ"<sup>(٩)</sup>.

قال الطبري: يقول: وإن استقمّت على الحق فبوحى الله الذي يوحى إليّ، وتوفيقه للاستقامة على محجة الحق وطريق الهدى"<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: الخير كله من عند الله، وفيما أنزله الله عز وجل من الوحي والحق المبين فيه الهدى والبيان والرشاد"<sup>(١١)</sup>.

قال البيضاوي: "فإن الاهتداء بهدائته وتوفيقه"<sup>(١٢)</sup>.

قال السعدي: "فليس ذلك من نفسي، وحولي، وقوتي، وإنما هدايتي بما {يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي} فهو مادة هدايتي، كما هو مادة هداية غيري"<sup>(١٣)</sup>.

قوله تعالى: {إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ} [سبأ : ٥٠]، أي: "إن ربي سمع لما أقول لكم، قريب ممّن دعاه وسأله"<sup>(١)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(٢) الدر المنثور: ٧١١/٦، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠/٤٢٠.

(٤) تفسير البيضاوي: ٤/٢٥١.

(٥) انظر الأثر في المسند (٤٧٧/١).

(٦) تفسير ابن كثير: ٦/٥٢٧.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٥٣٨.

(٨) تفسير السعدي: ٦٨٣.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(١٠) تفسير الطبري: ٢٠/٤٢٠.

(١١) تفسير ابن كثير: ٦/٥٢٧.

(١٢) تفسير البيضاوي: ٤/٢٥١.

(١٣) تفسير السعدي: ٦٨٣.

قال الطبري: "يقول: إن ربي سميع لما أقول لكم حافظ له، وهو المجازي لي على صدقي في ذلك، وذلك مني غير بعيد، فيتعذر عليه سماع ما أقول لكم، وما تقولون، وما يقوله غيرنا، ولكنه قريب من كل متكلم يسمع كل ما ينطق به، أقرب إليه من حبل الوريد"<sup>(٢)</sup>.  
قال ابن كثير: "أي: سميع لأقوال عباده، قريب مجيب دعوة الداعي إذا دعاه"<sup>(٣)</sup>.  
قال البيضاوي: أي: "يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله وإن أخفاه"<sup>(٤)</sup>.  
قال مقاتل: "سميع {الدعاء، {قريب {الإجابة"<sup>(٥)</sup>.  
قال السعدي: "إن ربي {سميع} للأقوال والأصوات كلها {قريب} ممن دعاه وسأله وعبده"<sup>(٦)</sup>.  
وفي الحديث: «إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنما تدعون سميعاً قريباً مجيباً»<sup>(٧)</sup>.

## القرآن

{وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فُزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ} {سبأ: ٥١}

التفسير:

ولو ترى -أيها الرسول- إذ فزع الكفار حين معابنتهم عذاب الله، لرأيت أمراً عظيماً، فلا نجاه لهم ولا مهرب، وأخذوا إلى النار من موضع قريب التناول.  
قوله تعالى: {وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فُزِعُوا فَلَا فَوْتَ} [سبأ: ٥١]، أي: "ولو ترى -أيها الرسول- إذ فزع الكفار حين معابنتهم عذاب الله، لرأيت أمراً عظيماً، فلا نجاه لهم ولا مهرب"<sup>(٨)</sup>.  
قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ولو ترى يا محمد إذ فزعوا"<sup>(٩)</sup>.  
قال ابن كثير: "ولو ترى -يا محمد- إذ فزع هؤلاء المكذبون يوم القيامة، {فلا فوة} أي: فلا مفر لهم، ولا وزر ولا ملجأ"<sup>(١٠)</sup>.  
قال القرطبي: "ذكر أحوال الكفار في وقت ما يضطرون فيه إلى معرفة الحق، والمعنى: لو ترى إذا فزعوا في الدنيا عند نزول الموت أو غيره من بأس الله تعالى بهم"<sup>(١١)</sup>.  
قال الزجاج: "هذا في وقت بعثهم، أي: فلا فوة لهم، لا يمكنهم أن يفوتوا"<sup>(١٢)</sup>.  
واختلف أهل التفسير في فزعهم، على خمسة أقوال:  
أحدها: فزعهم يوم القيامة، قاله مجاهد<sup>(١٣)</sup>، وابن معقل<sup>(١٤)</sup>.  
وقال مجاهد: "حين عابنوا عذاب الله"<sup>(١٥)</sup>.  
عن الأوزاعي، قال: "سمعت بلال بن سعد يقول في قوله تعالى: {ولو ترى إذ فزعوا فلا فوة}، قال: ذلك قوله تعالى: {يقول الإنسان يومئذ أين المفر} [القيامة: ١٠]"<sup>(١)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠ / ٤٢٠-٤٢١.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٢٧/٦.

(٤) تفسير البيضاوي: ٢٥١/٤.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٨/٣.

(٦) تفسير السعدي: ٦٨٣.

(٧) النسائي في السنن الكبرى برقم (١١٤٢٧) وصحيح البخاري برقم (٤٢٠٥) وصحيح مسلم برقم (٢٧٠٤).

(٨) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(٩) تفسير الطبري: ٢٠ / ٤٢١.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٥٢٨/٦.

(١١) تفسير القرطبي: ٣١٤/١٤.

(١٢) معاني القرآن: ٢٥٨/٤.

(١٣) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (١٩): ص ١/١١.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٤٢٤.

(١٥) أخرجه الطبري: ٢٠ / ٤٢٤.

الثاني : فزعهم في الدنيا حين عند نزول نعمة الله بهم. قاله ابن عباس<sup>(٢)</sup>، وقتادة<sup>(٣)</sup>، والضحاك<sup>(٤)</sup>، وزيد بن أسلم<sup>(٥)</sup>.

قال ابن عباس: " هذا من عذاب الدنيا"<sup>(٦)</sup>.

قال قتادة: " فزعوا " في الدنيا حين رأوا بأس الله {فلا فوت}<sup>(٧)</sup>.

قال قتادة: " في الدنيا، عند الموت، حين عاينوا الملائكة، ورأوا بأسَ الله"<sup>(٨)</sup>.

قال الضحاك: " هذا عذاب الدنيا"<sup>(٩)</sup>.

قال الضحاك: " هو يوم بدر"<sup>(١٠)</sup>. وروى عن زيد بن أسلم مثله<sup>(١١)</sup>.

قال السدي: " هذا يوم بدر حين ضربت أعناقهم، فعاينوا العذاب، فلم يستطيعوا فراراً من العذاب، ولا رجوعاً إلى التوبة"<sup>(١٢)</sup>.

الثالث : هو الجيش الذي يخسف بهم في البيداء فيبقى منهم رجل فيخبر الناس بما لقي أصحابه، فيفزعوا فهذا هو فزعهم ، قاله سعيد بن جبير<sup>(١٣)</sup>، ومقاتل<sup>(١٤)</sup>.

وقال سعيد بن عبدالرحمن بن أبزى: " خُسف بالبيداء"<sup>(١٥)</sup>.

وعن عطية بن سعد العوفي: " قوم خُسف بهم؛ أخذوا من تحت أقدامهم"<sup>(١٦)</sup>.

عن حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب، قال: "فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم السفيناني من الوادي اليابس في فورة ذلك، حتى ينزل دمشق، فيبعث جيشين؛ جيشاً إلى المشرق، وجيشاً إلى المدينة، حتى ينزلوا بأرض بابل في المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة، فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف، ويبقرون بها أكثر من مائة امرأة، ويقتلون بها ثلاثمائة كبش من بني العباس، ثم ينحدرون إلى الكوفة فيخربون ما حولها، ثم يخرجون متوجهين إلى الشام، فتخرج راية هذا من الكوفة، فتلحق ذلك الجيش منها على الفئتين، فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر، ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم، ويخلي جيشه التالي بالمدينة، فينهبونها ثلاثة أيام ولياليها، ثم يخرجون متوجهين إلى مكة، حتى إذا كانوا بالبيداء، بعث الله جبريل، فيقول: يا جبرائيل اذهب فأبدهم، فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم، فذلك قوله في سورة سبأ: {وَلَوْ تَرَى إِذْ فُزِعُوا فَلَا فَوْتَ ... } الآية، ولا يفلت منهم إلا رجلان؛ أحدهما بشير والآخر نذير، وهما من جهينة، فلذلك جاء القول<sup>(١٧)</sup>:

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٥ / ٢٢٧.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٤٢١.

(٣) انظر: تفسير عبدالرزاق (٢٤٢٩): ص ٦٦/٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٤٢١.

(٥) الدر المنثور: ٦ / ٧١٢، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠ / ٤٢١.

(٧) انظر: تفسير عبدالرزاق (٢٤٢٩): ص ٦٦/٣.

(٨) أخرجه عبد الرزاق ٢ / ١٣٣ من طريق معمر. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم. وأخرجه ابن أبي الدنيا في الأحوال ٦ / ١٩٧ (١٤٧) من طريق سعيد بلفظ: حين عاينوا عذاب الله.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٤٢١.

(١٠) الدر المنثور: ٦ / ٧١٢، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(١١) الدر المنثور: ٦ / ٧١٢، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(١٢) الدر المنثور: ٦ / ٧١١، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٤٢٢.

(١٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣ / ٥٣٨-٥٣٩.

(١٥) أخرجه الثعلبي ٨ / ٩٤.

(١٦) الدر المنثور: ٦ / ٧١٢، وعزاه إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(١٧) هذا عجز بيت من الوافر. صدره: نُسائل عن حُصين كل ركبٍ

(مجمع الأمثال الميداني ١: ٣٤) والشطر الثاني من الأمثال الثائرة. وله قصة مطولة ذكرها الميداني خلاصتها: أن حصين بن عمرو بن معاوية بن كلاب والأخنس بن شريق الجهني خرج لما يخرج له الفتيان الصعاليك؛ ليغيرا ويكسبا ويغنما، فلما غنما بعض الشيء عدا الجهني على صاحبه فقتله، ثم رجع إلى قومه جهينة،

..... وَعِنْدَ جُهِينَةَ الْخَبْرِ الْيَقِينِ<sup>(١)</sup>.

الرابع : هو فزعهم يوم بدر حين ضربت أعناقهم فلم يستطيعوا فراراً من العذاب ولا رجوعاً إلى التوبة ، قاله السدي<sup>(٢)</sup>، وابن زيد<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن زيد: " هؤلاء قتلى المشركين من أهل بدر، نزلت فيهم هذه الآية، قال: وهم الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم، أهل بدر من المشركين"<sup>(٤)</sup>.

الخامس : هو فزعهم يوم القيامة حين يخرجون من قبورهم. قاله الحسن<sup>(٥)</sup>.

قال الحسن: " في القبور من الصيحة"<sup>(٦)</sup>.

وقال الحسن: " يعني: النفخة الأولى التي يُهلك الله بها كفارَ آخر هذه الأمة"<sup>(٧)</sup>.

وقال ابن قتيبة: " أي: عند البعث"<sup>(٨)</sup>.

قال الطبري: " والذي هو أولى بالصواب في تأويل ذلك، وأشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل قول من قال: وعيد الله المشركين الذين كذبوا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قومه، لأن الآيات قبل هذه الآية جاءت بالإخبار عنهم وعن أسبابهم، وبوعيد الله إياهم مغتبه، وهذه الآية في سياق تلك الآيات، فلأن يكون ذلك خبراً عن حالهم أشبه منه بأن يكون خبراً لما لم يجر له ذكر. وإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: ولو ترى يا محمد هؤلاء المشركين من قومك، فتعابنهم حين فزعوا من معابنتهم عذاب الله {فَلَا قُوَّةَ} يقول: فلا سبيل حينئذٍ أن يفوتوا بأنفسهم، أو يعجزونا هرباً، وينجوا من عذابنا"<sup>(٩)</sup>.

وفي قوله تعالى: {فَلَا قُوَّةَ} [سبأ : ٥١]، ثلاثة أقوال:

أحدها : فلا نجاة ، قاله ابن عباس<sup>(١٠)</sup>.

الثاني : فلا هرب. قاله الضحاك<sup>(١١)</sup>. وهو معنى قول مجاهد<sup>(١٢)</sup>.

قال مجاهد: "يوم القيامة {فلا فوت} فلم يفوتوا ربك"<sup>(١٣)</sup>.

الثالث : فلا سبق ، قاله قتادة<sup>(١٤)</sup>.

قال يحيى بن سلام: " لا يفوت أحد منهم دون أن يهلك بالعذاب"<sup>(١٥)</sup>.

قال الزجاج: " أي: فلا فوت لهم، لا يمكنهم أن يفوتوا"<sup>(١٦)</sup>.

---

وأخبرهم بالذي صنع بصاحبه، وقال أبياتاً من الشعر تتضمن القصة -ويلوح لي أن هذه القصة موضوعة- ولهذا يروى المثل: "وعند جهينة الخير اليقين" كما في (اللاقتضاب شرح أدب الكتاب) لابن السيد البطليوسي. وأما استشهاد المؤلف به في قصة السفيناني، فيدل على أن جهينة كانت قبيلة مشهورة بنتبع أخبار العرب ومعرفة الأحداث؛ حتى كان عندها علم كل شيء. ولكثرة ذلك فيها نسب إليها العلم بما يقع من الأحداث المستقبلية.

(١) أخرجه ابن جرير ٤٢٢/٢٠، والثعلبي ٩٥/٨.

قال ابن كثير في تفسيره ٥٢٨/٦: «ثم أورد -أي: ابن جرير- في ذلك حديثاً موضوعاً بالكلية، ثم لم ينبّه على ذلك، وهذا أمر عجيب غريب منه». وقال الألباني في الضعيفة ١٤/١٢٥ - ١٢٦ (٦٥٥٢): «موضوع».

(٢) انظر: النكت والعيون: ٤٥٨/٤.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٤٢١.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠/٤٢١.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٤٢٣-٤٢٤.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠/٤٢٣-٤٢٤، وابن أبي حاتم(١٧٩٠٧):ص٣١٦٨/١٠.

(٧) أخرجه يحيى بن سلام ٧٧٠/٢.

(٨) غريب القرآن: ٣٥٨.

(٩) تفسير الطبري: ٢٠/٤٢٤.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٤٢٤.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٤٢٤.

(١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٧٩٠٦):ص٣١٦٨/١٠.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٩٠٦):ص٣١٦٨/١٠.

(١٤) انظر: النكت والعيون: ٤٥٨/٤.

(١٥) تفسير يحيى بن سلام: ٧٧٠/٢.

(١٦) معاني القرآن: ٢٥٨/٤.

قوله تعالى: {وَأَخْذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ} [سبأ : ٥١]، أي: "وأخذوا إلى النار من موضع قريب التناول"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: "يقول: وأخذهم الله بعذابه من موضع قريب، لأنهم حيث كانوا من الله قريب لا يبعدون عنه"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: "أي : لم يكونوا يُمنعون في الهرب بل أخذوا من أول وهلة"<sup>(٣)</sup>.

وفي قوله تعالى: {وَأَخْذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ} [سبأ : ٥١]، وجوه من التفسير: أحدها : من تحت أقدامهم ، قاله مجاهد<sup>(٤)</sup>، وعطية العوفي<sup>(٥)</sup>، مقاتل<sup>(٦)</sup>، وحكاه يحيى بن سلام عن بعضهم<sup>(٧)</sup>.

الثاني : يعني قتلهم يوم بدر ، قاله عبد الرحمن بن زيد<sup>(٨)</sup>.

قال ابن زيد: " هؤلاء قتلى المشركين من أهل بدر، نزلت فيهم هذه الآية، قال: وهم الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم، أهل بدر من المشركين"<sup>(٩)</sup>.

الثالث : هو جيش السفيناني ، قاله سعيد بن جبير<sup>(١٠)</sup>، وحكاه الماوردي عن ابن عباس<sup>(١١)</sup>.

قال ابن كثير: "حكى ابن جرير عن بعضهم قال : إن المراد بذلك جيش يخسف بهم بين مكة والمدينة في أيام بني العباس ، ثم أورد في ذلك حديثاً موضوعاً بالكلية. ثم لم ينبه على ذلك ، وهذا أمر عجيب غريب منه"<sup>(١٢)</sup>.

الرابع : عذاب الدنيا، قاله ابن عباس<sup>(١٣)</sup>، والضحاك<sup>(١٤)</sup>.

عن ابن عباس، قوله: "{وَلَوْ تَرَى إِذْ فُزِعُوا فَلَا فَوْتَ ...}"، إلى آخر الآية، قال: هذا من عذاب الدنيا"<sup>(١٥)</sup>.

الخامس : حين خرجوا من القبور ، قاله الحسن<sup>(١٦)</sup>.

وقال الحسن: " وأي شيء أقرب من أن كانوا في بطن الأرض فإذا هم على ظهرها"<sup>(١٧)</sup>.

قال الواحدي: " يعني القبور، وحيث كانوا فهم من الله قريب لا يبعدون عنه، ولا يفوتونه"<sup>(١٨)</sup>.

السادس : هو يوم القيامة ، قاله مجاهد ايضاً<sup>(١٩)</sup>، والقاسم بن نافع<sup>(٢٠)</sup>.

وقال يحيى بن سلام: " النفخة الآخرة"<sup>(١)</sup>.

- 
- (١) التفسير الميسر: ٤٣٤ .  
(٢) تفسير الطبري: ٤٢٤ / ٢٠ .  
(٣) تفسير ابن كثير: ٥٢٨ / ٦ .  
(٤) انظر: النكت والعيون: ٤٥٩ / ٤ .  
(٥) نقلاً عن تفسير ابن كثير: ٥٢٨ / ٦ .  
(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٩ / ٣ .  
(٧) انظر/ تفسير يحيى بن سلام: ٧٧١ / ٢ .  
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٢١ / ٢٠ .  
(٩) أخرجه الطبري: ٤٢١ / ٢٠ .  
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٢ / ٢٠ .  
(١١) انظر: النكت والعيون: ٤٥٩ / ٤ .  
(١٢) تفسير ابن كثير: ٥٢٨ / ٦ .  
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٢١ / ٢٠ .  
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٢١ / ٢٠ .  
(١٥) أخرجه الطبري: ٤٢١ / ٢٠ .  
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٣ - ٤٢٤ ، وتفسير يحيى بن سلام: ٧٧١ / ٢ ، والنكت والعيون: ٤٥٩ / ٤ .  
(١٧) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٧١ / ٢ .  
(١٨) التفسير الوسيط: ٤٩٩ / ٣ .  
(١٩) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (١٩): ص ١١ / ١ .  
(٢٠) انظر: النكت والعيون: ٤٥٩ / ٤ .

السابع : في أسراً ما كانوا فيه نفوساً ، وأقوى ما كانوا عليه أملاً لأنه أقرب بلاء من نعمه. أفاده  
الماوردي<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير: " الصحيح : أن المراد بذلك يوم القيامة ، وهو الطامة العظمى ، وإن كان  
ما ذكر متصلاً بذلك"<sup>(٢)</sup>.

## القرآن

{وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٥٢) } [سبأ : ٥٢]

التفسير:

وقال الكفار -عندما رأوا العذاب في الآخرة-: آمنا بالله وكتبه ورسله، وكيف لهم تناول الإيمان  
في الآخرة ووصولهم له من مكان بعيد؟ قد حيل بينهم وبينه، فمكانه الدنيا، وقد كفروا فيها.

قوله تعالى: {وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ} [سبأ : ٥٢]، أي: "وقال الكفار -عندما رأوا العذاب في  
الآخرة-: آمنا بالله وكتبه ورسله"<sup>(٤)</sup>.

قال مجاهد: يعني: «بالله»<sup>(٥)</sup>.

قال ابن كثير: " أي : يوم القيامة يقولون : آمنا بالله وكتبه ورسله، كما قال تعالى : }  
وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا  
مُقِرِّينَ } [السجدة : ١٢]"<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: {وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ} [سبأ : ٥٢]، أي: "وكيف لهم تناول  
الإيمان في الآخرة ووصولهم له من مكان بعيد؟ قد حيل بينهم وبينه، فمكانه الدنيا، وقد كفروا  
فيها"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن كثير: " أي : وكيف لهم تعاطي الإيمان وقد بعدوا عن محل قبوله منهم وصاروا  
إلى الدار الآخرة ، وهي دار الجزاء لا دار الابتلاء ، فلو كانوا آمنوا في الدنيا لكان ذلك نافعهم  
، ولكن بعد مصيرهم إلى الدار الآخرة لا سبيل لهم إلى قبول الإيمان ، كما لا سبيل إلى حصول  
الشيء لمن يتناوله من بعيد"<sup>(٨)</sup>.

وفي معنى: «التناوش»، أقوال:

أحدها : هو الرجعة، قاله ابن عباس<sup>(٩)</sup>، ومجاهد<sup>(١٠)</sup>. والضحاك<sup>(١١)</sup>، ومقاتل<sup>(١٢)</sup>، ومنه قول  
الشاعر<sup>(١٣)</sup>:

تَمَنَّى أَنْ تَوُوبَ إِلَيَّ مَيِّ ... وليس إلى تناوشها سبيلٌ

عن أبي إسحاق عن التميمي قال: قلت لابن عباس: رأيت قول الله : {وَأَنَّى لَهُمُ  
التَّنَاطُشُ}، قال: يسألون الرد وليس بحين رد"<sup>(١٤)</sup>.

(١) تفسير يحيى بن سلام: ٧٧١/٢.

(٢) انظر: النكت والعيون: ٤٥٩/٤.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٢٨/٦.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(٥) تفسير مجاهد: ٥٥٦.

(٦) تفسير ابن كثير: ٥٢٨/٦.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٢٨/٦.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٢٧/٢٠.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٢٧/٢٠.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٨/٢٠.

(١٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٩/٣.

(١٣) البيت بلا نسبة في النكت والعيون: ٤٥٩/٤، والمحزر الوجيز: ٤٢٧/٤، والبحر المحيط في التفسير:  
٥٦٦/٨، وغيرها.

(١٤) أخرجه الطبري: ٤٢٧/٢٠.



وقال ابن عباس: "فكيف لهم بالرد"<sup>(١)</sup>.  
 وقال سعيد: "التناوب"<sup>(٢)</sup>.  
 قال مقاتل: "الرجعة إلى التوبة بعيد منهم لأنه لا يقبل منهم"<sup>(٣)</sup>.  
 الثاني: هو التوبة، قاله الحسن<sup>(٤)</sup>، وأبو مالك<sup>(٥)</sup>، والسدي<sup>(٦)</sup>.  
 قال قتادة: "أنى لهم أن يتناولوا التوبة"<sup>(٧)</sup>.  
 وقال الزهري: "التناوش: تناولهم الإيمان وهم في الآخرة وقد انقطعت عنهم الدنيا"<sup>(٨)</sup>.  
 وقال الحسن البصري: "أما إنهم طلبوا الأمر من حيث لا ينال تعاطوا الإيمان من مكان بعيد"<sup>(٩)</sup>.

قال ابن زيد: "هؤلاء قتلى أهل بدر من قتل منهم، وقرأ: {وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ ...} الآية، قال: التناوش: التناول، وأنى لهم تناول التوبة من مكان بعيد وقد تركوها في الدنيا، قال: وهذا بعد الموت في الآخرة"<sup>(١٠)</sup>.  
 وعن ابن زيد: قوله: "وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ" بعد القتل، {وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ} وقرأ: {وَالَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كَقَارِئٍ} قال: ليس لهم توبة، وقال: عرض الله عليهم أن يتوبوا مرة واحدة، فيقبلها الله منهم، فأبوا، أو يعرضون التوبة بعد الموت، قال: فهم يعرضونها في الآخرة خمس عرضات، فيأبى الله أن يقبلها منهم، قال: والتائب عند الموت ليست له توبة {وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا ...} الآية، وقرأ: {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ}<sup>(١١)</sup>.  
 الثالث: هو التناول، قاله مجاهد<sup>(١٢)</sup>، الفراء<sup>(١٣)</sup>، وأبو عبيدة<sup>(١٤)</sup>، والزجاج<sup>(١٥)</sup>، ومنه قول الشاعر<sup>(١٦)</sup>:

فهى تنوش الحوض نوشا من علا ... نوشا به تقطع أجواز الفلا  
 قال الفراء: "وتناوش القوم في القتال: إذا تناول بعضهم بعضا ولم يتدانوا كل التداني"<sup>(١٧)</sup>.  
 قال الزجاج: "التناوش: التناول، أي: فكيف لهم أن يتناولوا ما كان مبذولا لهم وكان قريبا منهم، فكيف يتناولونه حين بعد عنهم"<sup>(١٨)</sup>.

- (١) أخرجه الطبري: ٤٢٧/٢٠.
- (٢) أخرجه الطبري: ٤٢٧/٢٠.
- (٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٩/٣.
- (٤) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٤٢٧/٥.
- (٥) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٤٢٧/٥.
- (٦) حكاه عنه الماوردي في لنكت والعيون: ٤٥٩/٤.
- (٧) تفسير عبدالرزاق (٢٤٣١): ص ٦٦/٣.
- (٨) تفسير ابن كثير: ٤٦٧/٦.
- (٩) تفسير ابن كثير: ٤٦٧/٦.
- (١٠) أخرجه الطبري: ٤٢٧/٢٠-٤٢٨.
- (١١) أخرجه الطبري: ٤٢٨/٢٠.
- (١٢) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٤٢٨/٥.
- (١٣) انظر: معاني القرآن: ٣٦٥/٢.
- (١٤) انظر: مجاز القرآن: ١٥٠/٢.
- (١٥) انظر: معاني القرآن: ٢٥٨/٤.
- (١٦) البيت لعيلان بن حريث كما في اللسان (نوش) والضمير في «فهى» للابل. وقوله: «من علا» أي من فوق يريد أنها عالية الأجسام طوال الأعناق. وهذا النوش الذي ترتوى به يعينها على قطع الفلوات. والأجواز جمع جوز وهو الوسط.
- (١٧) البيت في معاني القرآن للفراء: ٣٦٥/٢.
- (١٨) معاني القرآن: ٣٦٥/٢.
- (١٨) معاني القرآن: ٢٥٨/٤.

عن مجاهد: "وَأَتَى لَهُمُ التَّنَاوُشُ" قال: التناول لذلك<sup>(١)</sup>.  
قال مجاهد: "التناوش التناول، سألوا الرد وليس بخير رد"<sup>(٢)</sup>.  
الرابع: أن التناوش: تناول التوبة. قاله قتادة<sup>(٣)</sup>.  
قال النحاس: "هذا أبينها يقال: ناش ينوش، إذا تناول.. والمعنى: ومن أين لهم تناول التوبة [من مكان بعيد]، أي: يبعد منه تقبل التوبة"<sup>(٤)</sup>.  
وفي قوله تعالى: {مَنْ مَكَانَ بَعِيدٍ} [سبأ : ٥٢]، أقوال:  
أحدها : من الآخرة إلى الدنيا ، قاله مجاهد<sup>(٥)</sup>.  
الثاني : ما بين الآخرة والدنيا ، رواه القاسم بن نافع عن مجاهد<sup>(٦)</sup>.  
الثالث : هو طلبهم الأمر من حيث لا ينال، قاله الحسن<sup>(٧)</sup>.  
الرابع : بعيد عليهم لاستحالته عندهم. حكاه الماوردي<sup>(٨)</sup>.

## القرآن

{وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٥٣)} [سبأ : ٥٣]

التفسير:

وقد كفروا بالحق في الدنيا، وكذبوا الرسل، ويرمون بالظن من جهة بعيدة عن إصابة الحق، ليس لهم فيها مستند لظنهم الباطل، فلا سبيل لإصابتهم الحق، كما لا سبيل للرامي إلى إصابة الغرض من مكان بعيد.

قوله تعالى: {وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ} [سبأ : ٥٣]، أي: "وقد كفروا بالحق في الدنيا، وكذبوا الرسل"<sup>(٩)</sup>.

قال الطبري: "يقول: وقد كفروا بما يسألونه ربه عند نزول العذاب بهم، ومعاينتهم إياه من الإقالة له، وذلك الإيمان بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاءهم به من عند الله"<sup>(١٠)</sup>.  
قال ابن كثير: "أي: كيف يحصل لهم الإيمان في الآخرة، وقد كفروا بالحق في الدنيا وكذبوا بالرسل"<sup>(١١)</sup>.

قال مقاتل: "وقد كفروا به بالقرآن من قبل نزول العذاب حين بعث الله- عز وجل- محمدا- صلى الله عليه وسلم"<sup>(١٢)</sup>.

عن قتادة، قوله: {وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ}، "أي: بالإيمان في الدنيا"<sup>(١٣)</sup>.

قوله تعالى: {وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ} [سبأ : ٥٣]، أي: "ويرمون بالظن من جهة بعيدة عن إصابة الحق، ليس لهم فيها مستند لظنهم الباطل، فلا سبيل لإصابتهم الحق، كما لا سبيل للرامي إلى إصابة الغرض من مكان بعيد"<sup>(١٤)</sup>.

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٤٦٧/٦، والدر المنثور: ٧١٤/٦، وعزاه إلى الفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٢) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (١٩): ص ١١/١.

(٣) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٤٢٨/٥.

(٤) معاني القرآن: ٤٢٨/٥.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٨/٢٠.

(٦) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (١٩): ص ١١/١، وانظر: النكت والعيون: ٤٥٩/٤.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٤٥٩/٤.

(٨) انظر: النكت والعيون: ٤٥٩/٤.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(١٠) تفسير الطبري: ٤٢٨/٢٠.

(١١) تفسير ابن كثير: ٥٢٨/٦.

(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٩/٣.

(١٣) اخرج الطبري: ٤٢٩/٢٠.

(١٤) التفسير الميسر: ٤٣٤.

قال الطبري: " يقول: وهم اليوم يقذفون بالغيب محمداً من مكان بعيد، يعني أنهم يرمونه، وما أتاهم من كتاب الله بالظنون والأوهام، فيقول بعضهم: هو ساحر، وبعضهم شاعر، وغير ذلك"<sup>(١)</sup>.

وفي قوله تعالى: {وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ} [سبأ : ٥٣]، ثلاثة وجوه من التفسير: أحدها : معناه: يرمجون بالظن ويقولون في الدنيا لا بعث ولا جنة ولا نار ، قاله الحسن<sup>(٢)</sup>، وقتادة<sup>(٣)</sup>.

قال الزجاج: " أي: كانوا يرمجون ويرمون بالغيب، وترجمهم أنهم كانوا يظنون أنهم لا يبعثون"<sup>(٤)</sup>.

الثاني : أنه طعنهم في القرآن ، قاله ابن زيد<sup>(٥)</sup>.

الثالث : أنه طعنهم في رسول الله-صلى الله عليه وسلم- بأنه شاعر أو ساحر أو كاهن، قاله مجاهد<sup>(٦)</sup>، وسماه قذفاً لخروجه عن غير حق<sup>(٧)</sup>.

## القرآن

{وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ (٥٤)}

[سبأ : ٥٤]

التفسير:

وحيل بين الكفار وما يشتهون من التوبة والعودة إلى الدنيا ليؤمنوا، كما فعل الله بأمثالهم من كفره الأمم السابقة، إنهم كانوا في الدنيا في شكٍّ من أمر الرسل والبعث والحساب، مُحدِّث للريبة والقلق، فلذلك لم يؤمنوا.

قوله تعالى: {وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ} [سبأ : ٥٤]، أي: "وحيل بين الكفار وما يشتهون من التوبة والعودة إلى الدنيا ليؤمنوا"<sup>(٨)</sup>.

قال الطبري: يقول: " وحيل بين هؤلاء المشركين حين فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب، فقالوا: أمناً به {وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ} حينئذٍ من الإيمان بما كانوا به في الدنيا قبل ذلك يكفرون، ولا سبيل لهم إليه"<sup>(٩)</sup>.

وفي قوله تعالى: {وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ} [سبأ : ٥٤]، وجوه:

أحدها : حيل بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا ليتوبوا، قاله مجاهد<sup>(١٠)</sup>.

قال الزجاج: " المعنى: من الرجوع إلى الدنيا، والإيمان"<sup>(١١)</sup>.

الثاني : بينهم وبين الإيمان بالله، قاله الحسن<sup>(١٢)</sup>.

الثالث : بينهم وبين التوبة ، قاله السدي<sup>(١٣)</sup>.

الرابع : بينهم وبين طاعة الله تعالى ، قاله قتادة<sup>(١٤)</sup>، وخليد<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ٤٢٩ / ٠٢ .

(٢) انظر: النكت والعيون: ٤٦٠ / ٤ .

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٩ / ٢٠ .

(٤) معاني القرآن: ٢٥٨ / ٤ .

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٩ / ٢٠ .

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٩ / ٢٠ .

(٧) انظر: النكت والعيون: ٤٦٠ / ٤ .

(٨) التفسير الميسر: ٤٣٤ .

(٩) تفسير الطبري: ٤٣٠ / ٢٠ .

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٠ / ٢٠ .

(١١) معاني القرآن: ٢٥٩ / ٤ .

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٠ / ٢٠ .

(١٣) انظر: النكت والعيون: ٤٦٠ / ٤ ، وتفسير ابن كثير: ٥٢٩ / ٦ .

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٠ / ٢٠ .

قال قتادة: " كان القوم يشتهون طاعة الله أن يكونوا عملوا بها في الدنيا حين عاينوا ما عاينوا"<sup>(٢)</sup>.

الخامس : بينهم وبين ما يشتهون من مال وولد أو زهرة الدنيا. قاله مجاهد أيضا<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن زيد: " في الدنيا التي كانوا فيها والحياة"<sup>(٤)</sup>.

السادس: حيل بين المؤمن وبين العمل ، وبين الكافر وبين الإيمان ، قاله يزيد بن أبي يزيد<sup>(٥)</sup>.  
قال الطبري: " لأن يكون قوله: { وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ } خبراً عن أنه لا سبيل لهم إلى ما تمنوه أولى من أن يكون خبراً عن غيره"<sup>(٦)</sup>.

روي عن ابن عباس في قول الله عز وجل: " { وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ } إلى آخر الآية ، قال : كان رجل من بني إسرائيل فاتحاً - أي فتح الله له مالا - فمات فورثه ابن له تافه - أي : فاسد - فكان يعمل في مال الله بمعاصي الله. فلما رأى ذلك إخوان أبيه أتوا الفتى فعذلوه ولاموه ، فضجر الفتى فباع عقاره بصامت ، ثم رحل فأتى عينا ثجاجة فسرح فيها ماله ، وابنتي قصرًا. فبينما هو ذات يوم جالس إذ شمكت عليه ريح بامرأة من أحسن الناس وجهًا وأطيبهم أرجًا - أي : ريحًا - فقالت : من أنت يا عبد الله ؟ فقال : أنا امرؤ من بني إسرائيل قالت : فلك هذا القصر ، وهذا المال ؟ قال : نعم. قالت : فهل لك من زوجة ؟ قال : لا. قالت : فكيف يهنئك العيش ولا زوجة لك ؟ قال : قد كان ذلك. فهل لك من بعل ؟ قالت : لا. قال : فهل لك إلى أن أتزوجك ؟ قالت : إني امرأة منك على مسيرة ميل ، فإذا كان غد فترودّ زاد يوم وأنتي ، وإن رأيت في طريقك هولا فلا يهولئك. فلما كان من الغد تزود زاد يوم ، وانطلق فأنتهى إلى قصر ، ففرع رتاجه ، فخرج إليه شاب من أحسن الناس وجهًا وأطيبهم أرجًا - أي : ريحًا - فقال : من أنت يا عبد الله ؟ فقال : أنا الإسرائيلي. قال فما حاجتك ؟ قال : دعنتي صاحبة هذا القصر إلى نفسها. قال : صدقت ، قال فهل رأيت في طريقك هولا ؟ قال : نعم ، ولولا أنها أخبرتني أن لا بأس عليّ ، لهالني الذي رأيت ؛ أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل ، إذا أنا بكلبة فاتحة فاهها ، ففزعت ، فوثبت فإذا أنا من ورائها ، وإذا جراؤها ينبحن في بطنها. فقال له الشاب : لست تدرك هذا ، هذا يكون في آخر الزمان ، يقاعد الغلام المشيخة في مجلسهم ويبرزهم حديثهم.

قال : ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل ، إذا أنا بمائة عنز حقل ، وإذا فيها جدّي يمصّها ، فإذا أتى عليها وظن أنه لم يترك شيئًا ، فتح فاه يلتمس الزيادة. فقال : لست تدرك هذا ، هذا يكون في آخر الزمان ، ملك يجمع صامت الناس كلهم ، حتى إذا ظن أنه لم يترك شيئًا فتح فاه يلتمس الزيادة.

قال : ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل إذا أنا بشجر ، فأعجبني غصن من شجرة منها ناضر ، فأردت قطعة ، فنادتني شجرة أخرى : "يا عبد الله ، مني فخذ". حتى ناداني الشجر أجمع : "يا عبد الله ، منا فخذ". قال : لست تدرك هذا ، هذا يكون في آخر الزمان ، يقل الرجال ويكثر النساء ، حتى إن الرجل ليخطب المرأة فتدعوه العشر والعشرون إلى أنفسهم.

قال : ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل إذا أنا برجل قائم على عين ، يعترف لكل إنسان من الماء ، فإذا تصدعوا عنه صبّ في جرّته فلم تعلق جرّته من الماء بشيء. قال : لست تدرك هذا ، هذا يكون في آخر الزمان ، القاص يعلم الناس العلم ثم يخالفهم إلى معاصي الله.

قال : ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل إذا أنا بعنز وإذا يقوم قد أخذوا بقوائمها ، وإذا رجل قد أخذ بقرنيتها ، وإذا رجل قد ركبها ، وإذا رجل يجلبها. فقال : أما العنز فهي الدنيا ، والذين أخذوا بقوائمها يتساقطون من عيشها ، وأما الذي قد أخذ بقرنيتها

(١) انظر: النكت والعيون: ٤٦٠/٤.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٣٠/٢٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٣١/٢٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٣١/٢٠.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٤٦٠/٤.

(٦) تفسير الطبري: ٤٣١/٢٠.

فهو يعالج من عيشها ضيقًا ، وأما الذي أخذ بذنبها فقد أدبرت عنه ، وأما الذي ركبها فقد تركها. وأما الذي يخلبها فَيُخِّجُ بِخِ ، ذهب ذلك بها.

قال : ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل ، وإذا أنا برجل يمتح على قليب ، كلما أخرج دلوه صبَّه في الحوض ، فانساب الماء راجعًا إلى القليب. قال : هذا رجل ردَّ الله عليه صالح عمله ، فلم يقبله.

قال : ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل ، إذا أنا برجل يبدرُ بذرًا فيستحصد ، فإذا حنطة طيبة.

قال : هذا رجل قبل الله صالح عمله ، وأزكاه له.

قال : ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل ، إذا أنا برجل مستلق على قفاه ، قال : يا عبد الله ، ادن مني فخذ بيدي وأقعدني ، فوالله ما قعدت منذ خلقتني الله فأخذت بيده ، فقام يسعى حتى ما أراه. فقال له الفتى : هذا عمرُ الأبعد نَفَدَ ، أنا ملك الموت وأنا المرأة التي أتتك... أمرني الله بقبض روح الأبعد في هذا المكان ، ثم أصيره إلى نار جهنم قال : ففيه نزلت هذه : { وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ } الآية<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير: " هذا أثر غريب ، وفي صحته نظر ، وتنزيل هذه الآية عليه وفي حقه بمعنى أن الكفار كلهم يتوفون وأرواحهم متعلقة بالحياة الدنيا ، كما جرى لهذا المغرور المقتون ، ذهب يطلب مراده فجاءه الموت فجأة بغتة ، وحيل بينه وبين ما يشتهي"<sup>(٢)</sup>.  
قوله تعالى: { كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ } [سبأ : ٥٤] ، أي: " كما فعل الله بأمثالهم من كفرة الأمم السابقة"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير: " أي : كما جرى للأمم الماضية المكذبة للرسول ، لما جاءهم بأس الله تمنوا أن لو آمنوا فلم يقبل منهم ، { فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ. فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ } [غافر : ٨٤ ، ٨٥]"<sup>(٤)</sup>.

قال السمعاني: " الأشياخ: جمع شيعة، وهم الفرق"<sup>(٥)</sup>.

وفي قوله تعالى: { كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ } [سبأ : ٥٤] ، وجوه:

أحدها : أنهم أوائلهم من الأمم الخالية قبل هؤلاء ، قاله مقاتل<sup>(٦)</sup>.

الثاني : أنه أصحاب الفيل حين أرادوا خراب الكعبة ، قاله الضحاك<sup>(٧)</sup>.

الثالث : هم أمثالهم من الكفار الذين لم يقبل الله سبحانه منهم التوبة عند المعاينة. وهذا قول ابن زيد<sup>(٨)</sup>.

وعن مجاهد: { كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ } ، قال: كما فعل بالكفار من قبلهم"<sup>(٩)</sup>.

قال الثعلبي: " أي: أهل دينهم وموافقهم من الأمم الماضية حين لم يقبل منهم الإيمان والتوبة في وقت البأس"<sup>(١٠)</sup>.

وقال الزجاج: " { كما فعل } بمن كان مذهبه مذهبهم"<sup>(١١)</sup>.

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٢٩/٦-٥٣٠.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٣١/٦.

(٣) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٣١/٦.

(٥) تفسير السمعاني: ٣٤٣/٤.

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٩/٣-٥٤٠.

(٧) انظر النكت والعيون: ٤٦٠/٤ ، وتفسير السمعاني: ٣٤٣/٤.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٢ / ٢٠.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٩١٢):ص١٠٠،٣١٦٩، والطبري: ٤٣٢ / ٢٠. باختلاف يسير.

(١٠) الكشفو البيان: ٩٦/٨.

(١١) معاني القرآن: ٢٥٩/٤.

قال الطبري: معناه: "فعلنا بهؤلاء المشركين؛ فحلنا بينهم وبين ما يشتهون من الإيمان بالله عند نزول سخط الله بهم، ومعابنتهم بأسه، كما فعلنا بأشياهم على كفرهم بالله من قبلهم من كفر الأمم؛ فلم نقبل منهم إيمانهم في ذلك الوقت، كما لم نقبل في مثل ذلك الوقت من ضربائهم"<sup>(١)</sup>.

عن ابن عمر رضي الله عنه: "أنه شرب ماء باردا فيكى، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: ذكرت آية في كتاب الله: {وحيل بينهم وبين ما يشتهون}، فعرفت أن أهل النار لا يشتهون إلا الماء البارد، وقال الله: {أفيضوا علينا من الماء}"<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ} [سبأ: ٥٤]، أي: "إنهم كانوا في الدنيا في شكٍّ من أمر الرسل والبعث والحساب، مُحَدِّثٍ لِلرَّيْبَةِ وَالقَلْقِ، فلذلك لم يؤمنوا"<sup>(٣)</sup>.  
قال السمعاني: "أي: في شك مرتابين"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: كانوا في الدنيا في شك وريبة، فلهذا لم يتقبل منهم الإيمان عند معاناة العذاب"<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري يقول: "وحيل بين هؤلاء المشركين حين عاينوا بأس الله وبين الإيمان؛ إنهم كانوا قبل في الدنيا في شك، من نزول العذاب الذي نزل بهم وعابنوه، وقد أخبرهم نبيهم أنهم إن لم ينيبوا مما هم عليه مقيمون من الكفر بالله، وعبادة الأوثان، أن الله مهلكهم، ومحلُّ بهم عقوبته في عاجل الدنيا، وأجل الآخرة قبل نزوله بهم، مريب يقول: موجب لصاحبه الذي هو به ما يريبه من مكروه، من قولهم: قد أراب الرجل إذا أتى ريبة وركب فاحشة، كما قال الراجز"<sup>(٦)</sup>:

يَا قَوْمَ مَا لِي وَأَبَا دُؤَيْبٍ؟ ... كُنْتُ إِذَا أَتَوْتُهُ مِنْ غَيْبٍ  
يَسْمُ عَطْفِي وَيُبْزُ تَوْبِي ... كَأَنَّمَا أَرَبْتُهُ بِرَيْبٍ  
يقول: كأنما أتيت إليه ريبة"<sup>(٧)</sup>.

وقال مقاتل: "إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ" من العذاب بأنه غير نازل بهم في الدنيا، {مريب}، يعنى: بمريب أنهم لا يعرفون شكهم"<sup>(٨)</sup>.

قال الزجاج: "فقد أعلمنا الله جل وعز أنه يعذب على الشك، وقد قال قوم من الضلال أن - الشاكين لا شيء عليهم، وهذا كفر ونقض للقرآن لأن الله - جل وعز - قال: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ} [ص: ٢٧]"<sup>(٩)</sup>.

قال قتادة: "إياكم والشك والريبة، فإنه من مات على شك بعث عليه، ومن مات على يقين بعث عليه"<sup>(١٠)</sup>.

فوائد الآيات: [٤٧-٥٤]:

- ١- دعوة الله تعالى ينبغي أن لا يأخذ الداعي عليها أجراً، ويحتسب أجره على الله عز وجل.
- ٢- بيان صدق الله تعالى في قوله جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد إذ ما هو إلا سننات والإسلام ضارب بجرانه في الجزيرة فلا دين فيها إلا الإسلام.
- ٣- الإيمان الاضطراري لا ينفع صاحبه كإيمان من رأى العذاب.
- ٤- الشك كفر ولا إيمان مع رؤية العذاب.

(١) تفسير الطبري: ٤٣١ / ٢٠.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩١٣): ص ٣١٦٩/١٠.

(٣) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(٤) تفسير السمعاني: ٣٤٣/٤.

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٣١/٦.

(٦) هذه الأبيات الرجز من المشطور، أنشدها صاحب (اللسان: أتي).

(٧) تفسير الطبري: ٤٣٢ / ٢٠.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٤٠/٣.

(٩) معاني القرآن: ٢٥٩/٤.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩١٤): ص ٣١٦٩/١٠.

«آخر تفسير سورة (سبأ)، والحمد لله وحده»

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### تفسير سورة «فاطر»

سورة «فاطر»: هي السورة «الخامسة والثلاثون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «الثالثة والأربعون» بحسب ترتيب النزول، نزلت بعد سورة: «الفرقان»<sup>(١)</sup>، عدد آياتها خمس وأربعون عند الأكثرين، وعند الشاميين ست. وكلماتها سبعمائة وسبعون. وحروفها ثلاثة آلاف ومائة وثلاثة وثلاثون<sup>(٢)</sup>.

والمختلف فيها سبع آيات؛ {الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} [فاطر : ٧]، {جَدِيدٌ} [فاطر : ١٦]، {النُّورُ} [فاطر : ٢٠]، {النَّصِيرُ} [فاطر : ١٩]، {مَنْ فِي الثُّبُورِ} [فاطر : ٢٢]، {أَنْ تَرُؤُلَا} [فاطر : ٤١]، {تُبْدِيلًا} [فاطر : ٤٣]، وفواصل آياتها: «زاد من بز»<sup>(٣)</sup>.

#### ■ أسماء السورة:

#### ■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة فاطر»:

اشتهرت تسميتها باسم «سورة فاطر»، وكتبت في كثير من المصاحف وكتب التفسير، ووجه تسميتها «سورة فاطر» أن هذا الوصف وقع في طاعة السورة، ولم يقع في أول سورة غيرها<sup>(٤)</sup>.

قال القاسمي: "وتسمى هذه السورة سورة «فاطر» لذكر هذا الاسم الجليل والنعمة الجميل في طليعتها"<sup>(٥)</sup>.

#### ■ ثانياً:- اسمها الإجتهادي: «سورة الملائكة»:

ووجه تسميتها «سورة الملائكة» أنه ذكر في أولها صفة الملائكة، ولم يقع في سورة أخرى.

قال القاسمي: "سميت بذلك لما جاء فيها من خلق الملائكة، وجعلهم ذوي أجنحة متنوعة في العدد، الدال على عجب صنعه تعالى وباهر قدرته"<sup>(٦)</sup>.

وقال المهامي: سميت بها لاشتمالها على بيان تفصيل رسالتهم، من جهة أخذهم الفيض عن الله، وإيصاله إلى خلقه، من جهة أو جهتين أو ثلاث أو أكثر، ليشعر أن الرسالة العامة لهم، إذا كانت كذلك، فكيف الرسالة الخاصة؟ مثل إنزال القرآن. فيجوز أن يكون له جهات كثيرة. وقد روي أنه كان لجبريل ستمائة جناح<sup>(٧)</sup>.

#### ■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدها: أنها نزلت بمكة. قاله ابن عباس<sup>(٨)</sup>، وقتادة<sup>(٩)</sup>، ومقاتل<sup>(١٠)</sup>، ويحيى بن سلام<sup>(١١)</sup>.

قال ابن الجوزي: "هي مكية بإجماعهم"<sup>(١٢)</sup>.

قال القرطبي: "سورة فاطر مكية في قول الجميع"<sup>(١٣)</sup>.

(١) انظر: الكشاف: ٥٩٥/٣.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/ ٣٨٦.

(٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٤) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٥) محاسن التأويل: ١٥٨/٨.

(٦) محاسن التأويل: ١٥٨/٨.

(٧) نقلا عن: محاسن التأويل: ١٥٨/٨.

(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣/٧، وعزاه إلى ابن الضريس والبخاري وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٩) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣/٧، وعزاه إلى عبد الرزاق وابن المنذر.

(١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٤٩/٣.

(١١) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٧٧٤/٢.

(١٢) زاد المسير: ٥٠٥/٣.

(١٣) تفسير القرطبي: ٣١٨/١٤.



قال الفيروزآبادي: "السورة مكية إجماعاً"<sup>(١)</sup>.  
 الثاني: أنها مكية إلا آيتين: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ} [فاطر: ٢٩] الآية: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ} [فاطر: ٣٢] الآية. حكاها الطبرسي عن الحسن<sup>(٢)</sup>.

#### مناسبة سورة «فاطر» مع سورة «سبأ»:

ومناسبتها لما قبلها: إنه لما ذكر سبحانه في آخر سابقتها هلاك المشركين وإنزالهم منازل العذاب- لزم المؤمنين حمده تعالى وشكره كما جاء في قوله: {فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام: ٤٥]<sup>(٣)</sup>.

#### ■ أغراض السورة ومقاصدها

اشتملت السورة على المقاصد التالية:

- ١- إثبات تفرد الله تعالى بالإلهية، فافتتحت بما يدل على أنه مستحق الحمد على ما أبدع من الكائنات، الدال إبداعها على تفرده تعالى بالإلهية.
  - ٢- إثبات صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به، وأنه جاء به الرسل من قبله.
  - ٣- إثبات البعث والدار الآخرة.
  - ٤- تذكير الناس بإنعام الله عليهم بنعمة الإيجاد ونعمة الإمداد، وما يعبد المشركون من دونه لا يغنون عنهم شيئاً، وقد عبدهم الذين من قبلهم، فلم يغنوا عنهم من الله شيئاً.
  - ٥- تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم على ما يلاقيه من قومه من صد لدعوته ورفض لرسالته.
  - ٦- كشف نوايا قريش في الإعراض عن اتباع الإسلام؛ لأنهم احتفظوا بعزتهم.
  - ٧- إنذار قريش -ومن كان على شاكلتها- أن يحل بهم ما حل بالأمم المكذبة قبلهم.
  - ٨- الثناء على الذين تلقوا دعوة الإسلام بالتصديق وبضد حال المكذبين.
  - ٩- تذكير الذين أعرضوا عن دعوة الإسلام بأنهم كانوا يودون أن يرسل الله إليهم رسولاً، فلما جاءهم رسول تكبروا واستنكفوا واستكبروا وعتوا عتواً كبيراً.
  - ١٠- بينت السورة أنه لا مفر للذين أعرضوا عن دعوة الإسلام من حلول العذاب عليهم، فقد شاهدوا آثار الأمم المكذبين من قبلهم، وأن لا يغتروا بإمهال الله إياهم؛ فإن الله لا يخلف وعده.
  - ١١- التحذير من غرور الشيطان، والتذكير بعداوته لنوع الإنسان.
  - ١٢- بيان موقف الخلق من القرآن؛ فمنهم ظالم لنفسه باتباع هواه، وارتكاب الذنوب والمعاصي، ومنهم مقتصد في عبادة ربه، ومنهم سابق بالخيرات مسارع لنيل الدرجات.
  - ١٣- المنة على العباد بحفظ السماء والأرض عن تخلخل الأركان والزوال، فهو سبحانه المتحكم بأمرهما والمسير لشأنهما.
  - ١٤- عقوبة الذين يمكرون في الدنيا المكر بهم في الآخرة؛ إذ الجزاء من جنس العمل.
  - ١٥- الإخبار بأنه سبحانه لو عامل عباده بالعدل، لم يسلم من عذابه أحد من الإنس والجان، لكنه سبحانه وتعالى عاملهم بإحسانه وفضله<sup>(٤)</sup>.
- الناسخ والمنسوخ:**  
 - قوله تعالى: {إِنَّ أُنْتِ إِذَا نَذِيرٌ} [فاطر: ٢٣].

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٣٨٦/١.

(٢) نقلا عن روح المعاني (تفسير الألوسي): ٣٣٤/١١.

(٣) انظر: تفسير المراغي: ٥٥/٢٢.

(٤) انظر: إسلام ويب. [موقع إلكتروني].

قال ابن الجوزي: "قال بعض المفسرين: "نسخ معناها بآية السيف، وقد تكلمنا على جنسها وبيننا أنه لا نسخ"<sup>(١)</sup>.

#### ■ فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الملائكة دعته يوم القيامة ثلاث أبواب من الجنة أن ادخل من أي الأبواب شئت»<sup>(٢)</sup>.  
هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١) نواسخ القرآن: ١٨٥.

(٢) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ٩٧/٨، والمستغفري في الفضائل (٨٦٣): ص ٥٩٠/٢، الواحدي في التفسير الوسيط (٧٧١): ٥٠٠/٣. وقد مرّ أن هذا حديث موضوع لا يثبت بحال.

## القرآن

{الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)} [فاطر : ١]

التفسير:

الثناء على الله بصفاته التي كلها أوصاف كمال، وبنعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، خالق السماوات والأرض ومبدعهما، جاعل الملائكة رسلا إلى من يشاء من عباده، وفيما شاء من أمره ونهيه، ومن عظيم قدرة الله أن جعل الملائكة أصحاب أجنحة مثنى وثلاث ورباع تطير بها؛ لتبليغ ما أمر الله به، يزيد الله في خلقه ما يشاء. إن الله على كل شيء قدير، لا يستعصي عليه شيء.

قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [فاطر : ١]، أي: "الثناء على الله بصفاته التي كلها أوصاف كمال، وبنعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، خالق السماوات والأرض ومبدعهما"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: الشكر الكامل للمعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له، ولا ينبغي أن تكون لغيره خالق السماوات السبع والأرض"<sup>(٢)</sup>.

قال يحيى: "قوله: {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} يعني: جميع الأرض"<sup>(٣)</sup>.

قال الزمخشري: "فاطر السماوات": مبتدئها ومبتدعها"<sup>(٤)</sup>.

عن قتادة، قوله: {فاطر السماوات والأرض}، قال: خالق السماوات والأرض"<sup>(٥)</sup>.

قال الضحاك: "كل شيء في القرآن فاطر السماوات والأرض فهو خالق السماوات والأرض"<sup>(٦)</sup>.

وقال ابن عباس: "بديع السماوات والأرض"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن عباس: "كنت لا أدري ما «فاطر السماوات والأرض»، حتى أتاني أعرابيَان يختصمان في بئر، فقال أحدهما لصاحبه: «أنا فطرتها»، يقول: أنا ابتدأتها"<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: {جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا} [فاطر : ١]، أي: "جاعل الملائكة رسلا إلى من يشاء من عباده، وفيما شاء من أمره ونهيه"<sup>(٩)</sup>.

قال الطبري: "جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا} إلى من يشاء من عباده، وفيما شاء من أمره ونهيه"<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: بينه وبين أنبيائه"<sup>(١١)</sup>.

عن السدي: "جاعل الملائكة رسلا}، قال: إلى العباد"<sup>(١٢)</sup>.

قوله تعالى: {أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ} [فاطر : ١]، أي: "ومن عظيم قدرة الله أن جعل الملائكة أصحاب أجنحة مثنى وثلاث ورباع تطير بها؛ لتبليغ ما أمر الله به"<sup>(١٣)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(٢) تفسير الطبري: ٤٣٤ / ٢٠.

(٣) التصاريح لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٢٤٨.

(٤) الكشف: ٥٩٥/٣.

(٥) أخرجه الطبري (١٣١١٣): ص ٣٨٣/١١.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩١٧): ص ٣١٧٠/١٠.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩١٦): ص ٣١٧٠/١٠.

(٨) أخرجه الطبري (١٣١١١): ص ٣٨٣/١١.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(١٠) تفسير الطبري: ٤٣٤ / ٢٠.

(١١) تفسير ابن كثير: ٥٣٢/٦.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩١٨): ص ٣١٧٠/١٠.

(١٣) التفسير الميسر: ٤٣٤.

قال الطبري: " يقول: أصحاب أجنحة يعني ملائكة، فمنهم من له اثنان من الأجنحة، ومنهم من له ثلاثة أجنحة، ومنهم من له أربعة"<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير: " أي : يطفرون بها ليلغوا ما أمروا به سريعاً { مئتي وثلاث ورباع } أي منهم من له جناحان ، ومنهم من له ثلاثة ومنهم من له أربعة ، ومنهم من له أكثر من ذلك"<sup>(٢)</sup>.  
قال قتادة: " بعضهم له جناحان وبعضهم ثلاثة وبعضهم أربعة"<sup>(٣)</sup>.

عن شقيق بن سلمة، قال: "سمعت ابن مسعود يقول: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: « رأيت جبريل على سدره المنتهى، وله ستمائة جناح»، قال سألت عاصما عن الأجنحة؟، فأبى أن يخبرني، قال: فأخبرني بعض أصحابه أن الجناح ما بين المشرق والمغرب"<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: {يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ} [فاطر : ١]، أي: "يزيد الله في خلقه ما يشاء"<sup>(٥)</sup>.  
قال الطبري: " وذلك زيادته تبارك وتعالى في خلق هذا الملك من الأجنحة على الآخر ما يشاء، ونقصانه عن الآخر ما أحب، وكذلك ذلك في جميع خلقه يزيد ما يشاء في خلق ما شاء منه، وينقص ما شاء من خلق ما شاء، له الخلق والأمر وله القدرة والسلطان"<sup>(٦)</sup>.

عن السدي: " {يزيد في الخلق ما يشاء}: يزيد في أجنحتهم وخلقهم ما يشاء"<sup>(٧)</sup>.  
قال الزمخشري: " أي: يزيد في خلق الأجنحة، وفي غيره ما تقتضيه مشيئته وحكمته. والأصل الجناحان، لأنهما بمنزلة اليدين، ثم الثالث والرابع زيادة على الأصل، وذلك أقوى للطيران وأعون عليه. فإن قلت: قياس الشفع من الأجنحة أن يكون في كل شق نصفه، فما صورة الثلاثة؟ قلت: لعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يدهما بقوة. أو لعله لغير الطيران، فقد مربى في بعض الكتب أن صنفا من الملائكة لهم ستة أجنحة فجناحان يلفون بها أجسادهم، وجناحان يطفرون بهما في الأمر من أمور الله، وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله.. والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق: من طول قامته، واعتدال صورة، وتمام في الأعضاء، وقوة في البطش، وحصافة في العقل<sup>(٨)</sup>، وجزالة في الرأي، وجراءة في القلب، وسماحة في النفس، وذلاقة في اللسان<sup>(٩)</sup>، ولباقة في التكلم<sup>(١٠)</sup>، وحسن تأن في مزاولة الأمور، وما أشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف"<sup>(١١)</sup>.

وروي عن الزهري، قوله: " {يزيد في الخلق ما يشاء}، قال: حسن الصوت"<sup>(١٢)</sup>.

وقال ابن عباس: " الصوت الحسن"<sup>(١٣)</sup>.

وقال قتادة: " الملاححة في العينين"<sup>(١٤)</sup>.

روي عن حذيفة: " أنه سمع أبا التياح يؤذن، فقال: من يرد الله أن يجعل رزقه في صوته فعل"<sup>(١٥)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ٤٣٤ / ٢٠.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٣٢ / ٦.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٣٤ / ٢٠.

(٤) مسند أحمد (٣٨٦٢): ص ٦٣ / ٤.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(٦) تفسير الطبري: ٤٣٦ / ٢٠.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٢٠): ص ٣١٧٠ / ١٠.

(٨) «وحصافة» أي: إحكام. أفاده الصحاح.

(٩) «وذلاقة» أي: حدة وطلاقة، أفاده الصحاح.

(١٠) «ولباقة في التكلم» أي حنق. أفاده الصحاح.

(١١) الكشاف: ٥٩٥ / ٣.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٢١): ص ٣١٧٠ / ١٠.

(١٣) الدر المنثور: ٤ / ٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

(١٤) الدر المنثور: ٤ / ٧، وعزاه إلى البيهقي.

(١٥) الدر المنثور: ٤ / ٧، وعزاه إلى ابن أبي شيبه في "المصنف".

وقرئ في الشاذ: «يَزِيدُ فِي الْحَلْقِ»، بالحاء المهملة<sup>(١)</sup>.  
 قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [فاطر : ١]، أي: "إن الله على كل شيء قدير، لا يستعصي عليه شيء"<sup>(٢)</sup>.  
 قال الطبري: "يقول: إن الله تعالى ذكره قدير على زيادة ما شاء من ذلك فيما شاء، ونقصان ما شاء منه ممن شاء، وغير ذلك من الأشياء كلها، لا يمتنع عليه فعل شيء أراده سبحانه وتعالى"<sup>(٣)</sup>.

## القرآن

{مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} {٢} [فاطر : ٢]  
 التفسير:

ما يفتح الله للناس من رزق ومطر وصحة وعلم وغير ذلك من النعم، فلا أحد يقدر أن يمسك هذه الرحمة، وما يمسك منها فلا أحد يستطيع أن يرسلها بعده سبحانه وتعالى. وهو العزيز القاهر لكل شيء، الحكيم الذي يرسل الرحمة ويمسكها وفق حكمته.  
 قوله تعالى: {مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ} [فاطر : ٢]، أي: "ما يفتح الله للناس من رزق ومطر وصحة وعلم وغير ذلك من النعم، فلا أحد يقدر أن يمسك هذه الرحمة، وما يمسك منها فلا أحد يستطيع أن يرسلها بعده سبحانه وتعالى"<sup>(٤)</sup>.

قال الطبري: يقول: "مفاتيح الخير ومغالقه كلها بيده؛ فما يفتح الله للناس من خير فلا مُغلق له، ولا ممسك عنهم، لأن ذلك أمره لا يستطيع أمره أحد، وكذلك ما يغلق من خير عنهم فلا يبسطه عليهم ولا يفتح لهم، فلا فاتح له سواه؛ لأن الأمور كلها إليه وله"<sup>(٥)</sup>.  
 عن قتادة: " {مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ}، أي: من خير {فَلَا مُمْسِكَ لَهَا}: فلا يستطيع أحد حبسها"<sup>(٦)</sup>.

قال ابن عباس: "يقول: ليس لك من الأمر شيء"<sup>(٧)</sup>.  
 وقال ابن عباس: "ما يفتح الله للناس من باب توبة فلا مرسل له من بعده وهم لا يتوبون"<sup>(٨)</sup>.

عن السدي: " {مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا}، قال: المطر"<sup>(٩)</sup>.  
 قال الزمخشري: "استعير «الفتح» للإطلاق والإرسال. ألا ترى إلى قوله: {فَلَا مُمْسِكَ لَهَا} من بعده {مَكَانَ «لَا فَاتِحَ لَهُ»، يعني: أي: شيء يطلق الله من رحمة أي من نعمة رزق أو مطر أو صحة أو أمن أو غير ذلك من صنوف نعمائه التي لا يحاط بعددها. وتنكيره «الرحمة» للإشاعة والإبهام، كأنه قال: من أية رحمة كانت سماوية أو أرضية، فلا أحد يقدر على إمساكها وحبسها، وأي شيء يمسك الله فلا أحد يقدر على إطلاقه"<sup>(١٠)</sup>.

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٣٢/٦.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(٣) تفسير الطبري: ٤٣٦/٢٠.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(٥) تفسير الطبري: ٤٣٦/٢٠-٤٣٧.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٣٧/٢٠، وابن أبي حاتم (١٧٩٢٤): ص ٣١٧١/١٠.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٢٣): ص ٣١٧١/١٠.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٢٢): ص ٣١٧١/١٠.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٢٥): ص ٣١٧١/١٠.

(١٠) الكشاف: ٥٩٥/٣.

قال ابن كثير: " يخبر تعالى أنه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأنه لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع"<sup>(١)</sup>.

عن ورّاد - مولى المغيرة بن شعبه - قال : "كتب معاوية إلى المغيرة بن شعبه : اكتب لي بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فدعاني المغيرة فكتبت إليه : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من الصلاة قال : «لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ" ، وسمعتة ينهى عن قيل وقال ، وكثرة السؤال وإضاعة المال ، وعن وأد البنات ، وعقوق الأمهات ، ومَنع وهات"<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا رفع رأسه من الركوع يقول : "سمع الله لمن حمده ، اللهم ربنا لك الحمد ، ملء السماء والأرض وملء ما شئت من شيء بعد. اللهم ، أهلّ الثناء والمجد. أحقّ ما قال العبد ، وكلنا لك عبد. اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ"<sup>(٣)</sup>.

عن ابن وهب، قال: "سمعت مالكا يحدث أن أبا هريرة رضي الله عنه كان إذا أصبح في الليلة التي يمطرون فيها وتحدث مع أصحابه، قال: مطرنا الليلة بنوء الفتح ثم يتلو: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾"<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر : ٢] ، أي: " وهو العزيز القاهر لكل شيء ، الحكيم الذي يرسل الرحمة ويمسكها وفق حكمته"<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: " يقول: وهو العزيز في نعمته ممن انتقم منه من خلقه بحبس رحمته عنه وخيراته، الحكيم في تدبير خلقه وفتح لهم الرحمة إذا كان فتح ذلك صلاحاً، وإمساكه إياه عنهم إذا كان إمساكه حكمة"<sup>(٦)</sup>.

قال محمد بن إسحاق: " العزيز: في نصرته ممن كفر به إذا شاء"<sup>(٧)</sup>، الحكيم: في عذره وحجته إلى عباده"<sup>(٨)</sup>.

قال أبو العالية: " {عزيز} في نعمته إذا انتقم"<sup>(٩)</sup>. وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك"<sup>(١٠)</sup>.

عن أبي العالية: " {حكيم}، قال: حكيم في أمره"<sup>(١١)</sup>.  
قال محمد بن جعفر بن الزبير " الحكيم في عذره، وحجته إلى عباده"<sup>(١٢)</sup>.

## القرآن

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٣)﴾ [فاطر : ٣]  
التفسير:

(١) تفسير ابن كثير: ٥٣٢/٦.

(٢) المسند (٢٥٤/٤) وصحيح البخاري برقم (٨٤٤) وصحيح مسلم برقم (٥٩٣).

(٣) صحيح مسلم برقم (٤٧٧).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٢٦): ص ٣١٧١/١٠.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(٦) تفسير الطبري: ٤٣٧/٢٠.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٤): ص ١٦٦٤/٥.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٦): ص ١٦٦٤/٥.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٨٣٣): ص ١٦٦٤/٥.

(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٤٢): ص ١٧٦٤/٦.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٤٣): ص ١٧٦٤/٦.

يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم، فلا خالق لكم غير الله يرزقكم من السماء بالمطر، ومن الأرض بالماء والمعادن وغير ذلك. لا إله إلا هو وحده لا شريك له، فكيف تُصرفون عن توحيده وعبادته؟

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [فاطر : ٣]، أي: "يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره للمشركين به من قوم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قريش: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ التي أنعمها {عَلَيْكُمْ} بفتحها لكم من خيراته ما فتح وبسطه لكم من العيش ما بسط"<sup>(٢)</sup>.

قال القرطبي: "معنى هذا الذكر: الشكر"<sup>(٣)</sup>.

قال الزمخشري: "ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط، ولكن به وبالقلب، وحفظها من الكفران والغمط"<sup>(٤)</sup> وشكرها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليتها. ومنه قول الرجل لمن أنعم عليه: اذكر أيادي عندك. يريد: حفظها وشكرها والعمل على موجبها، والخطاب عام للجميع لأن جميعهم مغمورون في نعمة الله"<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر : ٣]، أي: "فلا خالق لكم غير الله يرزقكم من السماء بالمطر، ومن الأرض بالماء والمعادن وغير ذلك"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: يقول: "وفكروا فانظروا هل من خالق سوى فاطر السماوات والأرض الذي بيده مفاتيح أرزاقكم ومغالفها {يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} فتعبده دونه"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن كثير: "ينبه تعالى عباده ويرشدهم إلى الاستدلال على توحيده في إفراد العبادة له، كما أنه المستقل بالخلق والرزق فكذلك فليفرد بالعبادة، ولا يشرك به غيره من الأصنام والأنداد والأوثان"<sup>(٨)</sup>.

قال السدي: "الرزق من السماء: المطر، ومن الأرض: النبات"<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [فاطر : ٣]، أي: "لا إله إلا هو وحده لا شريك له"<sup>(١٠)</sup>.

قال الطبري: "يقول: لا معبود تنبغي له العبادة إلا الذي فطر السماوات والأرض القادر على كل شيء، الذي بيده مفاتيح الأشياء وخزائنها، ومغلق ذلك كله، فلا تعبدوا أيها الناس شيئاً سواه، فإنه لا يقدر على نفعكم وضرركم سواه، فله فأخلصوا العبادة وإياه فأفردوا بالألوهة"<sup>(١١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَأَنى تُؤَفَّكُونَ﴾ [فاطر : ٣]، أي: "فكيف تُصرفون عن توحيده وعبادته؟"<sup>(١٢)</sup>.

قال الطبري: "يقول: فأني وجه عن خالقكم ورازقكم الذي بيده نفعكم وضرركم تصرفون"<sup>(١٣)</sup>.

قال الزمخشري: أي: "فمن أي وجه تصرفون عن التوحيد إلى الشرك؟"<sup>(١٤)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(٢) تفسير الطبري: ٤٣٧ / ٢٠.

(٣) تفسير القرطبي: ٣٢١ / ١٤.

(٤) «وحفظها من الكفران والغمط» أي: الاحتقار. أفاده الصحاح.

(٥) الكشاف: ٥٩٧ / ٣.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(٧) تفسير الطبري: ٤٣٧ / ٢٠.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٣٣ / ٦.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٢٧): ص ٣١٧١ / ١٠.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(١١) تفسير الطبري: ٤٣٨ / ٢٠.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(١٣) تفسير الطبري: ٤٣٨ / ٢٠.

(١٤) الكشاف: ٥٩٨ / ٣.

قال ابن كثير: "أي: فكيف توفكون بعد هذا البيان، ووضوح هذا البرهان، وأنتم بعد هذا تعبدون الأنداد والأوثان؟"<sup>(١)</sup>.

عن ابن عباس، قوله: {توفكون}، قال: تكذبون"<sup>(٢)</sup>.

قال الحسن: "أنى تصرفون"<sup>(٣)</sup>.

قال القرطبي: "الأفك - بالفتح - وهو الصرف، يقال: ما أفكك عن كذا، أي ما صرفك عنه. وقيل: من الإفك - بالكسر - وهو الكذب، ويرجع هذا أيضا إلى ما تقدم، لأنه قول مصروف عن الصدق والصواب، أي: من أين يقع لكم التكذيب بتوحيد الله"<sup>(٤)</sup>.  
فوائد الآيات: [١-٣]:

- ١- وجوب حمد الله تعالى وشكره على إنعامه.
- ٢- تقرير الرسالة والنبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم بإخباره أنه جاعل الملائكة رسلا.
- ٣- وجوب اللجوء إلى الله تعالى في طلب الخير ودفْع الضر فإنه بيده خزائن كل شيء.
- ٤- وجوب ذكر النعم ليكون ذلك حافزا على شكرها بطاعة الله ورسوله.
- ٥- تقرير التوحيد بالأدلة العقلية التي لا ترد.
- ٦- العجب من حال المشركين يقرون بانفراد الله تعالى بخلقهم ورزقهم ويعبدون معه غيره.

## القرآن

{وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٤)} [فاطر : ٤]

التفسير:

وإن يكذبك قومك - أيها الرسول - فقد كذب رسل من قبلك، وإلى الله تصير الأمور في الآخرة، فيجازي كلا بما يستحق.

قوله تعالى: {وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ} [فاطر : ٤]، أي: "وإن يكذبك قومك - أيها الرسول - فقد كذب رسل من قبلك"<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإن يكذبك يا محمد هؤلاء المشركون بالله من قومك فلا يحزننك ذلك، ولا يعظم عليك، فإن ذلك سنة أمثالهم من كفره الأمم بالله، من قبلهم وتكذيبهم رسل الله التي أرسلها إليهم من قبلك، ولن يعدو مشركو قومك أن يكونوا مثلهم، فيتبعوا في تكذيبك مناهجهم ويسلكوا سبيلهم"<sup>(٦)</sup>.

قال ابن كثير: "يقول: وإن يكذبك - يا محمد - هؤلاء المشركون بالله ويخالفوك فيما جنتهم به من التوحيد، فلك فيمن سلف قبلك من الرسل أسوة، فإنهم كذلك جاؤوا قومهم بالبينات وأمروهم بالتوحيد فكذبوهم وخالفوهم"<sup>(٧)</sup>.

عن قتادة: "وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ}، يعزي نبيه كما تسمعون"<sup>(٨)</sup>.

قال يحيى: "يعزيه بذلك ويأمره بالصبر"<sup>(٩)</sup>.

قال الزجاج: "هذا تأس للنبي - صلى الله عليه وسلم - أعلمه الله أنه قد كذبت رسل من قبله، وأعلمه أنه نصرهم فقال جل وعز، {قَصَّبْرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا} [الأنعام : ٣٤]"<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير: ٥٣٣/٦.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٦٦٨): ص ١٣٥٣/٤.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٦٦٧): ص ١٣٥٣/٤.

(٤) تفسير القرطبي: ٣٢١/١٤.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(٦) تفسير الطبري: ٤٣٨ / ٢٠.

(٧) تفسير ابن كثير: ٥٣٣/٦ - ٥٣٤.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٣٩ / ٢٠.

(٩) تفسير يحيى بن سلام: ٧٧٧/٢.



عن الحسن، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده ما أحد من هذه الأمة أصابه من الجهد في الله الذي أصابني»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: {وَالِىَ اللّٰهُ تُرْجَعُ الْمُمُورُ} [فاطر : ٤]، أي: "والى الله تصير الأمور في الآخرة، فيجازي كلا بما يستحق"<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: يقول " وإلى الله مرجع أمرك وأمرهم، فمحل بهم العقوبة، إن هم لم ينيبوا إلى طاعتنا في اتباعك والإقرار بنبوتك، وقبول ما دعوتهم إليه من النصيحة، نظير ما أحلنا بنظرائهم من الأمم المكذبة رسلها قبلك، ومنجيك وأتباعك من ذلك، سنتنا بمن قبلك في رسلنا وأوليائنا"<sup>(٤)</sup>.

قال الزجاج: " المعنى: الأمر راجع إلى الله في مجازاة من كذب، ونصرة من كذب من رسله"<sup>(٥)</sup>.

قال النحاس: " أي: الأمور مرجعها إلى الله جل وعز فيجازي من كذب وينصر من كذب من رسله"<sup>(٦)</sup>.

قال ابن كثير: " أي : وسنجزيهم على ذلك أوفر الجزاء"<sup>(٧)</sup>.

## القرآن

{يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ (٥) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦)} [فاطر : ٦-٥]

التفسير:

يا أيها الناس إن وعد الله بالبعث والثواب والعقاب حق ثابت، فلا تخذعنكم الحياة الدنيا بشهواتها ومطالبها، ولا يخذعنكم بالله الشيطان. إن الشيطان لبني آدم عدو، فاتخذوه عدوًّا ولا تطيعوه، إنما يدعو أتباعه إلى الضلال؛ ليكونوا من أصحاب النار الموقدة.

قوله تعالى: {يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} [فاطر : ٥]، أي: "يا أيها الناس إن وعد الله بالبعث والثواب والعقاب حق ثابت"<sup>(٨)</sup>.

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لمشركي قريش المكذبي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أيها الناس إن وعد الله إياكم بأسه على إصراركم على الكفر به، وتكذيب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وتحذيركم نزول سطوته بكم على ذلك، حق، فأيقنوا بذلك وبادروا حلول عقوبتكم بالتوبة والإنابة إلى طاعة الله والإيمان به وبرسوله"<sup>(٩)</sup>.

قال الزجاج: " أي: ما وعدكم الله من مجازاة فحق"<sup>(١٠)</sup>.

قال السمعاني: " يعني: وعد القيامة حق"<sup>(١١)</sup>.

قال ابن كثير: " أي : المعاد كائن لا محالة"<sup>(١٢)</sup>.

(١) معاني القرآن: ٢٦٣/٤.

(٢) رواه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٧٧/٢.

(٣) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(٤) تفسير الطبري: ٤٣٨ / ٢٠.

(٥) معاني القرآن: ٢٦٣/٤.

(٦) إعراب القرآن: ٢٤٥/٣.

(٧) تفسير ابن كثير: ٥٣٤/٦.

(٨) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(٩) تفسير الطبري: ٤٣٩ / ٢٠.

(١٠) معاني القرآن: ٢٦٣/٤.

(١١) تفسير السمعاني: ٣٤٥/٤.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٥٣٤/٦.

قوله تعالى: {فَلَا تُغْرَبْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} [فاطر : ٥]، أي: "فلا تخدعنكم الحياة الدنيا بشهواتها ومطالبها"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: يقول: فلا يغرنكم ما أنتم فيه من العيش في هذه الدنيا ورياستكم التي تترأسون بها في ضعفائكم فيها عن اتباع محمد والإيمان"<sup>(٢)</sup>.

قال الزجاج: "أي: وإن كان لكم حظ في الدنيا يغض من دينكم فلا تؤثروا ذلك الحظ"<sup>(٣)</sup>.

قال الزمخشري: أي: "فلا تخدعنكم الدنيا ولا يذهلنكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للأخرة وطلب ما عند الله"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: العيشة الدنيئة بالنسبة إلى ما أعد الله لأوليائه وأتباع رسله من الخير العظيم فلا تلهوا عن ذلك الباقي بهذه الزهرة الفانية"<sup>(٥)</sup>.

قال سعيد بن جبير: "غرور الحياة الدنيا أن يشغل الإنسان بنعيمها وفتنتها عن عمل الآخرة حتى يقول: {يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} [الفجر: ٢٤]"<sup>(٦)</sup>.

وفي الأثر: "أن الله تعالى ما أعطي أحدا شيئا من الدنيا إلا اغترارا، وما زوى من أحد شيئا من الدنيا إلا اختبارا"<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: {وَلَا يَغْرَبْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ} [فاطر : ٥]، أي: "ولا يخدعنكم بالله الشيطان"<sup>(٨)</sup>.

قال الطبري: "يقول: ولا يخدعنكم بالله الشيطان، فيمنكم الأماني، ويعدكم من الله العداة الكاذبة، ويحملكم على الإصرار على كفركم بالله"<sup>(٩)</sup>.

قال السمعاني: "أي: لا يغرنكم الغرور، وهو الشيطان"<sup>(١٠)</sup>.

قال الزجاج: "الغرور: الشيطان"<sup>(١١)</sup>.

قال ابن كثير: "الغرورُ: هو الشيطان"<sup>(١٢)</sup>.

عن ابن عباس، قوله: "وَلَا يَغْرَبْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ"، يقول: الشيطان"<sup>(١٣)</sup>.

قال الحسن: "من الغرور أن تعمل المعصية، وتنتهي على الله المغفرة"<sup>(١٤)</sup>.

قال سعيد بن جبير: الغرور بالله جلّ وعزّ أن يكون الإنسان يعمل المعاصي ثم يتمنى على الله جلّ وعزّ المغفرة"<sup>(١٥)</sup>. قال النحاس: "هذا أحسن ما قيل فيه"<sup>(١٦)</sup>.

ويقول: «الغرور» بضم الغين، وهي: الأباطيل"<sup>(١٧)</sup>.

قوله تعالى: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا} [فاطر : ٦]، أي: "إن الشيطان لبني آدم عدو، فاتخذوه عدوًّا ولا تطيعوه"<sup>(١٨)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(٢) تفسير الطبري: ٤٣٩ / ٢٠.

(٣) معاني القرآن: ٢٦٣ / ٤.

(٤) الكشاف: ٥٩٩ / ٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٣٤ / ٦.

(٦) حكاة عنه النحاس في إعراب القرآن: ٢٤٥ / ٣.

(٧) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٣٤٥ / ٤.

(٨) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(٩) تفسير الطبري: ٤٣٩ / ٢٠.

(١٠) تفسير السمعاني: ٣٤٥ / ٤.

(١١) معاني القرآن: ٢٦٣ / ٤.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٥٣٤ / ٦.

(١٣) أخرجه الطبري: ٤٣٩ / ٢٠.

(١٤) حكاة عنه السمعاني في التفسير: ٣٤٥ / ٤.

(١٥) حكاة عنه النحاس في إعراب القرآن: ٢٤٥ / ٣.

(١٦) إعراب القرآن: ٢٤٥ / ٣.

(١٧) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٢٦٣ / ٤.

(١٨) التفسير الميسر: ٤٣٥.

قال الطبري: يقول: " {إِنَّ الشَّيْطَانَ} الذي نهيتكم أيها الناس أن تغتروا بغروره إياكم بالله {لَكُمْ عَدُوٌّ}، فأنزلوه من أنفسكم منزلة العدو منكم واحذروه بطاعة الله واستغشاشكم إياه حذركم من عدوكم الذي تخافون غائلته على أنفسكم، فلا تطيعوه ولا تتبعوا خطواته" (١).

قال ابن كثير: "أي: عادوه بطاعة الله" (٢).

قال السمعاني: "أي: لا يغرنكم الغرور، وهو الشيطان" (٣).

قال قتادة: "فإنه لحق على كل مسلم عداوته، وعداوته أن يعاديه بطاعة الله" (٤).

قال الزمخشري: "«الغرور»: الشيطان لأن ذلك ديدنه، أخبرنا الله عز وجل أن الشيطان لنا عدو مبين، واقتص علينا قصته وما فعل بأبينا آدم عليه السلام، وكيف انتدب لعداوة جنسنا من قبل وجوده وبعده، ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد منا مما فيه هلاكنا، فوعظنا عز وجل بأنه كما علمتم عدوكم الذي لا عدو أعرق في العداوة منه، وأنتم تعاملونه معاملة من لا علم له بحاله فاتخذوه عدوا في عقائدكم وأفعالكم، ولا يوجد منكم إلا ما يدل على معاداته ومناصبته في سركم وجهركم" (٥).

قوله تعالى: {إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [فاطر : ٦]، أي: "إنما الشيطان يدعو أتباعه إلى الضلال؛ ليكونوا من أصحاب النار الموقدة" (٦).

قال الطبري: فإنه إنما يدعو حزبه، يعني شيعته ومن أطاعه، إلى طاعته والقبول منه، والكفر بالله ليكونوا من المخلدين في نار جهنم التي تتوقد على أهلها" (٧).

قال السمعاني: "إنما يدعو" أتباعه ليكونوا في السعير، و«السعير» هو النار المتوقدة" (٨).

قال ابن كثير: "أي: إنما يقصد أن يضلكم حتى تدخلوا معه إلى عذاب السعير، فهذا هو العدو المبين. فنسأل الله القوي العزيز أن يجعلنا أعداء الشيطان، وأن يرزقنا اتباع كتابه، والافتقار بطريق رسوله، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير. وهذه كقوله: { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَدُرَيْتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا } [الكهف : ٥٠]" (٩).

عن قتادة: "إنما يدعو حزبه"، وحزبه: أولياؤه {لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ}، أي: ليسوقهم إلى النار فهذه عداوته" (١٠).

عن ابن زيد، قوله: "إنما يدعو حزبه لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} - وقال: هؤلاء حزبه من الإنس، يقول: أولئك حزب الشيطان، والحزب: ولاته الذين يتولاهم ويتولونه وقرأ {إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ}" (١١).

قال الزمخشري: "ثم لخص سر أمره وخطأ من اتبعه بأن عرضه الذي يؤمه في دعوة شيعته ومتبعي خطواته: هو أن يوردهم مورد الشقوة والهلاك، وأن يكونوا من أصحاب السعير.

(١) تفسير الطبري: ٤٣٩ / ٢٠.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٣٤ / ٦.

(٣) تفسير السمعاني: ٣٤٥ / ٤.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٤٠ / ٢٠.

(٥) الكشف: ٥٩٩ / ٣.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(٧) تفسير الطبري: ٤٣٩ / ٢٠.

(٨) تفسير السمعاني: ٣٤٥ / ٤.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥٣٤ / ٦.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٤٠ / ٢٠.

(١١) أخرجه الطبري: ٤٤٠ / ٢٠.

ثم كشف الغطاء وقشر اللحاء<sup>(١)</sup>، ليقطع الأظماع الفارغة والأمانى الكاذبة، فبنى الأمر كله على الإيمان والعمل وتركهما<sup>(٢)</sup>.

وقال بعض العلماء: "وتحت هذا الخطاب نوع لطيف من العتاب كأنه يقول: إنما عادت إبليس من أجل أبيكم ومن أجلكم، فكيف يحسن بكم أن توالوه؟ بل اللائق بكم أن تعادوه وتخالفوه ولا تطاوعوه"<sup>(٣)</sup>.

## القرآن

{الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} (٧) {فاطر : ٧}

التفسير:

الذين جحدوا أن الله هو وحده الإله الحق وجحدوا ما جاءت به رسله لهم عذاب شديد في الآخرة، والذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات لهم عفو من ربهم وتجاوز عن ذنوبهم بعد سترها عليهم، ولهم أجر كبير، وهو الجنة.

قوله تعالى: {الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} [فاطر : ٧]، أي: "الذين جحدوا أن الله هو وحده الإله الحق وجحدوا ما جاءت به رسله لهم عذاب شديد في الآخرة"<sup>(٤)</sup>.

قال الطبري: "الَّذِينَ كَفَرُوا" بالله ورسوله {لَهُمْ عَذَابٌ} من الله {شَدِيدٌ} وذلك عذاب النار"<sup>(٥)</sup>.

قال ابن كثير: "لأنهم أطاعوا الشيطان وعَصَوْا الرحمن"<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} [فاطر : ٧]، أي: "والذين صدّقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات لهم عفو من ربهم وتجاوز عن ذنوبهم بعد سترها عليهم، ولهم أجر كبير، وهو الجنة"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: "يقول: والذين صدّقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله وانتهوا عما نهاهم عنه {لَهُمْ مَغْفِرَةٌ} من الله لذنوبهم {وَأَجْرٌ كَبِيرٌ}، وذلك الجنة"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن كثير: " {لَهُمْ مَغْفِرَةٌ} أي: لما كان منهم من ذنب، { وَأَجْرٌ كَبِيرٌ } على ما عملوه من خير "<sup>(٩)</sup>.

عن قتادة: " {لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ}، وهي الجنة"<sup>(١٠)</sup>.

عن ابن جريج، في قوله: " {لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ}، قال: كل شيء في القرآن: {لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ}، {وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} فهو الجنة"<sup>(١١)</sup>.

قال البيضاوي: الآية: " وعيد لمن أجاب دعاءه ووعد لمن خالفه وقطع للأمانى الفارغة، وبناء للأمر كله على الإيمان والعمل الصالح وقوله"<sup>(١٢)</sup>.

فوائد الآيات: [٤-٧]:

(١) في الصحاح: اللحاء- ممدود-: قشر الشجر.

(٢) الكشف: ٥٩٩/٣.

(٣) حكاة ابن كثير في التفسير: ٥٣٤/٦.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(٥) تفسير الطبري: ٤٤٠ / ٢٠.

(٦) تفسير ابن كثير: ٥٣٤/٦.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(٨) تفسير الطبري: ٤٤٠ / ٢٠.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥٣٤/٦.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٤٠ / ٢٠.

(١١) الدر المنثور: ٢٤٦/٥، وعزاه إلى ابن المنذر.

(١٢) تفسير البيضاوي: ٢٥٤/٤.

- ١- تسلية الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويدخل فيها كل دعاء الحق إذا كذبوا وأوذوا فعليهم أن يصبروا.
- ٢- تقرير البعث والجزاء المتضمن له وعد الله الحق.
- ٣- التحذير من الاغترار بالدنيا أي من طول العمر وسعة الرزق سلامة البدن.
- ٤- التحذير من الشيطان وجوب الاعتراف بعبادته، ومعاملته معاملة العدو فلا يقبل كلامه ولا يستجاب لندائه ولا يخدع بتزيينه للقيح والشر.
- ٥- بيان جزاء أولياء الرحمن أعداء الشيطان، وجزاء أعداء الرحمن أولياء الشيطان.

### القرآن

{أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٨)} [فاطر : ٨]

التفسير:

أفمن حسن له الشيطان أعماله السيئة من معاصي الله والكفر وعبادة ما دونه من الآلهة والأوثان فرآه حسناً جميلاً كمن هداه الله تعالى، فرأى الحسن حسناً والسيئ سيئاً؟ فإن الله يضل من يشاء من عباده، ويهدي من يشاء، فلا تُهلك نفسك حزناً على كفر هؤلاء الضالين، إن الله عليم بقبائحهم وسيجازيهم عليها أسوأ الجزاء.

قوله تعالى: {أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا} [فاطر : ٨]، أي: "أفمن حسن له الشيطان أعماله السيئة من معاصي الله والكفر وعبادة ما دونه من الآلهة والأوثان فرآه حسناً جميلاً كمن هداه الله تعالى، فرأى الحسن حسناً والسيئ سيئاً؟"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: يقول: "أفمن حسن له الشيطان أعماله السيئة من معاصي الله والكفر به، وعبادة ما دونه من الآلهة والأوثان، فرآه حسناً فحسب سيئاً ذلك حسناً، وظن أن قبحه جميل، لتزيين الشيطان ذلك له"<sup>(٢)</sup>.

قال يحيى: "كمن آمن وعمل صالحاً، أي: لا يستويان، وهذا على الاستفهام، وفيه إضمار"<sup>(٣)</sup>.

قال الفراء: "يقول: شبه عليه عمله، فرأى سيئه حسناً"<sup>(٤)</sup>.

قال قتادة والحسن: "الشيطان زُيِّنَ لهم"<sup>(٥)</sup>.

قال الزجاج: "الجواب ههنا على ضربين:

أحدهما: يدل عليه: {فلا تذهب نفسك عليهم حسرات}. ويكون المعنى: أفمن زين له سوء عمله فأضله الله ذهبت نفسك عليه حسرة.

ويجوز أن يكون الجواب محذوفاً ويكون المعنى: أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله، ويكون دليلاً: {فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء}<sup>(٦)</sup>.

عن أبي قلابة: "أنه سئل، عن هذه الآية: {أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً}، أهم عمالنا هؤلاء الذين يصنعون؟ قال: ليس هم. إن هؤلاء ليس أحدهم يأتي شيئاً مما لا يحل له إلا قد عرف أن ذلك حرام عليه. إن أتى الزنا فهو حرام، أو قتل النفس فهو حرام، إنما أولئك أهل الملل. اليهود، والنصارى، والمجوس، وأظن الخوارج منهم، لأن الخارجي يخرج بسيفه على جميع أهل البصرة، وقد عرف أنه ليس ينال حاجته منهم، وأنهم سوف يقتلونه، ولولا أنه من دينه ما فعل ذلك"<sup>(٧)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(٢) تفسير الطبري: ٤٤١ / ٢٠.

(٣) تفسير يحيى بن سلام: ٧٧٨ / ٢.

(٤) معاني القرآن: ٣٦٦ / ٢.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٤١ / ٢٠.

(٦) معاني القرآن: ٢٦٤ / ٤.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٣١): ص ٣١٧٢ / ١٠.

عن عبد الله بن الديلمى قال أتيت عبد الله بن عمرو وهو في حائط بالطائف يقال له: الوهط قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله خلق خلقه في ظلمة، ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من نوره يومئذ فقد اهتدى ومن خطأه منه ضل، فإذن أقول جف القلم على ما علم الله عز وجل» ثم قال: حدثني يحيى بن عبدك القزويني حدثنا حسان بن حشان البصري، ثنا إبراهيم بن بشير، ثنا يحيى بن معن، ثنا إبراهيم القرشي، عن سعيد بن شرحبيل، عن زيد بن أبي أوفى قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «الحمد لله الذي يهدي من الضلالة، ويلبس الضلالة على من أحب»<sup>(١)</sup>.

وقرئت: «فلا تذهب نفسك»، بضم التاء وجزم الباء ونصب النفس<sup>(٢)</sup>.  
قوله تعالى: {فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [فاطر : ٨]، أي: "فإن الله يضل من يشاء من عباده، ويهدي من يشاء"<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: يقول: "فإن الله يخذل من يشاء عن الإيمان به واتباعك وتصديقك، فيضله عن الرشاد إلى الحق في ذلك، ويوفق من يشاء للإيمان به واتباعك والقبول منك، فتهديه إلى سبيل الرشاد"<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: {فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ} [فاطر : ٨]، أي: "فلا تهلك نفسك حزناً على كفر هؤلاء الضالين"<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: يقول: فلا تهلك نفسك حزناً على ضلالتهم وكفرهم بالله وتكذيبهم لك<sup>(٦)</sup>.  
قال يحيى: "لا تحسر عليهم إذ لم يؤمنوا بكوله: {وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ} [النحل : ١٢٧] / النمل : ٧٠"<sup>(٧)</sup>.

قال قتادة: "أي: لا يحزنك ذلك عليهم"<sup>(٨)</sup>.  
قال ابن زيد: "الحسرات الحزن، وقرأ قول الله: {يَا حَسْرَاتٍ أَعْمَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ}"<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} [فاطر : ٨]، أي: "إن الله عليم بقبائحهم وسيجازيهم عليها أسوأ الجزاء"<sup>(١٠)</sup>.  
قال الطبري: يقول: "إن الله يا محمد ذو علم بما يصنع هؤلاء الذين زين لهم الشيطان سوء أعمالهم، وهو محصيه عليهم، ومجازيهم به جزاءهم"<sup>(١١)</sup>.

## القرآن

{وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ الشُّرُورُ (٩)} [فاطر : ٩]

التفسير:

والله هو الذي أرسل الرياح فتحرك سحاباً، فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها فتخضر بالنبات، مثل ذلك الإحياء يحيي الله الموتى يوم القيامة.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٣٢): ص ٣١٧٢/١٠-٣١٧٣.

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٤٢٦٤.

(٣) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(٤) تفسير الطبري: ٤٤١ / ٢٠.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(٦) تفسير الطبري: ٤٤١ / ٢٠.

(٧) تفسير يحيى بن سلام: ٧٧٨/٢.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٤١ / ٢٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٤١ / ٢٠.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(١١) تفسير الطبري: ٤٤٢ / ٢٠.

قوله تعالى: {وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا} [فاطر : ٩]، أي: "والله هو الذي أرسل الرياح فتحرك سحابًا"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: يقول: "والله الذي أرسل الرياح فتثير السحاب للحيا والغيث"<sup>(٢)</sup>.

قال أبو عبيدة: "أي: تجمع وتجيء به وتخرجه"<sup>(٣)</sup>.

قال قتادة: "يرسل الرياح فتسوق السحاب"<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: {فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ} [فاطر : ٩]، أي: "فسقنا السحاب الذي يحمل الغيث إلى بلدٍ مجذب قاحل"<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: "يقول: فسقناه إلى بلد مجذب الأهل، محل الأرض، دائر لا نيت فيه ولا زرع"<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: {فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} [فاطر : ٩]، أي: "فأحيينا به الأرض بعد يُبْسها فتخضر بالنبات"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: "يقول: فأخصبنا بغيث ذلك السحاب الأرض التي سقناه إليها بعد جدوبها، وأنبتنا فيها الزرع بعد المحل"<sup>(٨)</sup>.

قال قتادة: "فأحيا الله به هذه الأرض الميتة بهذا الماء"<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: {كَذَلِكَ نُثَوِّرُ} [فاطر : ٩]، أي: "مثل ذلك الإحياء يحيي الله الموتى يوم القيامة"<sup>(١٠)</sup>.

قال الطبري: يقول: "هكذا يُثِيرُ الله الموتى بعد بلائهم في قبورهم، فيحييهم بعد فنائهم، كما أحيينا هذه الأرض بالغيث بعد مماتها"<sup>(١١)</sup>.

قال الزجاج: "أي: مثل إحياء الأرض، وكذلك بعثكم"<sup>(١٢)</sup>.

قال قتادة: "فكذلك يبعثه يوم القيامة"<sup>(١٣)</sup>.

قال ابن مسعود: "يقوم ملك بالصور بين السماء والأرض فينفخ فيه فلا يبقى خلق لله في السموات والأرض إلا ما شاء الله ثم يرسل الله من تحت العرش منيا كمني الرجال، فتنبت أجسامهم ولحمانهم من ذلك الماء كما تنبت الأرض من الثرى، ثم قرأ عبد الله رضي الله عنه: {اللَّهُ الَّذِي [يرسل] أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ نُثَوِّرُ} يكون بين النفختين ما شاء الله، ثم يقول ملك فينفخ فيه فتنتطق كل نفس إلى جسدها، «فتدخل فيه»<sup>(١٤)</sup><sup>(١٥)</sup>.

- 
- (١) التفسير الميسر: ٤٣٥.  
(٢) تفسير الطبري: ٤٤٢ / ٢٠.  
(٣) مجاز القرآن: ١٥٢ / ٢.  
(٤) أخرجه الطبري: ٤٤٣ / ٢٠.  
(٥) صفة التفسير: ٥٢٠ / ٢.  
(٦) تفسير الطبري: ٤٤٢ / ٢٠.  
(٧) التفسير الميسر: ٤٣٥.  
(٨) تفسير الطبري: ٤٤٢ / ٢٠.  
(٩) أخرجه الطبري: ٤٤٣ / ٢٠.  
(١٠) التفسير الميسر: ٤٣٥.  
(١١) تفسير الطبري: ٤٤٢ / ٢٠.  
(١٢) معاني القرآن: ٢٦٤ / ٤.  
(١٣) أخرجه الطبري: ٤٤٣ / ٢٠.  
(١٤) الزيادة في رواية الطبري: ٤٤٣ / ٢٠.  
(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٣٥): ص ٣١٧٣ / ١٠، والطبري الطبري: ٤٤٣ / ٢٠. [باختلاف يسير في الالفاظ].

عن أبي رزينة العقيلي رضي الله، عنه قال: "قلت: يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى؟ قال: أما مررت بأرض مجدبة، ثم مررت بها مخصبة تهتز خضراء؟ قال: بلى، قال: كذلك يحيي الله الموتى وكذلك النشور"<sup>(١)</sup>.

## القرآن

{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ (١٠)} [فاطر : ١٠]

التفسير:

من كان يطلب عزة في الدنيا أو الآخرة فليطلبها من الله، ولا تُنال إلا بطاعته، فله العزة جميعاً، فمن اعتز بال مخلوق أذله الله، ومن اعتز بالخالق أعزه الله، إليه سبحانه يصعد ذكره والعمل الصالح يرفعه. والذين يكتسبون السيئات لهم عذاب شديد، ومكر أولئك يهلك ويفسد، ولا يفيدهم شيئاً.

قوله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا} [فاطر : ١٠]، أي: "من كان يطلب عزة في الدنيا أو الآخرة فليطلبها من الله، ولا تُنال إلا بطاعته، فله العزة جميعاً"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: يقول: "من كان يريد العزة فبالله فليتعزز، فله العزة جميعاً، دون كل ما دونه من الآلهة والأوثان"<sup>(٣)</sup>.

قال الزجاج: "أي من كان يريد بعبادته غير الله العزة فله العزة جميعاً، أي: في حال اجتماعها، أي يجتمع له في الدنيا والآخرة"<sup>(٤)</sup>.

قال مجاهد، قوله: "مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ"، قال: بعبادة الأوثان {فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا} قال: فلي: فليتعزز بطاعة الله"<sup>(٥)</sup>.

عن قتادة، قوله: "مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا"، يقول: فليتعزز بطاعة الله"<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} [فاطر : ١٠]، أي: "إليه سبحانه يصعد ذكره"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: يقول: "إلى الله يصعد ذكر العبد إياه وثناؤه عليه"<sup>(٨)</sup>.

قال مقاتل: "يقول: إلى الله- عز وجل- يصعد في السماء التوحيد"<sup>(٩)</sup>.

قال الزجاج: "أي إليه يصل الكلم الذي هو توحيد الله، وهو قول لا إله إلا الله"<sup>(١٠)</sup>.

عن شهر بن حوشب: "إليه يصعد الكلم الطيب"، قال: القرآن"<sup>(١١)</sup>.

عن مطر: "إليه يصعد الكلم الطيب"، قال: الدعاء"<sup>(١٢)</sup>.

قوله تعالى: {وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} [فاطر : ١٠]، أي: "أن العمل الصالح يرفع الكلم

الطيب"<sup>(١٣)</sup>.

قال الطبري: "ويرفع ذكر العبد ربه إليه عمله الصالح، وهو العمل بطاعته، وأداء

فرائضه والانتهاه إلى ما أمر به"<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٣٦): ص ١٠ / ٣١٧٣.

(٢) التفسير الميسر ٤٣٥.

(٣) تفسير الطبري: ٤٤٤/٢٠.

(٤) معاني القرآن: ٢٦٤/٤.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٣٧): ص ١٠ / ٣١٧٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٤٣-٤٤٤.

(٧) التفسير الميسر ٤٣٥.

(٨) تفسير الطبري: ٤٤٤ / ٢٠.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٥٣/٣.

(١٠) معاني القرآن: ٢٦٥/٤.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٣٨): ص ١٠ / ٣١٧٤.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٣٩): ص ١٠ / ٣١٧٤.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٥/٢٠. وهو قول مجاهد وشهر بن حوشب كما سيأتي.



قال مقاتل: "يقول: شهادة ألا إله إلا الله ترفع العمل الصالح إلى الله- عز وجل- في السماء"<sup>(٢)</sup>.

قال الزجاج: "المعنى: إذا وحد الله وعجل بطاعته ارتفع ذلك إلى الله، والله - عز - وجل - يرتفع إليه كل شيء ويعلم كل شيء. ولكن المعنى فيه ههنا العمل الصالح هو الذي يرفع ذكر التوحيد حتى يكون مثبتاً للموحد حقيقة التوحيد. والضمير في {يرفعه} يجوز أن يكون أحد ثلاثة أشياء، وذلك قول أهل اللغة جميعاً، فيكون والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب، ويجوز أن يكون والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب، أي: لا يقبل العمل الصالح إلا من موحد، والقول الثالث: أن يرفعه الله عز وجل"<sup>(٣)</sup>.

قال مجاهد، والضحاك، وشهر بن حوشب: "العمل الصالح يرفع الكلام الطيب"<sup>(٤)</sup>.  
قال الحسن وقتادة: "لا يقبل الله قولاً إلا بعمل، من قال وأحسن العمل قبل الله منه"<sup>(٥)</sup>.  
عن ابن عباس، قوله: "{إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}"، قال: الكلام الطيب: ذكر الله، والعمل الصالح: أداء فرائضه، فمن ذكر الله سبحانه في أداء فرائضه حمل عليه ذكر الله فصعد به إلى الله، ومن ذكر الله، ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله فكان أولى به"<sup>(٦)</sup>.

عن المخارق بن سليم، قال: "قال لنا عبد الله: إذا حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله، إن العبد المسلم إذا قال: سبحان الله وبحمده، الحمد لله لا إله إلا الله، والله أكبر، تبارك الله، أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحيه ثم صعد بهن إلى السماء، فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يحيي بهن وجه الرحمن، ثم قرأ عبد الله {وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}"<sup>(٧)</sup>.

قال كعب: "إن لسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، لدويًا حول العرش كدوي النحل يذكرن بصاحبهن والعمل الصالح في الخزائن"<sup>(٨)</sup>.  
قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} [فاطر : ١٠]، أي: "والذين يكتسبون السيئات لهم عذاب شديد"<sup>(٩)</sup>.

قال الطبري: يقول: "والذين يكسبون السيئات لهم عذاب جهنم"<sup>(١٠)</sup>.  
قال أبو عبيدة: أي: "يكسبون ويجترحون"<sup>(١١)</sup>.  
قال الزجاج: "المعنى: مكر الذين يمكرون بالنبوي - صلى الله عليه وسلم -"<sup>(١٢)</sup>.  
عن قتادة، قوله: "{وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ}"، قال: يعملون السيئات"<sup>(١٣)</sup>، قال: "هؤلاء أهل الشرك"<sup>(١٤)</sup>.

---

(١) تفسير الطبري: ٤٤٤ / ٢٠.  
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٥٣ / ٣.  
(٣) معاني القرآن: ٢٦٥ / ٤.  
(٤) أخرجه الطبري: ٤٤٥ / ٢٠. عن مجاهد وشهر بن حوشب، وقول شهر بن حوشب "الكلم الطيب". وأخرج ابن أبي حاتم (١٧٩٤١): ص ٣١٧٤ / ١٠ قول الضحاك.  
(٥) أخرجه الطبري: ٤٤٥ / ٢٠.  
(٦) أخرجه الطبري: ٤٤٥ / ٢٠.  
(٧) أخرجه الطبري: ٤٤٥ - ٤٤٤ / ٢٠.  
(٨) أخرجه الطبري: ٤٤٥ / ٢٠.  
(٩) التفسير الميسر: ٤٣٥.  
(١٠) تفسير الطبري ٤٤٦ - ٤٤٥ / ٢٠.  
(١١) مجاز القرآن: ١٥٢ / ٢.  
(١٢) معاني القرآن: ٢٦٥ / ٤.  
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٤٣): ص ٣١٧٤ / ١٠.  
(١٤) أخرجه الطبري: ٤٤٦ / ٢٠.

قوله تعالى: {وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ} [فاطر : ١٠]، أي: "ومكر أولئك يَهْلِك وَيَفْسُد، ولا يفيدهم شيئاً"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: "يقول: وعمل هؤلاء المشركين يبور، فيبطل فيذهب؛ لأنه لم يكن لله، فلم ينفع عامله"<sup>(٢)</sup>.

قال الزجاج: "أي يفسد، وقد بين ما مكرهم في سورة الأنفال، في قوله: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ} [الأنفال : ٣٠]. ففسد جميع مكرهم فجعل الله كلمة نبيه وأوليائه العليا، وأيديهم العالية بالنصر والحجة"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن قتيبة: "يَبُورُ، أي: يبطل"<sup>(٤)</sup>.  
عن ابن زيد، قوله: {وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ}، قال: "بار فلم ينفعمهم ولم ينتفعوا به، وضرهم"<sup>(٥)</sup>.

عن قتادة: "وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ، أي: يفسد"<sup>(٦)</sup>.

قال السدي: "يهلك، فليس له ثواب في الآخرة"<sup>(٧)</sup>.

قال شهر بن حوشب: "هم أصحاب الرياء"<sup>(٨)</sup>.

## القرآن

{وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} (١١) [فاطر : ١١]

التفسير:

والله خلق أباكم آدم من تراب، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم جعلكم رجالاً ونساءً. وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه، وما يعمر من معمر، فيطول عمره، ولا يُنْقَصُ من عمره إلا في كتاب عنده، وهو اللوح المحفوظ، قبل أن تحمل به أمه وقبل أن تضعه. قد أحصى الله ذلك كله، وعلمه قبل أن يخلقه، لا يُزاد فيما كتب له ولا يُنْقَصُ. إن خَلَقَكُمْ وَعَلَّمَ أحوالكم وكتابتها في اللوح المحفوظ سهل يسير على الله.

قوله تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ} [فاطر : ١١]، أي: "والله خلق أباكم آدم من تراب"<sup>(٩)</sup>.

قال الطبري: "يعني بذلك: أنه خلق أباهم آدم من تراب؛ فجعل خلق أبيهم منه لهم خَلْقًا"<sup>(١٠)</sup>.

قال قتادة: "يعني آدم"<sup>(١١)</sup>.

قوله تعالى: {ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ} [فاطر : ١١]، أي: "ثم خلق ذريته من ماء مهين وهو المنى الذي يُصَبُّ في الرحم"<sup>(١٢)</sup>.

قال الطبري: "يقول: ثم خلقكم من نطفة الرجل والمرأة"<sup>(١)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(٢) تفسير الطبري: ٤٤٦ / ٢٠.

(٣) معاني القرآن: ٢٦٥ / ٤.

(٤) غريب القرآن: ٣٦٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٤٦ / ٢٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٤٦ / ٢٠.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٤٤): ص ٣١٧٤ / ١٠.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٤٦ / ٢٠.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(١٠) تفسير الطبري: ٤٤٧ / ٢٠.

(١١) أخرجه الطبري: ٤٤٧ / ٢٠.

(١٢) صفة التفاسير: ٥٢١ / ٢.

قال قتادة: "يعني: ذريته"<sup>(٢)</sup>.  
 قوله تعالى: {ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا} [فاطر : ١١]، أي: "ثم جعلكم رجالاً ونساء"<sup>(٣)</sup>.  
 قال الطبري: "يعني: أنه زوج منهم الأنثى من الذكر"<sup>(٤)</sup>.  
 قال قتادة: "فزوج بعضكم بعضاً"<sup>(٥)</sup>.  
 قوله تعالى: {وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ} [فاطر : ١١]، أي: "وما تحمل أنثى في بطنها من جنين، ولا تلد إلا بعلمه تعالى"<sup>(٦)</sup>.  
 قال الطبري: يقول: "ما تحمل من أنثى منكم أيها الناس من حمل ولا نطفة إلا وهو عالم بحملها إياه ووضعها وما هو؟ ذكر أو أنثى؟ لا يخفى عليه شيء من ذلك"<sup>(٧)</sup>.  
 قوله تعالى: {وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ} [فاطر : ١١]، أي: "وما يعمر من معمر، فيطول عمره، ولا يُنْقَصُ من عمره إلا في كتاب عنده، وهو اللوح المحفوظ، لا يُزاد فيما كتب الله ولا يُنْقَصُ"<sup>(٨)</sup>.  
 وفي قوله تعالى: {وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ} [فاطر : ١١]، وجهان من التفسير:  
 أحدهما: معناه: ما يزداد عمر معمر حتى يدركه الهرم، ولا ينقص آخر من عمر الهرم إلا في كتاب، يعني: هذا مكتوب في اللوح المحفوظ ومفروغ منه فلا يكون فيه زيادة ونقص. والهاء في قوله: {من عمره} يرجع إلى آخر. وهذا المعنى في رواية العوفي عن ابن عباس<sup>(٩)</sup>، وبه قال مجاهد<sup>(١٠)</sup>، والضحاك<sup>(١١)</sup>، واختاره الفراء<sup>(١٢)</sup>. وقال: هذا "أشبه بالصواب"<sup>(١٣)</sup>، كما اختاره النحاس<sup>(١٤)</sup>، وقال: وهو "أحسنها وأشبهها بظاهر التنزيل"<sup>(١٥)</sup>.  
 قال الفراء: "ومثله في الكلام: عندي درهم ونصفه يعني: نصف آخر. فجاز أن يكنى عنه بالهاء لأن لفظ الثاني قد يظهر كلفظ الأول. فكنى عنه ككناية الأول"<sup>(١٦)</sup>.  
 قال ابن كثير: "أي: ما يعطى بعض النطف من العمر الطويل يعلمه، وهو عنده في الكتاب الأول، {وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ} الضمير عائد على الجنس، لا على العين؛ لأن العين الطويل للعمر في الكتاب وفي علم الله لا ينقص من عمره، وإنما عاد الضمير على الجنس"<sup>(١٧)</sup>.  
 قال ابن عباس: "يقول: ليس أحد قضيت له طول العمر والحياة إلا وهو بالغ ما قدرت له من العمر، وقد قضيت ذلك له، وإنما ينتهي إلى الكتاب الذي قدرت له لا يزداد عليه، وليس

- (١) تفسير الطبري: ٤٤٧/٢٠.
- (٢) أخرجه الطبري: ٤٤٧/٢٠.
- (٣) التفسير الميسر: ٤٣٥.
- (٤) تفسير الطبري: ٤٤٧/٢٠.
- (٥) أخرجه الطبري: ٤٤٧/٢٠.
- (٦) صفوة التفاسير: ٥٢١/٢.
- (٧) تفسير الطبري: ٤٤٧/٢٠.
- (٨) انظر: التفسير الميسر: ٤٣٥، و صفوة التفاسير: ٥٢١/٢.
- (٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٧/٢٠.
- (١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٧٩٥١): ص ٣١٧٥/١٠.
- (١١) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٤٤٣/٥-٤٤٤.
- (١٢) معاني القرآن: ٣٦٨/٢.
- (١٣) معاني القرآن: ٣٦٨/٢.
- (١٤) انظر: معاني القرآن: ٤٤٣/٥.
- (١٥) معاني القرآن: ٤٤٣/٥.
- (١٦) معاني القرآن: ٣٦٨/٢.
- (١٧) تفسير ابن كثير: ٦: ٥٣٩.

أحد قضيت له أنه قصير العمر والحياة ببالغ العمر، ولكن ينتهي إلى الكتاب الذي قدرت له لا يزداد عليه فذلك قوله: {وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ} يقول: كل ذلك في كتاب عنده<sup>(١)</sup>.

قال أبو معاذ: "من قضيت له أن يعمر حتى يدركه الكبر، أو يعمر أنقص من ذلك، فكل بالغ أجله الذي قد قضى له، كل ذلك في كتاب"<sup>(٢)</sup>.

عن ابن زيد، قوله: "وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ"، قال: ألا ترى الناس؛ الإنسان يعيش مائة سنة، وآخر يموت حين يولد؛ فهذا هذا"<sup>(٣)</sup>.

وعن ابن زيد، قوله: "ولا ينقص من عمره"، قال: ما لفظت الأرحام من الأولاد من غير تمام"<sup>(٤)</sup>.

عن مجاهد: "وما يعمر من معمرٍ إلا كتب الله له أجله في بطن أمه {ولا ينقص من عمره} يوم تضعه أمه بالغا ما بلغ، يقول: لم يخلق الناس كلهم على عمر واحد. لذا عمر ولذا عمر هو أنقص من عمر هذا وكل ذلك مكتوب لصاحبه بالغا ما بلغ"<sup>(٥)</sup>.

قال قتادة: "أما العمر فمن بلغ ستين سنة، وأما الذي ينقص من عمره فالذي يموت قبل أن يبلغ ستين سنة"<sup>(٦)</sup>.

عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين أو بخمسة وأربعين ليلة فيقول: أي رب أشقي أم سعيد؟ أذكر أم أنثى؟ فيقول الله ... ويكتبان ثم يكتب عمله، ورزقه وأجله وأثره ومصيبته، ثم تنطوي الصحيفة فلا يزداد فيها ولا ينقص منها»"<sup>(٧)</sup>.

الثاني: معناه: ما يطول عمر أحد، ولا يذهب من عمره شيء، فَيُنْقَصُ إلا وهو في كتاب عند الله مكتوب، قد أحصاه وعلمه و«الهاء» على هذا التفسير للمعمر الأول. وهذا المعنى في رواية ابن جبير عن ابن عباس<sup>(٨)</sup>، وبه قال عكرمة<sup>(٩)</sup>، وأبو مالك<sup>(١٠)</sup> في آخرين.

عن أبي مالك في هذه الآية: "وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ"، قال: ما يقضي من أيامه التي عدت له إلا في كتاب"<sup>(١١)</sup>.

قال أبو مالك: "ليس يوم يسلبه من عمره إلا في كتاب كل يوم في نقصان"<sup>(١٢)</sup>.

قال سعيد بن جبير: "مكتوب في أول الصحيفة عمره كذا وكذا، ثم يكتب في أسفل ذلك: ذهب يوم كذا وكذا، ومضى يوم كذا حتى يأتي على أجله"<sup>(١٣)</sup>.

قال حسان بن عطية: "كل ما ذهب من يوم وليلة فهو نقصان من عمره"<sup>(١٤)</sup>.

قال السدي: "ليس من مخلوق إلا كتب الله له عمره جملة فكل يوم يمر به أو ليلة يكتب: نقص من عمر فلان كذا وكذا. حتى يستكمل بالنقصان عدة ما كان له من أجل مكتوب فعمره جميعا في كتاب ونقصانه في كتاب"<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه الطبري: ٤٤٧/٢٠ - ٤٤٨.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٤٨/٢٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٤٨/٢٠.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٥٧): ص ٣١٧٦/١٠.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٥١): ص ٣١٧٥/١٠.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٥٥): ص ٣١٧٦/١٠.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٥٨): ص ٣١٧٦/١٠.

(٨) انظر: زاد المسير: ٥٠٨/٣.

(٩) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٨١/٢.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٨/٢٠.

(١١) أخرجه الطبري: ٤٤٨/٢٠.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٤٨): ص ٣١٧٥/١٠.

(١٣) رواه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٨١/٢، وأخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٤٩): ص ٣١٧٥/١٠، بلفظ: «ثم يكتب في أسفل ذلك: يوم ذلك يومان حتى يأتي على آخر عمره»

(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٥٠): ص ٣١٧٥/١٠.

عن عكرمة، قال: "وما يعمر من معمر ولا ينقص: من عمر آخر" (٢).  
وقال عكرمة: "ما من يوم يعمر في الدنيا إلا ينقص من أجله" (٣).  
قال عطاء الخراساني: "لا يذهب من عمر إنسان يوم ولا شهر ولا ساعة إلا ذلك  
مكتوب محفوظ معلوم" (٤).

قال الزجاج: "وتأويل الآية: أن الله جل وعز قد كتب عمر كل معمر وكتب يعمر كذا  
وكذا سنة وكذا وكذا شهرا، وكذا وكذا يوما، وكذا وكذا ساعة، فكل ما نقص من عمره من سنة  
أو شهر أو يوم أو ساعة كتب ذلك حتى يبلغ أجله" (٥).

قال الطبري: "وأولى التأويلين في ذلك عندي الصواب التأويل الأول، وذلك أن ذلك هو  
أظهر معنييه، وأشبههما بظاهر التنزيل" (٦).

قال الشوكاني: "والأولى أن يقال: ظاهر النظم القرآني أن تطويل العمر وتقصيره: هما  
بقضاء الله وقدره لأسباب تقتضي التطويل، وأسباب تقتضي التقصير.

فمن أسباب التطويل: ما ورد في صلاة الرحم عن النبي صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك.  
ومن أسباب التقصير الاستكثار من معاصي الله عز وجل، فإذا كان العمر المضروب للرجل  
مثلا سبعين سنة، فقد يزيد الله له عليها إذا فعل أسباب الزيادة، وقد ينقصه منها إذا فعل أسباب  
النقصان، والكل في كتاب مبين فلا تخالف بين هذه الآية، وبين قوله سبحانه: {فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَّا  
يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} [الأعراف : ٣٤]، ويؤيد هذا قوله سبحانه: {يَمَحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ  
وَيُنَبِّئُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} [الرعد : ٣٩] (٧).

قال كعب الأحبار: "لما طعن عمر بن الخطاب لو دعا الله لزيد في أجله، فأنكر ذلك  
عليه المسلمون، وقالوا: إن الله عز وجل يقول: {فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَّا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا  
يَسْتَقْدِمُونَ} [الأعراف : ٣٤]، فقال: وإن الله تعالى يقول: {وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ  
عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ}، قال الزهري نرى أنه يؤخر ما لم يحضر الأجل فإذا حضر الأجل لم يزد  
في العمر ولم يقع تأخير" (٨).

وفي رواية: "فقال: هذا إذا حضره الأجل، فأما قبل ذلك فيجوز أن يزداد وينقص، وقرأ  
هذه الآية" (٩).

قال النحاس: "وقيل في معنى الآية: إنه يكون أن يحكم أن عمر الإنسان مائة سنة إن  
أطاع وتسعون إن عصى فأيهما بلغ فهو في كتاب" (١٠).  
قال السمعاني: "وهذا جائز" (١١).

وروي ن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: "ذكرنا، عند رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فقال: «إن الله لا يؤخر نفسا إذا جاء أجلها، وإنما زيادة العمر بالذرية الصالحة يرزقها العبد  
فيدعون له من بعده، فيلحقه دعاؤهم في قبره، فذلك زيادة العمر» (١٢).

قوله تعالى: {إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [فاطر : ١١]، أي: "إن خلقكم وعلم أحوالكم  
وكتابتها في اللوح المحفوظ سهل يسير على الله" (١٣).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٥٣): ص ٣١٧٥/١٠-٣١٧٦.

(٢) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٨١/٢.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٤٧): ص ٣١٧٥/١٠.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٥٤): ص ٣١٧٦/١٠.

(٥) معاني القرآن: ٢٦٥/٤-٢٦٦.

(٦) تفسير الطبري: ٤٤٨/٢٠-٤٤٩.

(٧) فتح القدير: ٣٩٢/٤-٣٩٣.

(٨) رواه النحاس في معاني القرآن: ٤٤٥/٥.

(٩) نقلا عن تفسير السمعاني: ٣٥١/٤.

(١٠) معاني القرآن: ٤٤٦/٥.

(١١) تفسير السمعاني: ٣٥١/٤.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٤٢): ص ٣١٧٤/١٠.

قال السدي: "يعني: هين عليه وليس بشديد عليه"<sup>(٢)</sup>.

قال السمعاني: "أي: هين"<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: يقول: "إن إحصاء أعمار خلقه عليه يسير سهل، طويل ذلك وقصيره، لا يتعذر عليه شيء منه"<sup>(٤)</sup>.

قال النحاس: "أي: إحصاء طويل الأعمار وقصيرها لا يتعذر عليه"<sup>(٥)</sup>.

فوائد الآيات: [٨-١١]:

١- التحذير من اتباع الهوى والاستجابة للشيطان فإن ذلك يؤدي بالعبء إلى أن يصبح يرى الأعمال القبيحة حسنة ويومها يحرم هداية الله فلا يهتدي أبداً وهذا ينتج عن الإدمان على المعاصي والذنوب.

٢- عملية إحياء الأرض بعد موتها دليل واضح على بعث الناس أحياء بعد موتهم.

١- مطلب العزة مطلب غال، وهو طاعة الله ورسوله ولا يعز أحد عزاً حقيقياً بدون طاعة الله ورسوله.

٢- علم الله المتجلي في الخلق والتدبير يضاف إليه قدرته تعالى التي لا يعجزها شيء بهما يتم الخلق والبعث والجزاء.

٣- تقرير البعث والجزاء وتقرير كتاب المقادير وهو اللوح المحفوظ.

## القرآن

{وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أجاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرَ لِنَبْتَعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢)}

[فاطر : ١٢]

التفسير:

وما يستوي البحرين: هذا عذب شديد العذوبة، سهلٌ مروره في الحلق يزيل العطش، وهذا ملح شديد الملوحة، ومن كل من البحرين تأكلون سمكاً طرياً شهياً الطعم، وتستخرجون زينة هي اللؤلؤ والمرجان تلبسونها، وترى السفن فيه شاقات المياه؛ لتبتغوا من فضله من التجارة وغيرها. وفي هذا دلالة على قدرة الله ووحدانيته؛ ولعلكم تشكرون الله على هذه النعم التي أنعم بها عليكم.

قوله تعالى: {وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أجاجٌ} [فاطر :

١٢]، أي: "وما يستوي البحرين: هذا عذب شديد العذوبة، سهلٌ مروره في الحلق يزيل العطش، وهذا ملح شديد الملوحة"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: يقول: "وما يعتدل البحرين فيستويان؛ أحدهما عذب فرات، والفرات: هو أعذب العذب، وهذا ملح أجاج يقول: والآخر منهما ملح أجاج وذلك هو ماء البحر الأخضر، والأجاج: المر وهو أشد المياه ملوحة"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى منبها على قدرته العظيمة في خلقه الأشياء المختلفة: وخلق

البحرين العذب الزلال، وهو هذه الأنهار السارحة بين الناس، من كبار وصغار، بحسب الحاجة إليها في الأقاليم والأمصار، والعمران والبراري والقفار، وهي عذبة سائغ شرابها لمن

(١) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(٢) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٨١/٢.

(٣) تفسير السمعاني: ٣٥١/٤.

(٤) تفسير الطبري: ٤٤٩ / ٢٠.

(٥) معاني القرآن: ٤٤٦/٥.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٧) تفسير الطبري: ٤٤٩ / ٢٠.

أراد ذلك ، { وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ } ، وهو البحر الساكن الذي تسير فيه السفن الكبار ، وإنما تكون مالحة زَعَاقًا مُرَّةً ، ولهذا قال : { وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ } ، أي : مرٌّ<sup>(١)</sup> .

قال الزجاج: "«الفرات»: المبالغ في العذوبة، و«الأجاج»: الشديد المرارة، و«الأجاج»: أيضا الشديد الحرارة"<sup>(٢)</sup> .

عن قتادة، قوله: "وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ"، والأجاج: المر"<sup>(٣)</sup> .

عن سنان بن سلمة: "أنه سأل ابن عباس، عن ماء البحر فقال: بحران لا يضرك فمن أيهما توضع ماء البحر وماء الفرات"<sup>(٤)</sup> .

قوله تعالى: {وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا} [فاطر : ١٢]، أي: "ومن كل من البحرين تأكلون سمگا طريًا شهي الطعم"<sup>(٥)</sup> .

قال الطبري: " يقول: ومن كل البحار تأكلون لحمًا طريًا، وذلك السمك من عذبهما الفرات وملحهما الأجاج"<sup>(٦)</sup> .

قال ابن كثير: " يعني : السمك"<sup>(٧)</sup> .

عن قتادة، قوله: " {وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا}، أي: منهما جميعًا"<sup>(٨)</sup> .

عن السدي، قوله: " {وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا}، قال: السمك"<sup>(٩)</sup> .

قوله تعالى: {وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا} [فاطر : ١٢]، أي: "وتستخرجون زينة هي اللؤلؤ والمرجان تلبسونها"<sup>(١٠)</sup> .

قال الطبري: "يعني: الدر والمرجان تستخرجونها من الملح الأجاج"<sup>(١١)</sup> .

عن قتادة، قوله: " {وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا}، هذا اللؤلؤ"<sup>(١٢)</sup> .

عن السدي، قوله: " {وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا}، قال: اللؤلؤ من البحر الأجاج"<sup>(١٣)</sup> .

قال الزجاج: " وإنما تستخرج الحلية من الملح دون العذب، إلا أنهما لما كانا مختلطين العذب والملح، جاز أن يقال تستخرجون الحلية - وهي اللؤلؤ والمرجان وما أشبه ذلك منهما - كما قال: {يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ} [الرحمن : ٢٢]"<sup>(١٤)</sup> .

قوله تعالى: {وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَآخِرَ} [فاطر : ١٢]، أي: "وترى السفن فيه شاقات المياه"<sup>(١٥)</sup> .

قال الطبري: يقول: " وترى السفن في كل تلك البحار مواخر تمخر الماء بصدورها"<sup>(١٦)</sup> .

قال ابن كثير: " أي : تمخره وتشقه بحيزومها ، وهو مقدمها المُسَمَّم الذي يشبه جَوْجُو الطير - وهو : صدره "<sup>(١)</sup> .

(١) تفسير ابن كثير: ٥٣٩/٦-٥٤٠.

(٢) معاني القرآن: ٢٦٦/٤.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٤٩ / ٢٠.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٩٦٠):ص٣١٧٧/١٠.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٦) تفسير الطبري: ٤٤٩ / ٢٠.

(٧) تفسير ابن كثير: ٥٤٠/٦.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٥٠ / ٢٠.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٩٦١):ص٣١٧٧/١٠.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(١١) تفسير الطبري: ٤٤٩ / ٢٠.

(١٢) أخرجه الطبري: ٤٥٠ / ٢٠.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٩٦١):ص٣١٧٧/١٠.

(١٤) معاني القرآن: ٢٦٦/٤.

(١٥) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(١٦) تفسير الطبري: ٤٤٩ / ٢٠.

قال الزجاج: "المعنى: في مواخر تشق الماء"<sup>(٢)</sup>.  
قال ابن قتيبة: "أي: جوارى. ومخرها: خرقتها للماء"<sup>(٣)</sup>.  
قال الفراء: "مخرها: خرقتها للماء إذا مرت فيه، واحدها: مخره"<sup>(٤)</sup>.  
قال أبو عبيدة: "مَوَاخِرَ فِيهِ: من مخرت الماء، أي: شقته بجأئها"<sup>(٥)</sup>.  
وقال النحاس: "وَوَثَّرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرٌ، أي: في الملح خاصة، ولولا ذلك لقال: «فيهما»، وقد مخرت السفينة تمخر وتمخر، إذا شقت الماء، كما قال طرفة"<sup>(٦)</sup>.  
يشق حباب الماء حيزومها بها ... كما قسم التراب المفاليل باليد"<sup>(٧)</sup>.  
عن ابن عباس، قوله: "وَوَثَّرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرٌ، يقول: جوارى"<sup>(٨)</sup>.  
عن قتادة، قوله: "وَوَثَّرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرٌ، فيه السفن مقبلة ومدبرة بريح واحدة"<sup>(٩)</sup>.  
وقال مجاهد: "تمخر الريح السفن، ولا يمخر الريح من السفن إلا العظام"<sup>(١٠)</sup>.  
قوله تعالى: {لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ} [فاطر: ١٢]، أي: "لتبتغوا من فضله من التجارة وغيرها"<sup>(١١)</sup>.  
قال الطبري: "يقول: لتطلبوا بركوبكم في هذه البحار في الفلك من معاشكم، ولتصرفوا فيها في تجارتكم"<sup>(١٢)</sup>.  
قال ابن كثير: "أي: بأسفاركم بالتجارة، من قطر إلى قطر، وإقليم إلى إقليم"<sup>(١٣)</sup>.  
عن مجاهد: {لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ}، قال: "طلب التجارة في البحر"<sup>(١٤)</sup>.  
قوله تعالى: {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [فاطر: ١٢]، أي: "ولكي تشكروا الله على هذه النعم التي أنعم بها عليكم"<sup>(١٥)</sup>.  
قال الطبري: يقول: "وتشكروا الله على تسخيره ذلك لكم، وما رزقكم منه من طيبات الرزق وفاخر الحلي"<sup>(١٦)</sup>.  
قال سفيان بن عيينة: "على كل مسلم أن يشكر الله، لأن الله قال: {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}"<sup>(١٧)</sup>.  
قال ابن كثير: "أي: تشكرون ربكم على تسخيره لكم هذا الخلق العظيم، وهو البحر، تتصرفون فيه كيف شئتم، وتذهبون أين أردتم، ولا يمتنع عليكم شيء منه، بل بقدرته قد سخر لكم ما في السموات وما في الأرض، الجميع من فضله ومن رحمته"<sup>(١٨)</sup>.  
قال الإمام الشافعي: "في الآية دلالتان: إحداها: أن البحر العذب والمالح، وأن صيدهما مذكور ذكرا واحدا فكل ما

- (١) تفسير ابن كثير: ٥٤٠/٦.
- (٢) معاني القرآن: ٢٦٦/٤.
- (٣) غريب القرآن: ٣٦٠.
- (٤) معاني القرآن: ٣٦٨/٢.
- (٥) مجاز القرآن: ٣٥٧/١.
- (٦) الشاهد لطرفة بن العبد في ديوانه ٢٠، ولسان العرب (حبب) و (فيل)، وكتاب العين ٣/٣٢، ومقاييس اللغة ٢٨/٢، والمخصّص ١٤٩/٩، وتهذيب اللغة ١٠/٤، وتاج العروس (فأل)، و (حبب) و (فيل).
- (٧) إعراب القرآن: ٢٤٩/٣.
- (٨) أخرجه الطبري: ٤٥٠/٢٠.
- (٩) أخرجه الطبري: ٤٥٠/٢٠.
- (١٠) حكاه عنه ابن كثير في التفسير: ٥٤٠/٦.
- (١١) التفسير الميسر: ٤٣٦.
- (١٢) تفسير الطبري: ٤٥٠/٢٠.
- (١٣) تفسير ابن كثير: ٥٤٠/٦.
- (١٤) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٨٢/٢.
- (١٥) انظر: التفسير الميسر: ٤٣٦. [بتصرف بسيط].
- (١٦) تفسير الطبري: ٤٥٠/٢٠.
- (١٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٠٦٧): ص ٣٠٠٤/٩.
- (١٨) تفسير ابن كثير: ٥٤٠/٦.



صيد في ماء عذب، أو بحر، قليل أو كثير مما يعيش في الماء للمحرم حلال، وحلال اصطيداه، وإن كان في الحرم؛ لأن حكمه حكم صيد البحر الحلال للمحرم لا يختلف، ومن خوطب بإحلال صيد البحر وطعامه عقل أنه إنما أحل له ما يعيش في البحر من ذلك، وأنه أحل كل ما يعيش في مائه؛ لأنه صيده وطعامه عندنا: ما ألقى وطفا عليه - والله أعلم - ولا أعلم الآية تحتل إلا هذا المعنى.

ثانيهما: أو يكون طعامه في دواب تعيش فيه فتؤخذ بالأيدي بغير تكلف، كتكلف صيده، فكان هذا داخلا في ظاهر جملة الآية - والله أعلم -<sup>(١)</sup>.

## القرآن

{يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣)} [فاطر : ١٣]

التفسير:

والله يدخل من ساعات الليل في النهار، فيزيد النهار بقدر ما نقص من الليل، ويدخل من ساعات النهار في الليل، فيزيد الليل بقدر ما نقص من النهار، وذلك الشمس والقمر، يجريان لوقت معلوم، ذلكم الذي فعل هذا هو الله ربكم له الملك كله، والذين تعبدون من دون الله ما يملكون من قطمير، وهي القشرة الرقيقة البيضاء تكون على النواة.

قوله تعالى: {يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ} [فاطر : ١٣]، أي: "والله يدخل من ساعات الليل في النهار، فيزيد النهار بقدر ما نقص من الليل، ويدخل من ساعات النهار في الليل، فيزيد الليل بقدر ما نقص من النهار"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: يقول: "يدخل الليل في النهار وذلك ما نقص من الليل أدخله في النهار فزاده فيه، ويولج النهار في الليل وذلك ما نقص من أجزاء النهار زاد في أجزاء الليل فأدخله فيها"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير: "وهذا أيضاً من قدرته التامة وسلطانه العظيم، في تسخيره الليل بظلامه والنهار بضياءه، ويأخذ من طول هذا فيزيده في قصر هذا فيعتدلان. ثم يأخذ من هذا في هذا، فيطول هذا ويقصر هذا، ثم يتقارضان صيفاً وشتاء"<sup>(٤)</sup>.

عن قتادة، قوله: "{يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ}"، زيادة هذا في نقصان هذا، ونقصان هذا في زيادة هذا"<sup>(٥)</sup>.

عن ابن عباس، قوله: "{يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ}"- يقول: هو انتقاص أحدهما من الآخر"<sup>(٦)</sup>.

قال مجاهد: "هو أخذ أحدهما من صاحبه"<sup>(٧)</sup>.

وقال القرظي: "يدخل من ليل الشتاء في نهار الصيف، ويدخل من نهار الصيف في ليالي الشتاء"<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: {وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى} [فاطر : ١٣]، أي: "وذلك الشمس والقمر، يجريان لوقت معلوم"<sup>(٩)</sup>.

(١) تفسير الإمام الشافعي: ١٢٢٠/٣.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٣) تفسير الطبري: ٤٥٠ / ٢٠.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٤٠ / ٦.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٥٠ / ٢٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٥٠ / ٢٠.

(٧) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٨٢/٢.

(٨) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (١٠٨): ص ٥٥/٢.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٦.

قال الطبري: "يقول: وأجرى لكم الشمس والقمر نعمة منه عليكم، ورحمة منه بكم؛ لتعلموا عدد السنين والحساب، وتعرفوا الليل من النهار، كل ذلك يجري لوقت معلوم"<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: والنجوم السيارات، والثوابت الثاقبات بأضوائهن أجرام السموات، الجميع يسيرون بمقدار معين، وعلى منهاج مقنن محرر، تقديرًا من عزيز عليم. {كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى}، أي: إلى يوم القيامة"<sup>(٢)</sup>.

قال قتادة: "أجل معلوم، وحد لا يقصر دونه ولا يتعداه"<sup>(٣)</sup>.

وقال السدي: "وهو مطالع الشمس والقمر إلى غاية لا يجاوزانه في شتاء ولا صيف"<sup>(٤)</sup>.

قال النحاس: "قيل: «الأجل المسمّى»، -هاهنا-: القيامة، لأنها عند الله جلّ وعزّ مسمّاة لوقت معلوم"<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: {ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ} [فاطر: ١٣]، أي: "ذلكم الذي فعل هذا هو الله ربكم له الملك كله"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: "يقول: الذي يفعل هذه الأفعال معبودكم أيها الناس الذي لا تصلح العبادة إلا له، وهو الله ربكم له الملك التام الذي لا شيء إلا وهو في ملكه وسلطانه"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: الذي فعل هذا هو الرب العظيم، الذي لا إله غيره"<sup>(٨)</sup>.

عن قتادة، قوله: "ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ"، أي: هو الذي يفعل هذا"<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ} [فاطر: ١٣]، أي: "والذين تعبدون من دون الله ما يملكون من قطمير، وهي القشرة الرقيقة البيضاء تكون على النواة"<sup>(١٠)</sup>.

قال الطبري: يقول: "والذين تعبدون أيها الناس من دون ربكم الذي هذه الصفة التي ذكرها في هذه الآيات الذي له الملك الكامل، الذي لا يشبهه ملك، صفته ما يملكون قشر نواة فما فوقها"<sup>(١١)</sup>.

قال ابن كثير: "وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ" أي: من الأنداد والأصنام التي هي على صورة من تزعمون من الملائكة المقربين، لا يملكون من السموات والأرض شيئًا، ولا بمقدار هذا القطمير"<sup>(١٢)</sup>.

عن ابن عباس، قوله: {مِنْ قِطْمِيرٍ}، قال: "القطمير: القشر"<sup>(١٣)</sup>. وفي لفظ: "الجلد الذي يكون على ظهر النواة"<sup>(١٤)</sup>.

قال قتادة: "القطمير: القشرة التي على رأس النواة"<sup>(١٥)</sup>.

قال عطية: "القطمير: قشر النواة"<sup>(١٦)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ٤٥١ / ٢٠.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٤٠ / ٦.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٥١ / ٢٠.

(٤) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٨٢ / ٢.

(٥) إعراب القرآن: ٢٤٩ / ٣.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٧) تفسير الطبري: ٤٥١ / ٢٠.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٤٠ / ٦.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٥١ / ٢٠.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(١١) تفسير الطبري: ٤٥١ / ٢٠.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٥٤١ - ٥٤٠ / ٦.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٦٢): ص ٣١٧٧ / ١٠.

(١٤) أخرجه الطبري: ٤٥٢ / ٢٠.

(١٥) أخرجه الطبري: ٤٥٢ / ٢٠.

(١٦) أخرجه الطبري: ٤٥٢ / ٢٠.

عن جويبير عن بعض أصحابه في قوله: «مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ»، قال: هو القمع الذي يكون على التمرة»<sup>(١)</sup>.  
 وقال مجاهد: «لغافة النواة كسحاة البيضة»<sup>(٢)</sup>. وفي لفظ: «لغافة النواة كشحاة البصلة»<sup>(٣)</sup>.  
 قال ابن قتيبة: «القطمير: الفوفة التي تكون في النواة. وفي التفسير: أنه الذي بين قمع الرطبة وبين النواة. وهو من الاستعارة في قلة الشيء وتحقيره»<sup>(٤)</sup>.  
 قال الزجاج: «القطمير»: هي لغافة النواة، و«النقير»: النقرة في ظهر النواة، و«الفتيل»: الذي في وسط النواة»<sup>(٥)</sup>.

## القرآن

{إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤)} [فاطر : ١٤]  
 التفسير:

إن تدعوا -أيها الناس- هذه المعبودات من دون الله لا يسمعوا دعاءكم، ولو سمعوا على سبيل الفرض ما أجابوكم، ويوم القيامة يتبرؤون منكم، ولا أحد يخبرك -أيها الرسول- أصدق من الله العليم الخبير.

قوله تعالى: {إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ} [فاطر : ١٤]، أي: «إن تدعوا -أيها الناس- هذه المعبودات من دون الله لا يسمعوا دعاءكم»<sup>(٦)</sup>.  
 قال الطبري: يقول: «إن تدعوا أيها الناس هؤلاء الآلهة التي تعبدونها من دون الله لا يسمعوا دعاءكم؛ لأنها جماد لا تفهم عنكم ما تقولون»<sup>(٧)</sup>.  
 قال ابن كثير: «يعني: الآلهة التي تدعونها من دون الله لا يسمعون دعاءكم؛ لأنها جماد لا أرواح فيها»<sup>(٨)</sup>.

عن السدي، قوله: «{إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ}، قال: هي الآلهة لا تسمع دعاء من دعاها وعبدها من دون الله تعالى»<sup>(٩)</sup>.  
 قوله تعالى: {وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ} [فاطر : ١٤]، أي: «ولو سمعوا على سبيل الفرض ما أجابوكم»<sup>(١٠)</sup>.

قال الطبري: «يقول: ولو سمعوا دعاءكم إياهم، وفهموا عنكم أنها قولكم، بأن جعل لهم سمع يسمعون به، ما استجابوا لكم؛ لأنها ليست ناطقة، وليس كل سامع قولاً متيسراً له الجواب عنه، يقول تعالى ذكره للمشركين به الآلهة والأوثان: فكيف تعبدون من دون الله من هذه صفته، وهو لا نفع لكم عنده، ولا قدرة له على ضرركم، وتدعون عبادة الذي بيده نفعكم وضرركم، وهو الذي خلقكم وأنعم عليكم»<sup>(١١)</sup>.  
 قال ابن كثير: «أي: لا يقدر على ما تطلبون منها»<sup>(١٢)</sup>.

(١) أخرجه الطبري: ٤٥٢ / ٢٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٥٢ / ٢٠.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٦٣): ص ٣١٧٧/١٠.

(٤) غريب القرآن: ٣٦٠.

(٥) معاني القرآن: ٢٦٦/٤.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٧) تفسير الطبري: ٤٥٣ / ٢٠.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٤١/٦.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٦٥): ص ٣١٧٧/١٠.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(١١) تفسير الطبري: ٤٥٣ / ٢٠.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٥٤١/٦.

عن قتادة، قوله: "إِنَّ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ"، أي: ما قبلوا ذلك عنكم، ولا نفعوكم فيه"<sup>(١)</sup>.

عن السدي، قوله: " { وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ } ، قال: ولو سمعت الآلهة دعاءكم ما استجابوا لكم بشيء من الخير"<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: { وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرْكُمْ } [فاطر : ٤٤] ، أي: " وفي الآخرة حين ينطقهم الله يتبرؤون منكم ومن عبادتكم إياهم"<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره للمشركين من عبدة الأوثان: ويوم القيامة تتبرأ آلهتكم التي تعبدونها من دون الله من أن تكون كانت لله شريكاً في الدنيا"<sup>(٤)</sup>.

قال النحاس: " أي: يقولون: ما كانوا إيانا يعبدون"<sup>(٥)</sup>.

قال ابن كثير: " أي : يتبرؤون منكم ، كما قال تعالى : { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ } [الأحقاف : ٥ ، ٦] ، وقال : { وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا } [مريم : ٨١ ، ٨٢]"<sup>(٦)</sup>.

عن قتادة: " { وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرْكُمْ } إياهم ولا يرضون ولا يقرون به"<sup>(٧)</sup>.

عن السدي، قوله: " { وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرْكُمْ } ، قال: بعبادتكم إياهم"<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: { وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ } [فاطر : ١٤] ، أي: " ولا أحد يخبرك -أيها الرسول- أصدق من الله العليم الخبير"<sup>(٩)</sup>.

قال الطبري: " ولا يخبرك يا محمد عن آلهة هؤلاء المشركين وما يكون من أمرها وأمر عبديتها يوم القيامة؛ من تبرؤها منهم، وكفرها بهم، مثل ذي خبرة بأمرها وأمرهم، وذلك الخبير هو الله الذي لا يخفى عليه شيء كان أو يكون سبحانه"<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن كثير: " أي : ولا يخبرك بعواقب الأمور ومآلها وما تصير إليه ، مثلُ خبير بها"<sup>(١١)</sup>.

عن قتادة، قوله: " { وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ } ، والله هو الخبير أنه سيكون هذا منهم يوم القيامة"<sup>(١٢)</sup>.

فوائد الآيات: [١٢-١٤]:

- ١- تقرير ربوبية الله المستلزمة لألوهيته.
- ٢- بيان مظاهر القدرة والعلم والحكمة وبها تقرر ربوبيته تعالى وألوهيته لعباده.
- ٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر يوم القيامة وبراءة الآلهة من عابديها.
- ٤- بيان عجز الآلهة عن نفع عابديها في الدنيا وفي الآخرة.
- ٥- تقرير صفات الكمال لله تعالى من الملك والقدرة والعلم، والخبرة التامة الكاملة وبكل شيء.

(١) أخرجه الطبري: ٤٥٣ / ٢٠.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٦٥): ص ٣١٧٧/١٠.

(٣) صفوة التفاسير: ٥٢٢/٢.

(٤) تفسير الطبري: ٤٥٣ / ٢٠.

(٥) إعراب القرآن: ٢٤٩/٣.

(٦) تفسير ابن كثير: ٥٤١/٦.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٥٣ / ٢٠.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٦٥): ص ٣١٧٧/١٠.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(١٠) تفسير الطبري: ٤٥٣ / ٢٠.

(١١) تفسير ابن كثير: ٥٤١/٦.

(١٢) أخرجه الطبري: ٤٥٤ / ٢٠.

## القرآن

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥) } [فاطر : ١٥]

التفسير:

يا أيها الناس أنتم المحتاجون إلى الله في كل شيء، لا تستغنون عنه طرفة عين، وهو سبحانه الغني عن الناس وعن كل شيء من مخلوقاته، الحميد في ذاته وأسمائه وصفاته، المحمود على نعمه؛ فإن كل نعمة بالناس منه، فله الحمد والشكر على كل حال.

قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ } [فاطر : ١٥]، أي: "يا أيها الناس أنتم المحتاجون إلى الله في كل شيء، لا تستغنون عنه طرفة عين"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: يقول: "يا أيها الناس أنتم أولو الحاجة والفقر إلى ربكم فإياه فاعبدوا، وفي رضاه فسارعوا، يغنكم من فقركم، وتنجح لديه حوائجكم"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: "يخبر تعالى بغناؤه عما سواه، وباقتنار المخلوقات كلها إليه، وتذللها بين يديه، فهم محتاجون إليه في جميع الحركات والسكنات"<sup>(٣)</sup>.

قال الزجاج: "فقير الله، أي: الذي لم يجعل فقره وفاقته إلا إلى الله مخلصا في ذلك"<sup>(٤)</sup>.  
قال سهل بن عبدالله: "يعني: أنتم إليه في أنفسكم، فإن الله تعالى لما خلق الخلق حكم عباده بالفقر إليه، وهو الغني، فمن ادعى الغنى حجب عن الله عز وجل، ومن أظهر فقره إليه أوصل الله فقره بغناه، فينبغي للعبد أن يكون مفتقرا إليه في السر، منقطعا عن غيره، حتى تكون عبوديته محضة، إذ العبودية المحضة هي الذل والخضوع.

ف قيل له: وكيف يفتقر إليه؟ قال: إظهار الفقر في ثلاث: فقرهم القديم، وفقرهم في حالهم، وفقرهم في موت أنفسهم من تدبيرهم ومن لم يكن كذلك فهو مدع في فقره. وقال: الفقير الصادق الذي لا يسأل ولا يرد ولا يحبس. وقال عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه-: «صفة أولياء الله عز وجل ثلاثة أشياء: الثقة بالله تعالى في كل شيء، والفقر إليه في كل شيء، والرجوع إليه من كل شيء»<sup>(٥)</sup>.

قال السعدي: "يخاطب تعالى جميع الناس، ويخبرهم بحالهم ووصفهم، وأنهم فقراء إلى الله من جميع الوجوه:

فقراء في إيجادهم، فلولا إيجاده إياهم، لم يوجدوا.  
فقراء في إعدادهم بالقوى والأعضاء والجوارح، التي لولا إعداده إياهم [بها]، لما استعدوا لأي عمل كان.

فقراء في إمدادهم بالأقوات والأرزاق والنعم الظاهرة والباطنة، فلولا فضله وإحسانه وتيسيره الأمور، لما حصل [لهم] من الرزق والنعم شيء.

فقراء في صرف النقم عنهم، ودفع المكاره، وإزالة الكروب والشدائد. فلولا دفعه عنهم، وتقريجه لكرباتهم، وإزالته لعسرهم، لاستمرت عليهم المكاره والشدائد.

فقراء إليه في تربيتهم بأنواع التربية، وأجناس التدبير.

فقراء إليه، في تألههم له، وحبهم له، وتعبدهم، وإخلاص العبادة له تعالى، فلو لم يوفقهم لذلك، لهلكوا، وفسدت أرواحهم، وقلوبهم وأحوالهم.

فقراء إليه، في تعليمهم ما لا يعلمون، وعملهم بما يصلحهم، فلولا تعليمه، لم يتعلموا، ولولا توفيقه، لم يصلحوا.

فهم فقراء بالذات إليه، بكل معنى، وبكل اعتبار، سواء شعروا ببعض أنواع الفقر أم لم يشعروا، ولكن الموفق منهم، الذي لا يزال يشاهد فقره في كل حال من أمور دينه ودنياه،

(١) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٢) تفسير الطبري ٤٥٤ / ٢٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٤١/٦. [بتصرف بسيط]

(٤) معاني القرآن: ١١٢/٢.

(٥) تفسير التستري: ١٢٩.

ويتضرع له، ويسأله أن لا يكله إلى نفسه طرفة عين، وأن يعينه على جميع أموره، ويستصحب هذا المعنى في كل وقت، فهذا أحرى بالإعانة التامة من ربه وإلهه، الذي هو أرحم به من الوالدة بولدها"<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: {وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} [فاطر : ١٥]، أي: "وهو سبحانه الغني عن الناس وعن كل شيء من مخلوقاته، الحميد في ذاته وأسمائه وصفاته، المحمود على نعمه؛ فإن كل نعمة بالناس منه، فله الحمد والشكر على كل حال"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: يقول: " {وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ} عن عبادتكم إياه وعن خدمتكم، وعن غير ذلك من الأشياء؛ منكم ومن غيركم، {الْحَمِيدُ}، يعني: المحمود على نعمه؛ فإن كل نعمة بكم وبغيركم فمنه، فله الحمد والشكر بكل حال"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: هو المنفرد بالغنى وحده لا شريك له، وهو الحميد في جميع ما يفعله ويقول، ويقدره ويشعره"<sup>(٤)</sup>.

قال السعدي: "أي: الذي له الغنى التام من جميع الوجوه، فلا يحتاج إلى ما يحتاج إليه خلقه، ولا يفتقر إلى شيء مما يفتقر إليه الخلق، وذلك لكمال صفاته، وكونها كلها، صفات كمال، ونعوت وجلال. ومن غناه تعالى، أن أغنى الخلق في الدنيا والآخرة، الحميد في ذاته، وأسمائه، لأنها حسنى، وأوصافه، لكونها عليا، وأفعاله لأنها فضل وإحسان وعدل وحكمة ورحمة، وفي أوامره ونواهيها، فهو الحميد على ما فيه، وعلى ما منه، وهو الحميد في غناه الغني في حمده"<sup>(٥)</sup>.

## القرآن

{إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ} [فاطر : ١٦]

التفسير:

إن يشأ الله يهلككم أيها الناس، ويأت بقوم آخرين يطيعونه ويعبدونه وحده.

قوله تعالى: {إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ} [فاطر : ١٦]، أي: "إن يشأ الله يهلككم أيها الناس"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: يقول: "إن يشأ يهلككم أيها الناس ربكم، لأنه أنشأكم من غير ما حاجة به إليكم"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: لو شاء لأذهبكم أيها الناس"<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: {وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ} [فاطر : ١٦]، أي: "ويأت بقوم آخرين يطيعونه ويعبدونه وحده"<sup>(٩)</sup>.

قال الطبري: "يقول: ويأت بخلق سواكم يطيعونه ويأترون لأمره وينتهون عما نهاهم عنه"<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: "وأتى بقوم غيركم"<sup>(١١)</sup>.

قال قتادة: "أي: ويأت بغيركم"<sup>(١٢)</sup>.

(١) تفسير السعدي: ٦٨٧.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٣) تفسير الطبري: ٤٥٤ / ٢٠.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٤١ / ٦.

(٥) تفسير السعدي: ٦٨٧.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٧) تفسير الطبري: ٤٥٤ / ٢٠.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٤١ / ٦.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(١٠) تفسير الطبري: ٤٥٤ / ٢٠.

(١١) تفسير ابن كثير: ٥٤١ / ٦.

(١٢) أخرجه الطبري: ٤٥٤ / ٢٠.

قال السعدي في الآية: "يحتمل أن المراد: إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بغيركم من الناس، أطوع لله منكم، ويكون في هذا تهديد لهم بالهلاك والإبادة، وأن مشيئته غير قاصرة عن ذلك."

ويحتمل أن المراد بذلك، إثبات البعث والنشور، وأن مشيئة الله تعالى نافذة في كل شيء، وفي إعادتك بعد موتكم خلقاً جديداً، ولكن لذلك الوقت أجل قدره الله، لا يتقدم عنه ولا يتأخر، ويدل على المعنى الأخير، ما ذكره بعده في قوله: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} (١).

## القرآن

### {وَمَا ذَلِكْ عَلَى اللَّهِ بَعِزٌ (١٧)} [فاطر : ١٧]

التفسير:

وما إهلاككم والإتيان بخلق سواكم على الله بمتع، بل ذلك على الله سهل يسير. قال الطبري: "يقول: وما إذهابكم والإتيان بخلق سواكم على الله بشديد، بل ذلك عليه يسير سهل، يقول: فاتقوا الله أيها الناس، وأطيعوه قبل أن يفعل بكم ذلك" (٢). قال ابن كثير: أي: "وما هذا عليه بصعب ولا ممتع" (٣). قال السعدي: "أي: بمتع، ولا معجز له" (٤). قال السدي: "يعني: وما ذلك على الله بشديد" (٥).

## القرآن

{وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَرَكَىٰ فإِنَّمَا يَتَرَكَ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (١٨)} [فاطر : ١٨]

التفسير:

ولا تحمل نفس مذنب ذنب نفس أخرى، وإن تسأل نفسٌ مثقلة بالخطايا من يحمل عنها من ذنوبها لم تجد من يحمل عنها شيئاً، ولو كان الذي سأله ذا قرابة منها من أب أو أخ ونحوهما. إنما تحذر -أيها الرسول- الذين يخافون عذاب ربهم بالغيب، وأدوا الصلاة حق أدائها. ومن تطهر من الشرك وغيره من المعاصي فإنما يتطهر لنفسه. وإلى الله سبحانه مآل الخلائق ومصيرهم، فيجازي كلا بما يستحق.

قوله تعالى: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} [فاطر : ١٨]، أي: "ولا تحمل نفس مذنب ذنب نفس أخرى" (٦).

قال يحيى: "لا يحمل أحد ذنب آخر" (٧). قال الطبري: يقول: "ولا تحمل أئمة إثم أخرى غيرها" (٨). قال ابن كثير: "أي: يوم القيامة" (٩). قال السعدي: "أي: في يوم القيامة كل أحد يجازى بعمله، ولا يحمل أحد ذنب أحد" (١٠).

(١) تفسير السعدي: ٦٨٧.

(٢) تفسير الطبري: ٤٥٥ / ٢٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٤١ / ٦.

(٤) تفسير السعدي: ٦٨٧.

(٥) علقه يحيى بن سلام: ٧٨٣ / ٢.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٧) تفسير يحيى بن سلام: ٧٨٣ / ٢.

(٨) تفسير الطبري: ٤٥٥ / ٢٠.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥٤١ / ٦.

(١٠) تفسير السعدي: ٦٨٧.

قال ابن عباس: "يقول: يكون عليه وزر لا يجد أحداً يحمل عنه من وزره شيئاً"<sup>(١)</sup>.  
وقال السدي: يعني: لا تحمل حاملة ذنب نفس أخرى"<sup>(٢)</sup>.  
قوله تعالى: {وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ} [فاطر :  
١٨]، أي: "وإن تسأل نفسٌ مثقلة بالخطايا من يحمل عنها من ذنوبها لم تجد من يحمل عنها شيئاً، ولو كان الذي سألته ذا قرابة منها من أب أو أخ ونحوهما"<sup>(٣)</sup>.  
قال الفراء: "يقول: إن دعت داعية ذات ذنوب قد أثقلتها إلى ذنوبها ليحمل عنها شيء من الذنوب لم تجد ذلك. ولو كان الذي تدعوه أباً أو ابناً"<sup>(٤)</sup>.  
قال ابن قتيبة: "يقول: إن دعت نفس ذات ذنوب قد أثقلتها ذنوبها ليحمل عنها شيء منها لم تجد ذلك؛ {ولو كان} من تدعوه {ذا قربي}"<sup>(٥)</sup>.  
قال الطبري: يقول: "وإن تسأل ذات ثقل من الذنوب من يحمل عنها ذنوبها وتطلب ذلك لم تجد من يحمل عنها شيئاً منها ولو كان الذي سألته ذا قرابة من أب أو أخ"<sup>(٦)</sup>.  
قال ابن كثير: "أي: وإن تدع نفس مثقلة بأوزارها إلى أن تساعد على حمل ما عليها من الأوزار أو بعضه، {لا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ} ولو كان قريباً إليها، حتى ولو كان أباً أو ابناً، كل مشغول بنفسه وحاله، كما قال تعالى: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ \* وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ \* وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ \* لِكُلِّ امْرَأٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ} [عبس : ٣٤ - ٣٧]"<sup>(٧)</sup>.  
عن ابن عباس، قوله: " {وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ} يكون عليه وزر لا يجد أحداً يحمل، عنه من وزره شيئاً"<sup>(٨)</sup>.  
عن قتادة: " {وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا} إلى ذنوبها، {لا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ} ولو كان ذَا قُرْبَىٰ}، أي: قريب القرابة منها، لا يحمل من ذنوبها شيئاً، ولا تحمل على غيرها من ذنوبها شيئاً"<sup>(٩)</sup>.  
قال عطاء الخراساني: "إن تدع نفس مثقلة من الخطايا ذا قرابة أو غير ذي قرابة لا يحمل، عنها من خطاياها شيء"<sup>(١٠)</sup>.  
قال عبد الكريم بن الحارث: "يمر الوالد بولده يوم القيامة وهو يحمل ما عليه فيقول لابنه: يا بني، ادن مني خفف عني مما أحمل، فيقول ابنه: إليك عني يا أبتاه، فإن علي ما شغلني وأثقلني؛ فهذا تفسير قول الله تبارك وتعالى: {وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا وَلَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ} ولو كان ذَا قُرْبَىٰ"<sup>(١١)</sup>.  
قال عكرمة: "إن الجار يتعلق بجاره يوم القيامة فيقول: يا رب سل هذا لم كان يغلق بابه دوني، وإن الكافر ليتعلق بالمؤمن يوم القيامة فيقول له: يا مؤمن إن لي، عندك يدا قد عرفت كيف كنت في الدنيا وقد احتجت إليك اليوم فلا يزال المؤمن يشفع له إلى ربه حتى يرده إلى منزلة دون منزلة وهو في النار، وأن الوالد يتعلق بولده يوم القيامة فيقول: يا بني أي والد كنت لك؟ فيثني خيراً فيقول: يا بني إنني احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك أنجو بها مما ترى، فيقول له ولده: يا أبت ما أيسر ما طلبت؟ ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئاً أتخوف مثل الذي تخوفت،

(١) أخرجه الطبري: ٤٥٥ / ٢٠.

(٢) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٨٣ / ٢.

(٣) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٤) معاني القرآن: ٣٦٨ / ٢.

(٥) غريب القرآن: ٣٦٠.

(٦) تفسير الطبري: ٤٥٥ / ٢٠.

(٧) تفسير ابن كثير: ٥٤١ / ٦.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٦٧): ص ٣١٧٨ / ١٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٥٥ / ٢٠.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٦٦): ص ٣١٧٧ / ١٠.

(١١) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (٢١٣): ص ١٠٨ / ٢.



فلا أستطيع أن أعطيك شيئاً، ثم يتعلق بزوجته فيقول: يا فلانة، أي زوج كنت لك؟ ففتني خيراً فيقول لها: فإني أطلب إليك حسنة واحدة تهيبها لي، لعلي أنجو مما ترين قالت:

ما أيسر ما طلبت! لكني لا أطيق أن أعطيك شيئاً أتخوف مثل الذي تخوفت يقول الله: وإن تدع مثقلة إلى حملها... ويقول الله: {يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ} [لقمان : ٣٣] ، و {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ} (٣٤) وَأُمَّهُ وَآبِيهِ} [عبس : ٣٤-٣٥] (١).

قوله تعالى: {إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ} [فاطر : ١٨]، أي: "إنما تنذر -أيها الرسول- الذين يخافون عذاب ربهم بالغيب" (٢).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إنما تنذر يا محمد الذين يخافون عقاب الله يوم القيامة من غير معاينة منهم لذلك، ولكن لإيمانهم بما أتيتهم به، وتصديقهم لك فيما أنبأتهم عن الله، فهؤلاء الذين ينفعم إنذارك ويتعظون بمواعظك، لا الذين طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون" (٣).

قال مقاتل: " {إنما تنذر}، المؤمنين {الذين يخشون ربهم بالغيب}: آمنوا به ولم يروه" (٤).  
عن قتادة، قوله: " {إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ}، أي: يخشون النار «والحساب» (٥) (٦).

قال السعدي: "أي: هؤلاء الذين يقبلون النذارة وينتفعون بها، أهل الخشية لله بالغيب، أي: الذين يخشونه في حال السر والعلانية، والمشهد والمغيب" (٧).

قوله تعالى: {وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ} [فاطر : ١٨]، أي: "وأدوا الصلاة حق أدائها" (٨).

قال مقاتل: " أتموا الصلاة المكتوبة" (٩).

قال الطبري: "يقول: وأدوا الصلاة المفروضة بحدودها على ما فرضها الله عليهم" (١٠).  
قال السعدي: أي: "وأهل إقامة الصلاة، بحدودها وشروطها وأركانها وواجباتها وخشوعها، لأن الخشية لله تستدعي من العبد العمل بما يخشى من تضييعه العقاب، والهرب مما يخشى من ارتكابه العذاب، والصلاة تدعو إلى الخير، وتنتهي عن الفحشاء والمنكر" (١١).

قوله تعالى: {وَمَنْ تَرَكَّى فَاِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ} [فاطر : ١٨]، أي: "ومن تطهر من الشرك وغيره من المعاصي فإنما يتطهر لنفسه" (١٢).

قال مقاتل: " ومن صلح فصلاحه لنفسه" (١٣).

قال الطبري: يقول: "ومن يتطهر من دنس الكفر والذنوب بالتوبة إلى الله، والإيمان به، والعمل بطاعته. فإنما يتطهر لنفسه، وذلك أنه يثيبها به رضا الله، والفوز بجنانه، والنجاة من عقابه الذي أعده لأهل الكفر به" (١٤).

قال السعدي: "أي: ومن زكى نفسه بالتقوى من العيوب، كالرياء والكبر، والكذب والغش، والمكر والخداع والنفاق، ونحو ذلك من الأخلاق الرذيلة، وتحلى بالأخلاق الجميلة، من

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٦٧) ص: ٣١٧٨/١٠.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٣) تفسير الطبري: ٤٥٦/٢٠.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٥٥/٣.

(٥) زيادة في رواية ابن أبي حاتم (١٧٩٧٠) ص: ٣١٧٨/١٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٥٦ / ٢٠.

(٧) تفسير السعدي: ٦٨٧.

(٨) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٥٥/٣.

(١٠) تفسير الطبري: ٤٥٦/٢٠.

(١١) تفسير السعدي: ٦٨٧.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٥٥/٣.

(١٤) تفسير الطبري: ٤٥٦/٢٠.

الصدق، والإخلاص، والتواضع، ولين الجانب، والنصح للعباد، وسلامة الصدر من الحقد والحسد وغيرهما من مساوئ الأخلاق، فإن تزكيته يعود نفعها إليه، ويصل مقصودها إليه، ليس يضيع من عمله شيء" (١).

قال قتادة: "أي: من يعمل صالحًا فإنما يعمل لنفسه" (٢).

قال السمعاني: "معنى «التزكي» -ها هنا-: هو العمل الصالح" (٣).

قوله تعالى: {وَاللَّهُ الْمَصِيرُ} [فاطر : ١٨]، أي: "والى الله سبحانه مآل الخلائق ومصيرهم، فيجازي كلا بما يستحق" (٤).

قال السمعاني: "أي: المرجع" (٥).

قال الطبري: "يقول: وإلى الله مصير كل عامل منكم أيها الناس، مؤمنكم وكافرکم، وبركم وفاجرکم، وهو مجاز جميعكم بما قدم من خير وشر على ما أهل منه" (٦).

قال السعدي: "فيجازي الخلائق على ما أسلفوه، ويحاسبهم على ما قدموه وعملوه، ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها" (٧).

فوائد الآيات: [١٥-١٨]:

١- بيان فقر العباد إلى ربهم وحاجتهم إليه وإزالة فقرهم وسد حاجتهم يكون باللجوء إليه والاطراح بين يديه يعبدونه ويسألونه.

٢- بيان عدالة الله تعالى يوم القيامة.

٣- بيان صعوبة الموقف في عرصات القيامة لا سيما عند وضع الميزان ووزن الأعمال.

٤- بيان أن الإنذار والتخويف من عذاب الله لا ينتفع به غير المؤمنين الصالحين.

٥- تقرير عقيدة البعث والجزاء يوم القيامة.

٦- تقرير حقيقة وهي أن من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها.

## القرآن

{وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢٠) وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ (٢٢) إِنَّ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ (٢٣) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (٢٤)}

[فاطر : ١٩-٢٤]

التفسير:

وما يستوي الأعمى عن دين الله، والبصير الذي أبصر طريق الحق واتبعه، وما تستوي ظلمات الكفر ونور الإيمان، ولا الظل ولا الريح الحارة، وما يستوي أحياء القلوب بالإيمان، وأموات القلوب بالكفر. إن الله يسمع من يشاء سماع فهم وقبول، وما أنت -أيها الرسول- بسماع من في القبور، فكما لا تسمع الموتى في قبورهم فكذلك لا تسمع هؤلاء الكفار لموت قلوبهم، إن أنت إلا نذير لهم غضب الله وعقابه. إنا أرسلناك بالحق، وهو الإيمان بالله وشرائع الدين، مبشراً بالجنة من صدقك وعمل بهديك، ومحذراً من كذبك وعصاك النار. وما من أمة من الأمم إلا جاءها نذير يحذر عاقبة كفرها وضلالها.

قوله تعالى: {وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ} [فاطر : ١٩]، أي: "وما يستوي الأعمى عن دين الله، والبصير الذي أبصر طريق الحق واتبعه" (١).

(١) تفسير السعدي: ٦٨٧.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٥٦/٢٠.

(٣) تفسير السمعاني: ٣٥٤/٤.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٥) تفسير السمعاني: ٣٥٤/٤.

(٦) تفسير الطبري: ٤٥٦/٢٠.

(٧) تفسير السعدي: ٦٨٧.

قال الفراء: "فالأعمى هاهنا الكافر، والبصير المؤمن"<sup>(٢)</sup>.  
 عن السدي: "وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ" قال: الكافر والمؤمن"<sup>(٣)</sup>.  
 قال ابن قتيبة: "مثل للكافر والمؤمن"<sup>(٤)</sup>.  
 قال السدي: "يعني: بصر القلب بالإيمان وهو المؤمن"<sup>(٥)</sup>.  
 قال الزجاج: "هذا مثل ضربه الله للمؤمنين والكافرين، المعنى: لا يستوي الأعمى عن الحق وهو الكافر، والبصير بالحق وهو المؤمن الذي يبصر رشده"<sup>(٦)</sup>.  
 قال الطبري: يقول: "وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى" عن دين الله الذي ابتعث به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم {وَالْبَصِيرُ} الذي قد أبصر فيه رشده؛ فاتبع محمداً وصدقته، وقبل عن الله ما ابتعثه به"<sup>(٧)</sup>.  
 قوله تعالى: {وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ} [فاطر : ٢٠]، أي: "وما تستوي ظلمات الكفر ونور الإيمان"<sup>(٨)</sup>.  
 قال الطبري: "يقول: وما تستوي ظلمات الكفر ونور الإيمان"<sup>(٩)</sup>.  
 قال الفراء: "الظلمات: الكفر، والنور: الإيمان"<sup>(١٠)</sup>.  
 قال ابن قتيبة: "مثل للكفر والإيمان"<sup>(١١)</sup>.  
 قال الزجاج: "الظلمات: الضلالات، والنور: الهدى"<sup>(١٢)</sup>.  
 عن السدي: "وَلَا الظُّلُمَاتُ" قال: الكفر {وَلَا النُّورُ}، قال: الإيمان"<sup>(١٣)</sup>.  
 قوله تعالى: {وَلَا الظُّلُّ وَلَا الحرُّورُ} [فاطر : ٢١]، أي: "وما يستوي الظل، والريح الحارة"<sup>(١٤)</sup>.  
 عن السدي: "وَلَا الظُّلُّ" قال: الجنة، {وَلَا الحرُّورُ}، قال: النار"<sup>(١٥)</sup>.  
 قال الفراء: "الظل: الجنة، والحرور: النار"<sup>(١٦)</sup>.  
 قال ابن قتيبة: "مثل للجنة والنار"<sup>(١٧)</sup>.  
 قال الطبري: "وَلَا الظُّلُّ" قيل: ولا الجنة، {وَلَا الحرُّورُ} قيل: النار، كأن معناه عندهم: وما تستوي الجنة والنار، والحرور بمنزلة السموم، وهي الرياح الحارة"<sup>(١٨)</sup>.  
 قال الزجاج: "المعنى: لا يستوي أصحاب الحق الذين هم في ظل من الحق، ولا أصحاب الباطل الذين هم في حرور أي في حر دائم ليلاً ونهاراً. و«الحرور»: استيقاد الحر ولفحه بالنهار وبالليل. و«السموم»: لا يكون إلا بالنهار"<sup>(١٩)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٢) معاني القرآن: ٣٦٩/٢.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٧١): ص ٣١٧٩/١٠.

(٤) غريب القرآن: ٣٦١.

(٥) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٨٤/٢.

(٦) معاني القرآن: ٢٦٧/٤.

(٧) تفسير الطبري: ٤٥٧/٢٠.

(٨) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٩) تفسير الطبري: ٤٥٧/٢٠.

(١٠) معاني القرآن: ٣٦٩/٢.

(١١) غريب القرآن: ٣٦١.

(١٢) معاني القرآن: ٢٦٧/٤.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٧١): ص ٣١٧٩/١٠.

(١٤) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٧١): ص ٣١٧٩/١٠.

(١٦) معاني القرآن: ٣٦٩/٢.

(١٧) غريب القرآن: ٣٦١.

(١٨) تفسير الطبري: ٤٥٧/٢٠.

(١٩) معاني القرآن: ٢٦٧/٤-٢٦٨.

قال النحاس: " قيل: الحرور لا يكون إلا بالليل، والسموم يكون بالنهار. وقيل: الحرور يكون فيها. وهذا أصح القولين، لأن الحرور فعول من الحر، وفيه معنى التكثير أي الحر المؤذي" (١).

قوله تعالى: {وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ} [فاطر : ٢٢]، أي: "وما يستوي أحياء القلوب بالإيمان، وأموات القلوب بالكفر" (٢).

عن السدي: " {وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ}، قال: المؤمن والكافر" (٣).

قال الفراء: "الأحياء: المؤمنون، والأموات: الكفار" (٤).

قال ابن قتيبة: "مثل للعقلاء والجهال" (٥).

قال الزجاج: "الأحياء هم المؤمنون، والأموات الكافرون، ودليل ذلك قوله: {أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ} [النحل : ٢١]" (٦).

قال الطبري: " يقول: وما يستوي الأحياء القلوب بالإيمان بالله ورسوله، ومعرفة تنزيل الله، والأموات القلوب لغلبة الكفر عليها، حتى صارت لا تعقل عن الله أمره ونهييه، ولا تعرف الهدى من الضلال، وكل هذه أمثال ضربها الله للمؤمن والإيمان والكافر والكفر" (٧).

قال ابن كثير: " يقول تعالى : كما لا تستوي هذه الأشياء المتباينة المختلفة ، كالأعمى والبصير لا يستويان ، بل بينهما فرق وبون كثير ، وكما لا تستوي الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور ، كذلك لا تستوي الأحياء ولا الأموات ، وهذا مثل ضربه الله للمؤمنين وهم الأحياء ، وللكافرين وهم الأموات ، كقوله تعالى : { أَوْ مَنْ كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا } [الأنعام : ١٢٢] ، وقال تعالى : { مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا } [هود : ٢٤] فالؤمن سميع بصير في نور يمشي ، على صراط مستقيم في الدنيا والآخرة ، حتى يستقر به الحال في الجنات ذات الظلال والعيون ، والكافر أعمى أصم ، في ظلمات يمشي ، لا خروج له منها ، بل هو يتيه في غيّه وضلاله في الدنيا والآخرة ، حتى يفضي به ذلك إلى الحرور والسموم والحميم ، { وَظَلٌّ مِنْ يَحْمُومٍ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ } [الواقعة : ٤٣ ، ٤٤]" (٨).

عن ابن عباس، قوله: " {وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ... }، الآية، قال: هو مثل ضربه الله لأهل الطاعة وأهل المعصية؛ يقول: وما يستوي الأعمى والظلمات والحرور ولا الأموات، فهو مثل أهل المعصية، ولا يستوي البصير ولا النور ولا الظل والأحياء، فهو مثل أهل الطاعة" (٩).

عن قتادة، قوله: " {وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى ... }، الآية، خلقًا فضل بعضه على بعض؛ فأما المؤمن فعبد حي الأثر، حي البصر، حي النية، حي العمل، وأما الكافر فعبد ميت؛ ميت البصر، ميت القلب، ميت العمل" (١٠).

قال ابن زيد: " هذا مثل ضربه الله؛ فالؤمن بصير في دين الله، والكافر أعمى، كما لا يستوي الظل ولا الحرور ولا الأحياء ولا الأموات، فكذلك لا يستوي هذا المؤمن الذي يبصر دينه ولا هذا الأعمى، وقرأ: { أَوْ مَنْ كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ }، قال:

(١) إعراب القرآن: ٢٥١/٣.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٧١): ص ٣١٧٩/١٠.

(٤) معاني القرآن: ٣٦٩/٢.

(٥) غريب القرآن: ٣٦١.

(٦) معاني القرآن: ٢٦٨/٤.

(٧) تفسير الطبري: ٤٥٧/٢٠.

(٨) تفسير ابن كثير: ٤٤٢/٦-٤٤٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٥٧/٢٠-٤٥٨.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٥٨/٢٠.

الهدى الذي هداه الله به ونور له، هذا مثل ضربه الله لهذا المؤمن الذي يبصر دينه، وهذا الكافر الأعمى فجعل المؤمن حيًّا وجعل الكافر ميتًا ميت القلب {أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ}، قال: هديناه إلى الإسلام كمن مثله في الظلمات أعمى القلب وهو في الظلمات، أهداه وهذا سواء؟<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ} [فاطر : ٢٢]، أي: "إن اله يسمع من يشاء إسماعه دعوة الحق، فيحييه بالإيمان ويشرح صدره للإسلام، وما أنت يا محمد بمسمع هؤلاء الكفار، لأنهم أموات القلوب لا يدركون ولا يفقهون"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: يقول: "كما لا يقدر أن يسمع من في القبور كتاب الله فيهديهم به إلى سبيل الرشاد، فكذلك لا يقدر أن ينفع بمواعظ الله وبيان حججه من كان ميت القلب من أحياء عباده، عن معرفة الله، وفهم كتابه وتنزيله، وواضح حججه"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير: " {إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ}، أي: يهديهم إلى سماع الحجة وقبولها والانقياد لها { وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ } أي : كما لا يسمع وينتفع الأموات بعد موتهم وصيرورتهم إلى قبورهم ، وهم كفار بالهداية والدعوة إليها ، كذلك هؤلاء المشركون الذين كُتِبَ عليهم الشقاوة لا حيلة لك فيهم ، ولا تستطيع هدايتهم"<sup>(٤)</sup>.

عن السدي: " {إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ}، قال: يهدي من يشاء "<sup>(٥)</sup> .  
عن قتادة: {إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ} ، قال: " كذلك الكافر لا يسمع، ولا ينتفع بما يسمع"<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: {إِنَّ أَنْتَ إِذَا نَذِيرٌ} [فاطر : ٢٣]، أي: "إن أنت إلا نذير لهم غضب الله وعقابه"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ما أنت إلا نذير تنذر هؤلاء المشركين بالله الذين طبع الله على قلوبهم، ولم يرسلك ربك إليهم إلا لتبلغهم رسالته، ولم يكلفك من الأمر ما لا سبيل لك إليه، فأما اهتداؤهم وقبولهم منك ما جنتهم به فإن ذلك بيد الله لا بيدك ولا بيد غيرك من الناس؛ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن هم لم يستجيبوا لك"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن كثير: " أي : إنما عليك البلاغ والإنذار ، والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء"<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} [فاطر : ٢٤]، أي: "إنا أرسلناك بالحق، وهو الإيمان بالله وشرائع الدين، مبشراً بالجنة من صدقك وعمل بهديك، ومحذراً من كذبك وعصاك النار"<sup>(١٠)</sup>.

قال الطبري: " يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ) يا محمد {بِالْحَقِّ} وهو الإيمان بالله وشرائع الدين التي افترضها على عباده، مبشراً بالجنة من صدقك وقيل منك ما جئت به من عند الله من النصيحة، {وَنَذِيرًا} تنذر الناس من كذبك ورد عليك ما جئت به من عند الله من النصيحة"<sup>(١١)</sup>.

قال ابن كثير: " أي : بشيراً للمؤمنين ونذيراً للكافرين"<sup>(١٢)</sup>.

(١) أخرجه الطبري: ٤٥٨ / ٢٠.

(٢) صفوة التفاسير: ٥٢٥ / ٢.

(٣) تفسير الطبري: ٤٥٩ / ٢٠.

(٤) تفسير ابن كثير: ٤٤٣ / ٦.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٧١): ص ٣١٧٩ / ١٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٥٩ / ٢٠.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٨) تفسير الطبري: ٤٥٩ / ٢٠.

(٩) تفسير ابن كثير: ٤٤٣ / ٦.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(١١) تفسير الطبري: ٤٥٩ / ٢٠ - ٤٦٠.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٤٤٣ / ٦.

قوله تعالى: {وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ} [فاطر : ٢٤]، أي: "وما من أمة من الأمم إلا جاءها نذير يحذرها عاقبة كفرها وضلاله"<sup>(١)</sup>  
قال ابن قتيبة: "أي: سلف فيها نبي"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: يقول: "يقول: وما من أمة من الأمم الدائنة بملة إلا خلا فيها من قبلك نذير ينذرهم بأسنا على كفرهم بالله"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: وما من أمة خلقت من بني آدم إلا وقد بعث الله إليهم النذير، وأزاح عنهم العلل، كما قال تعالى: {إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} [الرعد : ٧] ، وكما قال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعِيدُوا اللَّهُ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ} [النحل : ١٣٦]"<sup>(٤)</sup>  
قال قتادة: "كل أمة كان لها رسول"<sup>(٥)</sup>.

قال الزمخشري: "الأمة: الجماعة الكثيرة، قال الله تعالى: {وَجَدَّ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ} [القصص : ٢٣]، ويقال لأهل كل عصر: أمة، وفي حدود المتكلمين: الأمة هم المصدقون بالرسول صلى الله عليه وسلم دون المبعوث إليهم، وهم الذين يعتبر إجماعهم، والمراد هاهنا: أهل العصر"<sup>(٦)</sup>.

## القرآن

{وَإِنْ يُكذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ} [٢٥] { [فاطر : ٢٥]

التفسير:

وإن يكذبك هؤلاء المشركون فقد كذب الذين من قبلهم رسلهم الذين جاؤوهم بالمعجزات الواضحات الدالة على نبوتهم، وجاؤوهم بالكتب المجموع فيها كثير من الأحكام، وبالكتاب المنير الموضح لطريق الخير والشر.

قوله تعالى: {وَإِنْ يُكذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [فاطر : ٢٥]، أي: "وإن يكذبك هؤلاء المشركون فقد كذب الذين من قبلهم رسلهم"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره مسلماً نبيه صلى الله عليه وسلم فيما يلقي من مشركي قومه من التكذيب: وإن يكذبك يا محمد مشركو قومك فقد كذب الذين من قبلهم من الأمم"<sup>(٨)</sup>.  
قال ابن الجوزي: "معناه: لست بأول رسول كذب"<sup>(٩)</sup>.

قال قتادة: "يعزي نبيه"<sup>(١٠)</sup>.

قوله تعالى: {جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ} [فاطر : ٢٥]، أي: "جاءتهم رسلهم بالمعجزات الواضحات الدالة على نبوتهم"<sup>(١١)</sup>.

قال الطبري: "جاءتهم رسلهم بحجج من الله واضحة، وبالزبر يقول: وجاءتهم بالكتب من عند الله"<sup>(١٢)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٢) غريب القرآن: ٣٦١.

(٣) تفسير الطبري: ٤٦٠ / ٢٠.

(٤) تفسير ابن كثير: ٤٤٣ / ٦.

(٥) اخرج الطبري: ٤٦٠ / ٢٠.

(٦) الكشاف: ٦٠٨ / ٣.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٨) تفسير الطبري: ٤٦٠ / ٢٠.

(٩) زاد المسير: ٣٥٥ / ١.

(١٠) اخرج ابن ابي حاتم (١٧٩٧٢): ص ٣١٧٩ / ١٠.

(١١) التفسير الميسر: ٤٣٧. [بتصرف]

(١٢) تفسير الطبري: ٤٦٠ / ٢٠.

عن السُّدِّيِّ: {بِالْبَيِّنَاتِ}، يعني: "الآيات التي كانت تجيء بها الأنبياء إلى قومهم"<sup>(١)</sup>.  
قال ابن كثير: "بِالْبَيِّنَاتِ}، هي: المعجزات الباهرات، والأدلة القاطعات"<sup>(٢)</sup>.  
قال مقاتل: "بِالْبَيِّنَاتِ}، بالآيات التي كانوا يصنعون ويخبرون بها"<sup>(٣)</sup>.  
قال الزمخشري: "بِالْبَيِّنَاتِ}، بالشواهد على صحة النبوة وهي المعجزات"<sup>(٤)</sup>.  
قوله تعالى: {وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ} [فاطر: ٢٥]، أي: "وجاءوهم بالكتب المجموع فيها كثير من الأحكام، وبالكتاب المنير الموضح لطريق الخير والشر"<sup>(٥)</sup>.  
قال أبو سليمان في قوله: {والكتاب المنير}: "يعني به الكتاب النيرة بالبراهين والحجج"<sup>(٦)</sup>.  
قال الطبري: "يقول: وجاءتهم بالكتب من عند الله، وجاءهم من الله الكتاب المنير لمن تأمله وتدبره أنه الحق"<sup>(٧)</sup>.  
قال ابن كثير: "وَبِالزُّبُرِ} وهي الكتب، {وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ}، أي: الواضح البين"<sup>(٨)</sup>.  
قال مقاتل: "وَبِالزُّبُرِ}، وبالأحاديث التي كانت قبلهم من المواعظ، {وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ}، المضيء الذي فيه أمره ونهيه"<sup>(٩)</sup>.  
عن قتادة، قوله: "بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ}، أي: الكتب، {وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ}، يضعف الشيء وهو واحد"<sup>(١٠)</sup>.  
قال الزمخشري: "وَبِالزُّبُرِ}، وبالصحف {وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ} نحو التوراة والإنجيل والزيور. لما كانت هذه الأشياء في جنسهم أسند المجيء بها إليهم إسناداً مطلقاً، وإن كان بعضها في جميعهم: وهي البيّنات، وبعضها في بعضهم: وهي الزبر والكتاب. وفيه مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم"<sup>(١١)</sup>.  
قال السمعاني: "وذكر «الكتاب» بعد «الزبر» على طريق التأكيد"<sup>(١٢)</sup>.

## القرآن

**{ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٢٦)} [فاطر: ٢٦]**

التفسير:

ثم أخذت الذين كفروا بأنواع العذاب، فانظر كيف كان إنكاري لعملهم وحلول عقوبتي بهم؟  
قوله تعالى: {ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا} [فاطر: ٢٦]، أي: "ثم أخذت الذين كفروا بأنواع العذاب"<sup>(١٣)</sup>.  
قال الطبري: يقول: "ثم أهلكنا الذين جحدوا رسالة رسلنا، وحقيقة ما دعوهم إليه من آياتنا وأصروا على جحودهم"<sup>(١٤)</sup>.

(١) علقه يحيى بن سلام ٧٨٥ / ٢.

(٢) تفسير ابن كثير: ٤٤٣ / ٦.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٥٦ / ٣.

(٤) الكشاف: ٦٠٩ / ٣.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٧. [بتصرف]

(٦) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٣٥٥ / ١.

(٧) تفسير الطبري: ٤٦٠ / ٢٠.

(٨) تفسير ابن كثير: ٤٤٣ / ٦.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٥٦ / ٣ - ٥٥٧.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٦٠ / ٢٠.

(١١) الكشاف: ٦٠٩ / ٣.

(١٢) تفسير السمعاني: ٣٥٦ - ٣٥٥ / ٤.

(١٣) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(١٤) تفسير الطبري: ٤٦٠ / ٢٠.

قال ابن كثير: "أي: ومع هذا كله كذب أولئك رسلهم فيما جاؤوهم به، فأخذتهم، أي: بالعقاب والنكال"<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: {فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ} [فاطر: ٢٦]، أي: "فانظر كيف كان إنكاري لعملهم وحلول عقوبتي بهم؟"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: "يقول: فانظر يا محمد كيف كان تغييرني بهم وحلول عقوبتي بهم"<sup>(٣)</sup>.

قال القرطبي: "أي: كيف كانت عقوبتي لهم"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: فكيف رأيت إنكاري عليهم عظيماً شديداً بليغاً؟"<sup>(٥)</sup>.

عن قتادة: "فكيف كان نكير، قال: شديد. والله لقد عجل لهم عقوبة الدنيا ثم صيرهم إلى النار"<sup>(٦)</sup>.

وأثبت ورش عن نافع وشيبة الياء في: «نكيري»، حيث وقعت في الوصل دون الوقف. وأثبتها يعقوب في الحاليين، وحذفها الباقون في الحاليين<sup>(٧)</sup>.

فوائد الآيات: [١٩-٢٦]:

- ١- استحسان ضرب الأمثال للكشف عن الحال وزيادة البيان.
- ٢- الكفار عمى لا بصيرة لهم، وأموات لا حياة فيهم، والدليل عدم انتفاعهم بحياتهم ولا بأسماعهم ولا أبصارهم.
- ٣- تقرير نبوة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وتأكيد رسالته.
- ٤- تسلية الدعاة ليتدرّعوا بالصبر ويلتزموا الثبات.
- ٥- بيان سنة الله في المكذبين الكافرين وهي أخذهم عند حلول أجلهم.

## القرآن

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَابِيٌّ سُودٌ} (٢٧) [فاطر: ٢٧]

التفسير:

ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء، فسقينا به أشجاراً في الأرض، فأخرجنا من تلك الأشجار ثمرات مختلفاً ألوانها، منها الأحمر ومنها الأسود والأصفر وغير ذلك؟ وخلقنا من الجبال طرائق بيضاً وحمراً مختلفاً ألوانها، وخلقنا من الجبال جبالات شديدة السواد.

قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا} [فاطر: ٢٧]، أي: "ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء، فسقينا به أشجاراً في الأرض، فأخرجنا من تلك الأشجار ثمرات مختلفاً ألوانها"<sup>(٨)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ألم تر يا محمد أن الله أنزل من السماء غيثاً فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها: يقول: فسقيناها أشجاراً في الأرض فأخرجنا به من تلك الأشجار ثمرات مختلفاً ألوانها؛ منها الأحمر ومنها الأسود والأصفر، وغير ذلك من ألوانها"<sup>(٩)</sup>.

قال ابن كثير: "يقول تعالى منبها على كمال قدرته في خلقه الأشياء المتنوعة المختلفة من الشيء الواحد، وهو الماء الذي ينزله من السماء، يخرج به ثمرات مختلفاً ألوانها، من

(١) تفسير ابن كثير: ٤٤٣/٦.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٣) تفسير الطبري: ٤٦٠/٢٠.

(٤) تفسير القرطبي: ٣٤١/١٤.

(٥) تفسير ابن كثير: ٤٤٣/٦.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٧٢): ص ٣١٧٩/١٠.

(٧) انظر: تفسير القرطبي: ٣٤١/١٤.

(٨) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٩) تفسير الطبري: ٤٦١/٢٠.



أصفر وأحمر وأخضر وأبيض ، إلى غير ذلك من ألوان الثمار ، كما هو المشاهد من تنوع ألوانها وطعومها وروائحها ، كما قال تعالى في الآية الأخرى : { وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَعَيْرٌ صِنَوَانٌ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفْضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } [الرعد : ٤]"<sup>(١)</sup>.

عن قتادة، قوله: " { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا } ، أحمر وأخضر وأصفر"<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: { وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا } [فاطر : ٢٧] ، أي: " وخلقنا من الجبال طرائق بيضا وحمرا مختلفا ألوانها"<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: " يقول: "ومن الجبال طرائق، وهي الجدد، وهي الخطط تكون في الجبال بيض وحمر وسود، كالطرق واحدها جدة"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: " أي : وخلق الجبال كذلك مختلفة الألوان ، كما هو المشاهد أيضا من بيض وحمر ، وفي بعضها طرائق - وهي : الجُدَد ، جمع جُدَّة - مختلفة الألوان أيضا"<sup>(٥)</sup>.

قال ابن قتيبة: " «الجدد»: الخطوط والطرائق تكون في الجبال فبعضها بيض وبعضها حمر وبعضها"<sup>(٦)</sup>.

قال الفراء: " { جُدُدٌ بَيْضٌ } ، الخُطَط والطرق تكون في الجبال كالعُروَق ، بيض وسود وحمر ، واحدها: جُدَّة. وقال امرؤ القيس، يصف الحمار<sup>(٧)</sup>:

كأنَّ سَرَائِيهَ وَجُدَّةً مَثْنِهَ ... كَنَائِنَ يَجْرِي فَوْقَهُنَّ دَلِيْبِصَ  
وَالجُدَّةُ: الخُطَّةُ السُّودَاءُ فِي مَتْنِ الحِمَارِ"<sup>(٨)</sup>.

قال مقاتل: " يعني بـ«الجدد»: الطرائق التي تكون في الجبال منها أبيض وأحمر ومنها"<sup>(٩)</sup>.

عن قتادة، قوله: " { وَمِنَ الْجِبَالِ جُدُدٌ بَيْضٌ } ، أي: طرائق بيض { وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا } أي: جبال حمر وبيض"<sup>(١٠)</sup>.

عن الضحاك، قوله: " { وَمِنَ الْجِبَالِ جُدُدٌ بَيْضٌ } ، طرائق بيض وحمر وسود"<sup>(١١)</sup>.

قوله تعالى: { وَغَرَابِيبُ سُودٌ } [فاطر : ٢٧] ، أي: " وخلقنا من الجبال جبلا شديدة السواد"<sup>(١٢)</sup>.

قال الطبري: " العرب تقول: هو أسود غريب، إذا وصفوه بشدة السواد"<sup>(١٣)</sup>.  
قال مقاتل: " يعني: الطوال السود"<sup>(١٤)</sup>.

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥٤٢/٦.  
(٢) أخرجه الطبري: ٤٦٢/٢٠.  
(٣) التفسير الميسر: ٤٣٧.  
(٤) تفسير الطبري: ٤٦١/٢٠.  
(٥) تفسير ابن كثير: ٥٤٣/٦.  
(٦) غريب القرآن: ٣٦١.  
(٧) لامرئ القيس في: "شرح ديوانه" ص ١٢٤، "تهذيب اللغة" ٤٥٨/١٠، "اللسان" ١٠٨/٣ (جدد)، ٣٧/٧ (دلص)، ، و"معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٢٦٩/٤. وسراته: هو أعلى ظهره، وجدة ظهره: العلامة يخالف لونها لون جلده، والكنائن: هي الخطوط البيض بظهره.  
(٨) معاني القرآن: ٣٦٩/٢.  
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٥٧/٣.  
(١٠) أخرجه الطبري: ٤٦٢/٢٠.  
(١١) أخرجه الطبري: ٤٦٢/٢٠.  
(١٢) التفسير الميسر: ٤٣٧.  
(١٣) تفسير الطبري: ٤٦١/٢٠.  
(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٥٧/٣.

قال ابن قتيبة: «غرابيب»: جمع: غريب، وهو: الشديد السواد. يقال: أسود غريب<sup>(١)</sup>.

قال الواحدي: وهو الشديد السواد الذي يشبه لونه لون الغراب، يقال: أسود غريب وغرابي<sup>(٢)</sup>.

قال عكرمة: الغرابيب: الجبال الطوال السود<sup>(٣)</sup>.  
عن ابي مالك، قوله: «وَعَرَابِيْبُ سُوْدٌ»، قال: جبال سود<sup>(٤)</sup>.  
عن ابن عباس، قوله: «وَعَرَابِيْبُ سُوْدٌ»، قال: «الشديد السواد»<sup>(٥)</sup>.  
عن قتادة، قوله: «وَعَرَابِيْبُ سُوْدٌ»، هو الأسود، يعني: لونه<sup>(٦)</sup>.

## القرآن

{وَمِنَ النَّاسِ وَالْذَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨)} [فاطر : ٢٨]

التفسير:

وخلقنا من الناس والدواب والإبل والبقر والغنم ما هو مختلف ألوانه كذلك، فمن ذلك الأحمر والأبيض والأسود وغير ذلك كاختلاف ألوان الثمار والجبال. إنما يخشى الله ويتقى عقابه بطاعته واجتناب معصيته العلماء به سبحانه، وبصفاته، وبشرعه، وقدرته على كل شيء، ومنها اختلاف هذه المخلوقات مع اتحاد سببها، ويتدبرون ما فيها من عظام وعبر. إن الله عزيز قوي لا يغالب، غفور يثيب أهل الطاعة، ويعفو عنهم.

قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ وَالْذَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ} [فاطر : ٢٨]، أي: وخلقنا من الناس والدواب والإبل والبقر والغنم ما هو مختلف ألوانه كذلك، فمن ذلك الأحمر والأبيض والأسود وغير ذلك كاختلاف ألوان الثمار والجبال<sup>(٧)</sup>.

قال ابن كثير: «كذلك الحيوانات من الأناسي والدواب - وهو: كل ما دب على قوائم - والأنعام، من باب عطف الخاص على العام. كذلك هي مختلفة أيضا، فالناس منهم بربر وحبوش وطماطم في غاية السواد، وصقالبة وروم في غاية البياض، والعرب بين ذلك، والهنود دون ذلك؛ ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى: {وَإِخْتِلَافُ أَلْوَانِكُمْ وَإِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ} [الروم : ٢٢]. وكذلك الدواب والأنعام مختلفة الألوان، حتى في الجنس الواحد، بل النوع الواحد منهم مختلف الألوان، بل الحيوان الواحد يكون أبلق، فيه من هذا اللون وهذا اللون، فتبارك الله أحسن الخالقين»<sup>(٨)</sup>.

قال الفراء: «قوله: {كَذَلِكَ} من صلة: «الثمرات». واختلاف ألوانها، أي: من الناس وغيرهم كالأول»<sup>(٩)</sup>.

قال الطبري: {كَذَلِكَ}، أي: «كما من الثمرات والجبال مختلف ألوانه بالحمرة والبياض والسواد والصفرة، وغير ذلك»<sup>(١٠)</sup>.

قال يحيى: «أي: كما اختلفت ألوان ما ذكر من الثمار والجبال»<sup>(١١)</sup>.

(١) غريب القرآن: ٣٦١.

(٢) التفسير البسيط: ٤١٩/١٨.

(٣) حكاه عنه ابن كثير في التفسير: ٥٤٤/٦.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٧٥): ص ٣١٧٩/١٠.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٧٤): ص ٣١٧٩/١٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٦٢/٢٠.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٤٤/٦.

(٩) معاني القرآن: ٣٦٩/٢.

(١٠) تفسير الطبري: ٤٦٢/٢٠.

(١١) تفسير يحيى بن سلام: ٧٨٦/٢.

قال أبو مالك: "كذلك اختلاف الناس والدواب والأنعام كاختلاف الجبال"<sup>(١)</sup>.  
قال قتادة: "كما اختلف ألوان هذه اختلف ألوان الناس والدواب والأنعام كذلك"<sup>(٢)</sup>.  
قال الضحاك: "وكذلك الناس مختلف ألوانهم"<sup>(٣)</sup>.  
عن ابن عباس قال : «جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أيصبغ ربك ؟  
قال : "نعم صبغاً لا يُفَضُّ ، أحمر وأصفر وأبيض"<sup>(٤)</sup>.  
قوله تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر : ٢٨] ، أي: "إنما يخشى الله  
ويتقي عقابه بطاعته واجتناب معصيته العلماء به سبحانه، وبصفاته، وبشرعه، وقدرته على كل  
شيء"<sup>(٥)</sup>.  
قال يحيى: "ثم استأنف فقال: {إنما يخشى الله من عباده العلماء}، وهم المؤمنون"<sup>(٦)</sup>.  
قال الطبري: يقول: "إنما يخاف الله فيتقي عقابه بطاعته العلماء، بقدرته على ما يشاء  
من شيء، وأنه يفعل ما يريد، لأن من علم ذلك أيقن بعقابه على معصيته؛ فخافه ورهبه خشية  
منه أن يعاقبه"<sup>(٧)</sup>.  
قال مقاتل: "فيها تقديم، يقول: أشد الناس لله- عز وجل- خيفة أعلمهم بالله- تعالى"<sup>(٨)</sup>.  
عن ابن عباس، قوله: " {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}، قال: الذين يعلمون أن الله  
على كل شيء قدير"<sup>(٩)</sup>.  
قال ابن كثير: "أي : إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به ؛ لأنه كلما كانت  
المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى - كلما كانت  
المعرفة به أتمّ والعلم به أكمل ، كانت الخشية له أعظم وأكثر"<sup>(١٠)</sup>.  
قال الشوكاني: أي: " إنما يخشاه سبحانه بالغيب العالمون به، وبما يليق به من صفاته  
الجليلة وأفعاله الجميلة، فهو سبحانه قد عين في هذه الآية أهل خشيته، وهم العلماء به وتعظيم  
قدرته"<sup>(١١)</sup>.  
قال أبو مالك: "ثم قال: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}، فلا فضل لما قبلها"<sup>(١٢)</sup>.  
عن صالح أبي الخليل، قوله: " {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} قال: أعلمهم بالله  
أشدهم له خشية"<sup>(١٣)</sup>.  
قال قتادة: "كان يقال: كفى بالرهبة علماً"<sup>(١٤)</sup>.  
عن عبد الله بن مسعود قال: "ليس العلم رواية الحديث ولكن العلم الخشية"<sup>(١٥)</sup>. قال  
يحيى: نراه أنه، يعني: أنه من خشي الله فهو عالم"<sup>(١٦)</sup>.

- 
- (١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٧٥): ص ٣١٧٩/١٠-٣١٨٠.  
(٢) أخرجه الطبري: ٤٦٢ / ٢٠.  
(٣) أخرجه الطبري: ٤٦٢ / ٢٠.  
(٤) مسند البزار برقم (٢٩٤٤) "كشف الأستار" وقال الهيثمي في المجمع (١٢٨/٥) : "وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط".  
(٥) التفسير الميسر: ٤٣٧.  
(٦) تفسير يحيى بن سلام: ٧٨٦/٢.  
(٧) تفسير الطبري: ٤٦٢ / ٢٠.  
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٥٧/٣.  
(٩) أخرجه الطبري: ٤٦٢ / ٢٠.  
(١٠) تفسير ابن كثير: ٥٤٤/٦.  
(١١) فتح القدير: ٣٩٩/٤.  
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٧٥): ص ٣١٧٩/١٠-٣١٨٠.  
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٧٩): ص ٣١٨٠/١٠.  
(١٤) أخرجه الطبري: ٤٦٣/٢٠.  
(١٥) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٨٦/٢.  
(١٦) تفسير يحيى بن سلام: ٧٨٦/٢.  
قال أحمد بن صالح المصري: "معناه : أن الخشية لا تدرك بكثرة الرواية ، وأما العلم الذي فرض الله ، عز

قال مالك بن أنس: "إن العلم ليس بكثرة الرواية إنما العلم نور يقذفه الله في القلب"<sup>(١)</sup>.  
 قال الحسن: "الإيمان: من خشى الله بالغيب ورغب فيما رغب الله فيه، وزهد فيما أسخط، ثم تلا: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}"<sup>(٢)</sup>.  
 قال ابن عباس: "العالم بالرحمن مَنْ لم يشرك به شيئاً، وأحل حلاله، وحرّم حرامه، وحفظ وصيته، وأيقن أنه ملاقيه ومحاسب بعمله"<sup>(٣)</sup>.

عن أبي حيان التيمي، عن رجل قال: "كان يقال: العلماء ثلاثة عالم بالله، وعالم بأمر الله، وعالم بالله ليس بعالم بأمر الله، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله، فالعالم بالله وبأمر الله الذي يخشى الله ويعلم الحدود والفرائض، والعالم بالله ليس بعالم بأمر الله: الذي يخشى الله ولا يعلم الحدود: لا الفرائض والعالم بأمر الله ليس بعالم بالله: الذي يعلم الحدود والفرائض ولا يخشى الله"<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} [فاطر : ٢٨]، أي: "إن الله عزيز قوي لا يغالب، غفور يثيب أهل الطاعة، ويعفو عنهم"<sup>(٥)</sup>.  
 قال الطبري: يقول: "إن الله عزيز في انتقامه ممن كفر به غفور لذنوب من آمن به وأطاعه"<sup>(٦)</sup>.

عن أبي العالية: {والله عزيز}، يقول: عزيز في نعمته إذا انتقم"<sup>(٧)</sup>.  
 عن ابن إسحاق: {والله غفور}، "أي: يغفر الذنوب"<sup>(٨)</sup>.

## القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُوفِّيَهُمْ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠)} [فاطر : ٢٩-٣٠]  
 التفسير:

إن الذين يقرؤون القرآن، ويعملون به، وداوموا على الصلاة في أوقاتها، وأنفقوا مما رزقناهم من أنواع النفقات الواجبة والمستحبة سرًّا وجهراً، هؤلاء يرجون بذلك تجارة لن تكسد ولن تهلك، ألا وهي رضا ربهم، والفوز بجزييل ثوابه؛ ليوفيهم الله تعالى ثواب أعمالهم كاملاً غير منقوص، ويضاعف لهم الحسنات من فضله، إن الله غفور لسيئاتهم، شكور لحسناتهم، يثيبهم عليها الجزيل من الثواب.

قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ} [فاطر : ٢٩]، أي: "إن الذين يقرؤون القرآن، ويعملون به"<sup>(٩)</sup>.

قال الطبري: يقول: "إن الذين يقرءون كتاب الله الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم"<sup>(١٠)</sup>.

وجل ، أن يتبع فإنما هو الكتاب والسنة ، وما جاء عن الصحابة ، رضي الله عنهم ، ومن بعدهم من أئمة المسلمين ، فهذا لا يدرك إلا بالرواية ويكون تأويل قوله : "نور" يريد به فهم العلم ، ومعرفة معانيه". [نقلا عن تفسير ابن كثير : ٥٤٥/٦]

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٨١) : ص ٣١٨٠/١٠.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٨٢) : ص ٣١٨٠/١٠.

(٣) رواه ابن لهيعة، كما في تفسير ابن كثير : ٥٤٤/٦.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٨٠) : ص ٣١٨٠/١٠.

(٥) التفسير الميسر : ٤٣٧.

(٦) تفسير الطبري : ٤٦٣/٢٠.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٨٢٤) : ص ١٢١٠/٤.

(٨) أخرجه الطبري (٧٨٢٢) : ص ٢٠٣/٧.

(٩) التفسير الميسر : ٤٣٧.

(١٠) تفسير الطبري : ٤٦٣/٢٠.

قال ابن كثير: " يخبر تعالى عن عباده المؤمنين الذين يتلون كتابه ويؤمنون به ويعملون بما فيه"<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: {وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ} [فاطر : ٢٩]، أي: " وداوموا على الصلاة في أوقاتها"<sup>(٢)</sup>.  
قال الطبري: " يقول: وأدوا الصلاة المفروضة لمواقبتها بحدودها، وقال: وأقاموا الصلاة بمعنى: وقيموا الصلاة"<sup>(٣)</sup>.

قال يحيى: أي: " المفروضة"<sup>(٤)</sup>.  
عن الزهري: {وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ}، قال: "إقامتها: أن يصلي الصلوات الخمس لوقتها"<sup>(٥)</sup>.  
قوله تعالى: {وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً} [فاطر : ٢٩]، أي: " وأنفقوا مما رزقناهم من أنواع النفقات الواجبة والمستحبة سرًّا وجهراً"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: " يقول: وتصدقوا بما أعطيناهم من الأموال سرًّا في خفاء وعلانية جهارًا، وإنما معنى ذلك أنهم يؤدون الزكاة المفروضة، ويتطوعون أيضًا بالصدقة منه بعد أداء الفرض الواجب عليهم فيه"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن كثير: أي: " الإنفاق مما رزقهم الله في الأوقات المشروعة ليلا ونهارا ، سرا وعلانية"<sup>(٨)</sup>.

قال يحيى: " السر التطوع، والعلانية الزكاة المفروضة، يستحب أن تعطى الزكاة المفروضة علانية والتطوع سرا، ويقال: صدقة السر تطوعا أفضل من صدقة العلانية"<sup>(٩)</sup>.  
عن سعيد بن جبير، في قوله: " {وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ} يعني: من الأموال {سرا وعلانية} يعني: في حق الله وطاعته"<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن مسعود: "إن فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على العلانية"<sup>(١١)</sup>.

قوله تعالى: {يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ} [فاطر : ٢٩]، أي: " هؤلاء يرجون بذلك تجارة لن تكسد ولن تهلك، ألا وهي رضا ربهم، والفوز بجزيل ثوابه"<sup>(١٢)</sup>.

قال الطبري: يقول: " يرجون بفعلهم ذلك تجارة لن تكسد ولن تهلك، من قولهم: بارت السوق إذا كسدت وبار الطعام"<sup>(١٣)</sup>.

قال ابن كثير: " أي : يرجون ثوابا عند الله لا بد من حصوله"<sup>(١٤)</sup>.  
قال يحيى: " {لَّنْ تَبُورَ} : لن تفسد، وهي تجارة الجنة، يعملون للجنة"<sup>(١٥)</sup>.  
عن السدي: " {لَّنْ تَبُورَ}، قال: لن تهلك"<sup>(١٦)</sup>.  
قال قتادة: " الجنة، لن تبور لا تبيد"<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير: ٥٤٥/٦.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٣) تفسير الطبري: ٤٦٣/٢٠.

(٤) تفسير يحيى بن سلام: ٧٨٦/٢.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٦٢٢): س٣/١٠٠٤.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٧) تفسير الطبري: ٤٦٣/٢٠.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٤٥/٦.

(٩) تفسير يحيى بن سلام: ٧٨٧-٧٨٦/٢.

(١٠) الدر المنثور: ٦٣٧/٤، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

(١١) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٨٧/٢.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(١٣) تفسير الطبري: ٤٦٣/٢٠.

(١٤) تفسير ابن كثير: ٥٤٥/٦.

(١٥) تفسير يحيى بن سلام: ٧٨٧/٢.

(١٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٨٤): ص١٠/٣١٨١.

عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: «كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فسمعتة يقول: «تعلموا سورة البقرة؛ فإن أخذها بركة وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة». قال: ثم سكت ساعة، ثم قال: "تعلموا سورة البقرة، وآل عمران؛ فإنهما الزهراوان يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف، وإن القرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب. فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمتك في الهواجر وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة فيعطى الملك بيمينه، والخذ بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا فيقولان: بم كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن. ثم يقال له: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ، هذا كان، أو ترتيلا»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: {لِيُؤْفِقَهُمْ أُجُورَهُمْ} [فاطر : ٣٠]، أي: "ليوفيهم الله تعالى ثواب أعمالهم كاملا غير منقوص"<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: "يقول: ويوفيهم الله على فعلهم ذلك ثواب أعمالهم التي عملوها في الدنيا"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: ليوفيهم ثواب ما فعلوه"<sup>(٥)</sup>.

قال يحيى: "ثوابهم في الجنة"<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: {وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ} [فاطر : ٣٠]، أي: "ويضاعف لهم الحسنات من فضله"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: "يقول: وكي يزيدهم على الوفاء من فضله ما هو له أهل"<sup>(٨)</sup>.

قال يحيى: "يضاعف لهم الثواب"<sup>(٩)</sup>.

قال ابن كثير: أي: "ويضاعفه لهم بزيادات لم تخطر لهم"<sup>(١٠)</sup>.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٨٣): ص ٣١٨٠/١٠.

(٢) رواه أحمد (٢٢٩٥٠): ص ٤١/٣٨، إسناده حسن في المتابعات والشواهد من أجل بشير بن المهاجر الغنوي، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين، وحسنه الحافظ ابن كثير في "تفسيره" ٦٢/١، ولبعضه شواهد يصح بها. أبو نعيم: هو الفضل بن دكين الملائي.

وأخرجه مطولا ومختصرا أبو عبيد في "فضائل القرآن" ص ٨٤-٨٥، وابن أبي شيبة في "مسنده" كما في "إتحاف الخيرة" (٧٩٧٩)، وفي "مصنفه" ٤٩٢/١٠-٤٩٣، والدارمي (٣٣٩١)، ومحمد بن نصر المروزي في "قيام الليل" (٢٠٢)، وابن الضريس في "فضائل القرآن" (٩٩)، وابن عدي في "الكامل" ٤٥٤/٢، والحاكم ٥٦٠/١، والواحدي في "الوسيط" ٤١١/١، وأبو محمد البغوي

في "تفسيره" ٣٤-٣٣/١، وفي "شرح السنة" (١١٩٠) وحسنه بإثره - من طريق أبي نعيم الفضل بن دكين. وبعضهم لم يسبق لفظه.

وأخرجه مطولا ومختصرا كذلك البزار (٢٣٠٢ - كشف الأستار)، والعقيلي في "الضعفاء" ١٤٤/١، والأجري في "أخلاق أهل القرآن" (٢٤)، وابن عدي ٤٥٤/٢، والحاكم ٥٥٦/١ و٥٦٠ و٥٦٧-٥٦٨، والبيهقي في "شعب الإيمان" (١٩٨٩) و (١٩٩٠) من طرق عن بشير بن المهاجر، به. ورواية الحاكم في الموضوع الأخير مختصرة بلفظ: "من قرأ القرآن وتعلمه، وعمل به، أليس يوم القيامة تاجا من نور، ضوءه مثل ضوء الشمس، ويكسى والداه حلتين لا تقوم بهما

الدنيا، فيقولان: بم كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن".

(٣) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٤) تفسير الطبري: ٤٦٣/٢٠.

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٤٥/٦.

(٦) تفسير يحيى بن سلام: ٧٨٧/٢.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٨) تفسير الطبري: ٤٦٣/٢٠.

(٩) تفسير يحيى بن سلام: ٧٨٧/٢.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٥٤٥/٦.

قال الحسن: "تضاعف لهم الحسنات، يثابون عليها في الجنة"<sup>(١)</sup>.  
قوله تعالى: {إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ} [فاطر : ٣٠]، أي: "إن الله غفور لسيئاتهم، شكور لحسناتهم، يثيبهم عليها الجزيل من الثواب"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: "يقول: إن الله غفور لذنوب هؤلاء القوم الذين هذه صفتهم شكور لحسناتهم"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير: " { إِنَّهُ غَفُورٌ } أي : لذنوبهم ، { شَكُورٌ } للقليل من أعمالهم"<sup>(٤)</sup>.

قال قتادة: "إنه غفور لذنوبهم، شكور لحسناتهم"<sup>(٥)</sup>.

قال قتادة: "كان مطرف إذا مر بهذه الآية: {إِنَّ الَّذِينَ يَثْلُونَ كِتَابَ}، يقول: هذه آية

القرآن"<sup>(٦)</sup>.

فوائد الآيات: [٢٧-٣٠]:

- ١- بيان مظاهر القدرة والعلم الإلهي في اختلاف الألوان والطباع والذوات.
- ٢- العلم سبيل الخشية فمن لا علم له بالله فلا خشية له إنما يخشى الله من عباده العلماء.
- ٣- فضل تلاوة القرآن الكريم وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصدقات.
- ٤- في وصف الله تعالى بالغفور والشكور ترغيب للمذنبين أن يتوبوا، وللعاملين أن يزيدوا.

## القرآن

{وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ  
{ (٣١) } [فاطر : ٣١]

التفسير:

والذي أنزلناه إليك -أيها الرسول- من القرآن هو الحق المصدق للكتب التي أنزلها الله على رسله قبلك. إن الله لخبير بشؤون عباده، بصير بأعمالهم، وسيجازيهم عليها.

قوله تعالى: {وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} [فاطر : ٣١]، أي: "والذي أنزلناه إليك -أيها الرسول- من القرآن هو الحق المصدق للكتب التي أنزلها الله على رسله قبلك"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: {وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ} يا محمد وهو هذا القرآن الذي أنزله الله عليه هو الحق عليك وعلى أمتك أن تعمل به، وتتبع ما فيه دون غيره من الكتب التي أوحيت إلى غيرك، يصدق ما مضى بين يديه فصار أمامه من الكتب التي أنزلتها إلى من قبلك من الرسل"<sup>(٨)</sup>.

عن قتادة، قوله: {مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ}، قال: "للكتب التي خلت قبله"<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ} [فاطر : ٣١]، أي: "إن الله لخبير بشؤون عباده، بصير بأعمالهم، وسيجازيهم عليها"<sup>(١٠)</sup>.

قال الطبري: "إن الله بعباده لذو علم وخبرة بما يعملون بصير بما يصلحهم من التدبير"<sup>(١١)</sup>.

(١) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٨٧/٢.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٣) تفسير الطبري: ٤٦٤ / ٢٠.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٤٥ / ٦.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٦٤ / ٢٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٦٤ / ٢٠.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٨) تفسير الطبري: ٤٦٤ / ٢٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٦٤-٤٦٥.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(١١) تفسير الطبري: ٤٦٥/٢٠.

عن قتادة: " {خبيرا}، قال: خبير بخلقه" (١).

## القرآن

{ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْتِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢)} [فاطر : ٣٢]

التفسير:

ثم أعطينا -بعد هلاك الأمم- القرآن من اخترناهم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم: فمنهم ظالم لنفسه بفعل بعض المعاصي، ومنهم مقتصد، وهو المؤدي للواجبات المجتنب للمحرمات، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله، أي مسارع مجتهد في الأعمال الصالحة، فرضاها ونقلها، ذلك الإعطاء للكتاب واصطفاء هذه الأمة هو الفضل الكبير.

قوله تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} [فاطر : ٣٢]، أي: "ثم أعطينا -بعد هلاك الأمم- القرآن من اخترناهم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم" (٢).

قال ابن كثير: "يقول تعالى: ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم، المصدق لما بين يديه من الكتب، الذين اصطفينا من عبادنا، وهم هذه الأمة، ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع" (٣). وفي قوله تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} [فاطر : ٣٢]، ثلاثة

أقوال:

أحدها : أنهم الأنبياء ، حكاة ابن عيسى (٤).  
الثاني : أنهم بنو إسرائيل لقوله عز وجل : {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا} [ آل عمران : ٣٣ ]  
الآية  
قاله ابن بحر (٥).  
الثالث : أنهم أمة محمد (٦). قاله ابن عباس (٧)، والكلبي (٨).

قال ابن عباس: "هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ورثهم الله كل كتاب أنزله؛ فظالمهم يغفر له، ومقتصدهم يحاسب حسابا يسيرا، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب" (٩).  
قال محمد بن الحنفية: "إنها أمة مرحومة، الظالم مغفور له والمقتصد في الجنات عند الله والسابق بالخيرات في الدرجات عند الله" (١٠).

قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب تأويل من قال: عنى بقوله {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} الكتب التي أنزلت من قبل الفرقان، والمعنى: ثم أورثنا الإيمان بالكتاب الذين اصطفينا؛ فمنهم مؤمنون بكل كتاب أنزله الله من السماء قبل كتابهم وعاملون به؛ لأن كل كتاب أنزل من السماء قبل الفرقان، فإنه يأمر بالعمل بالفرقان عند نزوله، وباتباع من جاء به، وذلك عمل من أقر بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وعمل بما دعاه إليه بما في القرآن، وبما في غيره من الكتب التي أنزلت قبله" (١١).

قوله تعالى: {فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ} [فاطر : ٣٢]، أي: "فمنهم ظالم لنفسه بفعل بعض المعاصي، ومنهم المؤدي للواجبات المجتنب للمحرمات" (١٢).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٢٩٤): ص٨/٢٧١٣.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٤٦/٦.

(٤) انظر: النكت والعيون: ٤٧٤/٤.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٤٧٤/٤.

(٦)

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٥ / ٢٠.

(٨) انظر: النكت والعيون: ٤٧٤/٤.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٦٥ / ٢٠.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٧٦ / ٢٠.

(١١) تفسير الطبري: ٤٦٩ / ٢٠.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٣٨.



قال ابن كثير: " {فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ}: هو: المفرط في فعل بعض الواجبات ، المرتكب لبعض المحرمات، {وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ}، وهو : المؤدي للواجبات ، التارك للمحرمات ، وقد يترك بعض المستحبات ، ويفعل بعض المكروهات"<sup>(١)</sup>.

وفي قوله تعالى: {فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ} [فاطر : ٣٢]، وجهان<sup>(٢)</sup>: أحدهما : أن قوله: {فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ}، كلام مبتدأ لا يرجع إلى المصطفين ، وهذا قول من تأول المصطفين الأنبياء ، فيكون من عداهم ثلاثة أصناف على ما بينهم .  
الثاني : أنه راجع إلى تفصيل أحوال الذين اصطفينا ، ومعنى الاصطفاء الاختيار وهذا قول من تأول المصطفين غير الأنبياء ، فجعلهم ثلاثة أصناف .  
وأما «الظالم لنفسه» -ها هنا-، ففيه أقوال:

أحدها : أنهم أهل الصغائر من هذه الأمة، روى عن شهر بن حوشب، "أن عمر بن الخطاب قال: سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له"<sup>(٣)</sup>.

وعن عثمان بن عفان: "أنه نزع بهذه الآية قال: إن سابقنا أهل جهاد ألا وإن مقتصدنا ناج أهل حضرنا، ألا وإن ظالمنا أهل بدونا"<sup>(٤)</sup>.

عن أزهر بن عبد الله الحرازي: "حدثني من سمع عثمان بن عفان تلا هذه الآية: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} الآية، فقال: سابقنا أهل جهادنا، ومقتصدنا أهل حضرنا، وظالمنا أهل بدونا"<sup>(٥)</sup>.

الثاني : أنهم أصحاب المشأمة، قاله مجاهد<sup>(٦)</sup>.

الثالث : أنهم أصحاب الكبائر من أهل التوحيد. قاله السدي<sup>(٧)</sup>، ومقاتل<sup>(٨)</sup>.

الرابع : أنه المنافق. قاله الحسن<sup>(٩)</sup>، وقتادة<sup>(١٠)</sup>.

قال الحسن: "أما الظالم لنفسه فإنه هو المنافق، سقط هذا"<sup>(١١)</sup>.

وفي رواية" والظالم لنفسه منافق قطع به دونهم"<sup>(١٢)</sup>. قال يحيى: "نراه، يعني: أن المنافق أقر به المؤمن فلم يدخل في الآية"<sup>(١٣)</sup>.

وروي عن الضحاك، ان قرأ: " {فمنهم ظالم لنفسه} [فاطر : ٣٢] فقال: سقط هذا"<sup>(١٤)</sup>.

قال يحيى: " فلا أدري أيعني ما قال الحسن أنه المنافق أم، يعني به: الجاحد"<sup>(١٥)</sup>.

الخامس : أنه الجاحد والمنافق، قاله مجاهد أيضا<sup>(١٦)</sup>.

السادس : أنهم أهل الكتاب، حكاه الماوردي عن الحسن<sup>(١٧)</sup>.

السابع : أنه الكافر. وهذا قول ابن عباس<sup>(١٨)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير: ٥٤٦/٦.

(٢) انظر: النكت والعيون: ٤٧٤/٤.

(٣) رواه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٩٠/٢.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٩١) ص: ٣١٨٢/١٠.

(٥) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٩٦/٢٢، و سعيد بن منصور في "سننه" (١٥١ - ١٥٢) (٢٣٠٨). فيه محمد بن خالد، وفرج بن فضالة ضعيفان. والراوي عن عثمان مجهول.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٦/٢٠.

(٧) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٨٩/٢.

(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٥٨/٣.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٨/٢٠.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٨/٢٠.

(١١) أخرجه الطبري: ٤٦٨/٢٠.

(١٢) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٩٠/٢.

(١٣) تفسير يحيى بن سلام: ٧٩٠/٢.

(١٤) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٩٠/٢.

(١٥) تفسير يحيى بن سلام: ٧٩٠/٢.

(١٦) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٩١/٢.

(١٧) انظر: النكت والعيون: ٤٧٣/٤.

قال ابن كثير: "رُوي عن غير واحد من السلف : أن الظالم لنفسه من هذه الأمة من المصطفين ، على ما فيه من عوج وتقصير، .. وهذا اختيار ابن جرير<sup>(٢)</sup> كما هو ظاهر الآية ، وكما جاءت به الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من طرق يشد بعضها بعضا"<sup>(٣)</sup>

الحديث الأول : عن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في هذه الآية : "لَمْ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ" ، قال: «هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة»<sup>(٤)</sup>

قال ابن كثير: "ومعنى قوله : "بمنزلة واحدة" أي : في أنهم من هذه الأمة ، وأنهم من أهل الجنة ، وإن كان بينهم فرق في المنازل في الجنة"<sup>(٥)</sup>.  
الحديث الثاني : عن أبي الدرداء ، رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "قال الله : { لَمْ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ} ، فأما الذين سبقوا فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، وأما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حسابا يسيرا ، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يحبسون في طول المحشر ، ثم هم الذين تلافاهم برحمته ، فهم الذين يقولون : { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا تَصَبُّ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ }"<sup>(٦)</sup>

الحديث الثالث : عن أسامة بن زيد : " { فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ } الآية ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كلهم من هذه الأمة»"<sup>(٧)</sup>.  
الحديث الرابع : عن عوف بن مالك ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "أمّتي ثلاثة أثلاث : فتلت يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، وتلت يحاسبون حسابا يسيرا ثم يدخلون الجنة ، وتلت يُمَحَّصُونَ وَيُكْشَفُونَ ، ثم تأتي الملائكة فيقولون : وجدناهم يقولون : "لا إله إلا الله وحده". يقول الله عز وجل : صدقوا ، لا إله إلا أنا، أدخلوهم الجنة بقولهم : "لا إله إلا الله وحده" واحملوا خطاياهم على أهل النار ، وهي التي قال الله تعالى : { وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْقَالَهُمْ } [العنكبوت : ١٣] ، وتصديقها في التي فيها ذكر الملائكة ، قال الله تعالى : { لَمْ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا } فجعلهم ثلاثة أنواع، وهم أصناف كلهم ، فمنهم ظالم لنفسه ، فهذا الذي يكشف ويمحص"<sup>(٨)</sup>.  
وأما «المقتصد»، ففيه أربعة أقوال:

(١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٩٨٦):ص٣١٨١/١٠، وتفسير ابن كثير: ٥٤٧/٦.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٩ / ٢٠ وما بعدها.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٤٧/٦.

(٤) المسند (٧٨/٣). قال ابن كثير ٥٤٧/٦: "هذا حديث غريب من هذا الوجه وفي إسناده من لم يسم ، وقد رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ، من حديث شعبة ، به نحوه".

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٤٧/٦.

(٦) المسند (١٩٨/٥).

(٧) المعجم الكبير (١٦٧/١) وقد وقع في إسناده سقط ، ورواه البيهقي في البعث برقم (٦٤) من طريق محمد بن سعيد ، عن عمرو بن أبي قيس ، عن ابن أبي ليلى ، عن أخيه عيسى ، عن أبيه ، عن أسامة بن زيد ، به ، ورواه أيضا برقم (٦٣) من طريق حصين بن نمير عن ابن أبي ليلى ، عن أخيه ، عن أبيه ، عن أسامة بن زيد ، بنحوه.

(٨) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٤٨/٦-٥٤٩، وقال: "غريب جدا". ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٨٠/١٨) من طريق محمد بن عزيز ، به ، وقال الهيثمي في المجمع (٩٦/٧) : "فيه سلامة بن روح وثقه ابن حبان ، وضعفه جماعة ، وبقيه رجاله ثقات".

أحدها : أنه المتوسط في الطاعات وهذا معنى حديث أبي الدرداء ، روى عن أبي الدرداء قال: "قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقال: «أما السابق فيدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يحاسب حسابا يسيرا، وأما الظالم فيحبس في طول المحبس ثم يتجاوز الله عنه»<sup>(١)</sup>.  
الثاني : أنهم أصحاب الميمنة، قاله مجاهد<sup>(٢)</sup>، وقتادة<sup>(٣)</sup>.

وقال الحسن: "وأما المقتصد والسابق بالخيرات فهما صاحبا الجنة"<sup>(٤)</sup>.

الثالث : أنهم أصحاب الصغائر. وهو قول متأخر<sup>(٥)</sup>.

الرابع : أنهم الذين اتبعوا سنن النبي -صلى الله عليه وسلم- من بعده ، قاله الحسن<sup>(٦)</sup>.

قال الحسن: "المقتصد رجل سأل عن آثار أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم

فاتبعهم"<sup>(٧)</sup>.

الخامس: أنه الذي عدل في قوله. قاله مقاتل<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: {وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ} [فاطر : ٣٢] ، أي: "ومنهم مسارع مجتهد

في الأعمال الصالحة، فَرَضَهَا ونَفَلَهَا، بتوفيق الله وتيسيره"<sup>(٩)</sup>.

قال ابن كثير: "وهو : الفاعل للواجبات والمستحبات ، التارك للمحرمات والمكروهات

وبعض المباحات"<sup>(١٠)</sup>.

وفي قوله تعالى: {وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ} [فاطر : ٣٢] ، أقوال:

أحدها : أنهم المقربون ، قاله قتادة<sup>(١١)</sup>.

قال مجاهد: "هم السابقون من الناس كلهم"<sup>(١٢)</sup>.

قال قتادة: "كان الناس ثلاث منازل في الدنيا، وثلاث منازل عند الموت، وثلاث منازل

في الآخرة؛ أما الدنيا فكانوا: مؤمن ومنافق ومشرك، وأما عند الموت فإن الله قال {فَأَمَّا إِنْ كَانَ

مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ

الْيَمِينِ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ فَنَزْلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٌ وَأما في الآخرة فكانوا

أزواجًا ثلاثة {فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ}"<sup>(١٣)</sup>.

الثاني : أنهم المستكثرون من طاعة الله تعالى ، وهو مأثور<sup>(١٤)</sup>.

الثالث : أنهم أهل المنزلة العليا في الطاعات ، قاله علي بن عيسى<sup>(١٥)</sup>.

الرابع : أنهم الذين سبقوا إلى الأعمال الصالحة وتصديق الأنبياء. قاله مقاتل<sup>(١٦)</sup>.

الخامس: أنه من مضى على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فشهد له بالجنة<sup>(١٧)</sup>.

(١) رواه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٨٧/٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٦/٢٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٨/٢٠.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٨/٢٠.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٤٧٤/٤.

(٦) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٧٠٩٠/٢.

(٧) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٩٠/٢.

(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٥٨/٣.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٨. [بتصرف]

(١٠) تفسير ابن كثير: ٥٤٦/٦.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٨/٢٠.

(١٢) أخرجه الطبري: ٤٦٧/٢٠.

(١٣) أخرجه الطبري: ٤٦٨/٢٠.

(١٤) انظر: النكت والعيون: ٤٧٤/٤.

(١٥) انظر: النكت والعيون: ٤٧٤/٤.

(١٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٥٨/٣.

(١٧) انظر: النكت والعيون: ٤٧٤/٤.

وقال الحسن: " السابقون: أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم" (١).  
 روى عقبة بن صهبان قال: " سألت عائشة عن هذه الآية، فقالت: نعم يا بني، كلهم من أهل الجنة، السابق من مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحياة والرزق، والمقتصد من اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به، والظالم لنفسه مثلي ومثلك ومن اتبعنا، فألحقت نفسها بنا من أجل الحدث الذي أصابها" (٢).  
 قوله تعالى: {ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ} [فاطر : ٣٢]، أي: " ذلك الإعطاء للكتاب واصطفاء هذه الأمة هو الفضل الكبير" (٣).  
 قال قتادة: " ذلك من نعمة الله" (٤).  
 قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: سبق هذا السابق من سبقه بالخيرات بإذن الله، هو الفضل الكبير الذي فضل به من كان مقتصرًا عن منزلته في طاعة الله من المقتصد والظالم لنفسه" (٥).

### القرآن

{جَنَاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَّا يَمَسُّنَا فِيهَا تَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُثُوبٌ (٣٥)} [فاطر : ٣٣-٣٥]

التفسير:

جنات إقامة دائمة للذين أورثهم الله كتابه يدخلون فيها بأساور الذهب وباللؤلؤ، ولباسهم المعتاد في الجنة حرير أي: ثياب رقيقة. وقالوا حين دخلوا الجنة: الحمد لله الذي أذهب عنا كل حزن، إن ربنا لغفور؛ حيث غفر لنا الزلات، شكور؛ حيث قبل منا الحسنات وضاعفها. وهو الذي أنزلنا دار الجنة من فضله، لا يمسنا فيها تعب ولا إعياء.  
 قوله تعالى: {جَنَاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا} [فاطر : ٣٥]، أي: " جنات إقامة دائمة للذين أورثهم الله كتابه" (٦).

قال مقاتل: " يدخلونها هؤلاء الأصناف الثلاثة" (٧).

عن عبد الله بن الحارث: " عن كعب، قال له: اقرأ هذه الآية {فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد} [فاطر : ٣٢] حتى بلغ {جنات عدن يدخلونها} [فاطر : ٣٣] فقال كعب: «دخلوها ورب الكعبة» (٨).

قوله تعالى: {يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا} [فاطر : ٣٥]، أي: " كتابه يحلون فيها بأساور الذهب وباللؤلؤ" (٩).  
 قال مقاتل: " بثلاث أسورة" (١٠).

عن مجاهد، في قوله: " {أساور من ذهب}، قال: الأساور: المسك" (١١).

عن سعيد بن المسيب، قال: " ليس من أهل الجنة أحد إلا وفي يده ثلاثة أسورة: إسوار من ذهب، وإسوار من فضة، وإسوار من لؤلؤ. قال: وهو قوله: {يحلون

(١) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٩٠/٢.

(٢) رواه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٩٠/٢.

(٣) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٤) الدر المنثور: ٢٨/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٥) تفسير الطبري: ٤٧١ / ٢٠.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٥٨/٣.

(٨) تفسير عبدالرزاق (٢٤٤٨): ص ٧١/٣.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٥٨/٣.

(١١) الدر المنثور: ٣٨٧/٥، وعزاه إلى عبد بن حميد.

فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا} [فاطر: ٣٣] ، وقوله: {وحلوا أساور من فضة} [الإنسان: ٢١]"<sup>(١)</sup>.

قال سعيد بن جبير: "يُحَلَّى كُلُّ واحد منهم ثلاثة من الأساور: واحداً من فضة، وواحداً من ذهب، وواحداً من لؤلؤ ويواقيت"<sup>(٢)</sup>.

عن ابن لهيعة، في قوله: {يحلون فيها من أساور من ذهب}، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إنَّ الرجل من أهل الجنة لو بدا إسواره لغلَّب على ضوء الشمس»<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: {وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ} [فاطر: ٣٥]، أي: "ولباسهم المعتاد في الجنة حرير"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: "في مقابلة ثياب أهل النار التي فصلت لهم، لباس هؤلاء من الحرير استبرقه وسندسه"<sup>(٥)</sup>.

قال مقاتل: "مما يلي الجسد الحرير، وأعلاه السندس والإستبرق"<sup>(٦)</sup>.

عن ابن الزبير قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة» قال ابن الزبير من قبل نفسه: ومن لم يلبسه في الآخرة لم يدخل الجنة، لأن الله تعالى قال: ولباسهم فيها حرير"<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ} [فاطر: ٣٥]، أي: "وقالوا حين دخلوا الجنة: الحمد لله الذي أذهب عنا كل حزن"<sup>(٨)</sup>.

وفي قوله تعالى: {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ} [فاطر: ٣٥]، وجوه من

التفسير:

أحدها: أنه خوف النار ، قاله ابن عباس<sup>(٩)</sup>، والحسن<sup>(١٠)</sup>.

عن ابن عباس، قوله: {الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن}، قال: "حزن النار"<sup>(١١)</sup>.

وقال الحسن: "إن المؤمنين قوم ذُلَّتْ ذُلَّتْ والله الأسماع والأبصار والجوارح، حتى يحسبهم الجاهل مَرَضَى، وما بالقوم مرض، وإنهم لأصحة القلوب ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم، ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة، فقالوا: {الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ} والحَزْنَ، والله ما حزنهم حزن الدنيا ولا تعاضم في أنفسهم ما طلبوا به الجنة أبكاهم الخوف من النار، وأنه من لا يتعزَّ بعزاء الله يقطع نفسه على الدنيا حسرات، ومن لم ير الله عليه نعمة إلا في مطعم أو مشرب فقد قل علمه وحضر عذابه"<sup>(١٢)</sup>.

الثاني: أنه حزن الموت ، قاله عطية<sup>(١٣)</sup>.

الثالث: تعب الدنيا وهمومها، قاله قتادة<sup>(١٤)</sup>.

قال قتادة: "كانوا في الدنيا يعملون وينصبون وهم في خوف، أو يحزنون"<sup>(١٥)</sup>.

الرابع: حزن المنة ، قاله سمره<sup>(١٦)</sup>.

(١) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ١٨٤/١.

(٢) تفسير الثعلبي ١٦٩/٦، وتفسير البيهقي ١٦٩/٥.

(٣) أورده يحيى بن سلام ١٨٤/١، ٣٦١، ٧٩٢/٢.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٥) تفسير ابن كثير: ٣٥٩/٥.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان ١٢١/٣.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٨٣٣): ص ٢٤٨٣/٨.

(٨) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٧٩٩٥): ص ٣١٨٣/١٠.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٢/٢٠.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٩٥): ص ٣١٨٣/١٠.

(١٢) أخرجه الطبري: ٤٧٢/٢٠.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٢/٢٠.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٣/٢٠.

الخامس : حزن الظالم لما يشاهد من سوء حاله ، قاله ابن زيد<sup>(٣)</sup> .  
روي عن ابي الدرداء، قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "أما الظالم لنفسه فيصيبه في ذلك المكان من الغم والحزن فذلك قوله: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ}"<sup>(٤)</sup> .  
السادس : حزن الجوع. قاله شمر بن عطية<sup>(٥)</sup> .  
السابع : خوف السلطان ، حكاه الكلبي<sup>(٦)</sup> .  
الثامن : الحزن للمعاش وهموم الدنيا، قاله الشعبي<sup>(٧)</sup>، والفراء<sup>(٨)</sup> .  
قال الشعبي: " طلب الخبز في الدنيا، فلا نهتم له كاهتمامنا له في الدنيا طلب الغذاء والعشاء"<sup>(٩)</sup> .  
التاسع : حزن الخبز، قاله شمر<sup>(١٠)</sup> .  
وقال شمر: " لما أدخل الله أهل الجنة الجنة قالوا: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ} قال: حزن الخبز"<sup>(١١)</sup> .  
وهذا القول ضمن القول السابق، لأن المعنى: هم العيش في الدنيا، لأن العيش فيها قوامه الطعام والخبز. والله أعلم.  
العاشر : حزن القطيعة. قاله سهل بن عبد الله<sup>(١٢)</sup> .  
الحادي عشر: الحزن بالجنة والنار لأنهم لا يدرون إلى أيهما يصيرون. قاله مقاتل<sup>(١٣)</sup>، وحكاه الفراء عن بعضهم<sup>(١٤)</sup> .  
قال مقاتل: " وقد حبس- الظالم- بعد هؤلاء الصنفين: السابق والمقتصد، ما شاء الله من أجل ذنوبهم الكبيرة، ثم غفرها لهم وتجاوز عنهم فأدخلوا الجنة فلما دخلوها، واستقرت بهم الدار حمدوا ربهم من المغفرة ودخول الجنة وقالوا: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، لأنهم لا يدرون ما يصنع الله- عز وجل- بهم"<sup>(١٥)</sup> .  
الثاني عشر: حزن من الذنوب. قاله ابن عباس<sup>(١٦)</sup> .  
قال ابن عباس: " هم قوم كانوا في الدنيا يخافون الله ويجتهدون له في العبادة سرا وعلانية وفي قلوبهم حزن من ذنوب قد سلفت منهم فهم خائفون أن لا يتقبل منهم هذا الاجتهاد من الذنوب التي سلفت فعنها قالوا: {الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور}"<sup>(١٧)</sup> .

- (١) أخرجه الطبري: ٤٧٣ / ٢٠ .
- (٢) انظر: النكت والعيون: ٤٧٥ / ٤ .
- (٣) انظر: النكت والعيون: ٤٧٥ / ٤ .
- (٤) أخرجه الطبري: ٤٧٣ / ٢٠ .
- (٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم (١٧٩٩٦) :ص ٣١٨٣ / ١٠ .
- (٦) انظر: النكت والعيون: ٤٧٥ / ٤ .
- (٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم (١٧٩٩٧) :ص ٣١٨٣ / ١٠ .
- (٨) انظر: معاني القرآن: ٣٧٠ / ٢ .
- (٩) أخرجه ابن ابي حاتم (١٧٩٩٧) :ص ٣١٨٣ / ١٠ .
- (١٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٣ / ٢٠ .
- (١١) أخرجه الطبري: ٤٧٣ / ٢٠ .
- (١٢) انظر: تفسير التستري: ١٢٩ .
- (١٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٥٨ / ٣ .
- (١٤) انظر: معاني القرآن: ٣٧٠ / ٢ .
- (١٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٥٨ / ٣ .
- (١٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم (١٧٩٩٤) :ص ٣١٨٣ / ١٠ .
- (١٧) أخرجه ابن ابي حاتم (١٧٩٩٤) :ص ٣١٨٣ / ١٠ .

الثالث عشر: أنه حزن التباغض والتحاسد لأن أهل الجنة متواصلون لا يتباغضون ولا يتحاسدون. حكاه الماوردي<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: "الصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء القوم الذين أكرمهم بما أكرمهم به أنهم قالوا حين دخلوا الجنة {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ} وخوف دخول النار من الحزن، والجَزَع من الموت من الحزن، والجَزَع من الحاجة إلى المطعم من الحزن. ولم يخص الله إذ أخبر عنهم أنهم حمدوه على إذهابه الحزن عنهم نوعاً دون نوع، بل أخبر عنهم أنهم عموا جميع أنواع الحزن بقولهم ذلك، وكذلك ذلك؛ لأن من دخل الجنة فلا حزن عليه بعد ذلك، فحمدهم على إذهابه عنهم جميع معاني الحزن"<sup>(٢)</sup>.

قال الزجاج: "معنى: {أذهب عنا الحزن}: أذهب عنا كل ما يحزن، من حزن في مقاس، وحزن لعذاب، أو حزن للموت، وقد أذهب الله عن أهل الجنة كل حزن"<sup>(٣)</sup>.

وفي وقت قولهم لذلك قولان<sup>(٤)</sup>:  
أحدهما : عند إعطاء كتبهم بأيمانهم لأنه أول بشارات السلامة ، فيقولون عندها : {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ}.  
الثاني : بعد دخول الجنة ، قاله الكلبي ، وهو أشبه لاستقرار الجزاء والخلص من أهوال القيامة فيقولون ذلك عند أمنهم شكراً .

قال إبراهيم التيمي: "ينبغي لمن يحزن أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة، لأنهم قالوا: {الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن} وينبغي لم يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة، لأنهم قالوا: {إننا كنا قبل في أهلنا مشفقين}"<sup>(٥)</sup>.

قال الجصاص: "روى بعض السلف قال: من شأن المؤمن الحزن في الدنيا ألا تراهم حين يدخلون الجنة يقولون: {الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن}؟"<sup>(٦)</sup>.

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الدنيا سجن المؤمن»<sup>(٧)</sup>.  
قيل لبعض النساك: "ما بال أكثر النساك محتاجين إلى ما في يد غيرهم؟ قال: لأن الدنيا سجن المؤمن، وهل يأكل المسجون إلا من يد المطلق"<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ} [فاطر : ٣٥]، أي: "إن ربنا لغفور؛ حيث غفر لنا الزلات، شكور؛ حيث قبل منا الحسنات وضاعفها"<sup>(٩)</sup>.

قال الطبري: "قول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هذه الأصناف الذين أخبر أنه اصطفاهم من عباده عند دخولهم الجنة: إن ربنا لغفور لذنوب عباده الذين تابوا من ذنوبهم، فساترها عليهم بعفوه لهم عنها، شكور لهم على طاعتهم إياه، وصالح ما قدموا في الدنيا من الأعمال"<sup>(١٠)</sup>.

قال مقاتل: "إن ربنا لغفور} للذنوب العظام، {شكور} للحسنات وإن قلت، وهذا قول آخر شكور للعمل الضعيف القليل، فهذا قول أهل الكبائر من أهل التوحيد"<sup>(١١)</sup>.

(١) انظر: النكت والعيون: ٤٧٥/٤.

(٢) تفسير الطبري: ٤٧٤ / ٢٠.

(٣) معاني القرآن: ٢٧٠/٤.

(٤) انظر: النكت والعيون: ٤٧٥/٤.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٨٧): ص ٣١٨٣/١٠.

(٦) احكام القرآن: ٤٩٠/٣.

(٧) الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» .  
أخرجه مسلم في كتاب الزهد برقم (٢٩٥٦) ، وأحمد في المسند ٣٢٣ / ٢ ، وابن ماجه (٤١١٣) .

وفي آخر عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدنيا سجن المؤمن وسنته، وإذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة» . أخرجه أحمد ٩١٧ / ١ ، والحاكم ٣١٥ / ٤ .

(٨) نقلًا عن احكام القرآن للجصاص: ٤٩٠/٣.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(١٠) تفسير الطبري: ٤٧٤ / ٢٠.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٥٨/٣.

قال قتادة: "يقول: غفور لذنوبهم شكور لحسناتهم"<sup>(١)</sup>.  
قال ابن عباس: "غفر لنا العظيم، وشكر لنا القليل من أعمالنا"<sup>(٢)</sup>.  
قال شمر: "غفر لهم ما كان من ذنب، وشكر لهم ما كان منهم"<sup>(٣)</sup>.  
قال أبو رافع: "يأتي يوم القيامة العبد بدواوين ثلاثة بديوان فيه النعم، وديوان فيه ذنوبه، وديوان فيه حسناته، فيقال لأصغر نعمة عليه: قومي فاستوفي ثمنك من حسناته، فتقوم فتستوهب تلك النعمة حسناته كلها وتبقى بقية النعم عليه وذنوبه كاملة فمن ثم يقول العبد إذا أدخله الله الجنة: {إن ربنا لغفور شكور}"<sup>(٤)</sup>.  
قوله تعالى: {الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ} [فاطر : ٣٥]، أي: "وهو الذي أنزلنا دار الجنة من فضله"<sup>(٥)</sup>.  
قال الطبري: "أي: ربنا الذي أنزلنا هذه الدار يعنون الجنة، فدار المقامة: دار الإقامة التي لا نقلة معها عنها ولا تحول"<sup>(٦)</sup>.  
قال الزجاج: "أي: أحلنا دار الخلود بتفضله لا بأعمالنا"<sup>(٧)</sup>.  
قال الفراء: "دار المقامة: هي الإقامة. والمقامة: المجلس الذي يُقام فيه. فالمجلس مفتوح لا غير كما قال الشاعر"<sup>(٨)</sup>.  
يومان يوم مقاماتٍ وأنديةٍ ... ويومٌ سير إلى الأعداء تأويب"<sup>(٩)</sup>.  
قال مقاتل: "يعني: دار الخلود أقاموا فيها أبدا لا يموتون ولا يتحولون عنها أبدا"<sup>(١٠)</sup>.  
قال قتادة: "أقاموا فلا يتحولون ولا يحولون"<sup>(١١)</sup>.  
قوله تعالى: {لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ} [فاطر : ٣٥]، أي: "لا يمسننا في الجنة تعب ولا إعياء"<sup>(١٢)</sup>.  
قال مقاتل: "لا يصيبنا في الجنة مشقة في أجسادنا، ولا يصيبنا في الجنة عيا لما كان يصيبهم في الدنيا من النصب في العبادة"<sup>(١٣)</sup>.  
قال الطبري: "يقول: لا يصيبنا فيها تعب ولا وجع {وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا} العناء والإعياء"<sup>(١٤)</sup>.  
قال الزجاج: "اللغوب الإعياء من التعب"<sup>(١٥)</sup>.  
عن ابن عباس، قوله: {لُغُوبٌ}، قال: إعياء"<sup>(١٦)</sup>. وفي رواية: "اللغوب: العناء"<sup>(١٧)</sup>.  
قال قتادة: "قد كان القوم ينصبون في الدنيا في طاعة الله وهم قوم جهدهم الله قليلا، ثم أراحهم كثيرا فهنئنا لهم"<sup>(١٨)</sup>.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٠٠): ص ٣١٨٣/١٠-٣١٨٤.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٩٤): ص ٣١٨٣/١٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٧٤/٢٠.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٩٩٩): ص ٣١٨٣/١٠.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٦) تفسير الطبري: ٤٧٤/٢٠.

(٧) معاني القرآن: ٢٧١/٤.

(٨) هو سلامة بن جندل، كما في اللسان (أوب). والتأويب: سير النهار أجمع.

(٩) معاني القرآن: ٣٧٠/٢.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٥٨/٣.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٠٠): ص ٣١٨٣/١٠-٣١٨٤.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٥٨/٣.

(١٤) تفسير الطبري: ٤٧٥/٢٠.

(١٥) معاني القرآن: ٢٧١/٤.

(١٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٠٢): ص ٣١٨٤/١٠.

(١٧) أخرجه الطبري: ٤٧٥/٢٠.

(١٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٠٠): ص ٣١٨٣/١٠-٣١٨٤.



قال عبد الله بن أبي أوفى: " قال رجل: يا رسول الله، إن النوم مما يقر الله به أعيننا في الدنيا فهل في الجنة من نوم؟ قال: «لا، إن النوم شريك الموت، وليس في الجنة موت، قال: يا رسول الله، فما راحتهم؟ فأعظم ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وقال: ليس فيها لغوب، كل أمرهم راحة، فنزلت: {ولا يمسنها فيها لغوب}»<sup>(١)</sup>.

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي: «لغوب» - بفتح اللام -<sup>(٢)</sup>. قال الزجاج: " والضم أكثر، ومعنى لغوب شيء يلغب منه، أي: لا نتكلف شيئاً نعيماً منه"<sup>(٣)</sup>.  
فوائد الآيات: [٣١-٣٥]:

- ١- وجوب العمل بالقرآن الكريم عقائد وعبادات وآداباً وأخلاقاً وقضاء وحكماً.
  - ٢- بيان شرف هذه الأمة، وأنه المرحومة فكل من دخل الإسلام بصدق وأدى الفرائض واجتنب المحارم فهو ناج فائز ومن قصر وظلم نفسه بارتكاب الكبائر ومات ولم يشرك بالله شيئاً فهو أنيل إلى دخول الجنة راجع إليها بإذن الله.
  - ٣- بيان نعيم أهل الجنة وحلية أهلها وهي الأساور من الذهب واللؤلؤ.
- وقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء"<sup>(٤)</sup>.

القرآن

**{وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ (٣٦) } [فاطر : ٣٦]**  
التفسير:

والذين كفروا بالله ورسوله لهم نار جهنم الموقدة، لا يُقضى عليهم بالموت، فيموتوا ويستريحوا، ولا يُخَفَّف عنهم من عذابها، ومثل ذلك الجزاء يجزي الله كلَّ من هو مبالغ في الكفر متمادٍ في الكفر مُصِرّاً عليه.

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ} [فاطر : ٣٦]، أي: "والذين كفروا بالله ورسوله لهم نار جهنم الموقدة"<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره {وَالَّذِينَ كَفَرُوا} بالله ورسوله، لهم نار جهنم مخلدين فيها لا حظ لهم في الجنة ولا نعيمها"<sup>(٦)</sup>.

قال ابن كثير: " لما ذكر تعالى حال السعداء ، شرع في بيان مآل الأشقياء ، فقال : { وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ.. }"<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: {لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا} [فاطر : ٣٦]، أي: " لا يُقضى عليهم بالموت، فيموتوا ويستريحوا"<sup>(٨)</sup>.

قال الطبري: " يقول: ولا يخفف عنهم من عذاب نار جهنم بإماتتهم، فيخفف ذلك عنهم"<sup>(٩)</sup>.

قال السدي: " يعني: لا ينزل بهم الموت فيموتوا"<sup>(١٠)</sup>.  
قال ابن كثير: "فهم في حالهم ذلك يرون موتهم راحة لهم ، ولكن لا سبيل إلى ذلك"<sup>(١١)</sup>.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٠١): ص ٣١٨٤/١٠.

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٢٧١/٤.

(٣) معاني القرآن: ٢٧١/٤.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبه (٥٨/١)، رقم ٦٠٧، ومسلم (٢١٩/١)، رقم ٢٥٠، وأحمد (٣٧١/٢)، رقم ٨٨٢٧، والنسائي في الكبرى (٩٥/١)، رقم ١٤٢، وأبو عوانة (٢٠٥/١)، رقم ٦٦٦.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٦) تفسير الطبري: ٤٧٥/٢٠.

(٧) تفسير ابن كثير: ٥٥٢/٦.

(٨) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٩) تفسير الطبري: ٤٧٥-٤٧٦/٢٠.

(١٠) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٩٣/٢.

وفي صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «أما أهل النار الذين هم أهلها ، فلا يموتون فيها ولا يحيون»<sup>(٢)</sup> .  
 عن قتادة: "لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ، بالموت {فَيَمُوتُوا}، لأنهم لو ماتوا لاستراحوا"<sup>(٣)</sup> .

قال ابو السوداء: "مساكين أهل النار لا يموتون، لو ماتوا لاستراحوا"<sup>(٤)</sup> .  
 عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، لكن ناساً، أو كما قال، تُصيَّبُهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ، أو قال: بخطاياهم، فَيُؤْتِيهِمْ إِمَاتَةً حَتَّىٰ إِذَا صَارُوا فَحْمًا أَذِنَ فِي الشَّفَاعَةِ، فجاء بهم ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُتُوا عَلَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فقال: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ فَيَبْتُؤُنَ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ" فقال رجل من القوم حينئذٍ: كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان بالبادية"<sup>(٥)</sup> .  
 قوله تعالى: {وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا} [فاطر : ٣٦]، أي: "وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ"<sup>(٦)</sup> .

قال الطبري: المعنى: "وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ هَذَا النَّوعِ مِنَ الْعَذَابِ"<sup>(٧)</sup> .  
 عن قتادة، أن عبد الله بن عمرو، كان يقول: "ما نزل في أهل النار آية هي أشد من هذه"<sup>(٨)</sup> .

قوله تعالى: {كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ} [فاطر : ٣٦]، أي: "ومثل ذلك الجزاء يجزي الله كل من هو مبالغ في الكفر متماد في الكفر مُصِرًّا عَلَيْهِ"<sup>(٩)</sup> .  
 قال الطبري: يقول: "هكذا يكافىء كل جحود لنعم ربه يوم القيامة؛ بأن يدخلهم نار جهنم بسينئاتهم التي قدموها في الدنيا"<sup>(١٠)</sup> .  
 قال ابن كثير: "أي : هذا جزاء كل من كفر بربه وكذب بالحق"<sup>(١١)</sup> .  
 قال قتادة: "كل كفور بربه"<sup>(١٢)</sup> .

## القرآن

{وَهُمْ يَصْطَرُخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٣٧)} [فاطر : ٣٧]  
 التفسير:

وهؤلاء الكفار يَصْرُخُونَ من شدة العذاب في نار جهنم مستغيثين: ربنا أخرجنا من نار جهنم، وردنا إلى الدنيا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمله في حياتنا الدنيا، فنؤمن بدل الكفر، فيقول لهم: أو لم نُعْمِرْكُمْ في الحياة قُدْرًا وافيًا من العُمُر، يتعظ فيه من اتعظ، وجاءكم النبي صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك لم تتذكروا ولم تتعظوا؟ فذوقوا عذاب جهنم، فليس للكافرين من ناصر ينصرهم من عذاب الله.

(١) تفسير ابن كثير: ٥٥٢/٦ .

(٢) صحيح مسلم برقم (١٨٥) .

(٣) أخرجه الطبري : ٤٧٥/٢٠ .

(٤) أخرجه الطبري: ٤٧٦ / ٢٠ .

(٥) أخرجه الطبري : ٤٧٦/٢٠ .

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٨ .

(٧) تفسير الطبري ٤٧٦ / ٢٠ .

(٨) رواه يحيى بن سلام في "التفسير" : ٧٩٤/٢ .

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٨ .

(١٠) تفسير الطبري ٤٧٦ / ٢٠ .

(١١) تفسير ابن كثير: ٥٥٢/٦ .

(١٢) رواه يحيى بن سلام في "التفسير" : ٧٩٤/٢ .

قوله تعالى: {وَهُمْ يَصْطَرُخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ} [فاطر : ٣٧]، أي: "وهؤلاء الكفار يصرخون من شدة العذاب في نار جهنم مستغيثين: ربنا أخرجنا من نار جهنم، وردنا إلى الدنيا نعمل صالحًا غير الذي كنا نعمله في حياتنا الدنيا، فنؤمن بدل الكفر"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: يقول: "هؤلاء الكفار يستغيثون ويضجون في النار، يقولون: يا ربنا أخرجنا نعمل صالحًا أي: نعمل بطاعتك، {غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ} قبل من معاصيك"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: يسألون الرجعة إلى الدنيا، ليعملوا غير عملهم الأول، وقد علم الرب، جل جلاله، أنه لو ردهم إلى الدار الدنيا، لعادوا لما نهوا عنه، وإنهم لكاذبون. فلماذا لا يجيبهم إلى سؤالهم، كما قال تعالى مخبراً عنهم في قولهم: {فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا} [غافر : ١١ ، ١٢]، أي: لا يجيبكم إلى ذلك لأنكم كنتم كذلك، ولو رددتم لعدتم إلى ما نهيتم عنه"<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: {أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَنْدَكُرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرُ} [فاطر : ٣٧]، أي: "فيقول لهم: أو لم نُهلِككم في الحياة قدرًا وافيًا من العمر، يتعظ فيه من اتعظ"<sup>(٤)</sup>.

قال ابو عبيدة: "أو لم نعمركم عمرا يتذكر فيه {مَنْ تَذَكَّرُ}، أي: يتوب ويراجع"<sup>(٥)</sup>.

قال الزجاج: "معناه: أو لم نعمركم العمر الذي يتذكر فيه من تذكر"<sup>(٦)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: أو ما عشتم في الدنيا أعمارا لو كنتم ممن ينتفع بالحق لانتفعتم به في مدة عمركم؟"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن عباس: "يعني به الشيب"<sup>(٨)</sup>.

وفي قوله تعالى: {أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَنْدَكُرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرُ} [فاطر : ٣٧]، وجوه:

أحدها: أنه البلوغ، قاله الحسن<sup>(٩)</sup>. لأنه أول زمان التذكر.

الثاني: سبع عشرة سنة. قاله علي بن الحسين زين العابدين<sup>(١٠)</sup>.

الثالث: ثماني عشرة سنة. قاله قتادة<sup>(١١)</sup>، وأبو غالب الشيباني<sup>(١٢)</sup>.

وقال قتادة: "اعلموا أن طول العمر حجة، فنعود بالله أن نغير بطول العمر، قال: نزلت

وإن فيهم لابن ثمان عشرة سنة"<sup>(١٣)</sup>.

الرابع: عشرون سنة. قاله وهب بن منبه<sup>(١٤)</sup>.

الخامس: أربعون سنة، قاله ابن عباس<sup>(١٥)</sup>، والحسن<sup>(١٦)</sup>، ومسروق<sup>(١٧)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٢) تفسير الطبري ٤٧٦/٢٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٥٢/٦-٥٥٣.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٥) مجاز القرآن: ١٥٦/٢.

(٦) معاني القرآن: ٢٧٢/٤.

(٧) تفسير ابن كثير: ٥٥٣/٦.

(٨) تفسير مجاهد: ٥٥٧.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٤٧٦/٤.

(١٠) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٥٣/٦.

(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٠٠٨): ص ٣١٨٥/١٠.

(١٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٥٣/٦.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٠٨): ص ٣١٨٥/١٠.

(١٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٥٣/٦.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٧/٢٠.

(١٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٠٠٧): ص ٣١٨٥/١٠.

(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٧/٢٠.

قال ابن عباس: "العمر الذي أعذر الله إلى ابن آدم {أولم نُعمرْكم ما يندكرُ فيه من تذكُر} أربعون سنة"<sup>(١)</sup>.

قال مسروق: "إذا بلغ أحدكم أربعين سنة فليأخذ حذره من الله"<sup>(٢)</sup>.  
السادس : ستون سنة ، قاله علي بن أبي طالب<sup>(٣)</sup>، وابن عباس ورواه مرفوعاً<sup>(٤)</sup>.

عن علي رضي الله عنه، قوله: " {أولم نُعمرْكم ما يندكرُ فيه من تذكُر وجاءكم النذير}، قال: العمر الذي عمركم الله به ستون سنة"<sup>(٥)</sup>.

عن ابن عباس: " {أولم نُعمرْكم ما يندكرُ فيه من تذكُر}، قال: ستون سنة"<sup>(٦)</sup>.

قال ابن عباس: "العمر الذي أعذر الله فيه لابن آدم ستون سنة"<sup>(٧)</sup>.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إذا كان يومُ القيامةِ يُودي: أين أبناء الستين، وهو العمر الذي قال الله: {أولم نُعمرْكم ما يندكرُ فيه من تذكُر وجاءكم النذير}"<sup>(٨)</sup>.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "من عمَّرهُ اللهُ ستين سنةً فقد أعذرَ إليه في العُمُر"<sup>(٩)</sup>.

السابع : سبعون سنة، لأنه آخر زمان التذکر ، وما بعده هرم . روى عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لقد أعذرَ اللهُ إلى صاحبِ الستين سنة والسبعين"<sup>(١٠)</sup>.

قال الطبري: الأثبه بالصواب " إذ كان الخبر الذي ذكرناه عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خبراً في إسناده بعض من يجب التثبت في نقله، قول من قال ذلك أربعون سنة، لأن في الأربعين يتناهى عقل الإنسان وفهمه، وما قبل ذلك وما بعده منتقص عن كماله في حال الأربعين"<sup>(١١)</sup>.

قال ابن كثير: " وذكر بعضهم أن العمر الطبيعي عند الأطباء مائة وعشرون سنة ، فالإنسان لا يزال في ازدياد إلى كمال الستين ، ثم يشرع بعد هذا في النقص والهرم ، كما قال الشاعر<sup>(١٢)</sup>:"

إذا بلغَ الفتى ستينَ عاماً... فقد ذهبَ المسرَّةُ والفتاءُ

ولما كان هذا هو العمر الذي يعذر الله إلى عباده به ، ويزيح به عنهم العلل ، كان هو الغالب على أعمار هذه الأمة ، كما ورد بذلك الحديث.. عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين ، وأقلهم من يجوز ذلك»<sup>(١٣)</sup><sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه الطبري: ٢٠ / ٤٧٧.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٠ / ٤٧٧.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٤٧٨.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٤٧٧.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠ / ٤٧٨.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠ / ٤٧٧.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٠ / ٤٧٧.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٠ / ٤٧٧.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٠ / ٤٧٧-٤٧٨.

(١٠) تفسير الطبري: ٢٠ / ٤٧٨.

(١٢) يروى البيت:

إذا عاش الفتى مائتين عاماً... فقد ذهب اللذاة والفتاء

وهو للربيع بن ضبع في أمالي المرتضى ١ / ٢٥٤، وخزانة الأدب ٧ / ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٥، والدرر ٤ / ٤١، وشرح التصريح ٢ / ٢٧٣، وشرح عمدة الحفاظ ص ٥٢٥، والكتاب ١ / ٢٠٨، ٢ / ١٦٢، ولسان العرب (فتا) ، والمقاصد النحوية ٤ / ٤٨١، وهمع الهوامع ١ / ١٣٥، وبلا نسبة في أدب الكاتب ص ٢٩٩، وأوضح المسالك ٤ / ٢٥٥، وجمهرة اللغة ص ١٠٣٢، وشرح الأشموني ٣ / ٦٢٣، وشرح المفصل ٦ / ٢١، ومجالس ثعلب ص ٣٣٣، والمقتضب ٢ / ١٦٩، والمنقوص والممدود ص ١٧.

(١٣) سنن الترمذي برقم (٣٥٥٠) وسنن ابن ماجه برقم (٤٢٣٦).

قوله تعالى: {وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ} [فاطر : ٣٧]، أي: "وجاءكم النبي صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك لم تتذكروا ولم تتعظوا؟" (١).  
قال ابن زيد: "الذير: النبي، وقرأ: {هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى}" (٢). وروي عن السدي نحوه (٤).

وعن عكرمة، قوله: " {وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ}، قال: الشيب" (٥).  
قال الزجاج: "القول الأول أن النبي - صلى الله عليه وسلم - النذير أكثر التفسير عليه" (٦).

قال قتادة: "احتج عليهم بالعمر والرسول" (٧).  
قوله تعالى: {فَذُوقُوا} [فاطر : ٣٧]، أي: "فذوقوا عذاب جهنم" (٨).  
قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: {فَذُوقُوا} نار عذاب جهنم الذي قد صليتموه أيها الكافرون بالله" (٩).

قوله تعالى: {فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ} [فاطر : ٣٧]، أي: "فليس للكافرين من ناصر ينصرهم من عذاب الله" (١٠).

قال الطبري: "يقول: فما للكافرين الذين ظلموا أنفسهم فأكسبوا غضب الله بكفرهم بالله في الدنيا من نصير ينصرهم من الله ليستنقذهم من عقابه" (١١).

قال ابن كثير: "أي: فذوقوا عذاب النار جزاء على مخالفتكم للأنبياء في مدة أعماركم، فما لكم اليوم ناصر ينفذكم مما أنتم فيه من العذاب والنكال والأغلال" (١٢).

## القرآن

{إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [فاطر : ٣٨]  
التفسير:

إن الله مطلع على كل غائب في السموات والأرض، وإنه عليم بخفايا الصدور، فاتقوه أن يطَّلِع عليكم، وأنتم تُضمرون الشك أو الشرك في وحدانيته، أو في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، أو أن تُعصوه بما دون ذلك.

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [فاطر : ٣٨]، أي: "ن الله مطلع على كل غائب في السموات والأرض، فلا يخفى عليه شأن من شؤونهما" (١٣).  
قال الطبري: "إن الله عالم ما تخفون أيها الناس في أنفسكم وتضمرونه، وما لم تضمروه ولم تنووه مما ستنونه، وما هو غائب عن أبصاركم في السموات والأرض" (١٤).  
قال مقاتل: "يعلم ما يكون فيهما وغيب ما في قلوبهم: أنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه" (١).

(١) تفسير ابن كثير: ٥٥٥/٦.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٧٨ / ٢٠.

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٠١٠): ص ٣١٨٥/١٠.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠١٢): ص ٣١٨٥/١٠.

(٦) معاني القرآن: ٢٧٢/٤.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٠٨): ص ٣١٨٥/١٠.

(٨) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٩) تفسير الطبري: ٤٧٩ / ٢٠.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(١١) تفسير الطبري: ٤٧٩ / ٢٠.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٥٥٦/٦.

(١٣) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(١٤) تفسير الطبري: ٤٧٩ / ٢٠.

قال الزجاج: "معنى يعلم، وعالم غيب على معنى: قد علم ذلك"<sup>(٢)</sup>.  
قال الحسن: "الغيب: ما غاب عنكم ما لم تروه"<sup>(٣)</sup>.  
عن الضحاك، في قوله: {وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}، قال: "جميع ما غاب عن العباد"<sup>(٤)</sup>.  
قوله تعالى: {إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [فاطر : ٣٨]، أي: "وإنه عليم بخفايا الصدور، فاتقوه أن يطلع عليكم وأنتم تُضمرون الشك أو الشرك في وحدانيته، أو في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، أو أن تعصوه بما دون ذلك"<sup>(٥)</sup>.  
قال مقاتل: "بما في القلوب"<sup>(٦)</sup>.  
قال الطبري: أي: "فاتقوه أن يطلع عليكم، وأنتم تضمرون في أنفسكم من الشك في وحدانية الله أو في نبوة محمد، غير الذي تبدونه بالسنتكم، {إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}"<sup>(٧)</sup>.  
قال ابن كثير: "يعلم ما تكنه السرائر وتنطوي عليه الضمائر، وسيجازي كل عامل بعمله"<sup>(٨)</sup>.  
قال القشيري: "أي: عالم بإخلاص المخلصين، وصدق الصادقين، ونفاق المنافقين، وجدد الكافرين"<sup>(٩)</sup>.  
عن محمد بن إسحاق، قوله: "{عليم}، أي: عليم بما تخفون"<sup>(١٠)</sup>.  
عن محمد بن إسحاق -من طريق سلمة- قال: {والله عليم بذات الصدور}، أي: لا يخفى عليه ما في صدورهم مما استخفوا به منكم"<sup>(١١)</sup>.  
عن الحسن: "{إنه عليم بذات الصدور}،: يعلم تلك الساعة"<sup>(١٢)</sup>.

## القرآن

{هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا حَسَارًا (٣٩)} [فاطر : ٣٩]  
التفسير:

الله هو الذي جعلكم -أيها الناس- يخلف بعضكم بعضاً في الأرض، فمن جحد وحدانية الله منكم فعلى نفسه ضرره وكفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا بغضاً وغباً، ولا يزيدهم كفرهم بالله إلا ضلالاً وهلاكاً.  
قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ} [فاطر : ٣٩]، أي: "الله هو الذي جعلكم -أيها الناس- يخلف بعضكم بعضاً في الأرض"<sup>(١٣)</sup>.  
قال الطبري: يقول: "الله الذي جعلكم أيها الناس خلائف في الأرض من بعد عاد وثمود، ومن مضى من قبلكم من الأمم فجعلكم تخلفونهم في ديارهم ومساكنهم"<sup>(١)</sup>.

- 
- (١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٥٩/٣.  
(٢) معاني القرآن: ٢٧٢/٤.  
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٢٠٤): ص١٨٦٤-١٨٦٥.  
(٤) تفسير الثعلبي ١٩٥/٥.  
(٥) التفسير الميسر: ٤٣٨.  
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٥٩/٣.  
(٧) تفسير الطبري: ٤٧٩/٢٠.  
(٨) تفسير ابن كثير: ٥٥٨/٦.  
(٩) لطائف الإشارات: ٢٠٨/٣.  
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٣٤٣): ص٢١٠٤/٧.  
(١١) أخرجه الطبري (٨٠٩٦): ص٣٢٥/٧-٣٢٦، و ابن المنذر (١٠٩٢): ص٤٥٨/٢، وابن أبي حاتم (٤٣٧٨): ص٧٩٦/٣.  
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٦٧٤): ص٢٠٠١/٦.  
(١٣) التفسير الميسر: ٤٣٨.

قال الزجاج: " {خلائف} جمع: خليفة، المعنى جعلكم أمة خلفت من قبلها - ورأت وشاهدت فيمن - سلف ما ينبغي أن يعتبر به" (٢).

قال ابن كثير: " أي : يخلف قوم لآخرين قبلهم ، وجيل لجيل قبلهم ، كما قال : { وَيَجْعَلْكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ } [النمل : ٦٢]" (٣).

قال قتادة: " أمة بعد أمة، وقرناً بعد قرن" (٤).

قوله تعالى: {فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ} [فاطر : ٣٩]، أي: " فمن جحد وحدانية الله منكم فعلى نفسه ضرره وكفره" (٥).

قال الطبري: يقول: " فمن كفر بالله منكم أيها الناس فعلى نفسه ضرره، لا يضر بذلك غير نفسه، لأنه المعاقب عليه دون غيره" (٦).

قال ابن كثير: " أي : فإنما يعود وبال ذلك على نفسه دون غيره" (٧).

قوله تعالى: {وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا} [فاطر : ٣٩]، أي: " ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا بغضاً وغبناً" (٨).

قال الطبري: يقول: " ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا بعداً من رحمة الله" (٩).

قال ابن كثير: " أي : كلما استمروا على كفرهم أبغضهم الله" (١٠).

قوله تعالى: {وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا} [فاطر : ٣٩]، أي: " ولا يزيدهم كفرهم بالله إلا ضللاً وهلاكاً" (١١).

قال الطبري: " يقول: " ولا يزيد الكافرين كفرهم بالله إلا هلاكاً" (١٢).

قال ابن كثير: " أي : وكلما استمروا في كفرهم خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ، بخلاف المؤمنين فإنهم كلما طال عمر أحدهم وحسن عمله ، ارتفعت درجته ومنزلته في الجنة ، وزاد أجره وأحبه خالقه وبارئه رب العالمين ، فسبحان المقدر المدبر رب العالمين" (١٣).

فوائد الآيات: [٣٦-٣٩]:

١- الكافر يعذب أبدا لعلم الله تعالى به وأنه لو عاش آلاف السنين ما أفلح عن كفره ولا حاول أن يتوب منه فلذا يعذب أبداً.

٢- في كون البشرية أجيالا جيلا يذهب وآخر يأتي مجال للعظة والعبرة والعاقلة من اعبر بغيره.

٣- الاستمرار على الكفر لا يزيد صاحبه إلا بعداً عن الرحمة ومقتاً عند الله تعالى والمقت أشد الغضب.

## القرآن

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِنْهُ بَلْ إِنَّ عِدَّ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا} (٤٠) { [فاطر : ٤٠]

(١) تفسير الطبري: ٤٧٩ / ٢٠.

(٢) معاني القرآن: ٢٧٢/٤.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٥٨/٦.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٨٠ / ٢٠.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٦) تفسير الطبري: ٤٨٠ / ٢٠.

(٧) تفسير ابن كثير: ٥٥٨/٦.

(٨) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٩) تفسير الطبري: ٤٨٠ / ٢٠.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٥٥٨/٦.

(١١) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(١٢) تفسير الطبري: ٤٨٠ / ٢٠.

(١٣) تفسير ابن كثير: ٥٥٨/٦.

التفسير:

قل -أيها الرسول- للمشركين: أخبروني أي شيء خلق شركاؤكم من الأرض، أم أن لشركائكم الذين تعبدونهم من دون الله شركًا مع الله في خلق السموات، أم أعطيناهم كتابًا فهم على حجة منه؟ بل ما يعبد الكافرون بعضهم بعضًا إلا غرورًا وخذاعًا.

قوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [فاطر : ٤٠]، أي: "أخبروني عن شأن آلهتكم الأوثان والأصنام، الذين عبدتموهم من دون الله، وأشركتموهم معه في العبادة، بأي شيء استحقوا هذه العبادة؟"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: {قُلْ} يا محمد لمشركي قومك {أَرَأَيْتُمْ} أيها القوم {شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ}..."<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: "يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين: { أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ } أي: من الأصنام والأنداد"<sup>(٣)</sup>.

قال الزمخشري: "«أروني» بدل من «أرأيتم»: لأن المعنى: أرأيتم أخبروني، كأنه قال: أخبروني عن هؤلاء الشركاء و عما استحقوا به الإلهية والشركة"<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: {أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ} [فاطر : ٤٠]، أي: "أروني أي شيء خلقوه في هذه الدنيا من المخلوقات حتى عبدتموهم من دون الله؟"<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: "يقول: أروني أي شيء خلقوا من الأرض"<sup>(٦)</sup>.

قال الزمخشري: "أروني أي جزء من أجزاء الأرض استبدوا بخلقه دون الله"<sup>(٧)</sup>.

قال قتادة: "لا شيء والله خلقوا منها"<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: {أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ} [فاطر : ٤٠]، أي: "أم أن لشركائكم الذين تعبدونهم من دون الله شركًا مع الله في خلق السموات"<sup>(٩)</sup>.

قال الطبري: "يقول: أم لشركائكم شرك مع الله في السموات إن لم يكونوا خلقوا من الأرض شيئًا"<sup>(١٠)</sup>.

قال الزمخشري: "أم لهم مع الله شركة في خلق السموات"<sup>(١١)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: ليس لهم شيء من ذلك، ما يملكون من قطمير"<sup>(١٢)</sup>.

قال قتادة: "لا والله ما لهم فيها شرك"<sup>(١٣)</sup>.

قوله تعالى: {أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَاتٍ مِنْهُ} [فاطر : ٤٠]، أي: "أم أعطيناهم كتابًا فهم على حجة منه؟"<sup>(١٤)</sup>.

قال الطبري: "يقول: أم آتينا هؤلاء المشركين كتابًا أنزلناه عليهم من السماء بأن يشركوا بالله الأوثان والأصنام، فهم على بينة منه، فهم على برهان مما أمرتهم فيه من الإشراك بي"<sup>(١٥)</sup>.

(١) انظر: الكشاف: ٦١٧/٣، وصفوة التفسير: ٥٣٢/٢.

(٢) تفسير الطبري: ٤٨٠/٢٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٥٧/٦.

(٤) الكشاف: ٦١٧/٣.

(٥) صفوة التفسير: ٥٣٢/٢.

(٦) تفسير الطبري: ٤٨٠/٢٠.

(٧) الكشاف: ٦١٧/٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٨٠/٢٠.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٩.

(١٠) تفسير الطبري: ٤٨٠/٢٠.

(١١) الكشاف: ٦١٧/٣.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٥٥٧/٦.

(١٣) أخرجه الطبري: ٤٨٠/٢٠.

(١٤) التفسير الميسر: ٤٣٩.

(١٥) تفسير الطبري: ٤٨٠/٢٠.



قال الزمخشري: "أم معهم كتاب من عند الله ينطق بأنهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب"<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: أم أنزلنا عليهم كتابا بما يقولون من الشرك والكفر"<sup>(٢)</sup>.

قال قتادة: "يقول: أم آتيناهم كتابا فهو يأمرهم أن يشركوا"<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: {بَلْ إِنْ يَعْذُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا} [فاطر : ٤٠]، أي: بل ما يَعدُّ الكافرون بعضهم بعضًا إلا غرورًا وخداعًا"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: أي: "ليس الأمر كذلك، بل إنما اتبعوا في ذلك أهواءهم وآراءهم وأمانيتهم التي تمنوها لأنفسهم، وهي غرور وباطل وزور"<sup>(٥)</sup>.

قال الزمخشري: "بل إن يعد بعضهم بعضًا: وهم الرؤساء، {بعضًا}: وهم الأتباع {إلا غرورًا}: وهو قولهم: هؤلاء شفاعونا عند الله"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: "وذلك قول بعضهم لبعض {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}، خداعًا من بعضهم لبعض وغرورًا، وإنما تزلفهم آلهتهم من النار، وتفصيهم من الله ورحمته"<sup>(٧)</sup>.

## القرآن

{إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكْتُهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤١)} [فاطر : ٤١]

التفسير:

إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا عن مكانهما، ولئن زالت السماوات والأرض عن مكانهما ما يمسكهما من أحد من بعده. إن الله كان حلِيمًا في تأخير العقوبة عن الكافرين والعصاة، غفورًا لمن تاب من ذنبه ورجع إليه.

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا} [فاطر : ٤١]، أي: "إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا عن مكانهما"<sup>(٨)</sup>.

قال الطبري: "لئلا تزولا من أماكنهما"<sup>(٩)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: أن تضطربا عن أماكنهما، كما قال: { وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ } [الحج : ٦٥] ، وقال تعالى: { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ } [الروم : ٢٥]"<sup>(١٠)</sup>.

عن السدي: {أَنْ تَزُولَا}، يعني: "لئلا تزولا"<sup>(١١)</sup>.

عن قتادة، قوله: " {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا} من مكانهما"<sup>(١٢)</sup>.

قوله تعالى: {وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكْتُهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ} [فاطر : ٤١]، أي: "ولئن زالت السماوات والأرض عن مكانهما ما يمسكهما من أحد من بعده"<sup>(١٣)</sup>.

قال الطبري: "يقول: ولو زالتا، ما أمسكهما أحد سواه"<sup>(١)</sup>.

(١) الكشاف: ٦١٧/٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٥٧/٦.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٨٠/٢٠-٤٨١.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٩.

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٥٧/٦.

(٦) الكشاف: ٦١٧/٣.

(٧) تفسير الطبري: ٤٨١/٢٠.

(٨) التفسير الميسر: ٤٣٩.

(٩) تفسير الطبري: ٤٨١/٢٠.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٥٥٧/٦.

(١١) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٩٥-٧٩٦.

(١٢) أخرجه الطبري: ٤٨١/٢٠.

(١٣) التفسير الميسر: ٤٣٩.

قال ابن كثير: " أي : لا يقدر على دوامهما وإبقائهما إلا هو" (٢).  
 عن هارون بن موسى الأعور-من طريق النضر-  
 :{ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده}، تفسيرها في قول أبي: لو زالتا. وهي لغة أهل  
 اليمن، يجعلون «لو»: «لئن» في كلام أهل اليمن" (٣).

قال أبو وائل: "جاء رجل إلى عبد الله فقال: من أين جئت؟ قال: من الشام. قال: من  
 لقيت؟ قال: لقيت كعباً. فقال: ما حدثك كعب؟ قال: حدثني أن السماوات تدور على منكب ملك.  
 قال: فصدفته أو كذبتة؟ قال: ما صدفته ولا كذبتة. قال: لوددت أنك افتديت من رحلتك إليه  
 براحتك ورحلها، وكذب كعب، إن الله يقول: {إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ  
 زَالَتَا إِنَّ أَمْسَكُهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ} (٤).

قال إبراهيم: "ذهب جندب البجلي إلى كعب الأحبار فقدم عليه ثم رجع فقال له عبد الله:  
 حدثنا ما حدثك. فقال: حدثني أن السماء في قطب كقطب الرحاء، والقطب عمود على منكب ملك.  
 قال عبد الله: لوددت أنك افتديت رحلتك بمثل رحلتك، ثم قال: ما تنتكت اليهودية في قلب عبد  
 فكادت أن تفارقه، ثم قال: {إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا} كفى بها زوالاً أن  
 تدور" (٥).

قوله تعالى: {إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} [فاطر : ٤١]، أي: "إن الله كان حلماً في تأخير  
 العقوبة عن الكافرين والعصاة، غفوراً لمن تاب من ذنبه ورجع إليه" (٦).

قال الطبري: يقول: "إن الله كان حلماً عمن أشرك وكفر به من خلقه في تركه تعجيل  
 عذابه له، غفوراً لذنوب من تاب منهم، وأنان إلى الإيمان به، والعمل بما يرضيه" (٧).

قال ابن كثير: "وهو مع ذلك حلیم غفور، أي : يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه،  
 وهو يحلم فيؤخر وينظر ويؤجل ولا يعجل ، ويستتر آخرين ويغفر" (٨).

عن قتادة: "إنه كان حلماً} عن خلقه، فلا يعجل كعجلة بعضهم على بعض، {غفوراً}  
 لهم إذا تابوا" (٩).

قال الحسن: "الحلیم: الرحيم" (١٠).

قال سلمة بن وهرام صاحب طاووس: "أن الله تبارك وتعالى إنما سمي نفسه «العفو»،  
 ليعفو، و«الغفور»، ليعفر" (١١).

عن أبي هريرة، قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي عن موسى صلى  
 الله عليه وسلم على المنبر، قال: وقع في نفس موسى: هل ينال الله تعالى ذكره؟ فأرسل الله إليه  
 ملكاً فأرّقه ثلاثاً، ثم أعطاه قارورتين في كل يد قارورة، أمره أن يحتفظ بهما. قال: فجعل ينال  
 وتكاد يدها تلتقيان، ثم يستيقظ فيحبس إحداها عن الأخرى، ثم نام نومة فاصطفقت يدها  
 وانكسرت القارورتان. قال: ضرب الله مثلاً له أن الله لو كان ينال لم تستمسك السماء  
 والأرض" (١٢).

(١) تفسير الطبري: ٤٨١ / ٢٠.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٥٧/٦.

(٣) أخرجه إسحاق البستي ص ١٧٥.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٨١-٤٨٢ / ٢٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٨٢ / ٢٠.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٩.

(٧) تفسير الطبري: ٤٨٢ / ٢٠.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٥٧/٦.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٥٦/١٧.

(١٠) أخرجه ابي حاتم (١١٠٤٢) ص: ٢٠٥٨/٦.

(١١) أخرجه ابن ابي حاتم (٥٣٧٩) ص: ٩٦٣/٣.

(١٢) أخرجه الطبري (٥٧٨٠) ص: ٣٩٤/٥، وابن ابي حاتم (١٨٠١٥) ص: ٣١٨٦/١٠. وفي سنده إسحاق بن  
 إسرائيل-واسمه إبراهيم- بن كما مجرا، أبو يعقوب المروزي" نزيل بغداد. روى عنه البخاري في الأدب

قال ابن كثير: "والظاهر أن هذا الحديث ليس بمرفوع ، بل من الإسرائيليات المنكرة فإن موسى عليه السلام أجلّ من أن يُجَوِّزَ على الله سبحانه وتعالى النوم ، وقد أخبر الله تعالى في كتابه العزيز بأنه : { الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ } [البقرة : ٢٥٥]. وثبت في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري ، رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن الله لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسطن ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل ، حجاب النور أو النار ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»<sup>(١)</sup> .<sup>(٢)</sup>

قال ابن كثير: "وروي عن مالك أنه قال : «السماء لا تدور». واحتج بهذه الآية ، وبحديث : «إن بالمغرب بابا للتوبة لا يزال مفتوحا حتى تطلع الشمس منه»<sup>(٣)</sup> .<sup>(٤)</sup>

## القرآن

{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤٢)} [فاطر : ٤٢]

التفسير:

وأقسم كفار قريش بالله أشد الأيمان: لئن جاءهم رسول من عند الله يخوفهم عقاب الله لَيَكُونُنَّ أكثر استقامة واتباعاً للحق من اليهود والنصارى وغيرهم، فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم ما زادهم ذلك إلا بُعْدًا عن الحق ونفوراً منه.

قوله تعالى: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ} [فاطر : ٤٢]، أي: "وأقسم كفار قريش بالله أشد الأيمان: لئن جاءهم رسول من عند الله يخوفهم عقاب الله لَيَكُونُنَّ أكثر استقامة واتباعاً للحق من اليهود والنصارى وغيرهم"<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: يقول: "وأقسم هؤلاء المشركون بالله جهد أيمانهم، يقول: أشد الإيمان فبالغوا فيها، لئن جاءهم من الله منذر ينذرهم بأس الله لَيَكُونُنَّ أسلك لطريق الحق وأشد قبولاً لما يأتيهم به النذير من عند الله، من إحدى الأمم التي خلت من قبلهم"<sup>(٦)</sup>.

قال الزجاج: "يعني: المشركين، وكانوا حلفوا واجتهدوا {لئن جاءهم نذير لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ}، أي: من اليهود والنصارى وغيرهم"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن كثير: "يخبر تعالى عن قريش والعرب أنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم ، قبل إرسال الرسول إليهم : { لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ } أي : من جميع الأمم الذين أرسل إليهم الرسل.. كقوله تعالى : { أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ

المفرد، وأبو داود والنسائي وغيرهم. قال ابن معين: "من ثقات المسلمين، ما كتب حديثاً قط عن أحد من الناس، إلا ما خطه هو في ألواح أو كتابه".

وكرهه أحمد لوقفه في أن القرآن كلام الله غير مخلوق، فتركه الناس حتى كان الناس يملكون بمسجده، وهو فيه وحيد لا يقربه أحد. وقال أبو زرعة: "عندي أنه لا يكذب، وحدث بحديث منكر". مات سنة ٢٤٠. مترجم في التهذيب.

(١) صحيح مسلم برقم (١٧٩) وليس في صحيح البخاري ، فإن الحافظ ذكره عند تفسير الآية : ٢٥٥ من سورة البقرة فقال : "وفي الصحيح هكذا بالإفراد".

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٥٨/٦.

(٣) انظر: سنن الترمذي برقم (٣٥٣٦) وصحيح ابن خزيمة برقم (١٩٣) والمسند للإمام أحمد (٤/٢٤٠) من حديث صفوان بن عسال ، رضي الله عنه ، ولفظه عند ابن خزيمة : "إن بالمغرب بابا للتوبة مسيرته سبعون سنة لا يغلح حتى تطلع الشمس من مغربها" نحوه.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٥٨/٦.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٩.

(٦) تفسير الطبري: ٤٨٢ / ٢٠.

(٧) معاني القرآن: ٢٧٤/٤.

مِنْ رَبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا { [الأنعام : ١٥٦ ، ١٥٧] ، وكقوله تعالى: { وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ } [الصفافات : ١٦٧ - ١٧٠]"<sup>(١)</sup>.

عن ابن جريج، في قوله: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ} قال: قرئش {لِيَكُونَنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ} قال: أهل الكتاب"<sup>(٢)</sup>.

عن مجاهد: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ}، قال: هي يمين"<sup>(٣)</sup>.

عن مجاهد، قال: القسمُ يمين. ثم قرأ: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ}"<sup>(٤)</sup>.

عن زائدة، قال: "قرأ سليمان الأعمش وزعم أن يحيى بن وثاب قرأ: "وأقسموا

بالله جهد أيمانهم" هو الحلف"<sup>(٥)</sup>.

قال محمد بن السائب الكلبي: "إذا حلف الرجل بالله سبحانه فهو جهْدٌ بيمينه"<sup>(٦)</sup>.

عن أبي هلال: "أنه بلغه أن قريشا كانت تقول: أن الله بعث منا نبيا ما كانت أمة من

الأمم أطوع لخالقها ولا أسمع لنبئها ولا أشد تمسكا بكتابها منا، فأنزل الله: {لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ} [الصفافات : ١٦٨] {لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ} [الأنعام : ١٥٧] ، {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ} [فاطر : ٤٢] ، وكانت اليهود تستفتح به على الأنصار فيقولون: إنا نجد نبيا يخرج"<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا بُعْدًا} [فاطر : ٤٢] ، أي: "فلما جاءهم محمد

صلى الله عليه وسلم ما زادهم ذلك إلا بُعْدًا عن الحق ونفورًا منه"<sup>(٨)</sup>.

قال الطبري: "يقول: فلما جاءهم محمد ينذرهم عقاب الله على كفرهم، ما زادهم مجيئه

من الإيمان بالله واتباع الحق وسلوك هدى الطريق، إلا نفورًا وهربًا"<sup>(٩)</sup>.

قال الزجاج: "فلما جاءهم نذير، وهو محمد - صلى الله عليه وسلم -، ما زادهم إلا

نفورًا، إلا أن نفروا عن الحق"<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن كثير: "فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ" - وهو : محمد صلى الله عليه وسلم - بما أنزل معه

من الكتاب العظيم ، وهو القرآن المبين، ما ازدادوا إلا كفرًا إلى كفرهم"<sup>(١١)</sup>.

عن قتادة، قوله: "فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ" ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم"<sup>(١٢)</sup>.

## القرآن

{اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا } [فاطر : ٤٣]

التفسير:

ليس إقسامهم لقصد حسن وطلبًا للحق، وإنما هو استكبار في الأرض على الخلق، يريدون به المكر السيئ والخذاع والباطل، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله، فهل ينتظر المستكبرون

(١) تفسير ابن كثير: ٥٥٩/٦.

(٢) الدر المنثور: ٣٦/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٧٤٩)ص:٢٦٢٤/٨.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ٥٥٨ /٧ (١٢٤٥٦).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٤٧٥٠)ص:٢٦٢٤/٨.

(٦) تفسير الثعلبي ١٧٩ /٤ ، وتفسير البيهقي ١٧٧ /٣.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠١٨)ص:٣١٨٧/١٠.

(٨) التفسير الميسر: ٤٣٩.

(٩) تفسير الطبري: ٤٨٣ /٢٠.

(١٠) معاني القرآن: ٢٧٤/٤.

(١١) تفسير ابن كثير: ٥٥٩/٦.

(١٢) أخرجه الطبري: ٤٨٣ /٢٠.

الماكرون إلا العذاب الذي نزل بأمثالهم الذين سبقوهم، فلن تجد لطريقة الله تبديلا ولا تحويلا فلا يستطيع أحد أن يُبدّل، ولا أن يُحوّل العذاب عن نفسه أو غيره.

قوله تعالى: {سَتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ} [فاطر : ٤٣]، أي: "ليس إقسامهم لقصْد حسن وطلبًا للحق، وإنما هو استكبار في الأرض على الخلق، يريدون به المكر السيئ والخداع والباطل"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: "يقول: نفروا استكبارًا في الأرض وخذعة سيئة، وذلك أنهم صدوا الضعفاء عن اتباعه مع كفرهم به. والمكر هاهنا: هو الشرك"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: استكبروا عن اتباع آيات الله، ومكروا بالناس في صدّهم إياهم عن سبيل الله"<sup>(٣)</sup>.

قال الزجاج: "استكبارا { نصب، مفعول له، المعنى: ما زادهم إلا أن نفروا للاستكبار، {ومكر السيئ}، أي: ومكر الشرك"<sup>(٤)</sup>.

عن قتادة: "وَمَكْرَ السَّيِّئِ، وهو الشرك"<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: {وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ} [فاطر : ٤٣]، أي: "ولا يحيط وبال المكر السيئ إلا بمن مكره ودبره"<sup>(٦)</sup>.

قال أبو عبيدة: "لا ينزل ولا يجاوز ولا يحيط إلا بأهله"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: "يقول: ولا ينزل المكر السيئ إلا بالذين يمكرونه، والمعنى: أنه لا يحل مكروه ذلك المكر الذي مكره هؤلاء المشركون إلا بهم"<sup>(٨)</sup>.

قال السمعاني: "أي: لا تنزل عقوبة المكر السيئ إلا بأهله، وحقيقة المعنى: أن وبال المكر راجع إليهم"<sup>(٩)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: وما يعود وبال ذلك إلا عليهم أنفسهم دون غيرهم"<sup>(١٠)</sup>.

قال مقاتل: "مكر السيئ قول الشرك، ولا يدور قول الشرك إلا بأهله"<sup>(١١)</sup>.

عن قتادة: "وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ، وهو الشرك"<sup>(١٢)</sup>.

عن أبي زكريا الكوفي عن رجل حدثه: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إياك ومكر السيئ، فإنه لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله، ولهم من الله طالب"<sup>(١٣)</sup>.

عن محمد بن كعب الفرّطي: "ثلاث من فعلهن لم ينج حتى ينزل به من مكر أو بغي أو نكث، وتصديقها في كتاب الله: { وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ } . { إِنَّمَا بَعَيْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ } [يونس : ٢٣] ، { فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ } [الفتح : ١٠] "<sup>(١٤)</sup>.

قوله تعالى: {فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ} [فاطر : ٤٣]، أي: "فهل ينتظر هؤلاء المشركون إلا عادة الله وسنته في الأمم المتقدمة، من تعذيبهم وإهلاكهم بتكذيبهم للرسول؟"<sup>(١٥)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٣٩.

(٢) تفسير الطبري: ٤٨٣ / ٢٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٥٩ / ٦.

(٤) معاني القرآن: ٢٧٤ / ٤ - ٢٧٥.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٨٣ / ٢٠.

(٦) صفوة التفاسير: ٥٣٢ / ٢.

(٧) مجاز القرآن: ١٥٦ / ٢.

(٨) تفسير الطبري: ٤٨٤ / ٢٠.

(٩) تفسير السمعاني: ٣٦٤ / ٤.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٥٥٩ / ٦.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠ / ٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٤٨٤ / ٢٠.

(١٣) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٩ / ٦، وهذا مرسل ولم أجد من أخرجه غير ابن أبي حاتم، وقد روى ابن المبارك في الزهد برقم (٧٢٥) عن الزهري مرسلًا نحوه.

(١٤) تفسير ابن كثير: ٥٥٩ / ٦.

قال الطبري: " فهل ينتظر هؤلاء المشركون من قومك يا محمد إلا سنة الله بهم في عاجل الدنيا على كفرهم به أليم العقاب، يقول: فهل ينتظر هؤلاء إلا أن أحل بهم من نعمتي على شركهم بي وتكذيبهم رسولي مثل الذي أحللت بمن قبلهم من أشكالهم من الأمم" (٢).

قال الزجاج: " المعنى: فهل ينتظرون إلا أن ينزل بهم من العذاب مثل الذي نزل بمن قبلهم" (٣).

قال أبو عبيدة: {إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ}، معناه: "إلّا دأب الأولين وفعلهم وصنيعهم" (٤).

قال السمعاني: " أي: طريقة الأولين في الإهلاك ونزول العذاب لهم" (٥).

قال ابن كثير: " يعني : عقوبة الله لهم على تكذيبهم رسله ومخالفتهم أمره" (٦).

قال الضحاك: " هل ينظرون إلا أن يصيبهم من العذاب مثل ما أصاب الأولين من العذاب" (٧).

عن قتادة، قوله: " {فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ}، أي: عقوبة الأولين" (٨).

قوله تعالى: {فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} [فاطر : ٤٣]، أي: " فلن تتغير ولن تتبدل سنته تعالى في خلقه" (٩).

قال أبو عبيدة: " أي: في خلقه الأولين والآخرين «تبديلاً»" (١٠).

قال الطبري: " يقول: فلن تجد يا محمد لسنة الله تغييراً" (١١).

قال ابن كثير: " أي: لا تغير ولا تبدل ، بل هي جارية كذلك في كل مكذب" (١٢).

قال ابن أبي زمنين: أي: " لا يبدل الله بها غيرها" (١٣).

قال المراغي: أي: " لن يجعل الرحمة موضع العذاب" (١٤).

قوله تعالى: {وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا} [فاطر : ٤٣]، أي: " فلن تجد لطريقة الله تحويلاً، فلا يستطيع أحد أن يحول العذاب من المكذبين إلى غيرهم" (١٥).

قال الطبري: " يقول: ولن تجد لسنة الله في خلقه تبديلاً، يقول: لن يغير ذلك ولا يبدله؛ لأنه لا مرد لقضائه" (١٦).

قال ابن كثير: " أي : { وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ } [الرعد : ١١] ، ولا يكشف ذلك عنهم ، ويحوله عنهم أحد" (١٧).

قال المراغي: أي: " لن يحول العذاب من نفس إلى أخرى" (١٨).

قال السمعاني: " المراد من التكرار في قوله: {فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا: هو التأكيد" (١٩).

- 
- (١) صفوة التفاسير: ٥٣٢/٢.
  - (٢) تفسير الطبري: ٤٨٤ / ٢٠.
  - (٣) معاني القرآن: ٢٧٦/٤.
  - (٤) مجاز القرآن: ١٥٦/٢.
  - (٥) تفسير السمعاني: ٣٦٤/٤.
  - (٦) تفسير ابن كثير: ٥٥٩/٦.
  - (٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٢٢): ص ٣١٨٧/١٠، وانظر: لدر المنثور: ٣٦/٧، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.
  - (٨) أخرجه الطبري: ٤٨٤ / ٢٠.
  - (٩) صفوة التفاسير: ٥٣٢/٢.
  - (١٠) مجاز القرآن: ١٥٦/٢.
  - (١١) تفسير الطبري: ٤٨٤ / ٢٠.
  - (١٢) تفسير ابن كثير: ٥٦٠-٥٥٩/٦.
  - (١٣) تفسير ابن أبي زمنين: ٣٦/٤.
  - (١٤) تفسير المراغي: ١٤٠/٢٢.
  - (١٥) انظر: صفوة التفاسير: ٥٣٢/٢، والتفسير الوسيط، مجمع البحوث: ٣٣٨/٨.
  - (١٦) تفسير الطبري: ٤٨٤ / ٢٠.
  - (١٧) تفسير ابن كثير: ٥٦٠/٦.
  - (١٨) تفسير المراغي: ١٤٠/٢٢.

قال ابن زنين: "وأخر عذاب كفار آخر هذه الأمة إلى النفخة الأولى بالاستئصال؛ بها يكون هلاكهم، وقد عذب أوائل مشركي هذه الأمة بالسيف يوم بدر"<sup>(٢)</sup>.  
فوائد الآيات: [٤٠-٤٣]:

- ١- تقرير التوحيد وإبطال الشرك والتنديد.
- ٢- بيان أن المشركين لا دليل لهم على صحة الشرك لا من عقل ولا من كتاب.
- ٣- بيان قدرة الله ولطفه بعباده ورحمته بهم في إمساك السموات والأرض عن الزوال.
- ٤- بيان كذب المشركين، ورجوعهم عما كانوا يتقاولونه بينهم من أنه لو أرسل إليهم رسول لكانوا أهدى من اليهود أو النصارى.
- ٥- تقرير حقيقة وهي أن المكر السيء عائد على أهله لا على غيرهم وفي هذا يرى أن ثلاثة على أهلها رواجع، وهي: المكر السيء، والبغي، والنكث، لقوله تعالى: {إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ}، وقوله {فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ}، وقوله {وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ}.

### القرآن

{أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (٤٤)} [فاطر : ٤٤]

التفسير:

أو لم يسر كفار «مكة» في الأرض، فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كعاد وثمرود وأمثالهم، وما حلَّ بهم من الدمار، وبديارهم من الخراب، حين كذبوا الرسل، وكان أولئك الكفرة أشد قوة وبطشًا من كفار «مكة»؟ وما كان الله تعالى ليعجزه ويفوته من شيء في السموات ولا في الأرض، إنه كان عليمًا بأفعالهم، قديرًا على إهلاكهم.

قوله تعالى: {أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [فاطر : ٤٤]، أي: "أو لم يسر كفار «مكة» في الأرض، فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كعاد وثمرود وأمثالهم، وما حلَّ بهم من الدمار، وبديارهم من الخراب، حين كذبوا الرسل"<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: يقول: "أولم يسر يا محمد هؤلاء المشركون بالله في الأرض التي أهلكنا أهلها بكفرهم بنا وتكذيبهم رسلنا فإنهم تجار يسلكون طريق الشام {فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} من الأمم التي كانوا يمرون بها ألم نهلكهم ونخرب مساكنهم ونجعلهم مثلًا لمن بعدهم، فيتعظوا بهم وينزجروا عما هم عليه من عبادة الألهة بالشرك بالله"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: "يقول تعالى: قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بما جنتهم به من الرسالة: سيروا في الأرض، فانظروا كيف كان عاقبة الذين كذبوا الرسل"<sup>(٥)</sup>.

قال يحيى: "أي: بلى قد ساروا، فلو تفكروا فيما أهلك الله به الأمم فيحذروا أن ينزل بهم ما نزل بهم وكان عاقبة الذين من قبلهم أن {دمر الله عليهم} [محمد: ١٠] ثم صيرهم إلى النار"<sup>(٦)</sup>.

عن عباد بن منصور، قال: "سألت الحسن، عن قوله: {قل سيروا في الأرض}، قال: لم يسيروا في الأرض"<sup>(٧)</sup>.

(١) تفسير السمعاني: ٣٦٤/٤.

(٢) تفسير ابن أبي زنين: ٣٦/٤.

(٣) التفسير الميسر: ٤٣٩.

(٤) تفسير الطبري: ٤٨٥ / ٢٠.

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٦١/٦.

(٦) يحيى بن سلام: ٧٩٧/٢.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٥٥٢): ص ٢٩١٦/٩.

قال الحسن: " فينظروا كيف عذب الله قوم نوح وقوم لوط، وقوم صالح، والأمم التي عذب الله" (١).

قال قتادة: " عاقبة الأولين والأمم قبلكم. قال: كان سوء عاقبة، متعمه الله قليلا ثم صاروا إلى النار" (٢).

قال قتادة: " بنس والله، كان عاقبة المجرمين، دمر الله عليهم، وأهلكهم، ثم صيرهم إلى النار" (٣).

قوله تعالى: {وَكَاثِرُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً} [فاطر : ٤٤]، أي: " وكان أولئك الكفرة أشد قوة وبطشًا من كفار «مكة»" (٤).

قال الطبري: يقول: " ويعلموا أن الذي فعل بأولئك ما فعل {وَكَاثِرُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً}، لن يتعذر عليه أن يفعل بهم مثل الذي فعل بأولئك من تعجيل النعمة والعذاب لهم" (٥).

قال ابن كثير: " سلبوا ما كانوا فيه من النعم بعد كمال القوة ، وكثرة العدد والعُدَد ، وكثرة الأموال والأولاد ، فما أغنى ذلك شيئاً ، ولا دفع عنهم من عذاب الله من شيء ، لما جاء أمر ربك" (٦).

عن السدي: {وَكَاثِرُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً}، " يعني: بطشاً" (٧).

قال قتادة: " يخبركم أنه أعطى القوم ما لم يعطكم" (٨).

عن عبد الله بن عمرو، في قوله: {كَاثِرُوا هُم أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً}، قال: "كان الرجل ممن كان قبلكم بين منكبيه ميل" (٩).

قوله تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ}، أي: " وما كان الله تعالى ليعجزه ويفوته من شيء في السماوات ولا في الأرض" (١٠).

قال الطبري: يقول: " ولن يعجزنا هؤلاء المشركون بالله من عبدة الآلهة المكذبون محمداً، فيسبقونا هرباً في الأرض إذا نحن أردنا هلاكهم؛ لأن الله لم يكن ليعجزه شيء يريده في السماوات ولا في الأرض، ولن يقدر هؤلاء المشركون أن ينفذوا من أقطار السماوات والأرض" (١١).

قال ابن كثير: أي: " لا يعجزه شيء ، إذا أراد كونه في السماوات والأرض؟" (١٢).

عن السدي، قوله: " {وما كان الله ليعجزه}، قال: لن يفوته" (١٣).

قال الزجاج: " المعنى: ليفوته من شيء من أمر السماوات ولا من أمر الأرض" (١٤).

قال أبو عبيدة: " أي: ليسبقه، ولا يفوته ولا يخفى عليه" (١٥).

قوله تعالى: {إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيرًا} [فاطر : ٤٤]، أي: " إنه كان عليماً بأفعالهم، قديرًا على إهلاكهم" (١).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٥٥٤): ص ٢٩١٦/٩.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٥٥٥): ص ٢٩١٦/٩.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٥٥٣): ص ٢١٦/٩، والطبري (١٣٠٩٥): ص ٢٧٣/١١ [باختصار].

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٩.

(٥) تفسير الطبري: ٤٨٥ / ٢٠.

(٦) تفسير ابن كثير: ٥٦١/٦.

(٧) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٦٤٧/٢.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٨٥ / ٢٠.

(٩) الدر المنثور: ٤٨٥/٣، ٤٨٤/٦، ٤٨٥-٤٨٤/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٣٩.

(١١) تفسير الطبري: ٤٨٥ / ٢٠.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٥٦١/٦.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٢٣): ص ٣١٨٧/١٠.

(١٤) معاني القرآن: ٢٧٦/٤.

(١٥) مجاز القرآن: ١٥٦/٢.



قال الطبري: يقول: "إن الله كان عليماً بخلقه، وما هو كائن، ومن هو المستحق منهم تعجيل العقوبة، ومن هو عن ضلالتهم راجع إلى الهدى آيب، قديراً على الانتقام ممن شاء منهم، وتوفيق من أراد منهم للإيمان"<sup>(٢)</sup>.  
قال ابن كثير: أي: عليم بجميع الكائنات، قدير على مجموعها"<sup>(٣)</sup>.  
عن محمد بن إسحاق، قوله: "عليماً"، أي: عليم بما تخفون"<sup>(٤)</sup>، "قديراً"، أي: إن الله على كل شيء ما أراد بعباده من نعمة أو عفو فهو قدير"<sup>(٥)</sup>.

## القرآن

{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فِإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا (٤٥)} [فاطر : ٤٥]  
التفسير:

ولو يعاقب الله الناس بما عملوا من الذنوب والمعاصي ما ترك على ظهر الأرض من دابة تدب عليها، ولكن يؤخر عقابهم إلى وقت معلوم عنده، فإذا جاء وقت عقابهم فإن الله كان بعباده بصيراً، لا يخفى عليه أحد منهم، ولا يعزب عنه علم شيء من أمورهم، وسيجازيهم بما عملوا من خير أو شر.

قوله تعالى: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ} [فاطر : ٤٥]، أي: "ولو يعاقب الله الناس بما عملوا من الذنوب والمعاصي ما ترك على ظهر الأرض من دابة تدب عليها"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: "يقول: ولو يعاقب الله الناس ويكافئهم بما عملوا من الذنوب والمعاصي واجترحوا من الآثام ما ترك على ظهرها من دابة تدب عليها"<sup>(٧)</sup>.  
قال ابن كثير: "أي: لو أخذهم بجميع ذنوبهم، لأهلك جميع أهل الأرض، وما يملكونه من دواب وأرزاق"<sup>(٨)</sup>.

قال أبو عبيدة: "معنى: «يؤاخذ»: يعاقب ويكافئ"<sup>(٩)</sup>.  
قال يحيى: " {ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا} بما عملوا، لحبس عنهم القطر فهلك ما في الأرض من دابة"<sup>(١٠)</sup>.

عن سعيد بن جبير، قوله: " {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ} "<sup>(١١)</sup>، قال: ما سقاهم المطر"<sup>(١٢)</sup>.

قال السدي: "إذا قحط المطر لم يبق في الأرض دابة إلا ماتت"<sup>(١٣)</sup>.  
قال مقاتل: "لهلكت الدواب من قحط المطر"<sup>(١٤)</sup>.

وفي قوله تعالى: {مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ} [فاطر : ٤٥]، ثلاثة أقوال:

- (١) التفسير الميسر: ٤٣٩.
- (٢) تفسير الطبري: ٤٨٥ / ٢٠.
- (٣) تفسير ابن كثير: ٥٦١ / ٦.
- (٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٣٤٣): ص ٢١٠٤ / ٧.
- (٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٢١٤): ص ٥٩ / ١.
- (٦) التفسير الميسر: ٤٣٩.
- (٧) تفسير الطبري: ٤٨٥ - ٤٨٦ / ٢٠.
- (٨) تفسير ابن كثير: ٥٦١ / ٦.
- (٩) مجاز القرآن: ١٥٦ / ٢.
- (١٠) تفسير يحيى بن سلام: ٧٩٧ / ٢.
- (١١) [النحل : ٦١].
- (١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٥٤٩): ص ٢٢٨٧ / ٧.
- (١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٥٥٠): ص ٢٢٨٧ / ٧.
- (١٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٦٢ / ٣.

أحدها : يعني: جميع الحيوان مما دب ودرج ، قاله ابن مسعود<sup>(١)</sup>.  
قال ابن مسعود: "كاد الجعل إن يعذب في جحره بذنب ابن آدم، ثم قرأ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ  
النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكُوا عَلَى ظُهُرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾"<sup>(٢)</sup>.  
وفي رواية، قال معمر: "بلغني أن ابن مسعود كان يقرأ هذه الآية فيقول: «كاد الجعل  
أن يهلك بذنب غيره»"<sup>(٣)</sup>.  
قال أبو حمزة الثمالي، في هذه الآية: "يحبس المطر، فيهلك كل شيء"<sup>(٤)</sup>.  
وفي رواية: "خطيئة ابن آدم قتلت الجعل"<sup>(٥)</sup>.  
وقال أنس: "إن الضب ليموت هزلا في جحره بذنب ابن آدم"<sup>(٦)</sup>.  
قال قتادة: "قد فعل ذلك زمان نوح"<sup>(٧)</sup>.  
وعن أبي سلمة، قال: "سمع أبو هريرة رجلا وهو يقول: إن الظالم لا يضر إلا نفسه،  
قال: فالتفت إليه فقال: بلى، والله إن الحبارى لتموت في وكرها هزلا بظلم الظالم"<sup>(٨)</sup>.  
عن قتادة: "﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكُوا عَلَى ظُهُرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾: إلا ما حمل  
نوح في السفينة"<sup>(٩)</sup>.  
الثاني : من الإنس والجن دون غيرهما، لأنهما مكلفان بالعقل ، قاله الكلبي<sup>(١٠)</sup>.  
قال الزجاج: "والذي جاء أنه يعني به الإنس والجن كأنه أشبه، والله أعلم"<sup>(١١)</sup>.  
الثالث : من الناس وحدهم ، قاله ابن جريج<sup>(١٢)</sup>، وأبو عبيدة<sup>(١٣)</sup>.  
قال أبو عبيدة: "معنى «دابة»: -هاهنا- إنسان"<sup>(١٤)</sup>.  
قال الزمخشري: أي: "من نسمة تدب عليها، يريد بنى آدم"<sup>(١٥)</sup>.  
قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَخَّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ {فاطر : ٤٥}، أي: "ولكن يُمهلهم ويؤخر  
عقابهم إلى وقت معلوم عنده"<sup>(١٦)</sup>.  
قال الطبري: "يقول: ولكن يؤخر عقابهم ومؤاخذتهم بما كسبوا إلى أجل معلوم عنده،  
محدود لا يقصرون دونه، ولا يجاوزونه إذا بلغوه"<sup>(١٧)</sup>.  
قال ابن كثير: "أي : ولكن يُنظرهم إلى يوم القيامة"<sup>(١٨)</sup>.  
قال السمعاني: "أي: إلى مدة معلومة"<sup>(١٩)</sup>.  
قال مقاتل: "إلى الوقت الذي في اللوح المحفوظ"<sup>(٢٠)</sup>.

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٠١٩):ص٣١٨٧/١٠.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٠١٩):ص٣١٨٧/١٠.

(٣) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٤٥٢):ص٧٣/٣.

(٤) تفسير الثعلبي ١١٧/٨.

(٥) أخرجه الطبري:٢٣١/١٧.

(٦) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١١٧/٨.

(٧) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٤٥١):ص٧٣/٣.

(٨) أخرجه الطبري:٢٣١/١٧.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٨٦/٢٠.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٤٧٩/٤.

(١١) معاني القرآن: ٢٧٦/٤.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٤٧٩/٤.

(١٣) مجاز القرآن: ١٥٦/٢.

(١٤) مجاز القرآن: ١٥٦/٢.

(١٥) الكشف: ٦١٩/٣.

(١٦) التفسير الميسر: ٤٣٩.

(١٧) تفسير الطبري: ٤٨٦/٢٠.

(١٨) تفسير ابن كثير: ٥٦١/٦.

(١٩) تفسير السمعاني: ٣٦٥/٤.

(٢٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٦٢/٣.

قال يحيى: "يعني: المشركين"<sup>(١)</sup>.  
 قوله تعالى: {فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ قَانَ اللَّهُ كَانَ بَعْبَادِهِ بَصِيرًا} [فاطر : ٤٥]، أي: "فإذا جاء وقت عقابهم فإن الله كان بعباده بصيراً، لا يخفى عليه أحد منهم، ولا يعزب عنه علم شيء من أمورهم، وسيجازيهم بما عملوا من خير أو شر"<sup>(٢)</sup>.  
 قال الطبري: يقول: "فإذا جاء أجل عقابهم فإن الله كان بعباده بصيراً من الذي يستحق أن يعاقب منهم، ومن الذي يستوجب الكرامة ومن الذي كان منهم في الدنيا له مطيعاً، ومن كان فيها به مشرغاً، لا يخفى عليه أحد منهم، ولا يعزب عنه علم شيء من أمرهم"<sup>(٣)</sup>.  
 قال ابن كثير: "فيحاسبهم يومئذ ، ويوفي كل عامل بعمله ، فيجازي بالثواب أهل الطاعة ، وبالعقاب أهل المعصية"<sup>(٤)</sup>.  
 قال السمعاني: "أي: بصيراً بأعمالهم يجازيهم عليها، الحسنة بالحسنة، والسيئة بالسيئة"<sup>(٥)</sup>.  
 قال مقاتل: "لم يزل الله- عز وجل- بعباده بصيراً"<sup>(٦)</sup>.  
 فوائد الآيتين: [٤٤-٤٥]:  
 ١- مشروعية السير في الأرض للعبرة لا للتنزه واللهو واللعب.  
 ٢- بيان أن الله لا يعجزه شيء وذلك لعلمه وقدرته وهي حال توجب الترهيب منه تعالى والإنابة إليه.  
 ٣- حرمة استعجال العذاب فإن لكل شيء أجلاً ووقتاً معيناً لا يتم قبله فلا معنى للاستعجال بحال.

«آخر تفسير سورة (فاطر)، والحمد لله وحده»

(١) تفسير يحيى بن سلام: ٧٩٧/٢.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣٩.

(٣) تفسير الطبري: ٤٨٦/٢٠.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٦١/٦.

(٥) تفسير السمعاني: ٣٦٥/٤.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٦٢/٣.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة «يس»

سورة «يس»: هي السورة «السادسة والثلاثون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «الحادية والأربعون» بحسب ترتيب النزول، نزلت بعد سورة: «الجن»<sup>(١)</sup>، عدد آياتها ثمانون وثلاث آيات عند الكوفيين واثنان عند الباقيين، وكلماتها سبعمائة وتسع وعشرون، وحروفها ثلاثة آلاف، المختلف فيها آية واحدة {يس} [يس : ١]، مجموع فواصل آياتها: «من»<sup>(٢)</sup>.

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة يس»:

سميت هذه السورة «يس» بمسمى الحرفين الواقعين في أولها في رسم المصحف؛ لأنها انفردت بهما<sup>(٣)</sup>؛ فكانا مميزين لها عن بقية السور، فصار منطوقهما علماً عليها. وكذلك ورد اسمها عن النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup>.

ثانياً:- اسمها الاجتهادية:

الاسم الأول:- «قلب القرآن»:

سميت بذلك لوصفها في قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إن لكل شيء قلباً، وإن قلب القرآن يس.."<sup>(٥)</sup>.

ويبدو وجه إطلاق ذلك عليها، لأن الإيمان صحته بالاعتراف بالحق، والحق مقرر في هذه السورة بأبلغ وجه، فجعله قلب القرآن لذلك، قاله أبو حامد الغزالي، واستحسنه فخر الدين الرازي<sup>(٦)</sup>.

وقيل: لاحتواء السورة مع قصر نظمها وصغر حجمها على الآيات الساطعة، والبراهين القاطعة والعلوم المكنونة، والمعاني الدقيقة، والمواعيد الرجوية، والزواجر البالغة، والإشارات الباهرة، والشواهد البليغة، وغير ذلك مما لو تدبره المؤمن السليم لصدر عنه الرأي<sup>(٧)</sup>. قال ابن عاشور: "وهي تسمية غير مشهورة"<sup>(٨)</sup>.

الاسم الثاني والثالث:- «سورة المعمة» و«سورة الدافعة القاضية»:

روي عن الصلت، أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سورة يس في التوراة تدعى المعمة"، قيل: ما المعمة؟ قال: "تعم صاحبها بخير الدنيا والآخرة وتكابد عنه بلوى الدنيا، وتدفع عنه أهوال الآخرة، وتدعى المدافعة القاضية تدفع عن صاحبها كل سوء، وتقضي له كل حاجة من قرأها عدلت له عشرين حجة، ومن سمعها عدلت له ألف دينار في سبيل الله، من كتبها ثم شربها أدخلت جوفه ألف دواء وألف نور وألف يقين وألف بركة وألف رحمة، ونزعت عنه كل غل وداء"<sup>(٩)</sup>.

(١) انظر: الكشاف: ٣/٤.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ١/٣٩٠.

(٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٤) كما سيأتي في فضائل السورة.

(٥) سنن الدرامي (٣٤٥٩): ص ٢١٤٩/٤، وسنن الترمذي (٢٨٨٧): ص ١٢/٥.

(٦) انظر: مفاتيح الغيب: ٣١٢/٢٦. وفيه كلام الغزالي.

(٧) شرح الطيبي: ٢٥٥/٤.

(٨) التحرير والتنوير: ٣٤١/٢٢.

(٩) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٢٣٧): ص ٦٦٩/١. وقال: "تفرد به محمد بن عبد الرحمن هذا عن سليمان، وهو منكر".

فيظهر وجه التسمية من الحديث السابق، لأنها تعم صاحبها بخيري الدنيا والآخرة، وسميت بالدافعة والقاضية، لأنها تدفع عن صاحبها كل سوء وتقضي له كل حاجة.

#### الاسم الرابع:- «سورة العظيمة عند الله»:

أورد هذه التسمية الالوسي، مستندا إلى حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن في القرآن لسورة تدعى العظيمة عند الله يدعى صاحبها الشريف عند الله يشفع صاحبها يوم القيامة في أكثر من ربيعة ومضر"<sup>(١)</sup>.

وهذه التسمية وصف تشرifi للسورة بأن صاحبها يكون ذو مكانة عظيمة عند الله تعالى يم القيامة. والله أعلم.

#### الاسم الخامس:- «سورة الحبيب النجار»:

سماها بذلك الفيروزآبادي<sup>(٢)</sup>، وذكر ابن عاشور ان هذه اتسمية وردت في مصحف مشرقى نسخ سنة: «١٠٧٨هـ»، والذي يظهر انه في بلاد العجم عنوانها «سورة حبيب النجار»، قال ابن عاشور: " وهذه التسمية غريبة لانعرف لها سندا"<sup>(٣)</sup>.

وذكر الفيروزآبادي سبب تسميتها بذلك، لاشتمالها على قصة «حبيب النجار» في قوله تعالى: {وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ} [يس : ٢٠].

وبعد فإن هذه الأسماء الخمسة البعض منها أوصاف للسورة مثل: «قلب القرآن، العظيمة عند الله»، وأما تسميتهم إياها بسورة: «المعممة والدافعة والقاضية وحبيب النجار»، فهذه التسميات لم يثبت فيها حديث صحيح. والله أعلم.

#### ■ مكية السورة ومدنيتها:

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها نزلت بمكة. قاله ابن عباس<sup>(٤)</sup>، وعائشة<sup>(٥)</sup>، والحسن<sup>(٦)</sup>، وعكرمة<sup>(٧)</sup>، وقتادة<sup>(٨)</sup>، وحكاة ابن الجوزي عن الجمهور<sup>(٩)</sup>.

قال الفيروزآبادي: " السورة مكية بالإجماع"<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن عطية: " هذه السورة مكية بإجماع"<sup>(١١)</sup>.

الثاني: أنها مكية إلا آية منها، وهي قوله: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ أَلْ} [يس : ٤٧]، حكاة ابن الجوزي عن ابن عباس، وقتادة<sup>(١٢)</sup>.

قال ابن الجوزي: وحكي أبو سليمان الدمشقي أنها مدنية، وقال: ليس بالمشهور"<sup>(١٣)</sup>.

وقال ابن عطية: " إلا أن فرقة قالت إن قوله، ونكتب ما قدموا وآثارهم [يس: ١٢] نزلت

في بني سلمة من الأنصار حين أرادوا أن يتركوا ديارهم وينتقلوا إلى جوار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم: «دياركم تكتب آثاركم»، وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرفوا المدينة، وعلى هذا فالآية مدنية وليس الأمر كذلك، وإنما نزلت الآية بمكة ولكنه احتج

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٤٠/٧، وعزاه إلى أبي نصر السجزي في الإبانة، قال: "وحسنه".

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٣٩٠/١.

(٣) التحرير والتنوير: ٣٤١/٢٢.

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٧/٧، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٧/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٦) حكاة عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥١٦/٣.

(٧) حكاة عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥١٦/٣.

(٨) حكاة عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥١٦/٣.

(٩) انظر: زاد المسير: ٥١٦/٣.

(١٠) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٣٩٠/١.

(١١) المحرر الوجيز: ٤٤٥/٤.

(١٢) انظر: زاد المسير: ٥١٦/٣.

(١٣) زاد المسير: ٥١٦/٣.

بها عليهم في المدينة ووافقها قول النبي صلى الله عليه وسلم في المعنى، فمن هنا قال من قال إنها نزلت في بني سلمة<sup>(١)</sup>.

### مناسبة سورة «يس» مع سورة «فاطر»:

ووجه اتصالها بما قبلها:

- ١- إنه لما جاء في السورة السالفة قوله: {وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ} [فاطر : ٣٧]، وقوله: {وَأَفْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ} [فاطر : ٤٢]، وقد أعرضوا عنه وكذبوه- افتتح هذه السورة بالقسم بصحة رسالته وأنه على صراط مستقيم لينذر قوما ما أنذر آبائهم.
- ٢- إنه قال فيما قبلها «وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى» وقال في هذه: {وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا} [يس : ٣٨]، وقال: {وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ} [يس : ٣٩]<sup>(٢)</sup>.

### ■ أغراض السورة ومقاصدها

تضمنت سورة «يس» تقرير الأصول الثلاثة: الوجدانية، والرسالة، والحشر، بأقوى البراهين، إذ جاءت فاتحتها ببيان الرسالة، بقوله سبحانه: {إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} [يس : ٣]، وجاءت خاتمتها ببيان الوجدانية والحشر؛ فقوله عز وجل: {فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ} [يس : ٨٣]، إشارة إلى التوحيد. وقوله تعالى: {وَالْيَهُ تَرْجَعُونَ} [يس : ٨٣]، إشارة إلى الحشر. قال البقاعي: "وليس في هذه السورة إلا هذه الأصول الثلاثة ودلائلها، ومن حصل من هذا القرآن هذا القدر، فقد حصل نصيب قلبه، وهو التصديق الذي بالجنان. وأما الذي باللسان، والذي بالأركان، ففي غير هذه السورة"<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن عاشور: "قامت السورة على تقرير أمهات أصول الدين على أبلغ وجه وأتمه من إثبات الرسالة، والوحي، ومعجزة القرآن، وما يعتبر في صفات الأنبياء، وإثبات القدر، وعلم الله، والحشر، والتوحيد، وشكر المنعم - وهذه أصول الطاعة بالاعتقاد والعمل، ومنها تتفرع الشريعة- وإثبات الجزاء على الخير والشر، مع إدماج الأدلة من الآفاق والأنفس بتفنن عجيب، فكانت هذه السورة جديرة بأن تسمى «قلب القرآن»؛ لأن من تقاسيمها تنتشعب شرايين القرآن كله، وإلى وتينها ينصب مجراها"<sup>(٤)</sup>.

وقد ذكر الفيروز آبادي أن السورة اشتملت على جملة من المقاصد، هي: "تأكيد أمر القرآن، والرسالة، وإلزام الحجة على أهل الضلالة، وضرب المثل في أهل أنطاكية، وذكر حبيب النجار، وبيان البراهين المختلفة في إحياء الأرض الميتة، وإبداء الليل، والنهار، وسير الكواكب، ودور الأفلاك، وجرى الجوارى المنشآت في البحار، وذلة الكفار عند الموت، وحيرتهم ساعة البعث، وسعد المؤمنين المطيعين، وشغلهم في الجنة، وميز المؤمن من الكافر في القيامة، وشهادة الجوارح على أهل المعاصي بمعاصيهم، والمنة على الرسول صلى الله عليه وسلم بصيانتة من الشعر ونظمه، وإقامة البرهان على البعث، ونفاذ أمر الحق في كن فيكون، وكمال ملك ذي الجلال على كل حال في قوله: {فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ} [يس : ٨٣]"<sup>(٥)</sup>.

وعلى الجملة يمكن ذكر مقاصد هذه السورة وفق التالي:

- ١- التحدي بإعجاز القرآن بالحروف المقطعة، وبالقسم بالقرآن؛ تنويهاً به، ووصفه بـ {الحكيم} [يس : ٢] إشارة إلى بلوغه أعلى درجات الأحكام.

(١) المحرر الوجيز: ٤٤٥/٤.

(٢) انظر: تفسير المراغي: ١٤٤/٢٢.

(٣) مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور: ٣٩٣/٢.

(٤) التحرير والتنوير: ٣٤٤/٢٢. الوتين: عرق يتعلق به القلب، إذا انقطع مات صاحبه.

(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٣٩٠/١.

- ٢- أولت السورة أهمية لبناء أسس العقيدة؛ فتعرضت لطبيعة الوحي، وصدق الرسالة منذ افتتاحها، ولقضية الألوهية والوحدانية، واستنكار الشرك على لسان الرجل المؤمن، الذي جاء من أقصى المدينة ساعياً؛ ليحاج قومه في شأن المرسلين.
- ٣- تحقيق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، وتفضيل الدين الذي جاء به في كتاب منزل من الله؛ لإبلاغ الأمة الغاية السامية، وهي استقامة أمورها في الدنيا، والفوز في الآخرة.
- ٤- وصف إعراض أكثر مشركي قريش عن تلقي الإسلام، وتمثيل حالهم الشنيعة، وحرمانهم من الانتفاع بهدي الإسلام، وأن الذين اتبعوا دين الإسلام، هم أهل الخشية، وأن الإسلام هو الدين الموصوف بالصراف المستقيم.
- ٥- ضرب المثل لفريقي المتبعين والمعرضين من أهل القرى بما سبق من حال أهل القرية، الذين شابه تكذيبهم الرسل تكذيب قريش، وكيف كان جزاء المعرضين من أهلها في الدنيا، وجزاء المتبعين في الآخرة. إضافة إلى ضرب المثل بالأعم، وهم القرون الذين كذبوا، فأهلكوا.
- ٦- التذكير بأعظم حادثة حدثت على المكذبين للرسل والمتمسكين بالأصنام من الذين أرسل إليهم نوح عليه السلام منذراً لهم، فهلك من كذب، ونجا من آمن.
- ٧- ذكر جملة من الآيات الكونية التي بثها سبحانه في الكون، والامتنان على عباده بالنعمة التي تتضمنها تلك الآيات. وبيان دلالة تلك الآيات والنعمة على تفرد خالقها ومنعمها بالوحدانية؛ إيقاظاً للعباد من غفلتهم، وإرشاداً لهم للافتكار والاعتبار.
- ٨- وجهت السورة نداء الحسرة على العباد، الذين ما يفتؤون يكذبون كل رسول، ويستهنئون به، غير معتبرين بمصارع المكذبين، ولا متيقظين لآيات الله في الكون، وهي كثيرة.
- ٩- ذكر دلائل التوحيد المشوبة بالامتنان؛ للتذكير بواجب الشكر على النعم بالتقوى والإحسان وترقب الجزاء. والإقلاع عن الشرك والاستهزاء بالرسول عليه الصلاة والسلام، واستعجال وعيد العذاب، والتحذير من حلوله بغتة حين يفوت التدارك.
- ١٠- بينت السورة أن الإنذار إنما ينفع من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب، فاستعد قلبه لاستقبال دلائل الهدى وموحيات الإيمان.
- ١١- التذكير بما عهد الله إلى عباده مما أودعه في فطرتهم من قابليات واستعدادات.
- ١٢- الاستدلال على عداوة الشيطان للإنسان، والإرشاد إلى اتباع دعاة الخير.
- ١٣- نفت السورة أن يكون ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم شعراً، ونفت عن الرسول كل علاقة بالشعر أصلاً.
- ١٤- النعي على المشركين اتخاذهم آلهة من دون الله، يبتغون عندهم النصر، وهم الذين يقومون بحماية تلك الآلهة المدعاة.
- ١٥- تسليية الرسول صلى الله عليه وسلم بأن لا يحزنه قول الذين أشركوا، وأن له بالله أسوة، إذ خلقهم، فعطلوا قدرته عن إيجادهم مرة ثانية، ولكنهم راجعون إليه، لا مفر لهم من ذلك.
- ١٦- القضية التي اشدت عليها التركيز في السورة، وترددت في مواضع كثيرة منها، هي قضية البعث والنشور؛ وذلك بغرض الاستدلال على تقريب البعث وإثباته، وتذكير العباد بالنشأة الأولى من نطفة؛ ليروا أن إحياء العظام وهي رميم كتلك النشأة ولا غرابة<sup>(١)</sup>.

#### الناسخ والمنسوخ:

قال هبة الله بن سلامة: "لا منسوخ فيها، وقد ذهب قوم إلى أن فيها آية واحدة من المنسوخ وهي قوله تعالى: {قَلَّا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ} [يس : ٧٦]، نسخت بآية السيف، والأولى القول الأول، والله أعلم"<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: إسلام ويب. [موقع إلكتروني].

(٢) الناسخ والمنسوخ: ١٤٦ .

## ■ فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من قرأ يس كل ليلة غفر له"<sup>(١)</sup>.
- عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له تلك الليلة"<sup>(٢)</sup>.
- عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من قرأ يس ابتغاء وجه الله غفر له"<sup>(٣)</sup>.
- عن أبي عثمان، أن أبا هريرة، قال: "من قرأ يس مرة فكأنما قرأ القرآن عشر مرات" وقال أبو سعيد: "من قرأ يس مرة، فكأنما قرأ القرآن مرتين". قال أبو هريرة: "حدثت عما سمعت وأحدثت أنا بما سمعت"<sup>(٤)</sup>.
- عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لكل شيء قلب، وإن قلب القرآن يس من قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات"<sup>(٥)</sup>.
- عن حسان بن عطية، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من قرأ يس فكأنما قرأ القرآن عشر مرات"<sup>(٦)</sup>.
- عن معقل بن يسار المزني، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من قرأ يس ابتغاء وجه الله عز وجل غفر له ما تقدم من ذنبه فاقروها عند موتاكم"<sup>(٧)</sup>.
- عن معقل بن يسار، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سورة يس اقرءوها عند موتاكم". وفي رواية عبدان. "اقرءوها على موتاكم". قال الحلبي رضي الله عنه: "يعني: على المحتضرين"<sup>(٨)</sup>.
- عن أبي قلابة، قال: "من حفظ عشر آيات من الكهف عصم من فتنة الدجال، ومن قرأ الكهف في يوم الجمعة حفظ من الجمعة إلى الجمعة، وإذا أدرك الدجال لم يضره وجاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر، ومن قرأ يس غفر له، ومن قرأها وهو جائع شبع، ومن قرأها وهو ضال هدي، ومن قرأها وله ضالة وجدها، ومن قرأها عند طعام خاف قلته كفاه، ومن قرأها عند ميت هون عليه، ومن قرأها عند امرأة عسر عليها ولدها يسر عليها، ومن قرأها فكأنما قرأ القرآن إحدى عشرة مرة، ولكل شيء قلب، وقلب القرآن يس"<sup>(٩)</sup>.
- عن أبي جعفر محمد بن علي، قال: "من وجد في قلبه قسوة فليكتب {يس والقرآن الحكيم} في جام بزعفران، ثم يشربه"<sup>(١٠)</sup>.

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٢٣٤):ص ٩٤/٤.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٢٣٥):ص ٩٥/٤.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٢٣٦):ص ٩٦/٤.

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٢٣٨):ص ٩٨/٤.

(٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٢٣٣):ص ٩٤/٤.

(٦) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٢٣٢):ص ٩٤/٤. [مرسل]

(٧) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٢٣١):ص ٩٣/٤.

(٨) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٢٣٠):ص ٩٢/٤.

(٩) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٢٣٩):ص ٩٨/٤. قال البيهقي: "هذا نقل إلينا بهذا الإسناد من قول أبي قلابة وكان من كبار التابعين، ولا يقوله إن صح ذلك عنه إلا بلاغا".

(١٠) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٢٤٠):ص ٩٩/٤. قال البيهقي رحمه الله: "كذا روي في هذه الحكاية وفي الحديث قبلها وكان إبراهيم يكره ذلك ولو صح الحديث لم يكن للكراهة معنى إلا أن في صحته نظرا، والله أعلم".



هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل  
أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا  
ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

## القرآن

### {يس (١)} [يس : ١]

التفسير:

{يس}: سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.  
وذكر أهل التفسير في قوله تعالى: {يس} [يس : ١]، وجوها من التفسير:  
أحدها : أنه اسم من أسماء القرآن ، قاله قتادة<sup>(١)</sup>.  
قال قتادة: " كل هجاء في القرآن اسم من أسماء القرآن"<sup>(٢)</sup>.  
الثاني : أنه اسم من أسماء الله تعالى أقسم به ، قاله ابن عباس<sup>(٣)</sup>.  
وقال أشهب: " سألت مالك بن أنس أينبغي لأحد أن يتسمى بيس؟ فقال: ما أراه ينبغي  
لقوله: يس والقرآن الحكيم يقول: هذا أسمى، تسميت به"<sup>(٤)</sup>.  
عن يحيى بن أبي كثير، قوله: "{يس والقرآن الحكيم}" قال: يقسم بألف عالم إنك لمن  
المرسلين"<sup>(٥)</sup>.  
قال ابن عطية: " ومن قال إنه اسم من أسماء السورة أو من أسماء القرآن فذلك من  
الأقوال المشتركة في أوائل جميع السور"<sup>(٦)</sup>.  
الثالث : أنه فواتح من كلام الله تعالى افتتح به كلامه ، قاله مجاهد<sup>(٧)</sup>.  
الرابع : أنه : يا محمد، قاله محمد بن الحنفية<sup>(٨)</sup>، وسعيد بن جبير<sup>(٩)</sup>، والضحاك<sup>(١٠)</sup>.  
قال الثعلبي: " دليله قوله: {إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} [يس : ٣]، وقال السيد الحميري<sup>(١١)</sup>:  
يا نفسُ لا تَمَحْضِي بالنصح جامدة ... على المودّة إلا آل ياسينا"<sup>(١٢)</sup>.  
وقال أبو بكر الوراق: "يا سيد البشر"<sup>(١٣)</sup>.  
وعن الحسن، قوله: "{يس والقرآن الحكيم}"، قال: يقسم الله بما يشاء، ثم نزع بهذه الآية  
{سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ} [الصفافات : ١٣٠]، كأنه يرى أنه سلم على رسوله"<sup>(١٤)</sup>.  
وروى علي رضي الله عنه- قال : سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول  
:«إن الله تعالى سماني في القرآن سبعة أسماء : محمد وأحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد  
الله»<sup>(١٥)</sup>.  
الخامس : أنه: يا إنسان : قاله ابن عباس<sup>(١٦)</sup>، أيضا، والحسن<sup>(١٧)</sup>، وسعيد بن جبير<sup>(١)</sup>،  
والضحاك<sup>(٢)</sup>، وعكرمة<sup>(٣)</sup>.

- 
- (١) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٩ / ٢٠.
  - (٢) أخرجه الطبري : ٤٩٠ / ٢٠.
  - (٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٨ / ٢٠.
  - (٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٠٢٥):ص:٣١٨٨/١٠.
  - (٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٠٢٧):ص:٣١٨٨/١٠.
  - (٦) المحرر الوجيز: ٤٤٥/٤.
  - (٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٨ / ٢٠.
  - (٨) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ٥/٥، وابن الجوزي في زاد المسير: ٥١٦/٣.
  - (٩) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٢٠/٨.
  - (١٠) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥١٦/٣.
  - (١١) اونظر: البيت في المحرر الجيز: ٤٤٥/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٤٨/٩.
  - ورواية البحر: " يا نفسُ لا تَمَحْضِي بالودّ جاهدة".
  - (١٢) الكشف والبيان: ١٢٠/٨.
  - (١٣) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٢٠/٨.
  - (١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٠٢٦):ص:٣١٨٨/١٠.
  - (١٥) ذكره الماوردي في النكت والعيون: ٥/٥، والقرطبي في التفسير: ٣/١٥، والنووي في تهذيب الأسماء  
واللغات: ٣٧٢/٣. ولم اجد له إسناد فيما توفرت عندي من المصادر.
  - (١٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٠٢٤):ص:٣١٨٨/١٠، وتفسير الطبري: ٤٨٨ / ٢٠.
  - (١٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٨ / ٢٠.

ثم اختلفوا فيه:

فقال ابن عباس، وسعيد بن جببر، وعكرمة هي: "بلغة الحبشة"<sup>(٤)</sup>. وحكى الكلبي: "أنه بالسريانية"<sup>(٥)</sup>.

وقال الشعبي: "هو بلغة طيء". وحكاه الثعلبي عن ابن عباس<sup>(٦)</sup>. وقال آخرون: "هي بلغة كلب"<sup>(٧)</sup>.

السادس: أنه: يا رجل، قاله الحسن<sup>(٨)</sup>، وأبو العالية<sup>(٩)</sup>.

السابع: أن المعنى: يؤس من كذب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يكون مؤمناً بالله، نفيًا للإيمان أن يكون إلا بالشهادتين، واليأس أبلغ في النفي من جميع ألفاظه. أفاده الماوردي<sup>(١٠)</sup>.

قال الشوكاني: "وذهب قوم الى ان الله تعالى لم يجعل لاحد سبيلا الى ادراك معاني الحروف المقطعة فى أوائل السور وقالوا ان الله تعالى متفرد بعلمها ونحن نؤمن بانها من جملة القرآن العظيم ونكل علمها اليه تعالى ونقرأها تعبدا وامثالاً لامر الله وتعظيماً لكلامه وان لم نفهم منها ما نفهمه من سائر الآيات"<sup>(١١)</sup>.

وهذا القول هو الأصح الأسلم الذي عليه أكثر السلف. والله أعلم.

قرأ حمزة والكسائي وخلف في أكثر الروايات: «يس»، بكسر الياء بين اللفظين قراءة أهل المدينة، وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم. والباقرن: بفتح الياء، وقرأ أبو جعفر وأبو عمرو وحمزة وأيوب وأبو حاتم وعاصم في أكثر الروايات، «يسين»، بإظهار النون والسكون. واختلف فيه عن نافع وابن كثير، فقرأ عيسى بن عمر: «يس» بالنصب، شبهه بـ «أين» و«كيف»، وقرأ ابن أبي إسحاق بكسر النون، شبهه بـ «أمس ورقاش وحذام»، وقرأ هارون الأعمش: بضم النون، شبهه بـ: «منذ وحيث وقط». الآخرون: بإخفاء النون<sup>(١٢)</sup>.

## القرآن

**{وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤)} [يس : ٢ - ٤]**

التفسير:

يقسم الله تعالى بالقرآن المحكم بما فيه من الأحكام والحكم والحجج، إنك -أيها الرسول- لمن المرسلين بوحى الله إلى عباده، على طريق مستقيم معتدل، وهو الإسلام.

قوله تعالى: {وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ} [يس : ٤]، أي: "يقسم الله تعالى بالقرآن المحكم بما فيه من الأحكام والحكم والحجج"<sup>(١٣)</sup>.

قال الطبري: "يقول: والقرآن المحكم بما فيه من أحكامه، وبيّنات حججه"<sup>(١٤)</sup>.

قال مقاتل: "الحكيم: يعني المحكم من الباطل"<sup>(١)</sup>.

(١) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥١٦/٣.

(٢) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٤٧١/٥.

(٣) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥١٦/٣.

(٤) حكاه الطبري عن ابن عباس، في التفسير: ٤٨٨/٢٠، وحكاه ابن الجوزي عن سعيد بن جببر وعكرمة في زاد المسير: ٥١٦/٣.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٦-٥/٥.

(٦) انظر: الكشف والبيان: ١٢٠/٨.

(٧) حكاه الماوردي في النكت والعيون: ٦/٥.

(٨) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥١٦/٣.

(٩) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٢٠/٨.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٦/٥.

(١١) روح البيان: ٣٦٥/٧.

(١٢) انظر: السبعة في القراءات: ٥٣٨، والكشف والبيان: ١٢٠/٨.

(١٣) التفسير الميسر: ٤٤٠.

(١٤) تفسير الطبري: ٤٩٠/٢٠.

قال ابن كثير: "أي: المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه"<sup>(٢)</sup>.  
قوله تعالى: {إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} [يس : ٤]، أي: إنك -أيها الرسول- لمن المرسلين  
بوحى الله إلى عباده"<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره مقسمًا بوحيه وتنزيله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم:  
إنك يا محمد لمن المرسلين بوحى الله إلى عباده"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: " {إِنَّكَ} يا محمد {لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ}"<sup>(٥)</sup>.  
عن قتادة: "وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ"، قسم كما تسمعون"<sup>(٦)</sup>.  
قوله تعالى: {عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [يس : ٤]، أي: "على طريق مستقيم معتدل، وهو  
الإسلام"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: "يقول: على طريق لا اعوجاج فيه من الهدى وهو الإسلام"<sup>(٨)</sup>.  
قال ابن كثير: "أي: على منهج ودين قويم، وشرع مستقيم"<sup>(٩)</sup>.  
قال مقاتل: "لأن غير دين الإسلام ليس بمستقيم"<sup>(١٠)</sup>.

عن قتادة: " {عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}، أي: على الإسلام"<sup>(١١)</sup>.  
عن قتادة: " {إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} : أي الإسلام"<sup>(١٢)</sup>.  
عن مجاهد: " {إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [هود: ٥٦] ، يعني: «على الحق»"<sup>(١٣)</sup>.  
وعن مجاهد: " {أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الملك: ٢٢] ، يعني: «على الحق  
المستقيم»"<sup>(١٤)</sup>.

عن مجاهد في قوله: " {صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}، قال: الحق"<sup>(١٥)</sup>.  
عن عاصم الأحول، عن أبي العالية: "الصراط المستقيم، قال: هو النبي صلى الله عليه  
وسلم وصاحبه من بعده. قال عاصم: فذكرنا ذلك للحسن. فقال صدق أبو العالية ونصح"<sup>(١٦)</sup>.  
قال السعدي: "أخبر بأعظم أوصاف الرسول صلى الله عليه وسلم، الدالة على رسالته،  
وهو أنه {عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} معتدل، موصل إلى الله وإلى دار كرامته، وذلك الصراط  
المستقيم، مشتمل على أعمال، وهي الأعمال الصالحة، المصلحة للقلب والبدن، والدنيا والآخرة،  
والأخلاق الفاضلة، المزكية للنفس، المطهرة للقلب، المنمية للأجر، فهذا الصراط المستقيم، الذي  
هو وصف الرسول صلى الله عليه وسلم، ووصف دينه الذي جاء به، فتأمل جلاله هذا القرآن  
الكريم، كيف جمع بين القسم بأشرف الأقسام، على أجل مقسم عليه، وخبر الله وحده كاف،

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٣/٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٦٣/٦.

(٣) التفسير الميسر: ٤٤٠.

(٤) تفسير الطبري: ٤٩٠/٢٠.

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٦٣/٦.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٩٠/٢٠.

(٧) التفسير الميسر: ٤٤٠.

(٨) تفسير الطبري: ٤٩٠/٢٠.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥٦٣/٦.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٣/٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٤٩٠/٢٠.

(١٢) أخرجه الطبري: ٦١٠/٢١.

(١٣) تفسير مجاهد: ٣٨.

(١٤) تفسير مجاهد: ٦٦٧.

(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٢٦٨): ص ١٢٨٧/٤.

(١٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٢٦٧): ص ١٢٨٧/٤.

ولكنه تعالى أقام من الأدلة الواضحة والبراهين الساطعة في هذا الموضوع على صحة ما أقسم عليه، من رسالة رسوله ما نبهنا عليه<sup>(١)</sup>.

## القرآن

### {تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٥)} [يس : ٥]

نزل الله هذا القرآن تنزيل العزيز في انتقامه من أهل الكفر والمعاصي، الرحيم بمن تاب من عباده وعمل صالحاً.

عن قتادة: {تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ} قال: هو القرآن<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: أي: "إنك لمن المرسلين يا محمد إرسال الرب العزيز في انتقامه من أهل الكفر به، الرحيم بمن تاب إليه، وأتاب من كفره وفسوقه أن يعاقبه على سالف جرمه بعد توبته له"<sup>(٣)</sup>.

قال يحيى: "يعني: القرآن، هو تنزيل العزيز الرحيم، نزل مع جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: هذا الصراط والمنهج والدين الذي جئت به منزل من رب العزة، الرحيم بعباده المؤمنين، كما قال تعالى: { وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ } [الشورى : ٥٢ ، ٥٣]"<sup>(٥)</sup>.  
قال السعدي: "فهو الذي أنزل به كتابه، وأنزله طريقاً لعباده، موصلاً لهم إليه، فحماه بعزته عن التغيير والتبديل، ورحم به عباده رحمة اتصلت بهم، حتى أوصلتهم إلى دار رحمته، ولهذا ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين: «العزيز» «الرحيم»"<sup>(٦)</sup>.  
وقرئ: «تَنْزِيلُ الْعَزِيزِ» برفع «تنزيل»<sup>(٧)</sup>.

## القرآن

### {لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (٦)} [يس : ٦]

التفسير:

أنزلناه عليك -أيها الرسول- لنحذر به قوماً لم يُنذَرِ آبَاؤُهُمْ من قبلك، وهم العرب، فهؤلاء القوم ساهون عن الإيمان والاستقامة على العمل الصالح.

قوله تعالى: {لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ} [يس : ٦]، أي: "أنزلناه عليك -أيها الرسول- لنحذر به قوماً لم يُنذَرِ آبَاؤُهُمْ من قبلك، وهم العرب"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن كثير: "يعني بهم: العرب؛ فإنه ما أتاهم من نذير من قبله. وذكرهم وحدهم لا ينفي من عداهم كما زعمه بعض النصارى، كما أن ذكر بعض الأفراد لا ينفي العموم"<sup>(٩)</sup>.

قال السعدي: "هم العرب الأميون، الذين لم يزلوا خالين من الكتب، عادمين الرسل، قد عمتهم الجهالة، وغمرتهم الضلالة، وأضحكوا عليهم وعلى سفههم عقول العالمين، فأرسل الله إليهم رسولا من أنفسهم، يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين،

(١) تفسير السعدي: ٦٩٢.

(٢) الدر المنثور: ٤٢/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٣) تفسير الطبري: ٤٩١ / ٢٠.

(٤) تفسير يحيى بن سلام: ٧٩٩/٢.

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٦٣/٦.

(٦) تفسير السعدي: ٦٩٢.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٩١ / ٢٠.

(٨) التفسير الميسر: ٤٤٠.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥٦٣/٦.

فينذر العرب الأميين، ومن لحق بهم من كل أمي، ويذكر أهل الكتب بما عندهم من الكتب، فنعمة الله به على العرب خصوصاً، وعلى غيرهم عموماً<sup>(١)</sup>.

وفي قوله تعالى: {لِيُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ} [يس: ٦]، وجهان من التفسير: أحدهما: أنه عام، ومعناه: لتنذر قوماً كما أنذر آبائهم، يعني: من كانوا قبل قريش. قاله عكرمة<sup>(٢)</sup>، والسدي<sup>(٣)</sup>.

عن عكرمة في هذه الآية: {لِيُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ}، قال: قد أنذروا<sup>(٤)</sup>. قال الأخفش: "قال بعضهم: «ما أنذره آبائهم فهم غافلون»، فدخل الفاء في هذا المعنى كأنه لا يجوز - والله أعلم -"<sup>(٥)</sup>.

الثاني: أنهم قريش أنذروا بنبوته محمد -صلى الله عليه وسلم- ولم ينذر آبائهم من قبلهم، حكاه قتادة<sup>(٦)</sup>، واختاره الأخفش<sup>(٧)</sup>، والزجاج<sup>(٨)</sup>.

قال قتادة: "يقول بعضهم: لم يأتهم نذير قبلك، ويقول بعضهم: {ما أنذر آبائهم}، يقول: مثل الذي أنذر آبائهم"<sup>(٩)</sup>.

قال الأخفش: "أي: قوم لم ينذر آبائهم، لأنهم كانوا في الفترة"<sup>(١٠)</sup>. قال الزجاج: "وجاء في التفسير: لتنذر قوماً لم ينذر آبائهم، فيكون «ما» جحداً - وهذا - والله أعلم - الاختيار؛ لأن قوله {فهم غافلون} دليل على معنى لم ينذر آبائهم وإذا كان قد أنذر آبائهم فهم غافلون ففيه بعد، ولكنه قد جاء في التفسير. ودليل النفي قوله: {وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ} [سبأ: ٤٤]، ولو كان آبائهم منذرين لكانوا منذرين دارسين لكتب - والله أعلم"<sup>(١١)</sup>.

قوله تعالى: {فَهُمْ غَافِلُونَ} [يس: ٦]، أي: "فهؤلاء القوم ساهون عن الإيمان والاستقامة على العمل الصالح"<sup>(١٢)</sup>.

قال الطبري: "يقول: فهم غافلون عما الله فاعل: بأعدائه المشركين به، من إحلال نعمته، وسطوته بهم"<sup>(١٣)</sup>.

## القرآن

{لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧) إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (٨)} [يس: ٧-٨]

التفسير:

لقد وجب العذاب على أكثر هؤلاء الكافرين، بعد أن عرض عليهم الحق فرفضوه، فهم لا يصدقون بالله ولا برسوله، ولا يعملون بشرعه. إنا جعلنا هؤلاء الكفار الذين عرض عليهم الحق فردوه، وأصرروا على الكفر وعدم الإيمان، كمن جعل في أعناقهم أغلالاً، فجمعت أيديهم مع

(١) تفسير السعدي: ٦٩٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٩١ / ٢٠.

(٣) حكاه يحيى بن سلام عنه في التفسير: ٨٠٠ / ٢، والماوردي في النكت والعيون: ٦ / ٥.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٩١ / ٢٠.

(٥) معاني القرآن: ٤٨٨ / ٢.

(٦) انظر: تفسير عبدالرزاق (٢٤٦١) ص: ٧٦ / ٣، وتفسير يحيى بن سلام: ٧٩٩ / ٢ - ٨٠٠.

(٧) انظر: معاني القرآن: ٤٨٨ / ٢.

(٨) انظر: معاني القرآن: ٢٧٨ / ٤.

(٩) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٤٦١) ص: ٧٦ / ٣.

(١٠) معاني القرآن: ٤٨٨ / ٢.

(١١) معاني القرآن: ٢٧٨ / ٤.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٤٠.

(١٣) تفسير الطبري: ٤٩٢ / ٢٠.

أعناقهم تحت أذقانهم، فاضطروا إلى رفع رؤوسهم إلى السماء، فهم مغلولون عن كل خير، لا يبصرون الحق ولا يهتدون إليه.

قوله تعالى: {لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [يس : ٧]، أي: "لقد وجب العذاب على أكثر هؤلاء الكافرين، بعد أن عُرِضَ عليهم الحق فرفضوه، فهم لا يصدقون بالله ولا برسوله، ولا يعملون بشرعه"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: "لقد وجب العقاب على أكثرهم، لأن الله قد حتم عليهم في أم الكتاب أنهم لا يؤمنون بالله، ولا يصدقون رسوله"<sup>(٢)</sup>.

عن الضحاك: "لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ"، قال: سَبَقَ فِي عِلْمِهِ"<sup>(٣)</sup>.  
قوله تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ} [يس : ٨]، أي: "إنا جعلنا هؤلاء الكفار الذين عُرِضَ عليهم الحق فرُدُّوه، وأصروا على الكفر وعدم الإيمان، كمن جُعِلَ في أعناقهم أغلال، فجمعت أيديهم مع أعناقهم تحت أذقانهم، فاضطروا إلى رفع رؤوسهم إلى السماء، فهم مغلولون عن كل خير، لا يبصرون الحق ولا يهتدون إليه"<sup>(٤)</sup>.

قال الطبري: يقول: "إنا جعلنا إيمان هؤلاء الكفار مغلولة إلى أعناقهم بالأغلال، فلا تُبَسِّطُ بشيء من الخيرات.. {فَهُمْ مُقْمَحُونَ} و«المقْمَح» هو المقنع، وهو أن يحدر الذقن حتى يصير في الصدر، ثم يرفع رأسه في قول بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة، وفي قول بعض الكوفيين: هو الغاض بصره بعد رفع رأسه"<sup>(٥)</sup>.

قال ابن كثير: "يقول تعالى: إنا جعلنا هؤلاء المحتوم عليهم بالشقاء نسبتهم إلى الوصول إلى الهدى كنسبة من جُعِلَ في عنقه غل، فجمَعَ يديه مع عنقه تحت ذقنه، فارتفع رأسه، فصار مقمحا"<sup>(٦)</sup>.

عن ابن عباس، قوله: "إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ"، قال: هو كقول الله: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ}، يعني: بذلك أن أيديهم موثقة إلى أعناقهم، لا يستطيعون أن يبسطوها بخير"<sup>(٧)</sup>.

عن مجاهد، قوله: "فَهُمْ مُقْمَحُونَ"، قال: رافعو رؤوسهم، وأيديهم موضوعة على أفواههم"<sup>(٨)</sup>.

قال قتادة: "أي: فهم مغلولون عن كل خير"<sup>(٩)</sup>.

## القرآن

{وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (٩)} [يس : ٩]

التفسير:

وجعلنا من أمام الكافرين سداً ومن ورائهم سداً، فهم بمنزلة من سدَّ طريقه من بين يديه ومن خلفه، فأعمينا أبصارهم؛ بسبب كفرهم واستكبارهم، فهم لا يبصرون رشداً، ولا يهتدون. وكل من قابل دعوة الإسلام بالإعراض والعناد، فهو حقيق بهذا العقاب.  
سبب النزول:

(١) التفسير الميسر: ٤٤٠.

(٢) تفسير الطبري: ٤٩٢ / ٢٠.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٢٨) : ص ٣١٨٨ / ١٠.

(٤) التفسير الميسر: ٤٤٠.

(٥) تفسير الطبري: ٤٩٣ / ٢٠.

(٦) تفسير ابن كثير: ٥٦٣ / ٦.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٩٤ / ٢٠.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٩٤ / ٢٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٩٤ / ٢٠.

عن عكرمة قال: "قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً لأفعلن ولأفعلن، فأنزلت: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْيُنِهِمْ أَغْلَالاً﴾ .. إلى قوله: ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾، قال: فكانوا يقولون: هذا محمد، فيقول أين هو، أين هو؟ لا يبصره"<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ [يس: ٩]، أي: "وجعلنا من أمام الكافرين سداً ومن ورائهم سداً، فهم بمنزلة من سدَّ طريقه من بين يديه ومن خلفه"<sup>(٢)</sup>. قال الطبري: يقول: "وجعلنا من بين أيدي هؤلاء المشركين سداً، وهو الحاجز بين الشيين، والمعنى: أنه زين لهم سوء أعمالهم فهم يعمهون، ولا يبصرون رشداً، ولا ينتبهون حقاً"<sup>(٣)</sup>.

قال السعدي: "أي: حاجزاً يحجزهم عن الإيمان، ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ قد غمرهم الجهل والشقاء من جميع جوانبهم، فلم تقد فيهم النذارة"<sup>(٤)</sup>. عن مجاهد، قوله: "﴿مَنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾، قال: عن الحق فهم يترددون"<sup>(٥)</sup>.

عن قتادة: "﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾، قال: ضلالات"<sup>(٦)</sup>. قال ابن زيد: "جعل هذا سداً بينهم وبين الإسلام والإيمان، فهم لا يخلصون إليه، وقرأ ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وقرأ ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾... الآية كلها، وقال: من منعه الله لا يستطيع"<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَأَعَشَيْنَاهُمْ قُلُوبَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩]، أي: "فأعمينا أبصارهم؛ بسبب كفرهم واستكبارهم، فهم لا يبصرون رشداً، ولا يهتدون"<sup>(٨)</sup>. قال الطبري: يقول: فأعشينا أبصار هؤلاء، أي: جعلنا عليها غشاوة؛ فهم لا يبصرون هدى ولا ينتفعون به"<sup>(٩)</sup>.

قال السمعاني: "﴿فَأَعَشَيْنَاهُمْ﴾ من التغطية والتغطية، أي: أعميناهم، ﴿فهم لا يبصرون﴾ طريق الحق"<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: أعشينا أبصارهم عن الحق، ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾، أي: لا ينتفعون بخير ولا يهتدون إليه"<sup>(١١)</sup>.

عن قتادة: "﴿فَأَعَشَيْنَاهُمْ قُلُوبَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾، هدى، ولا ينتفعون به"<sup>(١٢)</sup>. ورؤي عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك: "﴿فَأَعَشَيْنَاهُمْ قُلُوبَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ بالعين، بمعنى: أعشيناهم عنه، وذلك أن العشا هو أن يمشي بالليل ولا يبصر"<sup>(١٣)</sup>.

قال السدي: "انتمر ناس من قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم ليسطوا عليه فجاؤا يريدون ذلك فجعل الله: ﴿من بين أيديهم سداً﴾، قال: ظلمة، ﴿ومن خلفهم سداً﴾، قال: ظلمة ﴿فَأَعَشَيْنَاهُمْ قُلُوبَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾، قال: فلم يبصروا النبي صلى الله عليه وسلم"<sup>(١٤)</sup>.

(١) أخرجه الطبري: ٤٩٥-٤٩٦.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤٠.

(٣) تفسير الطبري: ٤٩٤/٢٠.

(٤) تفسير السعدي: ٦٩٢.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٩٥/٢٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٩٥/٢٠.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٩٥/٢٠.

(٨) التفسير الميسر: ٤٤٠.

(٩) تفسير الطبري: ٤٩٥/٢٠.

(١٠) تفسير السمعاني: ٣٦٩/٤.

(١١) تفسير ابن كثير: ٥٦٤/٦.

(١٢) أخرجه الطبري: ٤٩٥/٢٠.

(١٣) تفسير الطبري: ٤٩٦/٢٠.

(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٣٣): ص ٣١٨٩/١٠.



قال محمد بن كعب القرظي: "اجتمع قريش. وفيهم أبو جهل على باب النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا على بابيه: إن محمدا يزعم أنكم إن بايعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، وبعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم نار تحرقون فيها، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخذ حفنة من تراب في يده قال: «نعم. أقول ذلك، وأنت أحدهم، وأخذ الله على أبصارهم فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم، وهو يتلو هذه الآيات: {يس \* وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ {، إلى قوله: {فَأَعْسَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ}، حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من هؤلاء الآيات، فلم يبق رجل إلا وضع على رأسه ترابا، فوضع كل رجل منهم يده على رأسه، وإذا عليه تراب فقالوا: لقد كان صدقنا الذي حدثنا»<sup>(١)</sup>.

قال ابن إسحاق: "وقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم قول أبي جهل فقال: "وأنا أقول ذلك: إن لهم مني لذبحا، وإنه أحدهم"<sup>(٢)</sup>.

## القرآن

{وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠)} {يس: ١٠}

التفسير:

يستوي عند هؤلاء الكفار المعاندين تحذيرك لهم -أيها الرسول- وعدم تحذيرك، فهم لا يصدقون ولا يعملون.

قوله تعالى: {وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ} {يس: ١٠}، أي: "يستوي عند هؤلاء الكفار المعاندين تحذيرك لهم -أيها الرسول- وعدم تحذيرك"<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: يقول: "وسواء يا محمد على هؤلاء الذين حق عليهم القول، أي: الأمرين كان منك إليهم؛ الإنذار، أو ترك الإنذار"<sup>(٤)</sup>.

قال السدي: "يعني: إن أنذرت الكفار أم لم تنذرهم فهو عليهم سواء، يعني: الذين لا يؤمنون"<sup>(٥)</sup>.

عن ابن زيد في الآية قال: "جعل هذا السد بينهم وبين الإسلام والإيمان، فلم يخلصوا إليه. وقرأ: {وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون}، من منعه الله لا يستطيع"<sup>(٦)</sup>.

قال الصابوني: "لأن من خيم على عقله ظلام الضلال، وعشعشت في قلبه شهوات الطغيان، لا تنفعه القوارع والزواجر"<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: {لَا يُؤْمِنُونَ} {يس: ١٠}، أي: "فهم لا يصدقون ولا يعملون"<sup>(٨)</sup>.

قال الطبري: يقول: "فإنهم لا يؤمنون؛ لأن الله قد حكم عليهم بذلك"<sup>(٩)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: قد ختم الله عليهم بالضلالة، فما يفيد فيهم الإنذار ولا يتأثرون به"<sup>(١٠)</sup>.

قال السمعاني: "هذا في أقوام بأعيانهم، وقد مضوا ولم يؤمنوا على ما قال الله تعالى"<sup>(١١)</sup>.

قال السعدي: "وكيف يؤمن من طبع على قلبه، ورأى الحق باطلا والباطل حقا؟!"<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٢٩): ص ٣١٨٨/١٠.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٦٤/٦-٥٦٥.

(٣) التفسير الميسر: ٤٤٠.

(٤) تفسير الطبري: ٤٩٦/٢٠.

(٥) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨٠٢/٢.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٣٥): ص ٣١٨٩/١٠.

(٧) صفوة التفاسير: ٦/٣.

(٨) التفسير الميسر: ٤٤٠.

(٩) تفسير الطبري: ٤٩٦/٢٠.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٥٦٥/٦.

(١١) تفسير السمعاني: ٣٦٩/٤.

## القرآن

{إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (١١)} [يس : ١١]

التفسير:

إنما ينفع تحذيرك مَنْ آمن بالقرآن، واتبع ما فيه من أحكام الله، وخاف الرحمن، حيث لا يراه أحد إلا الله، فبشّره بمغفرة من الله لذنوبه، وثواب منه في الآخرة على أعماله الصالحة، وهو دخوله الجنة.

قوله تعالى: {إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ} [يس : ١١]، أي: "إنما ينفع تحذيرك مَنْ آمن بالقرآن، واتبع ما فيه من أحكام الله"<sup>(٢)</sup>.  
قال الطبري: يقول: "إنما ينفع إنذارك يا محمد من آمن بالقرآن، واتبع ما فيه من أحكام الله"<sup>(٣)</sup>.

قال السمعاني: "أي: استمع الذكر، وهو القرآن، واتبع ما فيه"<sup>(٤)</sup>.  
قال ابن كثير: "أي: إنما ينتفع بإنذارك المؤمنون الذين يتبعون الذكر، وهو القرآن العظيم"<sup>(٥)</sup>.

قال قتادة: "وإتباع الذكر: اتباع القرآن"<sup>(٦)</sup>.  
قوله تعالى: {وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ} [يس : ١١]، أي: "وخاف الرحمن، حيث لا يراه أحد إلا الله"<sup>(٧)</sup>.

قال قتادة: "خشي عذاب الله وناره"<sup>(٨)</sup>.  
قال السمعاني: "أي: خاف الرحمن بالغيب"<sup>(٩)</sup>.  
قال الطبري: "يقول: وخاف الله حين يغيب عن أبصار الناظرين، لا المنافق الذي يستخف بدين الله إذا خلا ويظهر الإيمان في الملأ ولا المشرك الذي قد طبع الله على قلبه"<sup>(١٠)</sup>.  
قال ابن كثير: "أي: حيث لا يراه أحد إلا الله، يعلم أن الله مطلع عليه، وعالم بما يفعله"<sup>(١١)</sup>.

قال أبو حيان: "و{وخشي الرحمن}، أي: المتصف بالرحمة، مع أن الرحمة قد تعود إلى الرجاء، لكنه مع برحمته هو يخشاه خوفا من أن يسلبه ما أنعم به عليه بالغيب، أي بالخلوة عند معيب الإنسان عن غيوب البشر"<sup>(١٢)</sup>.  
قال السعدي: "أي: من اتصف بهذين الأمرين، القصد الحسن في طلب الحق، وخشية الله تعالى، فهم الذين ينتفعون برسالتك، ويزكون بتعليمك"<sup>(١٣)</sup>.  
قوله تعالى: {فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ} [يس : ١١]، أي: "فبشّره بمغفرة من الله لذنوبه، وثواب منه في الآخرة على أعماله الصالحة، وهو دخوله الجنة"<sup>(١٤)</sup>.

(١) تفسير السعدي: ٦٩٢.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤٠.

(٣) تفسير الطبري: ٤٩٦/٢٠.

(٤) تفسير السمعاني: ٣٦٩/٤.

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٦٥/٦.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٩٦/٢٠.

(٧) التفسير الميسر: ٤٤٠.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٣٦): ص ٣١٨٩/١٠.

(٩) تفسير السمعاني: ٣٦٩/٤.

(١٠) تفسير الطبري: ٤٩٦/٢٠.

(١١) تفسير ابن كثير: ٥٦٥/٦.

(١٢) البحر المحيط: ٥١/٩-٥٢.

(١٣) تفسير السعدي: ٦٩٢.

(١٤) التفسير الميسر: ٤٤٠.

قال الطبري: " يقول: فبشر يا محمد هذا الذي اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب بمغفرة من الله لذنوبه، وثواب منه له في الآخرة كريم، وذلك أن يعطيه على عمله ذلك الجنة"<sup>(١)</sup>.  
قال ابن كثير: " { فَبَشِّرُهُ بِمَغْفِرَةٍ } أي : لذنوبه ، { وَأَجْرٌ كَرِيمٌ } أي : كبير واسع حسن جميل ، كما قال : { إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ } [الملك : ١٢]"<sup>(٢)</sup>.  
عن قتادة: " { فَبَشِّرُهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ }، قال: الجنة"<sup>(٣)</sup>.

## القرآن

{إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ (١٢)}

[يس : ١٢]

التفسير:

إننا نحن نحیی الأموات جميعاً ببعثهم يوم القيامة، ونكتب ما عملوا من الخير والشر، وآثارهم التي كانوا سبباً فيها في حياتهم وبعد مماتهم من خير، كالولد الصالح، والعلم النافع، والصدقة الجارية، ومن شر، كالشرك والعصيان، وكل شيء أحصيناه في كتاب واضح هو أم الكتب، وإليه مرجعها، وهو اللوح المحفوظ.  
سبب النزول:

عن أبي سعيد الخدري، قال: "شكت بنو سلمة بعد منازلهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت: {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ}، فقال: «عَلَيْكُمْ مَنَازِلُكُمْ تُكْتُبُ آثَارَكُمْ»"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن عباس: " كانت منازل الأنصار متباعدة من المسجد، فأرادوا أن ينتقلوا إلى المسجد فنزلت: {وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ}، فقالوا: نثبت في مكاننا"<sup>(٥)</sup>.  
قوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى} [يس : ١٢]، أي: "إننا نحن نحیی الأموات جميعاً ببعثهم يوم القيامة"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى} من خلقنا"<sup>(٧)</sup>.

قال السعدي: " أي: نبعثهم بعد موتهم لنجازيهم على الأعمال"<sup>(٨)</sup>.

قال السمعاني: " أي: في الآخرة، ويقال: يحيي القلوب الميتة بنور الإيمان"<sup>(٩)</sup>.

قال ابن كثير: " أي : يوم القيامة ، وفيه إشارة إلى أن الله تعالى يحيي قلب من يشاء من الكفار الذين قد ماتت قلوبهم بالضلالة، فيهديهم بعد ذلك إلى الحق ، كما قال تعالى بعد ذكر قسوة القلوب: {اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الحديد : ١٧]"<sup>(١٠)</sup>.

قوله تعالى: {وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ} [يس : ١٢]، أي: "ونكتب ما عملوا من الخير والشر، وآثارهم التي كانوا سبباً فيها في حياتهم وبعد مماتهم من خير، كالولد الصالح، والعلم النافع، والصدقة الجارية، ومن شر، كالشرك والعصيان"<sup>(١١)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ٤٩٦ / ٢٠.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٦٥ / ٦.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٣٦): ص ٣١٨٩ / ١٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٩٨ / ٢٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٩٧ - ٤٩٨ / ٢٠.

(٦) التفسير الميسر: ٤٤٠.

(٧) تفسير الطبري: ٤٩٧ / ٢٠.

(٨) تفسير السعدي: ٦٩٢.

(٩) تفسير السمعاني: ٣٦٩ / ٤.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٥٦٥ / ٦.

(١١) التفسير الميسر: ٤٤٠.

قال الطبري: يقول: " {وَتَكْتَبُ مَا قَدَّمُوا} في الدنيا من خير وشر، وصالح الأعمال وسيئها، وآثار خطاهم بأرجلهم" (١).

وفي قوله تعالى: {وَتَكْتَبُ مَا قَدَّمُوا وَأَثَارَهُمْ} [يس: ١٢]، وجهان من التفسير: أحدهما: {ما قدموا}: هو ما عملوا من خير أو شر، {وأثارهم}: ما أثاروا من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها بعدهم، قاله سعيد بن جبير (٢).

قال سعيد: "سنا من سنة فعلوا بها من بعد موتهم" (٣). وقال مجاهد: "ما قدموا من خير وأثارهم قال: ما أورثوا من الضلالة" (٤). وفي الحديث: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا» (٥).

الثاني: {ما قدموا}: أعمالهم، {وأثارهم}: خطاهم إلى المساجد، قاله مجاهد (٦). عن مجاهد، قوله: " {مَا قَدَّمُوا}، قال: أعمالهم" (٧)، " {وَأَثَارَهُمْ}، قال: خطاهم بأرجلهم" (٨).

عن الحسن: " {وأثارهم}، قال: خطاهم" (٩). قال أنس: " هذا في الخطو يوم الجمعة" (١٠). عن قتادة، قوله: " {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا}، من عمل" (١١).

قال ابن زيد، في قوله: " {وَتَكْتَبُ مَا قَدَّمُوا}، قال: ما عملوا" (١٢). قال قتادة: " لو كان مغفلا شيئا من أثر ابن آدم لا غفل هذا الأثر التي تعفها الرياح، ولكن أحصر على ابن آدم أثره وعمله كله حتى أحصى هذا الأثر فيما هو في طاعة الله أو معصيته فمن استطاع منكم أن يكتب أثره في طاعة الله، فليفعل" (١٣).

قال ابن عباس: " كانت الأنصار بعيده منازلهم من المسجد، فأرادوا أن ينتقلوا، قال: فنزلت: {وَتَكْتَبُ مَا قَدَّمُوا وَأَثَارَهُمْ}، فثبتوا" (١٤).

قال جابر: " أراد بنو سلمة قرب المسجد، قال: فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا بَنِي سَلْمَةَ دِيَارُكُمْ إِنَّهَا تُكْتَبُ أَثَارُكُمْ»" (١٥).

وفي رواية قال جابر: " أراد بنو سلمة أن يتحولوا إلى قرب المسجد، قال: والبقاع خالية، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «يَا بَنِي سَلْمَةَ دِيَارُكُمْ إِنَّهَا تُكْتَبُ أَثَارُكُمْ»، قال: فأقاموا وقالوا: ما يسرنا أننا كنا تحولنا" (١٦).

- 
- (١) تفسير الطبري: ٤٩٧/٢٠.  
(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٠٤٢): ص ٣١٩٠/١٠.  
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٤٢): ص ٣١٩٠/١٠.  
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٤٣): ص ٣١٩٠/١٠.  
(٥) أخرجه الطيالسي (ص ٩٢، رقم ٦٧٠)، وأحمد (٣٥٧/٤، رقم ١٩١٧٩)، ومسلم (٢٠٥٩/٤)، رقم ١٠١٧، والترمذي (٤٣/٥، رقم ٢٦٧٥)، والنسائي (٧٥/٥، رقم ٢٥٥٤)، وابن ماجه (٧٤/١، رقم ٢٠٣)، وابن حبان (١٠١/٨، رقم ٣٣٠٨) وأخرجه أيضا: ابن أبي شيبة (٣٥٠/٢، رقم ٩٨٠٣)، والطبراني (٣٤٣/٢، رقم ٢٤٣٧)، والبيهقي (١٧٥/٤، رقم ٧٥٣٠). من حديث جرير.  
(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٠٤٠): ص ٣١٩٠/١٠.  
(٧) أخرجه الطبري: ٤٩٧/٢٠.  
(٨) أخرجه الطبري: ٤٩٨/٢٠، وابن أبي حاتم (١٨٠٤٠): ص ٣١٩٠/١٠.  
(٩) أخرجه الطبري: ٤٩٩/٢٠.  
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٣٩): ص ٣١٩٠/١٠.  
(١١) أخرجه الطبري: ٤٩٧/٢٠.  
(١٢) أخرجه الطبري: ٤٩٧/٢٠.  
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٤١): ص ٣١٩٠/١٠، والطبري: ٤٩٩/٢٠. [باختصار].  
(١٤) أخرجه الطبري: ٤٩٨/٢٠.  
(١٥) أخرجه الطبري: ٤٩٨/٢٠.

عن الحسن: " أن بني سلمة كانت دورهم قاصية عن المسجد، فهموا أن يتحولوا قرب المسجد، فيشهدون الصلاة مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال لهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَلَا تُحَسِّبُونَ آثَارَكُمْ يَا بَنِي سَلْمَةَ؟" فمكثوا في ديارهم" (١).

قال ثابت: " مشيت مع أنس، فأسرعت المشي، فأخذ بيدي، فمشينا رويدا، فلما قضينا الصلاة قال أنس: مشيت مع زيد بن ثابت، فأسرعت المشي، فقال: يا أنس أما شعرت أن الآثار تكتب؟" (٢).

قال ابن كثير: " وهذا القول (أي القول الثاني) لا تنافي بينه وبين الأول ، بل في هذا تنبيه ودلالة على ذلك بطريق الأولى والأخرى ، فإنه إذا كانت هذه الآثار تُكْتَبُ ، فلأن تُكْتَبَ تلك التي فيها قُدوة بهم من خير أو شر بطريق الأولى ، والله أعلم" (٣).

قوله تعالى: {وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ} [يس: ١٢]، أي: " وكلَّ شيءٍ أحصيناه في كتاب واضح هو أمُّ الكتب، وإليه مرجعها، وهو اللوح المحفوظ" (٤).

قال الطبري: يقول: " وكل شيء كان أو هو كائن أحصيناه، فأثبتناه في أم الكتاب، وهو الإمام المبين. وقيل {مُّبِينٌ}، لأنه يبين عن حقيقة جميع ما أثبت فيه" (٥).

قال السعدي: " {وَكُلَّ شَيْءٍ} من الأعمال والنيات وغيرها {أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ} أي: كتاب هو أم الكتب وإليه مرجع الكتب، التي تكون بأيدي الملائكة، وهو اللوح المحفوظ" (٦).

عن مجاهد: " {فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ}، قال: في أم الكتاب" (٧).

قال قتادة: " كل شيء محصى عند الله في كتاب" (٨).

قال ابن زيد: " أم الكتاب التي عند الله فيها الأشياء كلها هي: الإمام المبين" (٩).

فوائد الآيات: [١-١٢]:

- ١- تقرير النبوة المحمدية وتأكيد رسالته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- ٢- بيان الحكمة من إرسال الرسول وإنزال الكتاب الكريم.
- ٣- بيان أن الرسول محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث على فترة من الرسل، وكل أمة ينقطع عنها الإنذار تقع في الغفلة، وفي هذا دليل على وجوب الدعوة والتذكير على العلماء بالله وشرعه؛ لإيقاظ المسلمين من غفلتهم.
- ٤- بيان أن حب الدنيا والإقبال عليها والإعراض عن الآخرة وعدم الالتفات إليها يضعان الإنسان بين حاجزين لا يستطيع تجاوزهما والتخلص منهما.
- ٥- بيان أن الذنوب تقيد صاحبها وتحول بينه وبين فعل الخير أو قبول الحق.
- ٦- بيان أن من سن سنة حسنة أو سيئة يعمل بها بعده يجزى بها كما يجزى على عمله الذي باشره بيده، فعلى العاقل محاسبة نفسه؛ ليكون قدوة في الخير في حياته وبعد مماته.
- ٧- تقرير عقيدة القضاء والقدر وأن كل شيء في كتاب المقادير المعبر عنه بالإمام. ومعنى «المبين»، أي: أن ما كتب فيه بين واضح لا يجهل منه شيء.

القرآن

(١) أخرجه الطبري: ٤٩٨ / ٢٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٩٨ / ٢٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٩٨ / ٢٠.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٦٨ / ٦.

(٥) التفسير الميسر: ٤٤٠.

(٦) تفسير الطبري: ٤٩٩ / ٢٠.

(٧) تفسير السعدي: ٦٩٢.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٩٩ / ٢٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٩٩ / ٢٠.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٩٩ / ٢٠.

{وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا  
فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (١٤)} [يس : ١٤]  
التفسير:

واضرب -أيها الرسول- لمشركي قومك الراديين لدعوتك مثلا يعتبرون به، وهو قصة أهل القرية، حين ذهب إليهم المرسلون، إذ أرسلنا إليهم رسولين لدعوتهم إلى الإيمان بالله وترك عبادة غيره، فكذب أهل القرية الرسولين، فقويانها برسول ثالث، فقال الثلاثة لأهل القرية: إنا إليكم -أيها القوم- مرسلون.

قوله تعالى: {وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ} [يس : ١٣]، أي: "واضرب -أيها الرسول- لمشركي قومك الراديين لدعوتك مثلا يعتبرون به، وهو قصة أهل القرية، حين ذهب إليهم المرسلون"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ومثل يا محمد لمشركي قومك مثلا أصحاب القرية- ذكر أنها أنطاكية- {إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ}"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: "يقول تعالى : واضرب - يا محمد - لقومك الذين كذبوك { مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ }"<sup>(٣)</sup>.

قال الزمخشري: "أى: اذكر لهم قصة عجيبة قصة أصحاب القرية"<sup>(٤)</sup>.  
قال مقاتل: " {واضرب لهم مثلا}: وصف لهم- يا محمد- شبيها لأهل مكة في الهلاك {أصحاب القرية}: أنطاكية، {إذ جاءها المرسلون}"<sup>(٥)</sup>.

واختلف أهل العلم في هؤلاء الرسل، وفيمن كان أرسلهم إلى أصحاب القرية على قولين:

أحدهما: نهم كانوا رسلا أرسلهم الله إليهم. قاله ابن عباس<sup>(٦)</sup>، وكعب الأحمبار<sup>(٧)</sup>، ووهب بن منبه<sup>(٨)</sup>.

عن ابن إسحاق، فيما بلغه، عن ابن عباس، وعن كعب الأحمبار، وعن وهب بن منبه، قال: "كان بمدينة أنطاكية، فرعون من الفراعنة يقال له أبطيحس بن أبطيحس يعبد الأصنام، صاحب شرك، فبعث الله المرسلين، وهم ثلاثة: صادق، ومصدوق، وسلوم، فقدم إليه وإلى أهل مدينته منهم اثنان فكذبوهما، ثم عزز الله بثالث، فلما دعت الرسل ونادته بأمر الله، وصدعت بالذي أمرت به، وعابت دينه، وما هم عليه، قال لهم (إِنَّا نَطِيرُنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ)"<sup>(٩)</sup>.

الثاني: أنهم كانوا رسل عيسى ابن مريم، وعيسى الذي أرسلهم إليهم. قاله قتادة<sup>(١٠)</sup>، واختاره الزمخشري<sup>(١١)</sup>.

قال قتادة: "ذكر لنا أن عيسى ابن مريم بعث رجلين من الحواريين إلى أنطاكية -مدينة بالروم- فكذبوهما فأعزهما بثالث {فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ}"<sup>(١٢)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٤١.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠ / ٤٩٩-٥٠٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٦ / ٥٦٨.

(٤) الكشف: ٧/٤.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣ / ٥٧٥.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٥٠٠.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٥٠٠.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٥٠٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٠ / ٥٠٠.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٥٠٠.

(١١) انظر: الكشف: ٧/٤-٨.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٠ / ٥٠٠.

قال الثعلبي: " وإنما أضاف الإرسال إليه لأن عيسى -عليه السلام- إنما بعثهم بأمره عز وجل، وكانوا في جملة الرسل، فقالوا جميعا لأهل أنطاكية: {إنا إليكم مرسلون}""<sup>(١)</sup>.  
عن عكرمة: " {وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ}، قال: أنطاكية""<sup>(٢)</sup>.  
عن بريدة: {أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ}، قال: أنطاكية""<sup>(٣)</sup>.

قال الماوردي: " هذه القرية هي أنطاكية من قول جميع المفسرين""<sup>(٤)</sup>.  
عن عبد الملك يعني ابن عمير قال: "قال عروة بن مسعود الثقفي للنبي صلى الله عليه وسلم: ابعثني إلى قومي أدعوهم إلى الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، «انطلق فانطلق فمر على اللات والعزى لا عزى، أسلموا تسلموا. يا معشر الأحلاف، إن العزى لا عزى، وإن اللات لا لات، أسلموا تسلموا قال ذلك ثلاث مرات، فرماه رجل فأصاب أكحله فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «هذا مثله كمثل صاحب يس قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين""<sup>(٥)</sup>.

قال الزمخشري: " القرية: أنطاكية. والمرسلون رسل عيسى عليه السلام إلى أهلها، بعثهم دعاء إلى الحق وكانوا عبدة أوثان. أرسل إليهم اثنين، فلما قربا من المدينة رأيا شيئا برعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس، فسألهما فأخبراه، فقال: أمعكما آية؟ فقالا: نشفى المريض ونبرى الأكمه والأبرص، وكان له ولد مريض من سنتين فمسحاه، فقام، فأمن حبيب وفشا الخبر، فشفى على أيديهما خلق كثير، ورقى حديثهما إلى الملك وقال لهما: ألنا إله سوى آلهتنا؟ قالا: نعم من أوجدك وآهتك، فقال: حتى أنظر في أمركما، فتبعهما الناس وضربوهما. وقيل: حبسا، ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون، فدخل متكررا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به، ورفعوا خبره إلى الملك فأنس به، فقال له ذات يوم: بلغني أنك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه؟ فقال: لا، حال الغضب بيني وبين ذلك، فدعاهما، فقال شمعون: من أرسلكما؟ قالا: الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك، فقال: صفاه وأوجزا. قالا: يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. قال: وما آيتكما؟ قالا: ما يتمنى الملك، فدعا بسلام مطموس العينين، فدعوا الله حتى انشق له بصر، وأخذا بندقتين فوضعهما في حدقتيه فكانتا مقلتين ينظر بهما، فقال له شمعون: رأيت لو سألت إلهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف. قال: ليس لي عنك سر، إن إلهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع، وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلى ويتضرع ويحسبون أنه منهم، ثم قال:

إن قدر إلهكما على إحياء ميت أمنا به، فدعوا بسلام مات من سبعة أيام فقام وقال: إنى أدخلت في سبعة أودية من النار، وأنا أحذركم ما أنتم فيه فأمنا، وقال: فتحت أبواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة، قال الملك: ومن هم؟ قال شمعون، وهذان، فتعجب الملك. فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فأمن وأمن معه قوم، ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه السلام صيحة فهلكوا""<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: {إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا} [يس: ١٤]، أي: " إذ أرسلنا إليهم رسولين لدعوتهم إلى الإيمان بالله وترك عبادة غيره، فكذب أهل القرية الرسولين""<sup>(٧)</sup>.  
قال الطبري: يقول: " حين أرسلنا إليهم اثنين يدعوانهم إلى الله فكذبوهما""<sup>(٨)</sup>.  
قال ابن كثير: " أي : بادروهما بالتكذيب""<sup>(٩)</sup>.

(١) الكشف والبيان: ١٢٥/٨.

(٢) أخرجه الطبري: ٥٠٠/٢٠.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٤٦): ص ٣١٩١/١٠.

(٤) النكت والعيون: ١٠/٥.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٤٧): ص ٣١٩١/١٠.

(٦) الكشف: ٨-٧/٤.

(٧) التفسير الميسر: ٤٤١.

(٨) تفسير الطبري: ٥٠٠/٢٠.

واختلف أهل التفسير في اسمي الرسولين علي أقوال:  
أحدها : أنهما: شمعون ويوحنا ، قاله شعيب الجبائي<sup>(٢)</sup> .  
الثاني : صادق وصدوق ، قاله ابن عباس<sup>(٣)</sup> ، وكعب الأحبار<sup>(٤)</sup> ، ووهب بن منبه<sup>(٥)</sup> .  
الثالث : يحيى وبولس. قاله وهب أيضا<sup>(٦)</sup> .  
الرابع: تومان ويونس. قاله مقاتل<sup>(٧)</sup> .  
الخامس : سمعان ويحيى ، حكاه الماوردي عن النقاش<sup>(٨)</sup> .  
قوله تعالى: {فَعَزَّزْنَا بِتَالِثٍ} [يس : ١٤] ، أي: " فقويناهما برسول ثالث"<sup>(٩)</sup> .  
قال الطبري: يقول: " فكذبوهما فشددناهما بثالث، وقويناهما به"<sup>(١٠)</sup> .  
قال ابن كثير: " أي : قويناهما وشددنا أزرهما برسول ثالث "<sup>(١١)</sup> .  
وفي قوله تعالى: {فَعَزَّزْنَا بِتَالِثٍ} [يس : ١٤] ، وجوه من التفسير:  
أحدها : فشددنا ، قاله مجاهد<sup>(١٢)</sup> ، والسدي<sup>(١٣)</sup> .  
قال أبو العالية: " لكي تكون عليهم الحجة أشد، فأتوا أهل القرية فدعوهم إلى الله وحده  
وعبادته لا شريك له، فكذبوهم"<sup>(١٤)</sup> .  
قال الفراء: " يقول: شددنا أمرهما بما علمهما الأول شمعون. وكانوا أرسلوا إلى  
أنطاكية"<sup>(١٥)</sup> .  
الثاني : قوينا، قاله ابن زيد<sup>(١٦)</sup> .  
قال ابن زيد: " جعلناهم ثلاثة، قال: ذلك التعزز، قال: والتعزز: القوة"<sup>(١٧)</sup> .  
الثالث : قوينا وشددنا. قاله أبو عبيدة<sup>(١٨)</sup> ، وابن قتيبة<sup>(١٩)</sup> . قال الثمر بن تولب<sup>(٢٠)</sup> :  
كأن جمره أو عزت لها شبيها ... بالجدع يوم تلاقينا بإرمام  
قال أبو عبيدة: " وفي المثل: من عزّ بز"<sup>(٢١)</sup> : من قهر سلب وتفسير، «بزّ» انتزع"<sup>(٢٢)</sup> .  
قال ابن قتيبة: "يقال: عزز منه؛ أي: قو من قلبه. وتعزز لحم الناقة: إذ صلب"<sup>(٢٣)</sup> .

- 
- (١) تفسير ابن كثير: ٥٦٩/٦ .
  - (٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٠٥٠):ص١٠/٣١٩٢ .
  - (٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٠ /٢٠ .
  - (٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٠ /٢٠ .
  - (٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٠ /٢٠ .
  - (٦) انظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل: ١٨٥/١٦ .
  - (٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٥/٣ .
  - (٨) انظر: النكت والعيون: ١٠/٥ .
  - (٩) التفسير الميسر: ٤٤١ .
  - (١٠) تفسير الطبري: ٥٠٠ /٢٠ .
  - (١١) تفسير ابن كثير: ٥٦٩/٦ .
  - (١٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٠١ /٢٠ .
  - (١٣) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٠٣/٢ .
  - (١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٠٤٩):ص١٠/٣١٩١ .
  - (١٥) معانيالقرآن: ٣٧٣/٢ .
  - (١٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٠١ /٢٠ .
  - (١٧) أخرجه الطبري: ٥٠١ /٢٠ .
  - (١٨) مجاز القرآن: ١٥٨/٢-١٥٩ .
  - (١٩) غريب القرآن: ٣٦٤ .
  - (٢٠) ديوان النمر بن تولب ١١٠-١١٢ ، وانظر: الحيوان ٣ : ١٢٠ ، وديوان المعاني للعسكري ٢ : ١٣ .
  - «أرمام» : جبل في ديار باهلة بن أعصر وقيل أرمام واد ... ألج. (معجم ما استعجم ١ / ١٤١) .
  - (٢١) انظر: الأمثال للميداني ١٧٤ /٢ وتفسير القرطبي ١٥ / ١٤ واللسان (عزز) والفرائد ٢ / ٢٦٧ .
  - (٢٢) مجاز القرآن: ١٥٨/٢-١٥٩ .
  - (٢٣) غريب القرآن: ٣٦٤ .



الرابع : فزدنا، قاله مجاهد في رواية أخرى<sup>(١)</sup>. وحكاه الماوردي عن ابن جريج<sup>(٢)</sup>.  
واختلف في اسم الرسول الثالث، على أقوال:  
أحدها : بولص. قاله شعيب<sup>(٣)</sup>.

الثاني: يونس. حكاه الماوردي عن شعيب<sup>(٤)</sup>.  
الثالث : سلوم<sup>(٥)</sup>، قاله ابن عباس<sup>(٦)</sup>، وكعب الأخبار<sup>(٧)</sup>، ووهب بن منبه<sup>(٨)</sup>.  
الرابع : شمعون. قاله مقاتل<sup>(٩)</sup>.

قال مقاتل: "فقال شمعون للملك: أشهد أنهما رسولان أرسلهما ربك الذي في السماء، فقال الملك لشمعون: أخبرني بعلامة ذلك فقال شمعون: إن ربي أمرني أن أبعث لك ابنتك، فذهبوا إلى قبرها، فضرب القبر برجله. فقال: قومي بإذن إلهنا الذي في السماء، الذي أرسلنا إلى هذه القرية واشهدي لنا على والدك فخرجت الجارية من قبرها، فعرفوها فقالت يا أهل القرية آمنوا بهؤلاء الرسل، وإني أشهد أنهم أرسلوا إليكم، فإن سلمتم يغفر لكم ربكم، وإن أبيتم ينتقم الله منكم. ثم قالت لشمعون: ردني إلى مكاني فإن القوم لن يؤمنوا لكم، فأخذ شمعون قبضة من تراب قبرها فوضعها على رأسها، ثم قال عودي مكانك، فعادت، فلم يؤمن منهم غير حبيب النجار، كان من بني إسرائيل، وذلك أنه حين سمع بالرسول جاء مسرعا فأمن وترك عمله، وكان قبل إيمانه مشركا"<sup>(١٠)</sup>.

قال الماوردي: "وكان ملك أنطاكية أحد الفراعنة يعبد الأصنام مع أهلها، وكانت لهم ثلاثة أصنام يعبدونها، ذكر النقاش أن أسماءها رومس، وقيل: وارطيمس"<sup>(١١)</sup>.  
واختلف في اسم الملك على قولين :

أحدهما : أن اسمه: أنطيوخس، قاله ابن عباس<sup>(١٢)</sup>، وكعب الأخبار<sup>(١٣)</sup>، ووهب بن منبه<sup>(١٤)</sup>.  
الثاني : انطرا، حكاه الماوردي عن شعيب<sup>(١٥)</sup>.

قوله تعالى: {فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ} [يس : ١٤]، أي: "فقال الثلاثة لأهل القرية: إننا إليكم -أيها القوم- مرسلون"<sup>(١٦)</sup>.

قال الطبري: "يقول: فقال المرسلون الثلاثة لأصحاب القرية: إننا إليكم أيها القوم مرسلون، بأن تُخِصُوا العبادة لله وحده، لا شريك له، وتنبهوا مما تعبدون من الآلهة والأصنام"<sup>(١٧)</sup>.

## القرآن

- (١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٥٠١.
- (٢) انظر: النكت والعيون: ١٠/٥.
- (٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٠٥٠):ص١٠/٣١٩٢.
- (٤) انظر: النكت والعيون: ١٠/٥.
- (٥) وفي بعض الروايات: «شلوم».
- (٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٥٠٠.
- (٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٥٠٠.
- (٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٥٠٠.
- (٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٥٧٥.
- (١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٥٧٥.
- (١١) النكت والعيون: ١٠/٥.
- (١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٥٠٠.
- (١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٥٠٠.
- (١٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٥٠٠.
- (١٥) انظر: النكت والعيون: ١٠/٥.
- (١٦) التفسير الميسر: ٤٤١.
- (١٧) تفسير الطبري: ٢٠ / ٥٠١.

**{قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْتُمْ إِنَّا تَكْذِبُونَ (١٥) [يس : ١٥]}**  
التفسير:

قال أهل القرية للمرسلين: ما أنتم إلا أناس مثلنا، وما أنزل الرحمن شيئاً من الوحي، وما أنتم - أيها الرسل- إلا تكذبون.

قوله تعالى: {قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا} [يس : ١٥]، أي: "قال أهل القرية للمرسلين: ما أنتم إلا أناس مثلنا"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: "قال أصحاب القرية للثلاثة الذين أرسلوا إليهم حين أخبروهم أنهم أرسلوا إليهم بما أرسلوا به: ما أنتم أيها القوم إلا أناس مثلنا، ولو كنتم رسلاً كما تقولون، لكنتم ملائكة"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: فكيف أوحى إليكم وأنتم بشر ونحن بشر، فلم لا أوحى إلينا مثلكم؟ ولو كنتم رسلاً لكنتم ملائكة. وهذه شبه كثير من الأمم المكذبة، كما أخبر الله تعالى عنهم في قوله: { ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا } [التغابن : ٦] ، فاستعجبوا من ذلك وأنكروه. وقوله: { قَالُوا إِنَّا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ نُصَدِّقُوا عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُ آبَاءَنَا فَأَنزَلْنَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ } [إبراهيم : ١٠]. وقوله حكاية عنهم في قوله: { وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ } [المؤمنون : ٣٤] ، { وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا } ؟ [الإسراء : ٩٤]"<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: {وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ} [يس : ١٥]، أي: "وما أنزل الرحمن شيئاً من الوحي"<sup>(٤)</sup>.

قال الطبري: "يقول: قالوا: وما أنزل الرحمن إليكم من رسالة ولا كتاب ولا أمركم فيها بشيء"<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: {إِنَّا أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ} [يس : ١٥]، أي: "وما أنتم -أيها الرسل- إلا تكذبون"<sup>(٦)</sup>.  
قال الطبري: "إِنَّا أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ} في قيلكم إنكم إلهنا مرسلون"<sup>(٧)</sup>.  
قال البغوي: أي: "ما أنتم إلا كاذبون فيما تزعمون"<sup>(٨)</sup>.

## القرآن

**{قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٧) [يس : ١٦-١٧]}**  
التفسير:

قال المرسلون مؤكدين: ربنا الذي أرسلنا يعلم إنا إليكم لمرسلون، وما علينا إلا تبليغ الرسالة بوضوح، ولا نملك هدايتكم، فالهداية بيد الله وحده.

قوله تعالى: {قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ} [يس : ١٦]، أي: "قال المرسلون مؤكدين: ربنا الذي أرسلنا يعلم إنا إليكم لمرسلون"<sup>(٩)</sup>.

قال الطبري: "يقول: قال الرسل: ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون فيما دعوناكم إليه، وإننا لصادقون"<sup>(١٠)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٤١.

(٢) تفسير الطبري: ٥٠١ / ٢٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٦٩ / ٦.

(٤) التفسير الميسر: ٤٤١.

(٥) تفسير الطبري: ٥٠٢-٥٠١ / ٢٠.

(٦) التفسير الميسر: ٤٤١.

(٧) تفسير الطبري: ٥٠٢-٥٠١ / ٢٠.

(٨) تفسير البغوي: ١٣ / ٧.

(٩) التفسير الميسر: ٤٤١.

(١٠) تفسير الطبري: ٥٠٢ / ٢٠.

قال ابن كثير: "أي: أجابتهم رسلهم الثلاثة قائلين: الله يعلم أنا رسله إليكم، ولو كنا كذبة عليه لانتقم منا أشد الانتقام، ولكنه سيعزنا وينصرنا عليكم، وستعلمون لمن تكون عاقبة الدار، كقوله تعالى: {فَلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيِّنًا وَبَيِّنَاتٍ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [العنكبوت: ٥٢]"<sup>(١)</sup>.

قال السمعاني: "فإن قيل: كيف يكون علم الله تعالى أنهم رسل الله حجة عليهم؟ الجواب عنه: أن معناه: ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون بما أظهر على أيدينا من الآيات والمعجزات؛ فصارت الحجة قائمة بالآيات والمعجزات، لا بنفس العلم"<sup>(٢)</sup>.

قال الشوكاني: "فأكدوا الجواب بالقسم الذي يفهم من قولهم: {ربنا يعلم}، وب«إن»، وب«اللام»"<sup>(٣)</sup>.

قال الزمخشري: "قوله: {ربنا يعلم}، جار مجرى القسم في التوكيد، وكذلك قولهم: شهد الله، وعلم الله. وإنما حسن منهم هذا الجواب الوارد على طريق التوكيد والتحقيق مع قولهم: {وما علينا إلا البلاغ}، {المبين}، أي: الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة لصحته، وإلا فلو قال المدعى: والله إنى لصادق فيما ادعى ولم يحضر البيعة كان قبيحا"<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: {وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} [يس: ١٧]، أي: "وما علينا إلا تبليغ الرسالة بوضوح، ولا نملك هدايتكم، فالهداية بيد الله وحده"<sup>(٥)</sup>.

عن سعيد بن جبير: "المبين، يعني: البين"<sup>(٦)</sup>.

قال السمعاني: "أي: الإبلاغ البين"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: "يقول: وما علينا إلا أن نبليغكم رسالة الله التي أرسلنا بها إليكم بلاغًا يبين لكم أننا أبلغناكموها، فإن قبلتموها فحظ أنفسكم تصيبون، وإن لم تقبلوها فقد أدينا ما علينا، والله ولي الحكم فيه"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن كثير: "يقولون إنما علينا أن نبليغكم ما أرسلنا به إليكم، فإذا أطعتم كانت لكم السعادة في الدنيا والآخرة، وإن لم تجيبوا فستعلمون غيب ذلك، والله أعلم"<sup>(٩)</sup>.

قال الشوكاني: "أي: ما يجب علينا من جهة ربنا إلا تبليغ رسالته على وجه الظهور والوضوح، وليس علينا غير ذلك"<sup>(١٠)</sup>.

## القرآن

**{قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨)} {يس: ١٨}**

التفسير:

قال أهل القرية: إنا نثأءمنا بكم، لئن لم تكفوا عن دعوتكم لنا لنقتلنكم رميًا بالحجارة، وليصيبنكم مئًا عذاب أليم موجه.

قوله تعالى: {قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ} [يس: ١٨]، أي: "قال أهل القرية: إنا نثأءمنا بكم"<sup>(١١)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير: ٥٦٩/٦.

(٢) تفسير السمعاني: ٣٧١/٤.

(٣) فتح القدير: ٤١٨/٤.

(٤) الكشاف: ٩/٤.

(٥) التفسير الميسر: ٤٤١.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٢٢٠): ص ٣٠٤٥/٩.

(٧) تفسير السمعاني: ٣٧١/٤.

(٨) تفسير الطبري: ٥٠٢/٢٠.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥٦٩/٦.

(١٠) فتح القدير: ٤١٨/٤.

(١١) التفسير الميسر: ٤٤١.

قال الطبري: " قال أصحاب القرية للرسول: إِنَّا نَشَاءُ مِنْكُمْ، فَإِنْ أَصَابْنَا بِلَاءٍ فَمِنْ أَجْلِكُمْ" (١).

قال ابن كثير: " قال لهم أهل القرية : لم نرَ على وجوهكم خيراً في عيشنا " (٢).  
قال الزمخشري: أي: " تشاء منا بكم، وذلك أنهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم، وعادة الجاهل أن يتيمنوا بكل شيء مالوا إليه واشتهوه وآثروه وقبلته طباعهم، ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه، فإن أصابهم نعمة أو بلاء قالوا ببركة هذا وبشؤم هذا، كما حكى الله عن القبط: {وَإِنْ نُصِبْهُمْ سَيِّئَةً يَأْتِيَهُمْ سَيِّئَةٌ يَصِيبُهَا بَأْسُ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يَتْلُكُم بِهَا لَمَّا نَدَّبْتُمُوهَا وَإِنْ كُنْتُمْ تُكَفِّرُونَ بَأْسَ اللَّهِ وَلَمْ يُرْسِلْ بِالْبَأْسِ الَّذِي كَفَرْتُمْ بِالنَّبِيِّ إِنْ أُنزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ آيَاتِهِ لَتَكُونُنَّ مِنْ خَاسِرِي آلِهَتِكُمْ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنَاجِدُ مِنَ اللَّهِ وَإِنَّ إِلَهُهُمُ إِلَهُكُمْ وَهُمْ لَكَاذِبُونَ } [الأعراف : ١٣١]. وعن مشرقي مكة: {وَإِنْ نُصِبْهُمْ سَيِّئَةً يَأْتِيَهُمْ سَيِّئَةٌ يَصِيبُهَا بَأْسُ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يَتْلُكُم بِهَا لَمَّا نَدَّبْتُمُوهَا وَإِنْ كُنْتُمْ تُكَفِّرُونَ بَأْسَ اللَّهِ وَلَمْ يُرْسِلْ بِالْبَأْسِ الَّذِي كَفَرْتُمْ بِالنَّبِيِّ إِنْ أُنزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ آيَاتِهِ لَتَكُونُنَّ مِنْ خَاسِرِي آلِهَتِكُمْ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنَاجِدُ مِنَ اللَّهِ وَإِنَّ إِلَهُهُمُ إِلَهُكُمْ وَهُمْ لَكَاذِبُونَ } [الأعراف : ١٣١].

وفي قوله تعالى: {قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ} [يس : ١٨]، أربعة وجوه:  
أحدها : معناه: تشاءمنا بكم، وذلك أن المطر حبس عنهم، فقالوا أصابنا هذا الشر، يعنون: قحط المطر. من قبلكم. قاله مقاتل (٤).

قال الماوردي: "قيل إنه حبس المطر عن أنطاكية في أيامهم" (٥).  
الثاني : معناه: إن أصابنا شر فإنما هو من أجلكم ، قاله قتادة (٦).  
قال الماوردي: " وذلك: " تحذيراً من الرجوع عن دينهم " (٧).  
الثالث : يقولون: لم يدخل مثلكم إلى قرية إلا عذب أهلها. قاله مجاهد (٨).  
الرابع: استوحشنا منكم فيما دعوتمونا إليه من دينكم. حكاها الماوردي (٩).  
قوله تعالى: {لئن لم تنتهوا لنرجمنكم} [يس : ١٨]، أي: " لئن لم تكفوا عن دعوتكم لنا لنقتلنكم رمياً بالحجارة " (١٠).

قال الطبري: " يقول: لئن لم تنتهوا عمّا ذكرتم من أنكم أرسلتم إلينا بالبراءة من آلهتنا، والنهي عن عبادتنا لنرجمنكم، قيل: عني بذلك لنرجمنكم بالحجارة " (١١).

قال مقاتل: " لئن لم تسكتوا عنا لنقتلنكم " (١٢).

عن قتادة: " {لئن لم تنتهوا لنرجمنكم} بالحجارة " (١٣).

قال السدي: " يعني: لنقتلنكم " (١٤).

قال الحسن: " لنرجمنكم بالحجارة حتى نقتلكم بها " (١٥).

قال الفراء: " يريد: لنقتلنكم. وعامة ما كان في القرآن من الرجم فهو قتل « ٢ » ، كقوله: {وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ} [هود : ٩١] " (١٦).

قوله تعالى: {وَلْيَمْسِكُمْ مِثْلًا عَذَابُ أَلِيمٍ} [يس : ١٨]، أي: " وليصيبنكم مثلاً عذاب أليم موجه " (١٧).

(١) تفسير الطبري: ٥٠٢ / ٢٠.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٦٩ / ٦.

(٣) الكشف: ٩ / ٤.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٦ / ٣.

(٥) النكت والعيون: ١١ / ٥.

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٠٥١): ص ٣١٩٢ / ١٠.

(٧) النكت والعيون: ١٢ / ٥.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٠٦ - ٥٠٥ / ٦.

(٩) انظر: النكت والعيون: ١١ / ٥.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٤١.

(١١) تفسير الطبري: ٥٠٢ / ٢٠.

(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٦ / ٣.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٥١): ص ٣١٩٢ / ١٠.

(١٤) حكاها عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٠٤ / ٢.

(١٥) حكاها عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٠٤ / ٢.

(١٦) معاني القرآن: ٣٧٤ / ٢.

قال الطبري: "يقول: ولينالكم مآ عذاب موجع"<sup>(٢)</sup>.  
 قال ابن كثير: "أي: عقوبة شديدة"<sup>(٣)</sup>.  
 قال يحيى: أي: "موجع قبل أن تقتلكم"<sup>(٤)</sup>.  
 قال الشوكاني: "هو التعذيب المؤلم من غير تقييد بنوع خاص وهذا هو الظاهر"<sup>(٥)</sup>.  
 قال أبو العالية: "الأليم: الموجع في القرآن كله"<sup>(٦)</sup>، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك<sup>(٧)</sup>.

## القرآن

**{قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ دُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (١٩)} [يس : ١٩]**

التفسير:

قال المرسلون: شؤمكم وأعمالكم من الشرك والشر معكم ومردودة عليكم، إن وُعظتم بما فيه خيركم تشاءمتم وتوعدتمونا بالرجم والتعذيب؟ بل أنتم قوم عادتكم الإسراف في العصيان والتكذيب.

قوله تعالى: {قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ} [يس : ١٩]، أي: "قال المرسلون: شؤمكم وأعمالكم من الشرك والشر معكم ومردودة عليكم"<sup>(٨)</sup>.

قال الطبري: "قالت الرسل لأصحاب القرية: أعمالكم وأرزاقكم وحظكم من الخير والشر معكم، ذلك كله في أعناقكم، وما ذلك من شؤمنا إن أصابكم سوء فيما كتب عليكم، وسبق لكم من الله"<sup>(٩)</sup>.

قال السمعاني: "أي: شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم الرسل"<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن كثير: "فقال لهم رسلهم: {طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ} أي: مردود عليكم، كقوله تعالى في قوم فرعون: {فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ} [الأعراف : ١٣١]، وقال قوم صالح: {اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ} قال طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ} [النمل : ٤٧]"<sup>(١١)</sup>.

قال الشوكاني: "أي: شؤمكم معكم من جهة أنفسكم، لازم في أعناقكم، وليس هو من شؤمنا"<sup>(١٢)</sup>.

قال مقاتل: "الذي أصابكم كان مكتوبا في أعناقكم"<sup>(١٣)</sup>.

عن قتادة: "أي: أعمالكم معكم"<sup>(١٤)</sup>.

عن ابن عباس، وعن كعب وعن وهب بن منبه: "قالت لهم الرسل: {طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ}، أي: أعمالكم معكم"<sup>(١٥)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٤١.

(٢) تفسير الطبري: ٥٠٢/٢٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٧٠/٦.

(٤) تفسير يحيى بن سلام: ٨٠٤/٢.

(٥) فتح القدير: ٤١٨/٤.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٤٥١): ص ٨٢٣/٣.

(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٤٤٥١): ص ٨٢٣/٣.

(٨) التفسير الميسر: ٤٤١.

(٩) تفسير الطبري: ٥٠٣/٢٠.

(١٠) تفسير السمعاني: ٣٧٢/٤.

(١١) تفسير ابن كثير: ٥٧٠/٦.

(١٢) فتح القدير: ٤١٨/٤.

(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٦/٣.

(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٥١): ص ٣١٩٢/١٠.

(١٥) أخرجه الطبري: ٥٠٣/٢٠.

قال الفراء: "الطائر هاهنا: الأعمال والرزق. يقول: هُوَ فِي أَعْنَاقِكُمْ" (١).  
 قوله تعالى: {أَيْنَ دُكِّرْتُمْ} [يس: ١٩]، أي: "أَيْنَ وَعُظِّمْتُمْ بِمَا فِيهِ خَيْرِكُمْ تَشَاءُمْتُمْ  
 وَتَوَعَّدْتُمُونَا بِالرَّجْمِ وَالتَّعْذِيبِ؟" (٢).  
 قال ابن كثير: "أي: من أجل أنا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله وإخلاص العبادة له ،  
 قابلتمونا بهذا الكلام ، وتوعدتمونا وتهددتمونا؟" (٣).  
 عن قتادة: "يقول: أئن ذكرناكم بالله تطيرتم بنا؟" (٤).  
 قال السدي: "يعني: وعظمت" (٥).  
 قال مقاتل: "أئن وعظمت بالله- عز وجل- تطيرتم بنا؟" (٦).  
 قال الفراء: "وقد دُكِّرَ عَنْ بَعْضِ الْقُرَّاءِ: «طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ دُكِّرْتُمْ» وَ «دُكِّرْتُمْ» يَرِيدُ:  
 طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ حَيْثُمَا كُنْتُمْ" (٧).  
 قوله تعالى: {بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ} [يس: ١٩]، أي: "بل أنتم قوم عادتكم الإسراف في  
 العصيان والتكذيب" (٨).  
 قال الطبري: "يقول: قالوا لهم: ما بكم التطير بنا، ولكنكم قوم أهل معاصي الله وآثام، قد  
 غلبت عليكم الذنوب والآثام" (٩).  
 قال السمعاني: "أي أي: مجاوزون الحد" (١٠).  
 قال يحيى: أي: "مشركون" (١١).  
 قال مقاتل: "قوم مشركون، و«الشرك»: أسرف الذنوب" (١٢).  
 قال الزمخشري: "بل أنتم قوم مسرفون"، في العصيان: ومن ثم أتاكم الشؤم، لا من قبل  
 رسل الله وتذكيرهم، أو {بل أنتم قوم مسرفون}، في ضلالكم متمادون في غيكم، حيث تتشاءمون  
 بمن يجب التبرك به من رسل الله" (١٣).  
 وقال ابن بحر: "«السرف» -ها هنا-: الفساد، ومعناه: بل أنتم قوم مفسدون ، ومنه قول  
 الشاعر (١٤):  
 إن امرأ سرف الفؤاد يرى ... عسلاً بماء غمامة شتمي" (١٥).  
 قال الفيروزآبادي: يقال: "رجل سرف الفؤاد، وسرف العقل: فاسده" (١٦).  
 قال القرطبي: "ورجل سرف الفؤاد، أي: مخطئ الفؤاد غافلة" (١٧).  
 فوائد الآيات: [١٣-١٩]:

- 
- (١) معاني القرآن: ٣٧٤/٢.
  - (٢) التفسير الميسر: ٤٤١.
  - (٣) تفسير ابن كثير: ٥٧٠/٦.
  - (٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٥١): ص ٣١٩٢/١٠.
  - (٥) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٠٤/٢.
  - (٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٦/٣.
  - (٧) معاني القرآن: ٣٧٤/٢.
  - (٨) التفسير الميسر: ٤٤١.
  - (٩) تفسير الطبري: ٥٠٤/٢٠.
  - (١٠) تفسير السمعاني: ٣٧٢/٤.
  - (١١) تفسير يحيى بن سلام: ٨٠٤/٢.
  - (١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٦/٣.
  - (١٣) الكشاف: ٩/٤.
  - (١٤) البيت غير منسوب في النكت والعيون: ١٢/٥. وهو لطرفة في تفسير القرطبي: ١١١/٧، وروايته فيه: «  
 إن امرأ سرف الفؤاد يرى ... عسلاً بماء سحابة شتمي»
  - (١٥) نقلاً عن: النكت والعيون: ١٢/٥.
  - (١٦) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٢١٦/٣.
  - (١٧) تفسير القرطبي: ١١١/٧.

- ١- استحسان ضرب المثل وهو تصوير حالة غريبة بحالة أخرى مثلها كما هنا في قصة حبيب بن النجار.
- ٢- تشابه الكفار في التكذيب والإصرار في كل زمان ومكان.
- ٣- لجوء أهل الكفر بعد إقامة الحجّة عليهم إلى التهديد والوعيد.
- ٤- حرمة التطير والتشاؤم في الإسلام.

## القرآن

{وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٢١)} [يس: ٢١]

التفسير:

وجاء من مكان بعيد في المدينة رجل مسرع (وذلك حين علم أن أهل القرية همّوا بقتل الرسل أو تعذيبهم) ، قال: يا قوم اتبعوا المرسلين إليكم من الله، اتبعوا الذين لا يطلبون منكم أموالاً على إيلاخ الرسالة، وهم مهتدون فيما يدعونكم إليه من عبادة الله وحده.

قوله تعالى: {وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى} [يس: ٢١]، أي: "وجاء من مكان بعيد في المدينة رجل مسرع"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: "يقول: وجاء من أقصى مدينة هؤلاء القوم الذين أرسلت إليهم هذه الرسل رجل يسعى إليهم؛ وذلك أن أهل المدينة هذه عزموا، واجتمعت آراؤهم على قتل هؤلاء الرسل الثلاثة فيما ذكر، فبلغ ذلك هذا الرجل، وكان منزله أقصى المدينة، وكان مؤمناً، وكان اسمه فيما ذكر «حبيب بن مري»"<sup>(٢)</sup>.

قال يحيى: "وجاء من أقصى المدينة": أنطاكية، {رجل يسعى}، يعني: يسرع، وهو حبيب النجار"<sup>(٣)</sup>.

قال أبو مجلز: "كان صاحب يس «حبيب بن مري»"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن عباس: "كان اسم صاحب يس «حبيباً»، وكان الجذام قد أسرع فيه"<sup>(٥)</sup>.

قال قتادة: "ذكر لنا أن اسمه «حبيب»، وكان في غار يعبد ربه، فلما سمع بهم أقبل إليهم"<sup>(٦)</sup>.

وفي رواية: قال قتادة: "بلغني أنه كان يعبد الله في غار واسمه حبيب سمع بهؤلاء النفر الذين أرسلهم عيسى إلى أنطاكية"<sup>(٧)</sup>.

قال عمر بن الحكم: "بلغنا أنه كان قصاراً"<sup>(٨)</sup>.

عن محمد بن إسحاق فيما بلغه، عن ابن عباس، وعن كعب الأحبار وعن وهب بن منبه اليماني: "أنه كان رجلاً من أهل أنطاكية، وكان اسمه "حبيباً" وكان يعمل الجريز، وكان رجلاً سقيماً، قد أسرع فيه الجذام، وكان منزله عند باب من أبواب المدينة قاصياً، وكان مؤمناً ذا صدقة، يجمع كسبه إذا أمسى فيما يذكرون، فيقسمه نصفين، فيطعم نصفاً عياله، ويتصدق بنصف، فلم يهّمه سقمه ولا عمله ولا ضعفه، عن عمل ربه، قال: فلما أجمع قومه على قتل

(١) التفسير الميسر: ٤٤١.

(٢) تفسير الطبري: ٥٠٤ / ٢٠.

(٣) تفسير يحيى بن سلام: ٨٠٤ / ٢.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٠٤ / ٢٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٠٥ / ٢٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٥٠٥ / ٢٠.

(٧) تفسير عبدالرزاق (٢٤٧١): ص ٧٨ / ٣.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٥٥): ص ٣١٩٢ / ١٠.

الرسول، بلغ ذلك: "حبيباً" وهو على باب المدينة الأقصى، فجاء يسعى إليهم يذكرهم بالله، ويدعوهم إلى اتباع المرسلين، فقال: {يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ} (١).

عن كعب الأحبار: "ذكر له حبيب بن زيد بن عاصم أخو بني مازن بن النجار الذي كان مسيلمة الكذاب قطعه باليمامة حين جعل يسأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل يقول: أنتشهد أن محمداً رسول الله؟ فيقول: نعم، ثم يقول: أتشهد أني رسول الله؟ فيقول له: لا أسمع، فيقول مسيلمة: أسمع هذا، ولا تسمع هذا؟ فيقول: نعم، فجعل يقطعه عضواً عضواً، كلما سأله لم يزد على ذلك حتى مات في يديه، قال كعب حين قيل له اسمه "حبيب": وكان والله صاحب يس اسمه: «حبيب»" (٢).

قوله تعالى: {قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ} [يس: ٢١]، أي: "قال: يا قوم اتبعوا المرسلين إليكم من الله" (٣).

قال الطبري: "قال الرجل الذي جاء من أقصى المدينة لقومه: يا قوم اتبعوا المرسلين الذين أرسلهم الله إليكم، واقبلوا منهم ما أتوكم به" (٤).

قال ابن كثير: "يحض قومه على اتباع الرسل الذين أتوهم" (٥).  
قوله تعالى: {اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [يس: ٢١]، أي: "اتبعوا الذين لا يطلبون منكم أموالاً على إبلاغ الرسالة، وهم مهتدون فيما يدعونكم إليه من عبادة الله وحده" (٦).

قال الطبري: "ذكر أنه لما أتى الرسل سألهم: هل يطلبون على ما جاءوا به أجراً؟ فقالت الرسل: لا فقال لقومه حينئذ: اتبعوا من لا يسألكم على نصيحتهم لكم أجراً، وهم على استقامة من طريق الحق، فاهتدوا أيها القوم بهداهم" (٧).

قال ابن كثير: " { اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا } أي: على إبلاغ الرسالة، { وَهُمْ مُهْتَدُونَ } فيما يدعونكم إليه، من عبادة الله وحده لا شريك له" (٨).

عن ابن عباس، وعن كعب الأحبار، وعن وهب بن منبه: " { اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ }، أي: لا يسألونكم أموالكم على ما جاءوكم به من الهدى، وهم لكم ناصحون، فاتبعوهم تهتدوا بهداهم" (٩).

قال قتادة: "لما انتهى إليهم -يعني إلى الرسول- قال: هل تسألون على هذا من أجر؟ قالوا: لا فقال عند ذلك: { يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ }" (١٠).

قال مجاهد: "كان رجلاً من قوم يونس، وكان به جذام، وكان يطيف بالهتيم يدعوها، إذ مر على قوم مجتمعين، فاتاهم فإذا هم قد قتلوا نبيين، فبعث الله إليهم الثالث، فلما سمع قوله: قال: يا عبد الله إن معي ذهباً فهل أنت أخذه مني وأتبعك وتدعو الله لي؟ قال: لا أريد ذهبك، ولكن اتبعني، فلما رأى الذي به دعا الله له فبرأ، فلما رأى ما صنع به { قال يا قوم اتبعوا المرسلين } { ٢٠ } اتبعوا من لا يسألكم أجراً { [يس: ٢٠-٢١]، لما كان عرض عليه من الذهب فلم يقبله منه { وهم مهتدون }" (١١).

## القرآن

- (١) أخرجه الطبري: ٥٠٤-٥٠٥.
- (٢) أخرجه الطبري: ٥٠٥/٢٠.
- (٣) التفسير الميسر: ٤٤١.
- (٤) تفسير الطبري: ٥٠٥/٢٠.
- (٥) تفسير ابن كثير: ٥٧٠/٦.
- (٦) التفسير الميسر: ٤٤١.
- (٧) تفسير الطبري: ٥٠٥-٥٠٦/٢٠.
- (٨) تفسير ابن كثير: ٥٧٠/٦.
- (٩) أخرجه الطبري: ٥٠٦/٢٠.
- (١٠) أخرجه الطبري: ٥٠٦/٢٠، وانظر: تفسير عبدالرزاق (٢٤٧١): ص ٧٨/٣.
- (١١) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٠٥/٢.



## {وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢)} [يس : ٢٢]

التفسير:

وأى شيء يمنعني من أن أعبد الله الذي خلقتني، وإليه تصيرون جميعاً؟  
قال قتادة: "هذا رجل دعا قومه إلى الله، وأبدى لهم النصيحة فقتلوه على ذلك" (١).  
عن قتادة قوله: "{إلا على الذي فطرني}"، أي: خلقتني" (٢).  
قال الطبري: "أي: وأي شيء لي لا أعبد الرب الذي خلقتني، وإليه تصيرون أنتم أيها القوم وتردون جميعاً، وهذا حين أبدى لقومه إيمانه بالله وتوحيده" (٣).  
قال ابن كثير: "أي: وما يمنعني من إخلاص العبادة للذي خلقتني وحده لا شريك له، {وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} أي: يوم المعاد، فيجازيكم على أعمالكم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر" (٤).  
عن ابن عباس، وعن كعب الأحبار، وعن وهب بن منبه قال: ناداهم -يعني نادى قومه- بخلاف ما هم عليه من عبادة الأصنام، وأظهر لهم دينه وعبادة ربه، وأخبرهم أنه لا يملك نفعه ولا ضره غيره، فقال: {وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أَلَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً} ثم عابها، فقال: {إِنْ يَرِدَْنَّ الرَّحْمَنُ بَضْرًا} وشدة {لَا تُعْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِدُونَ} (٥).

## القرآن

{أَلَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدَْنَّ الرَّحْمَنُ بَضْرًا لَّا تُعْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِدُونَ (٢٣) إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٤) إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُون (٢٥)} [يس : ٢٣-٢٥]

التفسير:

أعبد من دون الله آلهة أخرى لا تملك من الأمر شيئاً، إن يردني الرحمن بسوء فهذه الآلهة لا تملك دفع ذلك ولا منعه، ولا تستطيع إنقاذي مما أنا فيه؟ إني إن فعلت ذلك لفي خطأ واضح ظاهر. إني آمنت بربكم فاستمعوا إلى ما قلته لكم، وأطيعوني بالإيمان.  
قوله تعالى: {أَلَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً} [يس : ٢٥]، أي: "أعبد من دون الله آلهة أخرى لا تملك من الأمر شيئاً" (١).

قال الطبري: "يقول: أعبد من دون الله آلهة، يعني معبوداً سواه" (٧).  
قال ابن كثير: "استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع" (٨).  
قوله تعالى: {إِنْ يَرِدَْنَّ الرَّحْمَنُ بَضْرًا لَّا تُعْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا} [يس : ٢٣]، أي: "إن يردني الرحمن بسوء فهذه الآلهة لا تملك دفع ذلك ولا منعه" (٩).  
قال الطبري: "يقول: إذ مسني الرحمن بضر وشدة لا تغني عني شيئاً بكونها إليّ شفعاء، ولا تقدر على رفع ذلك الضر عني" (١٠).

قال ابن كثير: "أي: هذه الآلهة التي تعبدونها من دونه لا يملكون من الأمر شيئاً. فإن الله لو أرادني بسوء، {فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ} [يونس : ١٠٧] وهذه الأصنام لا تملك دفع ذلك ولا منعه" (١١).

قوله تعالى: {وَلَا يُنْقِدُونَ} [يس : ٢٣]، أي: "ولا يقدر على إنقاذي من عذاب الله" (١).

(١) أخرجه الطبري: ٥٠٧/٢٠.

(٢) أخرجه الطبري (١٨٢٦٠): ص ٣٥٨/١٥.

(٣) تفسير الطبري: ٥٠٦/٢٠.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٧١/٦.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٠٦/٢٠-٥٠٧.

(٦) التفسير الميسر: ٤٤١.

(٧) تفسير الطبري: ٥٠٧/٢٠.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٧١/٦.

(٩) التفسير الميسر: ٤٤١.

(١٠) تفسير الطبري: ٥٠٧/٢٠.

(١١) تفسير ابن كثير: ٥٧١/٦.

قال الطبري: "يقول: ولا يخلصوني من ذلك الضر إذا مسني"<sup>(٢)</sup>.  
قال ابن كثير: "ولا ينفذونني مما أنا فيه"<sup>(٣)</sup>.  
قوله تعالى: {إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} [يس : ٢٤]، أي: "إني إن عبدت غير الله واتخذت الأصنام آلهة لفي خسران ظاهر جلي"<sup>(٤)</sup>.  
قال الطبري: "يقول إني إن اتخذت من دون الله آلهة هذه صفتها {إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} لمن تأمله، جوره عن سبيل الحق"<sup>(٥)</sup>.  
عن السدي: {إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}، "يعني: في خسران بين"<sup>(٦)</sup>.  
قوله تعالى: {إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ} [يس : ٢٥]، أي: "إني آمنت بربكم فاستمعوا إلى ما قلته لكم، وأطيعوني بالإيمان"<sup>(٧)</sup>.  
قال قتادة: "هذا رجل دعا قومه إلى الله، وأبدى لهم النصيحة فقتلوه على ذلك. وذكر لنا أنهم كانوا يرمونه بالحجارة، وهو يقول: اللهم اهد قومي، اللهم اهد قومي، اللهم اهد قومي، حتى أفحصوه وهو كذلك"<sup>(٨)</sup>.  
عن ابن عباس، وعن كعب، وعن وهب بن منبه قال لهم: {وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي} .. إلى قوله {فَاسْمِعُونِ} وثبوا وثبة رجل واحد فقتلوه واسضعفوه لضعفه وسقمه، ولم يكن أحد يدفع عنه"<sup>(٩)</sup>.  
عن ابن إسحاق، عن بعض أصحابه أن عبد الله بن مسعود كان يقول: "وطنوه بأرجلهم حتى خرج فُصْبُه من دُبُرِه"<sup>(١٠)</sup>.  
وفي قوله تعالى: {إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ} [يس : ٢٥]، وجهان من التفسير: أحدهما : أنه خاطب الرسل بذلك أنه يؤمن بالله ربهم {فَاسْمِعُونِ}، أي: فاشهدوا لي، قاله ابن مسعود<sup>(١١)</sup>، وكعب<sup>(١٢)</sup>.  
قال كعب: إنه قال لقومه: {يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ} إلى قوله: {إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}. ثم أقبل على الرسل فقال: {إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ} ليشهدهم على إيمانه"<sup>(١٣)</sup>.  
قال الزجاج: "فأشهد الرسل على إيمانه"<sup>(١٤)</sup>.  
قال الفراء: "أي: فاشهدوا لي بذلك. يقوله حبيب للرسل الثلاثة"<sup>(١٥)</sup>.  
الثاني : أنه خاطب قومه بذلك، ومعناه: إني آمنت بربكم الذي كفرتم به فاسمعوا قولي، قاله ابن عباس<sup>(١٦)</sup>، وكعب<sup>(١٧)</sup>، وهب بن منبه<sup>(١٨)</sup>، ومحمد بن إسحاق<sup>(١)</sup>.

- (١) صفوة التفسير: ٨/٣.
- (٢) تفسير الطبري: ٥٠٧/٢٠.
- (٣) تفسير ابن كثير: ٥٧١/٦.
- (٤) صفوة التفسير: ٨/٣.
- (٥) تفسير الطبري: ٥٠٧/٢٠.
- (٦) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨٠٥/٢.
- (٧) التفسير الميسر: ٤٤١.
- (٨) أخرجه الطبري: ٥٠٨-٥٠٧/٢٠.
- (٩) أخرجه الطبري: ٥٠٨/٢٠.
- (١٠) أخرجه الطبري: ٥٠٩-٥٠٨/٢٠.
- (١١) انظر: النكت والعيون: ١٤/٥.
- (١٢) التفسير البسيط للواحد: ٤٦٨/١٨.
- (١٣) التفسير البسيط للواحد: ٤٦٨/١٨، و"المحرر الوجيز" ٤/٤٥١، "القرطبي" ١٩/١٥، وأورده السيوطي في "الدر" ٥١/٧، وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر.
- (١٤) معاني القرآن: ٢٨٣/٤.
- (١٥) معاني القرآن: ٣٧٤/٢.
- (١٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٧/٢٠.
- (١٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٧/٢٠.
- (١٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٧/٢٠.

قال محمد بن إسحاق: "إني آمنت بربكم الذي كفرتم به، فاسمعوا قولي"<sup>(٢)</sup>.  
 قال مقاتل: "فلما أمر بقتله، قال: يا قوم، {إني آمنت بربكم فاسمعون}، فقتل، ثم ألقى في  
 البئر وهي الرسل، وهم أصحاب «الرس»، وقتل الرسل الثلاثة"<sup>(٣)</sup>.  
 قال ابن كثير: "يحتمل أن يكون خطابه للرسل بقوله: {إني آمنت بربكم}، أي: الذي  
 أرسلكم، {فاسمعون}، أي: فاشهدوا لي بذلك عنده. وقد حكاه ابن جرير فقال: وقال آخرون:  
 بل خاطب بذلك الرسل، وقال لهم: اسمعوا قولي، لتشهدوا لي بما أقول لكم عند ربي، إني قد  
 آمنت بربكم واتبعتكم. وهذا القول الذي حكاه هؤلاء أظهر في المعنى، والله أعلم"<sup>(٤)</sup>.

## القرآن

{قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ  
 [يس: ٢٦ - ٢٧]}

التفسير:

قيل له بعد قتله: ادخل الجنة، إكراماً له. قال وهو في النعيم والكرامة: يا ليت قومي يعلمون  
 بغفران ربي لي وإكرامه إياي؛ بسبب إيماني بالله وصبري على طاعته، واتباع رسله حتى  
 قُتِلت، فيؤمنوا بالله فيدخلوا الجنة مثلي.  
 قوله تعالى: {قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ} [يس: ٢٦]، أي: "قيل له بعد قتله: ادخل الجنة، إكراماً  
 له"<sup>(٥)</sup>.

عن مجاهد، قوله: "قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ"، قال: وجبت له الجنة"<sup>(٦)</sup>.

قال محمد بن إسحاق، عن بعض أصحابه، عن ابن مسعود: "إنهم وطئوه بأرجلهم  
 حتى خرج قُصْبُهُ من دبره وقال الله له: {ادْخُلِ الْجَنَّةَ}، فدخلها فهو يرزق منها، قد أذهب الله  
 عنه سُقْمَ الدُّنْيَا وحزنها ونَصَبَهَا"<sup>(٧)</sup>.

قال الزمخشري: "فقيل: {قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ}، ولم يقل: «قيل له»، لانصباب الغرض إلى  
 المقول وعظمه، لا إلى المقول له مع كونه معلوماً"<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: {قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ  
 [يس: ٢٦ - ٢٧]، أي: "قال وهو في النعيم والكرامة: يا ليت قومي يعلمون بغفران ربي  
 لي وإكرامه إياي؛ بسبب إيماني بالله وصبري على طاعته، واتباع رسله حتى قُتِلت، فيؤمنوا بالله  
 فيدخلوا الجنة مثلي"<sup>(٩)</sup>.

عن مجاهد، قوله: "قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ"، قال: هذا حين رأى الثواب"<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن كثير: "مقصوده: أنهم لو اطلعوا على ما حصل من هذا الثواب والجزاء والنعيم  
 المقيم، لقادهم ذلك إلى اتباع الرسل، فرحمه الله ورضي عنه، فلقد كان حريصاً على هداية  
 قومه"<sup>(١١)</sup>.

(١) التفسير البسيط للواحي: ٤٦٧/١٨.

(٢) التفسير البسيط للواحي: ٤٦٧/١٨.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٧/٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٧١/٦.

(٥) التفسير الميسر: ٤٤١.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٥٦): ص ٣١٩٣/١٠.

(٧) نقلاً عن تفسير ابن كثير: ٥٧٢/٦.

(٨) الكشاف: ١١/٤.

(٩) التفسير الميسر: ٤٤١.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٥٦): ص ٣١٩٣/١٠.

(١١) تفسير ابن كثير: ٥٧٢/٦.

قال الزجاج: {بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي}، "أي: بمغفرة ربي لي، {من المكرمين}، أي: من المدخلين الجنة. وقيل أيضا: {بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي}، أي: ليتهم يعلمون بالعمل والإيمان الذي غفر لي به ربي"<sup>(١)</sup>.

عن أبي مجلز: "{بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ}: بإيماني بربي وتصديقي المرسلين"<sup>(٢)</sup>.

قال الزمخشري: قوله: {بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي}: «ما» المصدرية أو الموصولة، أي: بالذي غفره لي من الذنوب. ويحتمل أن تكون استفهامية، يعني: بأى شيء غفر لي ربي، يريد به ما كان منه معهم من المصابرة لإعزاز الدين حتى قتل، إلى أن قولك: «بِمَا غَفَرَ لِي» بطرح الألف أجود وإن كان إثباتها جائزا، يقال: قد علمت بما صنعت هذا، أي: بأى شيء صنعت وبم صنعت"<sup>(٣)</sup>.

قال الزمخشري: "وإنما تمنى علم قومه بحاله، ليكون علمهم بها سببا لاكتساب مثلها لأنفسهم، بالتوبة عن الكفر والدخول في الإيمان والعمل الصالح المفضيين بأهلها إلى الجنة. وفي حديث مرفوع: «نصح قومه حيا وميتا»<sup>(٤)</sup>. وفيه تنبيه عظيم على وجوب كظم الغيظ، والحلم عن أهل الجهل، والترؤف على من أدخل نفسه في عمار الأشرار وأهل البغي، والتشمر في تخليصه والتلطف في افتدائه، والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه. ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة أصنام. ويجوز أن يتمنى ذلك ليعلموا أنهم كانوا على خطأ عظيم في أمره، وأنه كان على صواب ونصيحة وشفقة، وأن عداوتهم لم تكسبه إلا فوزا ولم تعقبه إلا سعادة، لأن في ذلك زيادة غبطة له وتضاعف لذة وسرور"<sup>(٥)</sup>.

قال مقاتل: "فلما ذهبت روح حبيب إلى الجنة ودخلها وعابن ما فيها من النعيم تمنى في {قال يا ليت قومي يعلمون}، بني إسرائيل {بِمَا} بأي شيء {غفر لي ربي وجعلني من المكرمين}، باتباعي المرسلين، فلو علموا لآمنوا بالرسول فنصح لهم في حياته، وبعد موته"<sup>(٦)</sup>.

قال قتادة: "فرجموه بالحجارة، فجعل يقول رب اهد قومي، أحسبه قال: فإنهم لا يعلمون، قال: فلم يزلوا يرحمونه حتى قتلوه فدخل الجنة، فقال {يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي} [يس: ٢٦] حتى بلغ {إن كانت إلا صيحة واحدة} [يس: ٢٩] قال: فما نوظروا بعد قتلهم إياه حتى أخذتهم صيحة واحدة، {فإذا هم خامدون} [يس: ٢٩]"<sup>(٧)</sup>.

وقال قتادة: "فلا تلقى المؤمن إلا ناصحا، ولا تلقاه غاشئا، فلما عابن من كرامة الله {قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ}، تمنى على الله أن يعلم قومه ما عابن من كرامة الله، وما هجم عليه"<sup>(٨)</sup>.

وقال ابن عباس: "نصح قومه في حياته بقوله: {يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ} [يس: ٢٠] ، وبعد مماته في قوله: {يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ \* بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ}"<sup>(٩)</sup>.  
فوائد الآيات: [٢٧-٢٠]:

(١) معاني القرآن: ٢٨٣/٤.

(٢) رواه سفيان كما تفسير ابن كثير: ٥٧٢/٦.

(٣) الكشاف: ١١/٤-١٢.

(٤) ورد هذا في قصة عروة بن مسعود أخرجه ابن مردويه من حديث المغيرة بن شعبه، فذكر القصة وفي آخرها «فكان يقول وهو في النزاع: يا معشر ثقيف انتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلبوا منه الأمان، قبل أن يبلغه موتى فيغزوكم. فلم يزل كذلك حتى مات، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم. فقال: لقد نصح قومه حيا وميتا، وشبهه بصاحب يس».

وروي ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٧٢/٦ عن ابن عباس نحوه.

(٥) الكشاف: ١١/٤.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٧/٣.

(٧) تفسير عبدالرزاق (٢٤٧١): ص ٧٨/٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٥٠٩ / ٢٠.

(٩) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٧٢/٦.

- ١- بيان كرامة حبيب بن النجار الذي نصح قومه حياً وميتاً.
- ٢- بيان ما يلاقي دعاة التوحيد والدين الحق في كل زمان ومكان من شدائد وأهوال.
- ٣- وجوب إبلاغ دعوة الحق والتنديد بالشرك ومهما كان العذاب قاسياً.
- ٤- بشرى المؤمن عند الموت لا سيما الشهيد فإنه يرى الجنة رأي العين.

## القرآن

{وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ (٢٨)} [يس: ٢٨]

التفسير:

وما احتاج الأمر إلى إنزال جند من السماء لعذابهم بعد قتلهم الرجل الناصح لهم وتكذيبهم رسلهم، فهم أضعف من ذلك وأهون، وما كنا منزلين الملائكة على الأمم إذا أهلكتناهم، بل نبعث عليهم عذاباً يدمرهم.

قوله تعالى: {وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ} [يس: ٢٨]، أي: "وما احتاج الأمر إلى إنزال جند من السماء لعذابهم بعد قتلهم الرجل الناصح لهم وتكذيبهم رسلهم، فهم أضعف من ذلك وأهون"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: يقول: "وما أنزلنا على قوم هذا المؤمن الذي قتله قومه لدعائه إياهم إلى الله ونصيحته لهم من بعد مهلكه {مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ}"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: "يخبر تعالى أنه انتقم من قومه بعد قتلهم إياه، غضباً منه تعالى عليهم؛ لأنهم كذبوا رسله، وقتلوا وليه. ويذكر تعالى: أنه ما أنزل عليهم، وما احتاج في إهلاكه إياهم إلى إنزال جند من الملائكة عليهم، بل الأمر كان أيسر من ذلك"<sup>(٣)</sup>.

وفي قوله تعالى: {وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ} [يس: ٢٨]، ثلاثة أقوال:

أحدها: معنى «جند من السماء»، أي: رسالة، قاله مجاهد<sup>(٤)</sup>، لأن الله تعالى قطع عنهم الرسل حين قتلوا رسله.

قال قتادة: "فلا والله ما عاتب الله قومه بعد قتله، {إِنْ كَانَتْ إِلَّا صِيحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ}"<sup>(٥)</sup>.

الثاني: أن «الجند»: الملائكة الذين يجيئون بالوحي إلى الأنبياء، فانقطع عنهم الوحي واستوجبوا العذاب، فجاءهم العذاب. وهذا تفسير الحسن<sup>(٦)</sup>.

والثالث: أن «الجند» الملائكة، والمعنى: أن الله تعالى ذكره لم يبعث لهم جنوداً يقاتلهم بها، ولكنه أهلكتهم بصيحة واحدة. وهذا معنى قول ابن مسعود<sup>(٧)</sup>، والضحاك<sup>(٨)</sup>.

عن ابن مسعود في قوله: "وما أنزلنا على قومه"، قال: ما استعنت عليهم جندا من السماء ولا من الأرض"<sup>(٩)</sup>. وروي عن الضحاك<sup>(١٠)</sup>، مثله.

عن ابن إسحاق، عن بعض أصحابه، أن عبد الله بن مسعود، قال: "غضب الله له -يعني لهذا المؤمن- لاستضعافهم إياه غضبة لم تبق من القوم شيئاً، فعجل لهم النعمة بما استحلوا منه،

(١) التفسير الميسر: ٤٤٢.

(٢) تفسير الطبري: ٥١٠/٢٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٧٢/٦.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٥١٠/٢٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٥١٠/٢٠.

(٦) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٠٦/٢.

(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٠٥٧): ص ٣١٩٣/١٠، وتفسير الطبري: ٥١٠-٥١١.

(٨) الدر المنثور: ٥٢/٧، وعزاه إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٥٧): ص ٣١٩٣/١٠.

(١٠) الدر المنثور: ٥٢/٧، وعزاه إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر.

وقال: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ يقول: ما كاترناهم بالجموع أي الأمر أيسر علينا من ذلك ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ فأهلك الله ذلك الملك وأهل أنطاكية، فبادوا عن وجه الأرض، فلم تبق منهم باقية<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: "القول الثاني أولى بتأويل الآية، وذلك أن الرسالة لا يقال لها جند إلا أن يكون أراد مجاهد بذلك الرُّسل، فيكون وجهًا، وإن كان أيضًا من المفهوم بظاهر الآية بعيدًا، وذلك أن الرسل من بني آدم لا ينزلون من السماء والخبر في ظاهر هذه الآية عن أنه لم ينزل من السماء بعد مهلك هذا المؤمن على قومه جنودًا وذلك بالملائكة أشبه منه ببني آدم"<sup>(٢)</sup>.

قال مقاتل: "يعني: من بعد قتل حبيب النجار"<sup>(٣)</sup>.

قال يحيى: "الجند -في تفسير الحسن-: الملائكة الذين يجيئون بالوحي إلى الأنبياء، فانقطع عنهم الوحي واستوجبوا العذاب، فجاءهم العذاب"<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ [يس: ٢٨]، أي: "وما كنا منزلين الملائكة على الأمم إذا أهلكناهم، بل نبعث عليهم عذابًا يدمرهم"<sup>(٥)</sup>.

قال مقاتل: يعني: "الملائكة"<sup>(٦)</sup>.

قال قتادة: "فلا، والله، ما عاتب الله قومه بعد قتله، ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾"<sup>(٧)</sup>.

## القرآن

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ (يس: ٢٩)

التفسير:

ما كان هلاكهم إلا بصيحة واحدة، فإذا هم ميتون لم تبق منهم باقية.

قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ [يس: ٢٩]، أي: "ما كان هلاكهم إلا بصيحة واحدة"<sup>(٨)</sup>.

قال الطبري: "يقول: ما كانت هلكتهم إلا صيحة واحدة أنزلها الله من السماء عليهم"<sup>(٩)</sup>.

قال قتادة: "ما نوظروا بعد قتلهم إياه حتى أخذتهم الصيحة"<sup>(١٠)</sup>.

قال مقاتل: "﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ من جبريل- عليه السلام- ليس لها مثوية"<sup>(١١)</sup>.

قال ابن سرين: "في قراءة ابن مسعود «إِنْ كَانَتْ إِلَّا رَتَقَةً وَاحِدَةً»، وفي قراءتنا: «إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً»"<sup>(١٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ [يس: ٢٩]، أي: "فإذا هم ميتون لم تبق منهم باقية"<sup>(١٣)</sup>.

قال الطبري: "فإذا هم هالكون"<sup>(١٤)</sup>.

(١) أخرجه الطبري: ٥١١-٥١٠ / ٢٠.

(٢) تفسير الطبري: ٥١١ / ٢٠.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٧/٣.

(٤) تفسير يحيى بن سلام: ٨٠٦/٢.

(٥) التفسير الميسر: ٤٤٢.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٧/٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٠.

(٨) التفسير الميسر: ٤٤٢.

(٩) تفسير الطبري: ٥١١ / ٢٠.

(١٠) التفسير البسيط للواحد: ٤٧٤/١٨، و"المحرر الوجيز" ٤ / ٤٥٢، "ابن كثير" ٣ / ٥٦٩.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٧/٣.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٥٨): ص ٣١٩٣/١٠.

(١٣) التفسير الميسر: ٤٤٢.

(١٤) تفسير الطبري: ٥١١ / ٢٠.

قال يحيى: " {فإذا هم خامدون} قد هلكوا" (١).  
 قال مقاتل: " {فإذا هم خامدون} موتى مثل النار إذا طفت لا يسمع لها صوت" (٢).  
 عن سعيد بن جبير-من طريق الخفاف:- " {فإذا هم خامدون}، قال: أحمدا، والله" (٣).  
 عن السدي، في قوله: " {فإذا هم خامدون}، قال: ميتون" (٤). وفي رواية،  
 قال: "مستون" (٥).

عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:  
 «سباق الأمم ثلاثة، لم يكفروا بالله طرفة عين: علي بن أبي طالب، وصاحب آل يس، ومؤمن  
 آل فرعون، فهم الصديقون وعلي أفضلهم» (٦).

قال ابن عباس ومقاتل والكلبي: كانت صيحة من جبريل، أخذ بعضادتي باب المدينة ثم  
 صاح بهم صيحة فإذا هم ميتون لا يسمع لهم صوت، مثل النار إذا أطفأت" (٧).

قال ابن كثير: " قال المفسرون : بعث الله إليهم جبريل ، عليه السلام ، فأخذ بعضادتي  
 باب بلدهم ، ثم صاح بهم صيحة واحدة فإذا هم خامدون عن آخرهم ، لم يبق فيهم روح تنردد  
 في جسد. وقد تقدم عن كثير من السلف أن هذه القرية هي أنطاكية ، وأن هؤلاء الثلاثة كانوا  
 رسلا من عند المسيح ، عليه السلام ، كما نص عليه قتادة وغيره ، وهو الذي لم يذكر عن واحد  
 من متأخري المفسرين غيره ، وفي ذلك نظر من وجوه :

أحدها : أن ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله ، عز وجل ، لا من جهة المسيح ،  
 كما قال تعالى : { إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ } إلى أن  
 قالوا : { رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ \* وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } [يس : ١٤ - ١٧]. ولو كان  
 هؤلاء من الحواريين لقالوا عبارة تناسب أنهم من عند المسيح ، عليه السلام ، والله أعلم. ثم لو  
 كانوا رسل المسيح لما قالوا لهم : { مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا } [يس : ١٥].

الثاني : أن أهل أنطاكية آمنوا برسول المسيح إليهم ، وكانوا أول مدينة آمنت بالمسيح ؛ ولهذا  
 كانت عند النصارى إحدى المدائن الأربعة اللاتي فيهن بئراكة ، وهن القدس لأنها بلد المسيح ،  
 وأنطاكية لأنها أول بلدة آمنت بالمسيح عن آخر أهلها ، والإسكندرية لأن فيها اصطلحوا على  
 اتخاذ البتاركة والمطارنة والأساقفة والقساوسة والشمامسة والراهبين. ثم رومية لأنها مدينة  
 الملك قسطنطين الذي نصر دينهم وأطده. ولما ابنتى القسطنطينية نقلوا البتريك من رومية إليها ،  
 كما ذكره غير واحد ممن ذكر تواريخهم كسعيد بن بطريق وغيره من أهل الكتاب والمسلمين ،  
 فإذا تقرر أن أنطاكية أول مدينة آمنت ، فأهل هذه القرية قد ذكر الله تعالى أنهم كذبوا رسله،  
 وأنه أهلكهم بصيحة واحدة أخدمتهم، فالله أعلم.

(١) تفسير يحيى بن سلام: ٨٠٦/٢.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٧/٣.

(٣) أخرجه الحربي في غريب الحديث ٦٧١ / ٢.

(٤) الدر المنثور: ٥٢/٧، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٠٥٩):ص٣١٩٣/١٠. والأثر السابق في الدر المنثور: ٥٢/٧: "ميتون"، والمعنيان  
 متقاربان لأن الاستواء بالقوم أي: تدميرهم. والله أعلم.

(٦) أخرجه الثعلبي في "تفسيره" ١٢٦/٨، بسنده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه. وأورده الطبرسي في  
 "مجمع البيان" ٦٥٩ / ٨، ونسبه للثعلبي، وأورده الزمخشري في "الكشاف" ٢٨٣ / ٣. وقال الزيلعي في "تخريج  
 أحاديث الكشاف" ١٦٢ / ٣: رواه الطبراني بنقص في "معجمه" من حديث حسين بن حسن الأشقر، عن سفيان  
 بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، ورواه كذلك ابن مردويه في "تفسيره"، والعقيلي في  
 "الضعفاء" وأعله بحسين الأشقر وقال: إنه شيعي متروك، ولا يعرف هذا إلا من جهته، وهو حديث منكر،  
 ورواه بلفظ الثعلبي من حديث عمرو بن جميع، عن محمد بن أبي ليلى، عن أخيه عيسى بن عبد الرحمن بن أبي  
 ليلى، عن أبيه. قال: وفيه عمرو بن جميع، وهو متروك.

(٧) التفسير البسيط للواحدى: ٤٧٣/١٨، وقد ذكر هذا القول البيهقي ١١ / ٤، وابن الجوزي في "زاد المسير"  
 ١٤ / ٧، وابن كثير في "تفسيره" ٥٦٩ / ٣، والشوكاني في "فتح القدير" ٣٦٧ / ٤، ونسبوه لأكثر المفسرين.

الثالث : أن قصة أنطاكية مع الحواريين أصحاب المسيح بعد نزول التوراة ، وقد ذكر أبو سعيد الخدري وغير واحد من السلف : أن الله تعالى بعد إنزاله التوراة لم يهلك أمة من الأمم عن آخرهم بعذاب يبعثه عليهم ، بل أمر المؤمنين بعد ذلك بقتال المشركين ، ذكروه عند قوله تعالى : { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى } [القصص : ٤٣]. فعلى هذا يتعين أن هذه القرية المذكورة في القرآن العظيم قرية أخرى غير أنطاكية ، كما أطلق ذلك غير واحد من السلف أيضا. أو تكون أنطاكية إن كان لفظها محفوظا في هذه القصة مدينة أخرى غير هذه المشهورة المعروفة ، فإن هذه لم يعرف أنها أهلكت لا في الملة النصرانية ولا قبل ذلك ، والله ، سبحانه وتعالى ، أعلم" (١).

## القرآن

{يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٠)} [يس : ٣٠]

التفسير:

يا حسرة العباد وندامتهم يوم القيامة إذا عاينوا العذاب، ما يأتيهم من رسول من الله تعالى إلا كانوا به يستهزئون ويسخرون.

قوله تعالى: {يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ} [يس : ٣٠]، أي: "يا حسرة العباد وندامتهم يوم القيامة إذا عاينوا العذاب" (٢).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: يا حسرة من العباد على أنفسهم وتندما وتلهفا في استهزائهم برسول الله" (٣).

قال مقاتل: "يا ندامة للعباد في الآخرة باستهزائهم بالرسول في الدنيا" (٤).

قال ابن عباس: "يقول: يا ويل للعباد" (٥).

قال مجاهد: "يا حسرة لهم" (٦).

عن عكرمة: "يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ، يعني: على أنفسهم" (٧).

قال مجاهد: "كان حسرة عليهم استهزأؤهم بالرسول" (٨).

عن قتادة: "يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ في أنفسهم" (٩).

قال قتادة: "أي: يا حسرة العباد على أنفسهم على ما ضيَّعت من أمر الله، وفرطت في جنب الله. قال: وفي بعض القراءات: «يَا حَسْرَةً الْعِبَادِ عَلَى أَنْفُسِهِا»" (١٠).

قال أبو العالية الرياحي: "لَمَّا عَايَنُوا الْعَذَابَ قَالُوا: {يَا حَسْرَةً} أي: ندامة على العباد، يعني: على الرسل الثلاثة حيث لم يؤمنوا بهم، فتمنَّوا الإيمان حين لم ينفَعهم" (١١).

قال قتادة: "أي: يا حسرة العباد على أنفسهم على ما ضيَّعت من أمر الله، وفرطت في جنب الله. قال: وفي بعض القراءات: «يَا حَسْرَةً الْعِبَادِ عَلَى أَنْفُسِهِا»" (١٢).

قال الواحدي: "يعني: هؤلاء حين استهزؤوا بالرسول فتحسروا عند العقوبة" (١٣).

(١) تفسير ابن كثير: ٥٧٣/٦-٥٧٤.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤٢.

(٣) تفسير الطبري: ٥١١/٢٠-٥١٢.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٨/٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٥١٢/٢٠.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٦٤): ص ٣١٩٣/١٠.

(٧) تفسير الثعلبي ١٢٧/٨، وتفسير البغوي ١٦/٧.

(٨) أخرجه الطبري: ٥١٢/٢٠.

(٩) أخرجه يحيى بن سلام ٨٠٦/٢.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥١٢/٢٠.

(١١) تفسير الثعلبي ١٢٧/٨، وتفسير البغوي ١٦/٧.

(١٢) أخرجه الطبري: ٥١٢/٢٠.

(١٣) الوجيز: ٨٩٩.



قال ابن كثير: " معنى هذا : يا حسرتهم وندامتهم يوم القيامة إذا عابنوا العذاب ، كيف كذبوا رسل الله ، وخالفوا أمر الله، فإنهم كانوا في الدار الدنيا المكذبون منهم" (١).  
 قال الزجاج: " المعنى في التفسير: أن استهزاءهم بالرسل حسرة عليهم. و«الحسرة»: أن يركب الإنسان من شدة الندم ما لا نهاية له بعده حتى يبقى قلبه حسيراً" (٢).  
 قال الزمخشري: " {يا حسرة على العباد}: نداء للحسرة عليهم، كأنما قيل لها: تعالي يا حسرة فهذه من أحوالك التي حقك أن تحضري فيها، وهي حال استهزائهم بالرسل. والمعنى أنهم أحقاء بأن يتحسر عليهم المتحسرون، ويتلطف على حالهم المتلهفون. أو هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين. ويجوز أن يكون من الله تعالى على سبيل الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على أنفسهم ومحنوها به، وفرط إنكاره له وتعجيبه منه" (٣).  
 قوله تعالى: {مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [يس : ٣٠]، أي: " ما يأتيهم من رسول من الله تعالى إلا كانوا به يستهزئون ويسخرون" (٤).  
 قال ابن كثير: " أي : يكذبونه ويستهزئون به ، ويجحدون ما أرسل به من الحق" (٥).

## القرآن

{أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ} (٣١) [يس : ٣١]

التفسير:

ألم ير هؤلاء المستهزئون ويعتبروا بمن قبلهم من القرون التي أهلكتناهم لا يرجعون إلى هذه الدنيا؟

قال الطبري: يقول: " ألم ير هؤلاء المشركون بالله من قومك يا محمد كم أهلكتنا قبلهم بتكذيبهم رسلنا، وكفرهم بآياتنا من القرون الخالية، أنهم إليهم لا يرجعون" (٦).  
 قال الواحدي: " يعني: ألم يروا أن الذين أهلكتناهم قبلهم لا يرجعون إليهم" (٧).  
 قال الزجاج: " أي: فيخافون أن يعجل لهم في الدنيا مثل الذي عجل لغيرهم ممن أهلك، وأنهم مع ذلك لا يعودون إلى الدنيا أبدا" (٨).

قال ابن كثير: " أي : ألم يتعضوا بمن أهلك الله قبلهم من المكذبين للرسل ، كيف لم تكن لهم إلى هذه الدنيا كرة ولا رجعة ، ولم يكن الأمر كما زعم كثير من جهلتهم وفجرتهم من قولهم : { إن هي إلا حياثنا الدنيا نموت ونحيا } [المؤمنون : ٣٧] ، وهم القائلون بالدور من الدهرية ، وهم الذين يعتقدون جهلا منهم أنهم يعودون إلى الدنيا كما كانوا فيها ، فرد الله تعالى عليهم باطلهم ، فقال : { أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ }" (٩).

قال مقاتل: {قَبْلَهُمْ}: " قبل كفار مكة، {مِنَ الْقُرُونِ} الأمم: عاد وثمود وقوم لوط، فيرى أهل مكة من هلاكهم أنهم إليهم لا يرجعون إلى الحياة الدنيا" (١٠).  
 عن قتادة: " {أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ}، قال: عاد وثمود، وقرون بين ذلك كثير" (١١).

(١) تفسير ابن كثير: ٥٧٤/٦.

(٢) معاني القرآن: ٢٨٦/٤.

(٣) الكشف: ١٣/٤.

(٤) التفسير الميسر: ٤٤٢.

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٧٤/٦.

(٦) تفسير الطبري: ٥١٢ / ٢٠.

(٧) الوجيز: ٨٩٩.

(٨) معاني القرآن: ٢٨٦/٤.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥٧٤/٦.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٨/٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٥١٣ / ٢٠.

روي عن الأعرج وأبي عمرو في قوله: "أنهم إليهم لا يرجعون"، قالوا: ليس في مدة اختلاف هذا من رجوع الدنيا"<sup>(١)</sup>.

قال ابن الجوزي: "القرن": "اسم أهل كل عصر. وسموا بذلك، لاقترانهم في الوجود"<sup>(٢)</sup>.

وللمفسرين في المراد بـ«القرن»، أقوال:

أحدها: أنه أربعون سنة، حكاه ابن سيرين والزهرابي<sup>(٣)</sup> عن النبي -صلى الله عليه وسلم-<sup>(٤)</sup>.

الثاني: ثمانون سنة، رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(٥)</sup>، واختاره الفراء<sup>(٦)</sup>.

الثالث: مائة سنة، قاله عبد الله بن بسر المازني<sup>(٧)</sup>، وأبو سلمة بن عبد الرحمن<sup>(٨)</sup>، وهو قول الجمهور<sup>(٩)</sup>.

الرابع: مائة وعشرون سنة، قاله زرارة بن أوفى<sup>(١٠)</sup>، وإياس بن معاوية<sup>(١١)</sup>.

الخامس: عشرون سنة، قاله الحسن<sup>(١٢)</sup>.

عن مالك بن دينار، قال: "سألت الحسن، عن القرن، فقال: عشرون سنة"<sup>(١٣)</sup>.

السادس: سبعون سنة، ذكره الفراء عن بعضهم<sup>(١٤)</sup>.

السابع: أن القرن: أهل كل مدة كان فيها نبي، أو طبقة من العلماء، قُلت السنون، أو كثرت بدليل قوله -صلى الله عليه وسلم-: «خيركم قرني»<sup>(١٥)</sup> يعني: أصحابي «ثم الذين يلونهم» يعني:

التابعين «ثم الذين يلونهم» يعني: الذين أخذوا عن التابعين. وهذا قول الزجاج<sup>(١٦)</sup>.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٦٦): ص ٣١٩٤/١٠.

(٢) زاد المسير: ٩/٢.

(٣) عزاه السمين الحلبي إلى الزهرابي يرفعه إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وهذا مرسل.

(٤) انظر: زاد المسير: ٩/٢، عزاه ابن الجوزي لابن سيرين عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وكذلك السمين الحلبي في الدر المصون: ٥٤١/٤، وهذا مرسله واه، ولم أقف على إسناده، وهو منكر.

(٥) انظر: زاد المسير: ١٠/٢، والدر المصون: ٥٤١/٤.

(٦) انظر: معاني القرآن: ٣٢٨/١.

(٧) ورد ذلك مرفوعا وهو حديث قوي. علقه البخاري في «التاريخ الكبير» ٣٢٣ / ١ و «الصغير» ٢١٦ / ١

قال: قال داود بن رشيد حدثنا أبو حياة شريح بن يزيد الحضرمي عن إبراهيم بن محمد بن زياد عن أبيه عن عبد الله بن بسر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يعيش هذا الغلام قرنا»، فعاش مائة سنة. وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٦١١٩ بآتم منه وقال رواه الطبراني والبخاري باختصار إلا أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليدركن قرنا» ورجال أحد إسنادي البزار رجال الصحيح غير الحسن بن أيوب الحضرمي، وهو ثقة اهـ.

وورد بنحوه عن الحسن بن أيوب الحضرمي قال: أراني عبد الله بن بسر شامة في قرنه فوضعت إصبعي عليها فقال: وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم إصبعه عليها وقال: «لتبلغن قرنا» أخرجه أحمد ١٨٩ / ٤

والطبراني كما في «المجمع» ١٦١٢٠. قال الهيثمي: ورجال أحمد رجال الصحيح غير الحسن بن أيوب، وهو ثقة، ورجال الطبراني ثقات اهـ. وانظر «الإصابة» ٢ / ٢٨١ - ٢٨٢ (٤٥٦٥).

الخلاصة هو حديث صحيح بمجموع طرقه وشواهده..

(٨) انظر: زاد المسير: ١٠/٢.

(٩) انظر: الدر المصون: ٥٤١/٤.

(١٠) انظر: زاد المسير: ١٠/٢، والدر المصون: ٥٤١/٤.

(١١) انظر: زاد المسير: ١٠/٢، والدر المصون: ٥٤١/٤.

(١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٦٩٤١): ص ٢٩٨/٩، وزاد المسير: ١٠/٢، والدر المصون: ٥٤١/٤.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٩٤١): ص ٢٩٨٢/٩.

(١٤) انظر: معاني القرآن: ٣٢٨/١.

(١٥) حديث صحيح. لكن لفظ «يعني ...» ليس من الحديث. أخرجه البخاري ٢٦٥١ و ٣٦٥٠ و ٦٤٢٨ و

٦٦٩٥ ومسلم ٢١٤ و ٢١٥ و ٢٥٣٥ وأبو داود ٤٦٥٧، والترمذي ٢٢٢٢ والنسائي ١٧ / ٧ و ١٨، والطيالسي

٨٥٢ وأحمد ٤ / ٤٢٧ و ٤٣٦ و ٤٤٠ وابن حبان ٦٧٢٩. والبيهقي ١٠ / ١٢٣ و ١٦٠ وفي «الدلائل» ٦ /

٥٥٢. من حديث عمران بن حصين. وله شواهد.

(١٦) انظر: معاني القرآن: ٢٢٩/٢.

فالقرن: "مقدار التوسط في أعمار أهل الزمان فهو في كل قوم على مقدار أعمالهم"<sup>(١)</sup>. والثامن: أن القرن: أمد. قاله أبو مالك<sup>(٢)</sup>. والراجح أن القرن مئة سنة، إذ ورد فيه الحديث مرفوعا وهو حديث قوي. والله أعلم. واشتقاق القرن: من الاقتران<sup>(٣)</sup>. وفي معنى ذلك «الاقتران» قولان: أحدهما: أنه سمي قرنا، لأنه المقدار الذي هو أكثر ما يقترن فيه أهل ذلك الزمان في بقائهم. هذا اختيار الزجاج<sup>(٤)</sup>. والثاني: أنه سمي قرنا، لأنه يقرن زمانا بزمان، وأمة بأمة، قاله ابن الأنباري<sup>(٥)</sup>. وقال أبو عبيدة: "يرون أن أقل ما بين القرنين: ثلاثون سنة"<sup>(٦)</sup>. قال الزمخشري: "وفي قراءة ابن مسعود: «ألم يروا من أهلكنا»، والبدل على هذه القراءة بدل اشتغال، وهذا مما يرد قول أهل الرجعة، ويحكي عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قيل له: «إن قوما يزعمون أن عليا مبعوث قبل يوم القيامة، فقال: بئس القوم نحن إذن نكحنا: نساءه وقسمنا ميراثه»<sup>(٧)</sup><sup>(٨)</sup>. وروى عن أبي إسحق قال: قيل لابن عباس أن ناسا يزعمون أن عليا مبعوث قبل يوم القيامة فسكت ساعة ثم قال: بئس القوم نحن إن كنا أنكحنا نساءه واقتسمنا ميراثه، أما تقرأون {ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون}<sup>(٩)</sup>. وروى عن قتادة، قوله: "{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ}، تكذيبا بأمر الله أو بأمرنا، فإن الناس صاروا في البعث فريقين: مكذب ومصدق، ذكر لنا أن رجلا قال لابن عباس: إن ناسا بهذا العراق يزعمون أن عليا مبعوث قبل يوم القيامة، ويتأولون هذه الآية، فقال ابن عباس: كذب أولئك، إنما هذه الآية للناس عامة، ولعمري لو كان علي مبعوثا قبل يوم القيامة ما أنكحنا نساءه، ولا قسمنا ميراثه"<sup>(١٠)</sup>.

## القرآن

{وَأِنْ كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٣٢)} [يس: ٣٢]

التفسير:

وما كل هذه القرون التي أهلكناها وغيرهم، إلا محضرون جميعا عندنا يوم القيامة للحساب والجزاء.

قال الطبري: يقول: "وإن كل هذه القرون التي أهلكناها والذين لم نهلكهم وغيرهم عندنا يوم القيامة جميعهم محضرون"<sup>(١١)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: وإن جميع الأمم الماضية والآتية ستحضر للحساب يوم القيام بين يدي الله، عز وجل، فيجازيهم بأعمالهم كلها خيرا وشرها، ومعنى هذه كقوله تعالى: {وَأِنْ كُلًّا لَّمَّا لِيُوقِيَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ} [هود: ١١١]"<sup>(١٢)</sup>.

(١) زاد المسير: ١٠/٢.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧١٠٩): ص ١٢٦٣/٤.

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٢٢٩/٢، وزاد المسير: ١٠/٢.

(٤) انظر: معاني القرآن: ٢٢٩/٢.

(٥) انظر: زاد المسير: ١٠/٢.

(٦) مجاز القرآن: ١٨٥/١.

(٧) أخرجه الحاكم في تفسير البقرة نحوه باختصار. وأخرجه من حديث الحسن في فضائل الصحابة أتم منه. وليس فيه: "بئس القوم نحن إذن".

(٨) الكشاف: ١٤/٤.

(٩) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٥٥/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٠٣/١٧.

(١١) تفسير الطبري: ٥١٣/٢٠.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٥٧٤-٥٧٥/٦.

قال الزجاج: " تفسير الآية: أنهم يحضرون يوم القيامة فيقفون على ما عملوا"<sup>(١)</sup>.  
 قال الرمخشري: " المعنى: أن كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب يوم  
 القيامة. وقيل محضرون معذبون، فإن قلت: كيف أخبر عن كل بجميع ومعناها واحد؟  
 قلت: ليس بواحد: لأن كلا يفيد معنى الإحاطة، وأن لا ينفلت منهم أحد، والجميع: معناه  
 الاجتماع، وأن المحشر يجمعهم. والجميع: فعيل بمعنى مفعول، يقال حى جميع، وجاءوا  
 جميعاً"<sup>(٢)</sup>.

عن قتادة: " {وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ}، أي: هم يوم القيامة"<sup>(٣)</sup>.  
 وقرئ: «وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا» بالتخفيف، فيكون أن «إِنْ» للإثبات، ومنهم مَنْ شدد «لَمَّا»،  
 وجعل «إِنْ» نافية، و «لَمَّا» بمعنى «إِلَّا»، تقديره: وما كل إلا جميع لدينا محضرون،  
 ومعنى القراءتين واحد، والله أعلم<sup>(٤)</sup>.  
 فوائد الآيات: [٢٨-٣٢]:

- ١- مظاهر قدرة الله تعالى في إهلاك أهل أنطاكية بصيحة واحدة.
- ٢- إبداء التحسر على العباد من أنفسهم إذ هم الظالمون المكذبون فالحسرة منهم وعليهم.
- ٣- حرمة الاستهزاء بما هو من حرمان الله تعالى التي يجب تعظيمها.
- ٤- طلب العبرة من أخبار الماضين وأحوالهم، والعاقلة من اعتبر بغيره.
- ٥- تقرير المعاد والحساب والجزاء.

#### القرآن

{وَأَيَّةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣)} [يس: ٣٣]

التفسير:

ودلالة لهؤلاء المشركين على قدرة الله على البعث والنشور: هذه الأرض الميتة التي لا نبات  
 فيها، أحييناها بإنزال الماء، وأخرجنا منها أنواع النبات مما يأكل الناس والأنعام، ومن أحياء  
 الأرض بالنبات أحياء الخلق بعد الممات.

قوله تعالى: {وَأَيَّةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا} [يس: ٣٣]، أي: " ودلالة لهؤلاء المشركين  
 على قدرة الله على البعث والنشور: هذه الأرض الميتة التي لا نبات فيها، أحييناها بإنزال  
 الماء"<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: يقول: " ودلالة لهؤلاء المشركين على قدرة الله على ما يشاء، وعلى إحيائه  
 من مات من خلقه وإعادته بعد فناءه، كهيئته قبل مماته إحيائه الأرض الميتة، التي لا نبت فيها  
 ولا زرع بالغيث الذي ينزله من السماء حتى يخرج زرعها"<sup>(٦)</sup>.

قال الزجاج: " أي: وعلامة تدلهم على التوحيد وأن الله يبعث الموتى: إحياء الأرض  
 الميتة"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن كثير: " أي : دلالة لهم على وجود الصانع وقدرته التامة وإحيائه الموتى {  
 الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ} أي : إذا كانت ميتة هامة لا شيء فيها من النبات ، فإذا أنزل الله عليها الماء  
 اهتزت وربت ، وأنبتت من كل زوج بهيج"<sup>(٨)</sup>.

قال السمعاني: " قوله: {أحييناها} أي: بالمطر"<sup>(٩)</sup>.

(١) معاني القرآن: ٢٨٦/٤.

(٢) الكشاف: ١٤/٤.

(٣) أخرجه الطبري: ٥١٣/٢٠.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٧٥/٦.

(٥) التفسير الميسر: ٤٤٢.

(٦) تفسير الطبري: ٥١٤/٢٠.

(٧) معاني القرآن: ٢٨٦/٤.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٧٥/٦.

(٩) تفسير السمعاني: ٣٧٦/٤.

قال ابن عطية: " {وآية}، معناه: علامة على الحشر وبعث الأجساد، والضمير في {لهم}، يراد به كفار قريش" (١).

عن السدي: {وآية لهم الأرض الميئة أحييناهما}، "المجدبة، أي: الذي أحيها بعد موتها قادر على أن يحيي الموتى" (٢).

ويقول: «الميئة»، بالتشديد (٣).

قال الزجاج: " وأصل الميئة: الميئة، والأصل التشديد، والتخفيف أكثر، وكلاهما جائز" (٤).

قال الزمخشري: " القراءة بـ«الميئة» على الخفة أشيع، لسلسها على اللسان" (٥).

قوله تعالى: {وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ} [يس: ٣٣]، أي: " وأخرجنا منها أنواع النبات مما يأكل الناس والأنعام" (٦).

قال الطبري: " ثم إخراجها منها الحب الذي هو قوت لهم وغذاء، فمنه يأكلون" (٧).

قال السمعاني: " {وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا}، أي: الحنطة والشعير وما أشبه هذا، {فمنه يأكلون} أي: من الحب يأكلون" (٨).

قال ابن كثير: " أي : جعلناه رزقا لهم ولأنعامهم" (٩).

قال الزمخشري: " قوله: {فمنه يأكلون}، بتقديم الظرف للدلالة على أن «الحب» هو الشيء الذي يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق منه صلاح الإنس، وإذا قل جاء القحط ووقع الضر، وإذا فقد جاء الهلاك ونزل البلاء" (١٠).

## القرآن

**{وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٣٤)} [يس: ٣٤]**  
التفسير:

وجعلنا في هذه الأرض بساتين من نخيل وأعناب، وفجّرنا فيها من عيون المياه ما يسقيها.

قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ} [يس: ٣٤]، أي: " وجعلنا في هذه الأرض بساتين من نخيل وأعناب" (١١).

قال الطبري: يقول: " وجعلنا في هذه الأرض التي أحييناها بعد موتها بساتين من نخيل وأعنان" (١٢).

قوله تعالى: {وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ} [يس: ٣٤]، أي: " وفجّرنا فيها من عيون المياه ما يسقيها" (١٣).

قال الطبري: " يقول: وأنبعنا فيها من عيون الماء" (١٤).

(١) المحرر الوجيز: ٤٥٣/٤.

(٢) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨٠٧/٢.

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٢٨٦/٤.

(٤) معاني القرآن: ٢٨٦/٤.

(٥) الكشاف: ١٤/٤.

(٦) التفسير الميسر: ٤٤٢.

(٧) تفسير الطبري: ٥١٤/٢٠.

(٨) تفسير السمعاني: ٣٧٦/٤.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥٧٥/٦.

(١٠) الكشاف: ١٤/٤.

(١١) التفسير الميسر: ٤٤٢.

(١٢) تفسير الطبري: ٥١٤-٥١٥/٢٠.

(١٣) التفسير الميسر: ٤٤٢.

(١٤) تفسير الطبري: ٥١٥/٢٠.

قال السمعاني: "أي: وفجرنا فيها المياه من العيون؛ ليأكلوا من الثمر الحاصل بالماء"<sup>(١)</sup>.  
قال ابن كثير: "أي: جعلنا فيها أنهاراً سارحة في أمكنة، يحتاجون إليها ليأكلوا من ثمره"<sup>(٢)</sup>.

## القرآن

{لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٣٥)} [يس: ٣٥]

التفسير:

كل ذلك؛ ليأكل العباد من ثمره، وما ذلك إلا من رحمة الله بهم لا بسعيهم ولا بكدهم، ولا بحولهم وبقوتهم، أفلا يشكرون الله على ما أنعم به عليهم من هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى؟  
قوله تعالى: {لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ} [يس: ٣٥]، أي: "كل ذلك؛ ليأكل العباد من ثمره، وما ذلك إلا من رحمة الله بهم لا بسعيهم ولا بكدهم، ولا بحولهم وبقوتهم"<sup>(٣)</sup>.  
قال الطبري: "أنشأنا هذه الجنات في هذه الأرض ليأكل عبادي من ثمره، وما عملت أيديهم مما غرسوا هم وزرعوا"<sup>(٤)</sup>.

قال السمعاني: "أي: وليأكلوا مما عملته أيديهم مما يحرثون ويزرعون ويغرسون"<sup>(٥)</sup>.  
قال ابن كثير: "لما امتن على خلقه بإيجاد الزروع لهم عطف بذكر الثمار وتنوعها وأصنافها، وقوله: { وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ } أي: وما ذاك كله إلا من رحمة الله بهم، لا بسعيهم ولا كدهم، ولا بحولهم وقوتهم"<sup>(٦)</sup>.

قال مقاتل: "يقول: لم يكن ذلك من صنع أيديهم ولكنه من فعلنا"<sup>(٧)</sup>.  
عن عبد الله بن عباس، {وما عملته أيديهم}، قال: وجدوه معمولاً، لم تعمله أيديهم. يعني: الفرات، ودجلة، ونهر بلخ، وأشباهاها"<sup>(٨)</sup>.

قال الزجاج: "ويقراً: «وما عملت» بغير «هاء»، وموضع «ما» خفض، المعنى: ليأكلوا من ثمره ومما عملته أيديهم، ويجوز أن تكون «ما» نفيًا، على معنى: ليأكلوا من ثمره ولم تعمله أيديهم. هذا على إثبات «الهاء»"<sup>(٩)</sup>.

قال الزمخشري: «ثمره» بفتحين وضمتين وضمة وسكون، والضمير «الله» تعالى، والمعنى: "ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر ومن ما عملته أيديهم من الغرس والسقي والآبار، وغير ذلك من الأعمال إلى أن بلغ الثمر منتهاه وإبان أكله، يعني أن الثمر في نفسه فعل الله وخلق، وفيه آثار من كد بني آدم، وأصله من ثمرنا كما قال: «وجعلنا»، و«فجرنا»، فنقل الكلام من التكلم إلى الغيبة على طريقة الالتفات. ويجوز أن يرجع إلى «النخيل»، وتترك «الأعناب» غير مرجوع إليها، لأنه علم أنها في حكم النخيل فيما علق به من أكل ثمره، ويجوز أن يراد: من ثمر المذكور وهو الجنات، كما قال رؤبة<sup>(١٠)</sup>:  
فيها خطوط من بياض وبلق ... كأنه في الجلد توليع البهق

(١) تفسير السمعاني: ٣٧٦/٤.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٧٥/٦.

(٣) التفسير الميسر: ٤٤٢.

(٤) تفسير الطبري: ٥١٥ / ٢٠.

(٥) تفسير السمعاني: ٣٧٦/٤.

(٦) تفسير ابن كثير: ٥٧٥/٦.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٨/٣.

(٨) الدر المنثور: ٥٥/٧، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٩) معاني القرآن: ٢٨٦/٤.

(١٠) ديوانه ١٠٤ - مجالس ثعلب ٤٤٣ والسمط ١٧٤، ومجاز القرآن لأبي عبيدة: ٤٣/١، وتفسير القرطبي ٣١٢ / ١٣ واللسان (بهق).

فقيل له، فقال: أردت كأن ذاك: ولك أن تجعل «ما» نافية على أن الثمر خلق الله ولم تعمله أيدي الناس ولا يقدرون عليه<sup>(١)</sup>.  
 قوله تعالى: {أَفَلَا يَشْكُرُونَ} [يس: ٣٥]، أي: "أفلا يشكرون الله على ما أنعم به عليهم من هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى؟"<sup>(٢)</sup>.  
 قال السمعاني: "يعني: هذه النعم"<sup>(٣)</sup>.  
 قال مقاتل: يعني: "رب هذه النعم في وحدوه"<sup>(٤)</sup>.  
 قال الطبري: "يقول: أفلا يشكر هؤلاء القوم الذين رزقناهم هذا الرزق من هذه الأرض الميتة التي أحييناها لهم من رزقهم ذلك وأنعم عليهم به؟"<sup>(٥)</sup>.  
 قال ابن كثير: "أي: فهلا يشكرونه على ما أنعم به عليهم من هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى"<sup>(٦)</sup>.  
 عن عبد الله بن عباس: " {أَفَلَا يَشْكُرُونَ} لهذا؟!"<sup>(٧)</sup>.

## القرآن

{سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦)} [يس: ٣٦]

التفسير:

تنزه الله العظيم الذي خلق الأصناف جميعها من أنواع نبات الأرض، ومن أنفسهم ذكورا وإناثا، ومما لا يعلمون من مخلوقات الله الأخرى. قد انفرد سبحانه بالخلق، فلا ينبغي أن يُشْرَكَ به غيره.

قوله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا} [يس: ٣٦]، أي: "تنزهه وتقدس الله العلي الجليل الذي خلق الأصناف كلها، والمختلفة الألوان والطعوم والأشكال من جميع الأشياء"<sup>(٨)</sup>.  
 عن ميمون بن مهران: {سبحان الله}: اسم يعظم الله به ويحاشى به من السوء"<sup>(٩)</sup>.  
 عن الحسن قال: " {سبحان الله}: اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه"<sup>(١٠)</sup>.  
 قال الطبري: "يقول تعالى ذكره تنزيها وتبرئة للذي خلق الألوان المختلفة كلها"<sup>(١١)</sup>.  
 قال السمعاني: "أي: سبحوا الله الذي خلق الأصناف كلها"<sup>(١٢)</sup>.  
 قال الزجاج: " {سبحان}: تبرئة الله من السوء وتنزيهه، ومعنى «الأزواج»: الأجناس كلها من النبات والحيوان وغيرها"<sup>(١٣)</sup>.  
 قال يحيى: " {سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا}، أي: الألوان كلها"<sup>(١٤)</sup>.  
 وقال السدي: الأصناف كلها"<sup>(١٥)</sup>.

(١) الكشاف: ١٤/٤.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤٢.

(٣) تفسير السمعاني: ٣٧٦/٤.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٨/٣.

(٥) تفسير الطبري: ٥١٥/٢٠.

(٦) تفسير ابن كثير: ٥٧٥/٦.

(٧) الدر المنثور: ٥٥/٧، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٨) صفوة التفاسير: ١٢/٣.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٤٤): ص ٨١/١.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (٣٤٥): ص ٨١/١.

(١١) تفسير الطبري: ٥١٥/٢٠.

(١٢) تفسير السمعاني: ٣٧٦/٤.

(١٣) معاني القرآن: ٢٨٧/٤.

(١٤) تفسير يحيى بن سلام: ٨٠٧/٢.

(١٥) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٠٨/٢.

قال ابن قتيبة: "أي: الأجناس كلها"<sup>(١)</sup>.  
قال الزمخشري: "«الأزواج»: الأجناس والأصناف"<sup>(٢)</sup>.  
عن ابن جرير، في قوله: {سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا}، قال: "الأصناف كلها؛ الملائكة زوج، والإنس زوج، والجن زوج، وما تنبت الأرض زوج، وكل صنف من الطير زوج. ثم فسره فقال: {مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ}.."<sup>(٣)</sup>.  
قوله تعالى: {مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ} [يس: ٣٦]، أي: "مما أخرج الأرض من النخيل والأشجار، والزرور والثمار، ومن أنفسهم من الذكور والإناث، ومما لا يعلمون من مخلوقات الله الأخرى"<sup>(٤)</sup>.  
قال الطبري: أي: "من نبات الأرض، ومن أنفسهم، يقول: وخلق من أولادهم ذكورا وإناثا، ومما لا يعلمون أيضا من الأشياء التي لم يطلعهم عليها، خلق كذلك أزواجا مما يضيف إليه هؤلاء المشركون، ويصفونه به من الشركاء وغير ذلك"<sup>(٥)</sup>.  
قال مقاتل: "مما تنبت الأرض} مما تخرج الأرض من ألوان النبات والشجر {ومن أنفسهم}: الذكر والأنثى، {ومما لا يعلمون}: من الخلق"<sup>(٦)</sup>.  
قال ابن كثير: "مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ}، أي: من زروع وثمار ونبات. {وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ} فجعلهم ذكرا وأنثى، {وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ} أي: من مخلوقات شتى لا يعرفونها، كما قال تعالى: {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الذاريات: ٤٩]"<sup>(٧)</sup>.  
قال الزجاج: "ومن أنفسهم ومما لا يعلمون}: مما خلق الله من جميع الأنواع والأشباه"<sup>(٨)</sup>.  
قال ابن زنين: "ومما لا يعلمون} مما خلق في البر والبحر"<sup>(٩)</sup>.  
قال السمعاني: "أي: من النبات، والحيوان الذي لا يعلمونه، وذكر بعض أهل التفسير: أن ما لا يعلمون ها هنا هو الروح، والله تعالى خلق الروح في النفس ولا يعلمه أحد، وذكر بعضهم"<sup>(١٠)</sup>.  
قال ابن الجوزي: "ومما لا يعلمون}: من دواب البر والبحر وغير ذلك مما لم يقفوا على علمه"<sup>(١١)</sup>.  
قال الزمخشري: "ومما لا يعلمون}: ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا إلى معرفتها بطريق من طرق العلم، ولا يبعد أن يخلق الله تعالى من الخلائق الحيوان والجماد ما لم يجعل للبشر طريقا إلى العلم به، لأنه لا حاجة بهم في دينهم ودنياهم إلى ذلك العلم، ولو كانت بهم إليه حاجة لأعلمهم بما لا يعلمون، كما أعلمهم بوجود ما لا يعلمون"<sup>(١٢)</sup>.  
قال النسفي: "ومما لا يعلمون} ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا إلى معرفتها ففي الأودية والبحار أشياء لا يعلمها الناس"<sup>(١٣)</sup>.

(١) غريب القرآن: ٣٦٥.

(٢) الكشاف: ١٥/٤.

(٣) الدر المنثور: ٥٥/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٤) صفوة التفاسير: ١٢/٣، والتفسير الميسر: ٤٤٢.

(٥) تفسير الطبري: ٥١٥/٢٠.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٨/٣.

(٧) تفسير ابن كثير: ٥٧٥/٦.

(٨) معاني القرآن: ٢٨٧/٤.

(٩) تفسير بان ابي زنين: ٤٥/٤.

(١٠) تفسير السمعاني: ٣٧٦/٤.

(١١) زاد المسير: ٥٢٣/٣.

(١٢) الكشاف: ١٥/٤.

(١٣) تفسير النسفي: ١٠٤/٣.



قال يحيى بن سلام: " وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ } وهو كقوله: { وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ } [النمل: ٨]"<sup>(١)</sup>.

عن ابن جريج، قال: "ثم فسره فقال: {مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ} الروح؛ لا يعلمه إلا الله، لا الملائكة، ولا خلق الله، ولم يطلع على الروح أحد. وقوله: { وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ } لا يعلم الملائكة، ولا غيرها الروح"<sup>(٢)</sup>.

قال القشيري في الآية: "تنبه هذه الآية على التفكير في بديع صنعه فقال: تنزيها لمن خلق الأشياء المتشاكلة في الأجزاء والأعضاء، من النبات، ومن أنفسهم، ومن الأشياء الأخرى التي لا يعلمون تفصيلها، كيف جعل أوصافها في الطعوم والروائح، في الشكل والهيئة، في اختلاف الأشجار في أوراقها وفنون أغصانها وجذوعها وأصناف أنوارها وأزهارها، واختلاف أشكال تمارها في تفرقها واجتماعها، ثم ما نيط بها من الانتفاع على مجرى العادة مما يسميه قوم: الطبائع في الحرارة والبرودة، والرطوبة واليبوسة، واختلاف الأحداث التي يخلقها الله عقيب شراب هذه الأدوية وتناول هذه الأطعمة على مجرى العادة من التأثيرات التي تحصل في الأبدان. ثم اختلاف صور هذه الأعضاء الظاهرة والأجزاء الباطنة، فالأوقات متجانسة، والأزمان متماثلة، والجواهر متشاكلة"<sup>(٣)</sup>.

فوائد الآيات: [٣٦-٣٣]:

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء التي هي القوة الدافعة للإنسان على فعل الخيرات وترك الشرور المنكرات.
- ٢- دليل نظام الزوجية وهو آية على أن القرآن وحي الله وكلامه إذ قرر القرآن نظام الزوجية قبل معرفة الناس لهذا النظام في الذرة وغيرها في القرن العشرين.
- ٣- وجوب شكر الله تعالى بالإيمان ويطاعته وطاعة رسوله على نعمه ومنها الإيجاد ونعمة الإمداد أي بالغذاء والماء والهواء.

## القرآن

**{وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ (٣٧)} [يس: ٣٧]**

التفسير:

وعلاوة لهم دالة على توحيد الله وكمال قدرته: هذا الليل نزع منه النهار، فإذا الناس مظلمون. قوله تعالى: {وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ} [يس: ٣٧]، أي: "وعلاوة لهم دالة على توحيد الله وكمال قدرته: هذا الليل نزع منه النهار"<sup>(٤)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: ودليل لهم أيضاً على قدرة الله على فعل كل ما شاء: {الليْلُ}، نزع عنه النهار"<sup>(٥)</sup>.

قال مجاهد: "نُخْرِجُ أَحَدَهُمَا مِنَ الْآخَرِ، وَيَجْرِي كُلُّ مِنْهُمَا فِي فَكِّ"<sup>(٦)</sup>.

وروي عن قتادة: "{وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ}، قال: يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل"<sup>(٧)</sup>.

(١) تفسير يحيى بن سلام: ٨٠٨/٢، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز: ٤٥٣/٤.

(٢) الدر المنثور: ٥٥/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٣) لطائف الإشارات: ٢١٦/٣.

(٤) التفسير الميسر: ٤٤٢.

(٥) تفسير الطبري: ٥١٦/٢٠.

(٦) أخرجه الفريابي - كما في التلخيص ٣ / ٤٩١ - . وعزا أوله السيوطي إلى ابن جرير، وورد عند الطبري (٦٧٩٨) ص: ٣٠٣/٦، في تفسير قوله تعالى: {تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل} [آل عمران: ٢٧] بلفظ: ما ينقص من أحدهما يدخل في الآخر، متعاقبان ذلك من الساعات.

(٧) أخرجه الطبري: ٥١٦/٢٠.

قال الطبري: " وهذا الذي قاله قتادة بعيد، وذلك أن إيلاج الليل في النهار، إنما هو زيادة ما نقص من ساعات هذا في ساعات الآخر، وليس السلخ من ذلك في شيء، لأن النهار يسلخ من الليل كله، وكذلك الليل من النهار كله، وليس يولج كلَّ الليل في كلَّ النهار، ولا كلَّ النهار في كلَّ الليل" (١).

قال ابو عبيدة: " { نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ } : نَمَيَّرُهُ مِنْهُ فَجِئْتُ بِالظُّلْمَةِ، يُقَالُ لِلرَّجُلِ: سَلَخَهُ اللهُ مِنْ دِينِهِ" (٢).

قوله تعالى: {فَإِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ} [يس: ٣٧]، أي: "فإذا الناس مظلومون" (٣).  
قال مقاتل: "بالليل" (٤).

قال ابن قتيبة: "أي: داخلون في الظلام" (٥).

قال الطبري: "يقول: فإذا هم قد صاروا في ظلمة بمجيء الليل" (٦).

## القرآن

{وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨)} [يس: ٣٨]

التفسير:

وآية لهم الشمس تجري لمستقر لها، قدره الله لها لا تتعداه ولا تقصر عنه، ذلك تقدير العزيز الذي لا يغالب، العليم الذي لا يغيب عن علمه شيء.

قوله تعالى: {وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا} [يس: ٣٨]، أي: "وآية لهم الشمس تجري لمستقر لها، قدره الله لها لا تتعداه ولا تقصر عنه" (٧).

قال الطبري: يقول: "والشمس تجري لموضع قرارها، بمعنى: إلى موضع قرارها؛ وبذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم" (٨).

عن أبي ذر الغفاري، قال: "كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد، فلما غربت الشمس، قال: يا أبا ذر هل تدري أين تذهب الشمس؟ قلت الله ورسوله أعلم قال: فإنها تذهب فتسجد بين يدي ربها، ثم تستأذن بالرجوع فيؤذن لها، وكأنها قد قيل لها ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مكانها وذلك مستقرها" (٩).

وفي رواية عن أبي ذر قال: "سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن قوله: {وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا}، قال: «مستقرها تحت العرش»" (١٠).

وفي قوله تعالى: {وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا} [يس: ٣٨]، وجوه من التفسير: أحدها: يعني: لانتهاء أمرها عند انقضاء الدنيا، حكاه ابن عيسى (١١).

قال مقاتل: "لوقت لها إلى يوم القيامة" (١٢).

الثاني: لوقت واحد لا تعدوه، قاله قتادة (١٣).

وقال السدي: "يعني: لمنتهاها" (١٤).

(١) تفسير الطبري: ٥١٦/٢٠.

(٢) مجاز القرآن: ١٦١/٢.

(٣) التفسير الميسر: ٤٤٢.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٩/٣.

(٥) غريب القرآن: ٣٦٥.

(٦) تفسير الطبري: ٥١٦/٢٠.

(٧) التفسير الميسر: ٤٤٢.

(٨) تفسير الطبري: ٥١٦/٢٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٥١٦-٥١٧.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٦٩): ص ٣١٩٤/١٠.

(١١) انظر: النكت والعيون: ١٨/٥.

(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٩/٣.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٥١٧/٢٠.

الثالث : عن الحسن البصري: "وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا، ثم ترجع إلى أدنى منازلها إلى يوم القيامة، حيث تُكْوَرُ فيذهب ضوءها"<sup>(١)</sup>.

الرابع: أي: أبعد منازلها في الغروب ، ثم ترجع إلى أدنى منازلها ، قاله الكلبي<sup>(٢)</sup>. قال ابن قتيبة: "أي: موضع تنتهي إليه فلا تجاوزه؛ ثم ترجع"<sup>(٣)</sup>.

قال يحيى: " {والشمس تجري لمستقر لها} : لا تجاوزه. وهذا أبعد مسيرها، ثم ترجع إلى أدنى منازلها في تفسير الحسن إلى يوم القيامة حيث تكور فيذهب ضوءها"<sup>(٤)</sup>.

وروي عن ابن عمر، في الآية قال: "المستقر لها: أن تطلع فتردها ذنوب بني آدم، فإذا غربت سلمت: وسجدت واستأذنت فيؤذن لها حتى إذا غربت سلمت فلا يؤذن لها فتقول: إن السير بعيد وإني لم يؤذن لي لا أبلغ، فتحبس ما شاء الله أن تحبس، ثم يقال اطلعي من حيث غربت قال: فمن يومئذ إلى يوم القيامة لا ينفع نفسا إيمانها"<sup>(٥)</sup>.

قال ابن عمرو: "لو أن الشمس تجري واحدا من أهل الأرض فيخشى منها، ولكنها تلحق في الصيف وتعرض في الشتاء فلو أنها طلعت مطلعها في الشتاء في الصيف لانضجهم الحر، ولو أنها طلعت مطلعها في الصيف لقطعهم البرد"<sup>(٦)</sup>.

وروي عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقرأها : «والشمس تجري لا مستقر لها»<sup>(٧)</sup>.

قال الماوردي: "وتأويل هذه القراءة أنها تجري في الليل والنهار ولا وقوف لها ولا قرار"<sup>(٨)</sup>.

وفي قراء عبدالله: «وذلك مستقر لها»<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: {ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} [يس: ٣٨]، أي: "ذلك تقدير العزيز الذي لا يغالب، العليم الذي لا يغيب عن علمه شيء"<sup>(١٠)</sup>.

قال الضحاك: "بقدر يجريان، يعني: الشمس والقمر، يجريان بإذن الله"<sup>(١١)</sup>.

قال الطبري: "يقول: هذا الذي وصفنا من جري الشمس لمستقر لها، تقدير العزيز في انتقامه من أعدائه، العليم بمصالح خلقه، وغير ذلك من الأشياء كلها، لا يخفي عليه خافية"<sup>(١٢)</sup>.

قال ابن كثير: " { ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ } أي : الذي لا يخالف ولا يُمانع ، { الْعَلِيمِ } بجميع الحركات والسكنات ، وقد قدر ذلك وقننه على منوال لا اختلاف فيه ولا تعاكس ، كما قال تعالى : { قَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } [الأنعام : ٩٦]. وهكذا ختم آية حم السجدة" بقوله : { ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } [فصلت : ١٢]"<sup>(١٣)</sup>.

## القرآن

{وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩)} [يس: ٣٩]

التفسير:

- (١) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨٠٨/٢.
- (٢) علقه يحيى بن سلام ٨٠٨/٢.
- (٣) انظر: النكت والعيون: ١٨/٥.
- (٤) غريب القرآن: ٣٦٥.
- (٥) تفسير يحيى بن سلام: ٨٠٨/٢.
- (٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٧١): ص ٣١٩٤-٣١٩٥.
- (٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٧٢): ص ٣١٩٥/١٠.
- (٨) رواه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٠٨/٢.
- (٩) النكت والعيون: ١٨/٥.
- (١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٧٠): ص ٣١٩٤/١٠.
- (١١) التفسير الميسر: ٤٤٢.
- (١٢) أخرجه إسحاق البستي ص ١٨٦.
- (١٣) تفسير الطبري: ٥١٧/٢٠.
- (١٤) تفسير ابن كثير: ٥٧٧/٦.

والقمر آية في خلقه، قدرناه منازل كل ليلة، يبدأ هلالاً ضئيلاً حتى يكمل قمراً مستديراً، ثم يرجع ضئيلاً مثل عذق النخلة المتقوس في الرقة والانحناء والصفرة؛ لقدمه ويؤسسه.

قوله تعالى: {وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ} [يس: ٣٩]، أي: "والقمر قدرنا مسيره في منازل يسير فيها لمعرفة الشهور"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: يقول: " وآية لهم، تقديرنا القمر منازل للنقصان بعد تناهيه وتمامه واستوائه"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: " أي : جعلناه يسير سيراً آخر يستدل به على مضي الشهور ، كما أن الشمس يعرف بها الليل والنهار ، كما قال تعالى : { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ } [البقرة : ١٨٩] ، وقال { هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ } الآية [يونس : ٥] ، وقال : { وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَلَّنَاهُ تَفْصِيلاً } [الإسراء : ١٢] ، فجعل الشمس لها ضوء يخصها ، والقمر له نور يخصه ، وفاوت بين سير هذه وهذا ، فالشمس تطلع كل يوم وتغرب في آخره على ضوء واحد ، ولكن تنتقل في مطالعها ومغاربها صيفاً وشتاء ، يطول بسبب ذلك النهار ويقصر الليل ، ثم يطول الليل ويقصر النهار ، وجعل سلطانها بالنهار ، فهي كوكب نهاري. وأما القمر ، فقدره منازل ، يطلع في أول ليلة من الشهر ضئيلاً قليل النور ، ثم يزداد نوراً في الليلة الثانية ، ويرتفع منزلة ، ثم كلما ارتفع ازداد ضياء ، وإن كان مقتبساً من الشمس ، حتى يتكامل نوره في الليلة الرابعة عشرة ، ثم يشرع في النقص إلى آخر الشهر"<sup>(٣)</sup>.

قال مقاتل: " {منازل} في السماء يزيد، ثم يستوي، ثم ينقص في آخر الشهر"<sup>(٤)</sup>.

قال الصابوني: " وهي ثمانية وعشرون منزلاً في ثمانية وعشرين ليلة، ينزل كل ليلة في واحد منها لا يتخطاها ولا يتعادها، فإذا كان في آخر ليلة دق واستقوس"<sup>(٥)</sup>.

وفي قوله تعالى: {وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ} [يس: ٣٩]، قولان<sup>(٦)</sup>:

أحدهما : جعله في كل ليلة على مقر له ، يزيد في كل ليلة من أول الشهر حتى يستكمل ثم ينقص بعد استكمالها حتى يعود كما بدأ ، وهو محتمل .

الثاني : أنه يطلع كل ليلة في منزل حتى يستكمل جميع المنازل في كل شهر ، ولذلك جعل بعض الحساب السنة الشمسية ثلاثة عشر شهراً قمرياً .

قوله تعالى: {حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ} [يس: ٣٩]، أي: " حتى صار كغصن النخل اليابس"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: يقول: " العرجون: من العذق من الموضع النابت في النخلة إلى موضع الشماريخ؛ وإنما شبهه جل ثناؤه بالعرجون القديم، والقديم هو اليابس، لأن ذلك من العذق، لا يكاد يوجد إلا متقوساً منحنيًا إذا قدم ويبس، ولا يكاد أن يصاب مستويًا معتدلاً كأغصان سائر الأشجار وفروعها، فكَذَلِكَ الْقَمَرُ إِذَا كَانَ فِي آخِرِ الشَّهْرِ قَبْلَ اسْتِسْرَارِهِ، صَارَ فِي انْحِنَائِهِ وَتَقْوَسِهِ نَظِيرَ ذَلِكَ الْعُرْجُونِ"<sup>(٨)</sup>.

قال الصابوني: " وهو عنقود التمر حين يجف ويصفر ويتقوس"<sup>(٩)</sup>.

(١) صفوة التفاسير: ١٣/٣.

(٢) تفسير الطبري: ٥١٨/٢٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٧٨-٥٧٧/٦.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٩/٣.

(٥) صفوة التفاسير: ١٣/٣.

(٦) انظر: النكت والعيون: ١٧/٥.

(٧) صفوة التفاسير: ١٣/٣.

(٨) تفسير الطبري: ٥١٨/٢٠.

(٩) صفوة التفاسير: ١٣/٣.

عن سليمان التيمي، قوله: "حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ"، قال: العذق<sup>(١)</sup>.  
قال قتادة: "قدره الله منازل، فجعل ينقص حتى كان مثل عذق النخلة، شبهه بعذق  
النخلة"<sup>(٢)</sup>.

وفي قوله تعالى: {حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ} [يس: ٣٩]، وجهان:  
أحدهما: أنه العذق اليابس إذا استقوس، وهو معنى قول ابن عباس<sup>(٣)</sup>، ومجاهد<sup>(٤)</sup>، ومنه قول  
مرّار بن منقذ التيمي<sup>(٥)</sup>:

عَبَقُ الْعَنْبَرِ وَالْمَسْكُ بِهَا... فَهِيَ صَفْرَاءُ كَعْرَجُونَ الْقَمَرِ  
قال القرطبي: "فالعرجون إذا عتق وييس وتوس شبه القمر في دقته وصفرتة به. ويقال  
له أيضا الإهان والكباسة والقنوّ، وأهل مصر يسمونه الإسباطة"<sup>(٦)</sup>.  
الثاني: أنه عذق النخلة إذا قدم فانحنى مانلا، قاله الحسن<sup>(٧)</sup>، ويزيد بن الأصم<sup>(٨)</sup>.  
وقال عكرمة: "النخلة القديمة"<sup>(٩)</sup>.

وقال مقاتل: "حتى عاد مثل الخيط كما يكون أول ما استهل فيه {كالعرجون}، يعني:  
العذق اليابس المنحني {القديم} الذي أتى عليه الحول"<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن قتيبة: "«العرجون»: عود الكباسة. وهو: الإهان أيضا. و«القديم» الذي قد أتى  
عليه حول فاستقوس ودق. وشبه القمر -آخر ليلة يطلع- به"<sup>(١١)</sup>.

قال ابن كثير: "ثم بعد هذا بيديه الله جديداً في أول الشهر الآخر، والعرب تسمي كل  
ثلاث ليالٍ من الشهر باسم باعتبار القمر، فيسمون الثلاث الأول "عُرْرَ" واللواتي بعدها "نفل"،  
واللواتي بعدها "تسع"؛ لأن أواخرهن التاسعة، واللواتي بعدها "عُشْرَ"؛ لأن أولاهن العاشرة،  
واللواتي بعدها "البيض"؛ لأن ضوء القمر فيهن إلى آخرهن، واللواتي بعدهن "دُرْعَ" جمع  
دِرْعَاءَ؛ لأن أولهن سُودٌ؛ لتأخر القمر في أولهن، ومنه الشاة الدرعاء وهي التي رأسها أسود.  
وبعدهن ثلاث "ظلم" ثم ثلاث "حَدَّاسَ"، وثلاث "دَادَى" وثلاث "مَحَاقَ"؛ لانمحاق القمر  
أواخر الشهر فيهن. وكان أبو عبيد ينكر التسع والعشْر. كذا قال في كتاب "غريب  
المصنف"<sup>(١٢)</sup>.

عن الحسين بن الوليد، قال: "أعتق رجلاً كلَّ غلام له قديم، فسئِلَ يعقوب، فقال: مَنْ كان  
لِسَنَّةٍ فهو حرٌّ؛ قال الله: {حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ} فهو لِسَنَةٌ"<sup>(١٣)</sup>.

## القرآن

- (١) أخرجه الطبري: ٥١٩ / ٢٠.
- (٢) أخرجه الطبري: ٥١٩ / ٢٠.
- (٣) انظر: تفسير الطبري: ٥١٨ / ٢٠.
- (٤) انظر: تفسير الطبري: ٥١٨ / ٢٠.
- (٥) البيت للمرّار بن منقذ التيمي، وهو من المفضليات: (رقم / ١٥) في شرح المفضليات: (١ / ٤٣٧)، وروايته:  
عَبَقُ الْعَنْبَرِ وَالْمَسْكُ بِهَا... فَهِيَ صَفْرَاءُ كَعْرَجُونَ الْقَمَرِ
- وقال في شرحه: العُرْجُونُ: عَوْدُ الْكِبَاسَةِ- وَالْكَبَاسَةُ مِنَ التَّمْرِ: كَالْعَنْقُودِ مِنَ الْعَنْبِ- وَالْعُمْرُ: نَخْلَةُ السُّكَّرِ،  
وَالسُّكَّرُ: ضَرْبٌ مِنَ التَّمْرِ جَيِّدٌ. وجاءت رواية البيت في اللسان (عق) كرواية المؤلف، وجاءت في التكملة  
والتاج (عمر) كرواية المفضليات.
- (٦) تفسير القرطبي: ٣١ / ١٥.
- (٧) انظر: تفسير الطبري: ٥١٨ / ٢٠.
- (٨) انظر: تفسير الطبري: ٥١٨ / ٢٠.
- (٩) أخرجه الطبري: ٥١٨ / ٢٠.
- (١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٩ / ٣.
- (١١) غريب القرآن: ٣٦٥.
- (١٢) تفسير ابن كثير: ٥٧٨ / ٦.
- (١٣) الدر المنثور: ٥٨ / ٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

{لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠)}

[يس : ٤٠]

التفسير:

لكل من الشمس والقمر والليل والنهار وقت قدره الله له لا يتعداه، فلا يمكن للشمس أن تلحق القمر فتمحو نوره، أو تغير مجراه، ولا يمكن لليل أن يسبق النهار، فيدخل عليه قبل انقضاء وقته، وكل من الشمس والقمر والكواكب في فلك يجرون.

قوله تعالى: {لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ} [يس : ٤٠]، أي: "لا يمكن للشمس أن تلحق القمر فتمحو نوره، أو تغير مجراه، ولا يمكن لليل أن يسبق النهار، فيدخل عليه قبل انقضاء وقته"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: يقول: "لا الشمس يصلح لها إدراك القمر، فيذهب ضوءها بضوئه، فتكون الأوقات كلها نهارا لا ليل فيها، ولا الليل بفائت النهار حتى تذهب ظلمته بضياءه، فتكون الأوقات كلها ليلا"<sup>(٢)</sup>.

قال الصابوني: "أي: لا يمكن للشمس ولا يصح لها أن تجتمع مع القمر بالليل فتمحو نوره، لأن ذلك يُخلُّ بتلوين النبات، ومصلحة العباد، ولا الليل يسبق النهار حتى يدركه فيذهب بضياءه فتكون الأوقات كلها ليلا"<sup>(٣)</sup>.

عن مجاهد: "أن أناسا من اليهود قالوا لعمر بن الخطاب: تقولون: جنة عرضها السموات والأرض فأين تكون النار؟ قال: رأيت إذا جاء النهار أين يكون الليل وإذا جاء الليل أين يكون النهار؟ يفعل الله ما يشاء"<sup>(٤)</sup>.

وفي قوله تعالى: {لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ} [يس : ٤٠]، وجوه من التفسير: أحدها : أي: لا يشبه ضوء أحدهما ضوء الآخر ، قاله مجاهد<sup>(٥)</sup>.

قال مجاهد: "لا يشبه ضوءها ضوء الآخر، لا ينبغي لها ذلك"<sup>(٦)</sup>.

الثاني : لا يجتمع ضوء أحدهما مع ضوء الآخر، لأن ضوء القمر ليلا وضوء الشمس نهاراً ، فإذا جاء سلطان أحدهما ذهب سلطان الآخر ، قاله قتادة<sup>(٧)</sup>، والحسن-في رواية-<sup>(٨)</sup>، وأبو صالح<sup>(٩)</sup>، والضحاك<sup>(١٠)</sup>.

قال قتادة: "ولكل حد وعلم لا يعدوه، ولا يقصر دونه؛ إذا جاء سلطان هذا، ذهب سلطان هذا، وإذا جاء سلطان هذا ذهب سلطان هذا"<sup>(١١)</sup>.

قال الحسن: "لكل واحد منهما سلطان، للقمر سلطان بالليل وللشمس سلطان بالنهار، فلا ينبغي للشمس أن تطلع بالليل"<sup>(١٢)</sup>.

قال أبو صالح: "لا يدرك هذا ضوء هذا ولا هذا ضوء هذا"<sup>(١٣)</sup>.

قال الضحاك: "وهذا في ضوء القمر وضوء الشمس، إذا طلعت الشمس لم يكن للقمر ضوء، وإذا طلع القمر بضوئه لم يكن للشمس ضوء"<sup>(١٤)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٤٢.

(٢) تفسير الطبري: ٥١٩ / ٢٠.

(٣) صفوة التفاسير: ١٤-١٣/٣.

(٤) رواه يحيى بن سلام في التفسير: ٨١٠/٢.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٥١٩ / ٢٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٥١٩ / ٢٠.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٠ / ٢٠.

(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨٠٧٩): ص ٣١٩٦/١٠.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٠/٢٠.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٠/٢٠.

(١١) أخرجه الطبري: ٥٢٠ / ٢٠.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٧٩): ص ٣١٩٦/١٠.

(١٣) أخرجه الطبري: ٥٢٠/٢٠.

الثالث : معناه: أنهما إذا اجتمعا في السماء كان أحدهما بين يدي الآخر في منازل لا يشتركان فيها ، قاله ابن عباس<sup>(١)</sup>.

الرابع : أنهما لا يجتمعان في السماء ليلة الهلال خاصة، وهذا معنى قول الحسن<sup>(٢)</sup>.  
قال الحسن: "ذاك ليلة الهلال"<sup>(٤)</sup>.

الخامس : أنه لا تدرك الشمس القمر ليلة البدر خاصة لأنه يبادر بالمغيب قبل طلوعها ، حكاه يحيى بن سلام<sup>(٥)</sup>.

وقال النحاس: "أحسن ما قيل في معناه وأبينه مما لا يدفع: أن سير القمر سير سريع فالشمس لا تدركه في السير"<sup>(٦)</sup>.

وفي قوله تعالى: {وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ} [يس : ٤٠] ، وجهان من التفسير:

أحدهما : المعنى: لا يأتي ليل بعد ليل من غير نهار فاصل بينهما، أي: لا فترة بين الليل والنهار، بل كل منهما يعقب الآخر بلا مهلة ولا تراخ ؛ لأنهما مسخران دائبين يتطالبان طلباً حديثاً<sup>(٧)</sup>. وهذا معنى قول مجاهد<sup>(٨)</sup>، والضحاك<sup>(٩)</sup>، وعكرمة<sup>(١٠)</sup>.

قال الضحاك: "في قضاء الله وعلمه أن لا يفوت الليل النهار حتى يدركه، فيذهب ظلمته، وفي قضاء الله أن لا يفوت النهار الليل حتى يدركه، فيذهب بضوئه"<sup>(١١)</sup>.

وقال الضحاك: "لا يذهب الليل من هاهنا حتى يجيء النهار من هاهنا، وأوماً بيده إلى المشرق"<sup>(١٢)</sup>.

قال ابن قتيبة: "هما يتعاقبان، ولا يسبق أحدهما الآخر: فيفوته ويذهب قبل مجيء صاحبه"<sup>(١٣)</sup>.

الثاني : يعني: أنه لا يتقدم الليل قبل استكمال النهار. وهو معنى قول قتادة<sup>(١٤)</sup>، ويحيى بن سلام<sup>(١٥)</sup>.

قال قتادة: "ولكل حد وعلم لا يعدوه، ولا يقصر دونه؛ إذا جاء سلطان هذا، ذهب سلطان هذا، وإذا جاء سلطان هذا ذهب سلطان هذا"<sup>(١٦)</sup>.

قال ابن كثير: المعنى: "لا ينبغي إذا كان الليل أن يكون ليل آخر حتى يكون النهار ، فسلطان الشمس بالنهار ، وسلطان القمر بالليل"<sup>(١٧)</sup>.

قال الماوردي: "ومن الناس من يجعل هذا دليلاً على أن أول الشهر النهار دون الليل ، لأنه إذا لم يسبق الليل النهار واستحال اجتماعهما وجب أن يكون النهار سابقاً . وهذا قول يدفعه الشرع ويمنع منه الإجماع"<sup>(١٨)</sup>.

(١) أخرجه الطبري: ٥٢٠/٢٠.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٠ / ٢٠.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٠٧٨):ص١٠/٣١٩٥، والنكت والعيون: ١٨/٥.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٠٧٨):ص١٠/٣١٩٥.

(٥) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٨٠٩/٢.

(٦) إعراب القرآن: ٢٦٧/٣.

(٧) تفسير ابن كثير: ٥٧٩/٦.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٥١٩ / ٢٠.

(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٠٨٠):ص١٠/٣١٩٦، وتفسير الطبري: ٥٢٠ / ٢٠.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ١٨/٥.

(١١) أخرجه الطبري: ٥٢٠ / ٢٠.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٠٨٠):ص١٠/٣١٩٦.

(١٣) تاويل مشكل القرآن: ١٩٣.

(١٤) أخرجه الطبري: ٥٢٠/٢٠.

(١٥) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٨١٠/٢.

(١٦) أخرجه الطبري: ٥٢٠/٢٠.

(١٧) تفسير ابن كثير: ٥٧٩/٦.

(١٨) النكت والعيون: ١٨/٥.

قوله تعالى: {وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [يس : ٤٠]، أي: " وكل من الشمس والقمر والكواكب في فلك يجرون"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: " يقول: وكل ما ذكرنا من الشمس والقمر والليل والنهار في فلك يجرون"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: " يعني : الليل والنهار ، والشمس والقمر ، كلهم يسبحون ، أي : يدورون في فلك السماء"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن قتيبة: " أي: يجرون، يعني الشمس والقمر والنجوم"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن زيد: " في فلك بين السماء والأرض"<sup>(٥)</sup>.

عن نوف البكالي قال: "إن السماء خلقت مثل القبة، وإن الشمس والقمر والنجوم ليس منها شيء لاصق بالسماء، وإنما تجري في فلك دون السماء"<sup>(٦)</sup>.

قال حسان بن عطية: " والقمر والنجوم مسخرة في فلك بين السماء والأرض"<sup>(٧)</sup>.

واختلف أهل العلم في قوله تعالى: {وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [يس : ٤٠]، على ثلاثة أقوال: أحدها : يجرون، قاله ابن عباس<sup>(٨)</sup>، ومجاهد<sup>(٩)</sup>، وابن زيد<sup>(١٠)</sup>، والكلبي<sup>(١١)</sup>.

وقال ابن عباس: " في فلك كفلك المغزل"<sup>(١٢)</sup>.

وقال ابن عباس: " يعني: كل في فلك في السموات"<sup>(١٣)</sup>.

وفي رواية: " دوراننا يسبحون؛ يقول: يجرون"<sup>(١٤)</sup>.

الثاني : يدورون كما يدور المغزل في الفلكة ، قاله ابن عباس-في رواية-<sup>(١٥)</sup>، والحسن<sup>(١٦)</sup>، وعكرمة<sup>(١٧)</sup>، ومجاهد<sup>(١٨)</sup>.

قال ابن عباس: " يدورون في أبواب السماء ما تدور الفلكة في المغزل"<sup>(١٩)</sup>.

قال مجاهد: " {وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} والشمس والقمر بالليل والنهار {يسبحون} يدورون كما يدور فلك المغزل"<sup>(٢٠)</sup>.

قال الحسن: " مثل فلكة المغزل يدور"<sup>(٢١)</sup>.

وقال الحسن: " الفلك طاحونة مستديرة كفلكة المغزل بين السماء والأرض، وتجري فيها الشمس والقمر والنجوم، وليست بملتصقة بالسماء، ولو كانت ملتصقة ما جرت"<sup>(١)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٤٢.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠ / ٥٢٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٧٩/٦.

(٤) تاويل مشكل القرآن: ١٩٣.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٨٣): ص ٣١٩٦/١٠.

(٦) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٠٩/٢ - ٨١٠.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٦٥١): ص ٢٤٥٢/٨.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٥٢١.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٥٢١.

(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٣٦٥٢): ص ٢٤٥٢/٨.

(١١) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٠٩/٢.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٠ / ٥٢١-٥٢٠.

(١٣) أخرجه الطبري: ٢٠ / ٥٢١.

(١٤) أخرجه الطبري: ٢٠ / ٥٢١.

(١٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٣٦٤٩): ص ٢٤٥٢/٨.

(١٦) أخرجه إسحاق البستي ص ١٨٦.

(١٧) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ١٩/٥.

(١٨) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٠٩/٢.

(١٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٣٦٤٩): ص ٢٤٥٢/٨.

(٢٠) علقه يحيى بن سلام ٨٠٩ / ٢.

(٢١) أخرجه إسحاق البستي ص ١٨٦.



قال الكلبي: " كل شيء يدور فهو فلك" (٢).

الثالث : يعملون ، قاله الضحاك (٣).

قال الزجاج: " لكل واحدٍ منهما فلك، ومعنى يسبحون يسيرون فيه بانسباط. وكل من انبسط في شيء فقد سبَح فيه، ومن ذلك السباحة في الماء" (٤).  
فوائد الآيات: [٣٧-٤٠]:

- ١- إقامة الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة على إمكان البعث ووقوعه حتماً.
- ٢- ذكر القرآن لأمر الفلك التي لم يعرف عنها الناس اليوم إلا جزء يسير آية عظمى على أنه وحي الله وأن من أوحى إليه هو رسول الله قطعاً.
- ٣- ما ذكره القرآن عن الكون العلوي من الوضوح بحيث يعرفه الفلاح والراعي كالعالم المتبحر والأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب وذلك لتقوم الحجة على الناس إن هم لم يؤمنوا بالله ولم يوحده في عبادته ويخلصوا له في طاعته وطاعة رسوله.

## القرآن

**{وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ (٤١)} [يس : ٤١]**

التفسير:

ودليل لهم وبرهان على أن الله وحده المستحق للعبادة، المنعم بالنعمة، أننا حملنا من نجا من ولد آدم في سفينة نوح المملوءة بأجناس المخلوقات؛ لاستمرار الحياة بعد الطوفان.

قال الطبري: يقول: " ودليل لهم أيضاً، وعلامة على قدرتنا على كل ما نشاء، حملنا ذريتهم، يعني من نجا من ولد آدم في سفينة نوح، وإياها عنى جل ثناؤه بالفلك المشحون؛ والفلك: هي السفينة، والمشحون: المملوء الموقر" (٥).

قال ابن كثير: " يقول تعالى : ودلالة لهم أيضاً على قدرته تعالى : تسخير البحر ليحمل السفن ، فمن ذلك - بل أوله - سفينة نوح ، عليه السلام ، التي أنجاه الله تعالى فيها بمن معه من المؤمنين ، الذين لم يبق على وجه الأرض من ذرية آدم غيرهم ؛ ولهذا قال : { وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ } أي : آباءهم ، { فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ } أي : في السفينة الموقرة المملوءة من الأمتعة والحيوانات ، التي أمره الله أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين" (٦).

قال أبو عبيدة: " {فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ} المملوء، يقال: شحنتها عليه خيلاً ورجالاً، أي: ملأها، و«الفلك»: القطب الذي تدور عليه السماء و«الفلك»: السفينة، الواحد والجمع من «السفن»" (٧).

قال ابن الجوزي: " قال المفسرون: أراد: في سفينة نوح، فنسب الذرية إلى المخاطبين، لأنهم من جنسهم، كأنه قال: ذرية الناس" (٨).

وقال الفراء: "« ذُرِّيَّتَهُمْ»، أي: ذرية من هو منهم، فجعلها ذريتهم وقد سبقتهم" (٩).

عن ابن عباس، قوله: " {أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون}، يقول: الممتلئ" (١٠).

عن ابن عباس، قوله: " {في الفلك المشحون}، يعني: المثقل" (١١).

(١) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٠٩/٢، وانظر: تفسير الطبري: ٤٣٨/١٨.

(٢) أخرجه عبدالرزاق في التفسير (٢٤٨٣): ص ٨٣/٣.

(٣) انظر: النكت والعيون: ١٩/٥.

(٤) معاني القرآن: ٢٨٨/٤.

(٥) تفسير الطبري: ٥٢١ / ٢٠.

(٦) تفسير ابن كثير: ٥٨٠/٦.

(٧) مجاز القرآن: ١٦٢/٢.

(٨) زاد المسير: ٥٢٥/٣.

(٩) معاني القرآن: ٣٨٨/٢.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥٢٢ / ٢٠.

(١١) أخرجه الطبري: ٥٢٢ / ٢٠.

عن الحسن، قوله: "المشحون"، قال: المحمول<sup>(١)</sup>.  
عن سعيد والضحاك: "الفلك المشحون"، قالوا: "الموقر"<sup>(٢)</sup>.  
عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: أتدرون ما الفلك المشحون؟ قلنا: لا، قال: هو الموقر"<sup>(٣)</sup>.

قال مقاتل: "يعني: الموقر من الناس والدواب"<sup>(٤)</sup>.  
قال قتادة: "الموقر، يعني سفينة نوح"<sup>(٥)</sup>.  
قال الضحاك: "يعني: سفينة نوح عليه السلام"<sup>(٦)</sup>.  
قال يحيى: "يعني: نوحا وبنيه الثلاثة سام، وحام ويافت منهم ذري الخلق بعد ما غرق قوم نوح"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن زيد: "الفلك المشحون: المركب الذي كان فيه نوح، والذرية التي كانت في ذلك المركب؛ قال: والمشحون: الذي قد شحن، الذي قد جعل فيه ليركبه أهله، جعلوا فيه ما يريدون، وربما امتلأ وربما لم يمتلئ"<sup>(٨)</sup>.

وذكروا في قوله تعالى: {أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ} [يس: ٤١] ثلاثة وجوه من التفسير:

أحدها: أن الذرية الآباء حملهم الله تعالى في سفينة نوح عليه السلام، قاله أبان بن عثمان<sup>(٩)</sup>، وسمى الآباء ذرية لأن منهم ذرة الأبناء.

وقال ابن الجوزي: "قيل: هو حمل الأنبياء في أصلاب الآباء حين ركبوا السفينة، ومنه قول العباس<sup>(١٠)</sup>:

بل نُطِقَ تركب السفين وقد... أجم نسرا<sup>(١١)</sup> وأهله العرق"<sup>(١٢)</sup>.

الثاني: أن الذرية الأبناء والنساء لأنهم ذرة الآباء حملوا في السفن، والفلك هي السفن الكبار، قاله السدي<sup>(١٣)</sup>.

الثالث: أن الذرية النطف حملها الله تعالى في بطون النساء تشبيهاً بالفلك المشحون، قاله عليّ رضي الله عنه<sup>(١٤)</sup>.

## القرآن

{وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ} ((٤٢)) [يس: ٤٢]

التفسير:

وخلقنا لهؤلاء المشركين وغيرهم مثل سفينة نوح من السفن وغيرها من المراكب التي يركبونها وتبلغهم أوطانهم.

- 
- (١) أخرجه الطبري: ٥٢٢ / ٢٠.
  - (٢) أخرجه الطبري: ٥٢٣-٥٢٢ / ٢٠.
  - (٣) أخرجه الطبري: ٥٢٢ / ٢٠.
  - (٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٠ / ٣.
  - (٥) أخرجه الطبري: ٥٢٢ / ٢٠.
  - (٦) أخرجه الطبري: ٥٢٢ / ٢٠.
  - (٧) تفسير يحيى بن سلام: ٨١٠ / ٢.
  - (٨) أخرجه الطبري: ٥٢٢ / ٢٠.
  - (٩) انظر: النكت والعيون: ١٩ / ٤.
  - (١٠) في شعر العباس يمدح النبي - صلى الله عليه وسلم -: في اللسان (نسر)، وفي أمالي الزجاجي / ٦٥ ضمن سبعة أبيات للعباس بن عبد المطلب في مدح النبي صلى الله عليه وسلم.
  - (١١) النسر: صنم من أصنام قوم نوح عليه السلام.
  - (١٢) زاد المسير: ٥٢٥ / ٣.
  - (١٣) انظر: النكت والعيون: ١٩ / ٤.
  - (١٤) انظر: النكت والعيون: ١٩ / ٤.

قال الطبري: يقول: " وخلقنا لهؤلاء المشركين المكذبيك يا محمد، تفضلا منا عليهم، من مثل ذلك الفلك الذي كنا حملنا من ذرية آدم من حملنا فيه الذي يركبونه من المراكب"<sup>(١)</sup>.  
وذكر أهل التفسير في قوله تعالى: {وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ} [يس: ٤٢]،

وجوها:

أحدها: أنه خلق مثل سفينة نوح مما يركبونها من السفن، قاله ابن عباس-في رواية-<sup>(٢)</sup>.  
وقال الضحاك: " يعني: السفن التي اتخذت بعدها، يعني بعد سفينة نوح"<sup>(٣)</sup>.

وقال قتادة: " هي السفن التي ينتفع بها"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن زيد: " وهي هذه الفلك"<sup>(٥)</sup>.

قال الزجاج: " الأكثر في التفسير أن {مِنْ مِثْلِهِ}: من مثل سفينة نوح"<sup>(٦)</sup>.

الثاني: أنها السفن الصغار خلقها لهم مثل السفن الكبار، قاله الحسن-في رواية-<sup>(٧)</sup>، وأبو مالك<sup>(٨)</sup>، وأبو صالح<sup>(٩)</sup>.

قال أبو مالك: " ألا ترى أنه قال: {وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم}؟"<sup>(١٠)</sup>.

قال الفراء: " هي الزواريق"<sup>(١١)</sup> وأشباها مما يركب فيه الناس"<sup>(١٢)</sup>.

الثالث: أنها سفن الأنهار خلقها لهم مثل سفن البحار، قاله السدي<sup>(١٣)</sup>.

الرابع: أنها الإبل، خلقها لهم للركوب في البر مثل السفن المركوبة في البحر، قاله ابن عباس في رواية أخرى-<sup>(١٤)</sup>، والحسن-في رواية أخرى-<sup>(١٥)</sup>، وعبد الله بن شداد<sup>(١٦)</sup>، وعكرمة<sup>(١٧)</sup>، ويحيى بن سلام<sup>(١٨)</sup>.

وقال مجاهد: " يعني: من الأنعام ما يركبون"<sup>(١٩)</sup>.

والعرب تشبه الإبل بالسفن، قال طرفة<sup>(٢٠)</sup>:

كأنَّ حُدُوجَ المَالِكِيَّةِ عُذُوَةٌ ... خَلَايَا سَفِينٍ بِالنُّوَاصِفِ مِن دَدٍ

قال ابن عباس: " يعني: الإبل، خلقها الله كما رأيت، فهي سفن البر، يحملون عليها ويركبونها"<sup>(٢١)</sup>.

الخامس: يريد: الإبل وسائر ما يركب، فتكون المماثلة في أنه مركوب مبلغ إلى الأقطار فقط. وهذا قول ابن عطية<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ٥٢٣ / ٢٠.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٣ / ٢٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٥٢٤ / ٢٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٢٤ / ٢٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٢٤ / ٢٠.

(٦) معاني القرآن: ٢٨٨ / ٤.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٣ / ٢٠.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٣ / ٢٠.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٣ / ٢٠.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥٢٣ / ٢٠.

(١١) جمع الزورق، وهو السفينة الصغيرة. والمعروف في جمعه الزوارق.

(١٢) معاني القرآن: ٣٧٨ / ٢.

(١٣) انظر: النكت والعيون: ١٩ / ٥.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٤ / ٢٠.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٤ / ٢٠.

(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٤ / ٢٠.

(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٤ / ٢٠.

(١٨) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٨١٠ / ٢.

(١٩) تفسير مجاهد: ٥٦٠، وأخرجه الطبري: ٥٢٤ / ٢٠. مختصرا.

(٢٠) ديوانه: ١٩.

(٢١) أخرجه الطبري: ٥٢٤ / ٢٠.

وقال ابن عطية: " ويعود قوله: {إِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ} على السفن الموجودة في الناس، وأما من خلط القولين فجعل الذرية في الفلك في قوم نوح في سفينة وجعل مِنْ مِثْلِهِ في الإبل فإن هذا نظر فاسد يقطع به قوله تعالى: {وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ}، فتأمله!"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: الصواب " عني بذلك السفن، وذلك لدلالة قوله: {وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ} فلا صريخ لهم} على أن ذلك كذلك، وذلك أن الغرق معلوم أن لا يكون إلا في الماء، ولا غرق في البر"<sup>(٣)</sup>.

وحكي الماوردي: " أن يكون تأويله: النساء خلقن لركوب الأزواج ، وقال: لكن لم أره محكياً"<sup>(٤)</sup>.

قال تاج القراء برهان الدين الكرمانى: " يريد السفن، مثل سفينة نوح. وقيل: الصغار منها مثل سفن الأنهار.

الغريب: هو الإبل، وإنها سفن البر. ويدفع هذا قوله عز وجل: {وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ}. العجيب: قال أقصى القضاة: يجوز أن يكون ما يركبون النساء؛ لأنهن خلقهن لركوب الأزواج. قال: وقلت: هذا على وزن قول علي - كرم الله وجهه -<sup>(٥)</sup>"<sup>(٦)</sup>.

## القرآن

{وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ (٤٣)} [يس: ٤٣]

التفسير:

وإن نشأ نغرقهم، فلا يجدون مغيباً لهم من غرقهم، ولا هم يخلصون من الغرق. قوله تعالى: {وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ} [يس: ٤٣]، أي: "ولو أردنا لأغرقناهم في البحر"<sup>(٧)</sup>. قال الطبري: يقول: " وإن نشأ نغرق هؤلاء المشركين إذا ركبوا الفلك في البحر"<sup>(٨)</sup>. قوله تعالى: {فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ} [يس: ٤٣]، أي: " فلا يجدون مغيباً لهم من غرقهم"<sup>(٩)</sup>. قال الطبري: " يقول: فلا مغيب لهم إذا نحن غرقناهم يغيثهم، فينجيهم من الغرق"<sup>(١٠)</sup>. قال الزجاج: " أي: فلا مُغِيثَ لهم"<sup>(١١)</sup>. قال ابن كثير: "يعني: الذين في السفن، فلا مغيب لهم مما هم فيه"<sup>(١٢)</sup>. قال مجاهد: " لا مغيب لهم يستغيثون"<sup>(١٣)</sup>. قال قتادة: " لا مُغِيثَ لهم"<sup>(١٤)</sup>. قوله تعالى: {وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ} [يس: ٤٣]، أي: " ولا هم يخلصون من الغرق"<sup>(١٥)</sup>.

(١) انظر: المحرر الوجيز: ٤٥٥/٤.

(٢) المحرر الجيز: ٤٥٥/٤.

(٣) تفسير الطبري: ٥٢٥ / ٢٠.

(٤) النكت والعيون: ٢٠/٥.

(٥) وهو تفسيره في الآية: «أَنَا حَمَلْنَا دُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ»: أن الذرية النطف حملها الله تعالى في بطون النساء تشبيهاً بالفلك المشحون.

(٦) غرائب التفسير وعجائب التأويل: ٩٦٢/٢.

(٧) صفوة التفاسير: ١٤/٣.

(٨) تفسير الطبري: ٥٢٥ / ٢٠.

(٩) التفسير الميسر: ٤٤٣.

(١٠) تفسير الطبري: ٥٢٥ / ٢٠.

(١١) معاني القرآن: ٢٨٨/٤.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٥٨٠/٦.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٨٨): ص ٣١٩٧/١٠.

(١٤) أخرجه عبد الرزاق (٢٤٨٥): ص ٨٤/٣ من طريق معمر، والطبري: ٥٢٥/٢٠، وابن أبي حاتم (١٨٠٨٩): ص ٣١٩٧/١٠، وعزاه السيوطي في " الدر المنثور": ٦٠/٧، إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(١٥) التفسير الميسر: ٤٤٣.

قال الطبري: "يقول: ولا هو ينقذهم من الغرق شيء إن نحن أغرقناهم في البحر" (١).

## القرآن

{إِنَّا رَحْمَةٌ مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ} [يس : ٤٤]

التفسير:

إلا أن نرحمهم فننجيهم ونمتعهم إلى أجل؛ لعلهم يرجعون ويستدركون ما فرطوا فيه. قوله تعالى: {إِنَّا رَحْمَةٌ مِّنَّا} [يس : ٤٤]، أي: "لا ينقذهم أحد إلا نحن لأجل رحمتنا إياهم" (٢).

قال الطبري: يقول: "إلا أن ننقذهم نحن رحمة منا لهم، فننجيهم منه" (٣).

قال مقاتل: "إلا نعمة منا حين لا نغرقهم" (٤).

قال ابن كثير: "هذا استثناء منقطع، تقديره: ولكن برحمتنا نسيركم في البر والبحر" (٥). قوله تعالى: {وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ} [يس : ٤٤]، أي: "وتمتعنا لهم إلى انقضاء آجالهم، لعلهم

يرجعون ويستدركون ما فرطوا فيه" (٦).

قال الطبري: يقول: ولنمتعهم إلى أجل هم بالغوه، فكأنه قال: ولا هم ينقذون، إلا أن

نرحمهم فتمتعهم إلى أجل" (٧).

قال ابن كثير: "أي: إلى وقت معلوم عند الله" (٨).

قال مقاتل: "وبلاغا إلى آجالهم" (٩).

عن قتادة: "وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ}، أي: إلى الموت" (١٠).

قال يحيى: "فبرحمته يمتعهم إلى يوم القيامة ولم يهلكهم بعذاب الاستئصال، وسيهلك

كفار آخر هذه الأمة بالنفخة الأولى" (١١).

## القرآن

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [يس : ٤٥]

التفسير:

وإذا قيل للمشركين: احذروا أمر الآخرة وأحوالها وأحوال الدنيا وعقابها؛ رجاء رحمة الله لكم، عرضوا، ولم يجيبوا إلى ذلك.

قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ} [يس : ٤٥]، أي: "وإذا قيل

للمشركين: احذروا أمر الآخرة وأحوالها وأحوال الدنيا وعقابها" (١٢).

قال الطبري: يقول: "وإذا قيل لهؤلاء المشركين بالله، المكذبين رسوله محمدا صلى الله

عليه وسلم: احذروا ما مضى بين أيديكم من نعم الله ومثلاته بمن حل ذلك به من الأمم قبلكم أن

(١) تفسير الطبري: ٢٠ / ٥٢٥.

(٢) صفوة التفاسير: ١٤ / ٣.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠ / ٥٢٥.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣ / ٥٨٠.

(٥) تفسير ابن كثير: ٦ / ٥٨٠.

(٦) صفوة التفاسير: ١٤ / ٣، والتفسير الميسر: ٤٤٣.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠ / ٥٢٥.

(٨) تفسير ابن كثير: ٦ / ٥٨٠.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣ / ٥٨٠.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٠ / ٥٢٥.

(١١) تفسير يحيى بن سلام: ٢ / ٨١٠-٨١١.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٤٣.

يحل مثله بكم بشرككم وتكذيبكم رسوله، واحذروا ما بعد هلاككم مما أنتم لاقوه إن هلكتم على كفركم الذي أنتم عليه" (١).

قال السدي: "اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم: عذاب الدنيا وعذاب الآخرة" (٢).  
عن قتادة، قوله: "وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم: وقائع الله فيمن خلا قبلهم من الأمم وما خلفهم من أمر الساعة" (٣).

عن مجاهد، قوله: "ما بين أيديكم، قال: ما مضى من ذنوبهم" (٤).  
وقال الكلبي: {ما بين أيديكم}: من أمر الآخرة، اتقوها واعملوا لها، {وما خلفكم}: الدنيا إذا كنتم في الآخرة، فلا تغتروا بالدنيا، فإنكم تأتون الآخرة" (٥).

قوله تعالى: {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [يس: ٤٥]، أي: "رجاء رحمة الله لكم" (٦).  
قال الطبري: "يقول: ليرحمكم ربكم إن أنتم حذرتهم ذلك، واتقيتموه بالتوبة من شرككم والإيمان به، ولزوم طاعته فيما أوجب عليكم من فرائضه" (٧).

قال ابن كثير: "أي: لعل الله باتقائكم ذلك يرحمكم ويؤمنكم من عذابه. وتقدير كلامه: أنهم لا يجيبون إلى ذلك ويعرضون عنه. واكتفى عن ذلك بقوله: {وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ} (٨)".

فإن قال قائل: وأين جواب قوله: {وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم}؟  
قيل: جوابه وجواب قوله {وما تأتئهم من آية من آيات ربهم}... قوله: {إلا كانوا عنها معرضين}، لأن الإعراض منهم كان عن كل آية الله، فاكتفى بالجواب عن قوله {اتقوا ما بين أيديكم} وعن قوله {وما تأتئهم من آية} بالخبر عن إعراضهم عنها لذلك، لأن معنى الكلام: وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم أعرضوا، وإذا أتتهم آية أعرضوا (٩).

## القرآن

{وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤٦)} [يس: ٤٦]

التفسير:

وما تجيء هؤلاء المشركين من علامة واضحة من عند ربهم؛ لتهديهم للحق، وتبين لهم صدق الرسول، إلا أعرضوا عنها، ولم ينتفعوا بها.

قال الطبري: "وما تجيء هؤلاء المشركين من قریش آية، يعني حجة من حجج الله، وعلامة من علاماته على حقيقة توحيده، وتصديق رسوله، إلا كانوا عنها معرضين، لا يتفكرون فيها، ولا يتدبرونها، فيعلموا بها ما احتج الله عليهم بها" (١٠).

قال ابن كثير: "وما تأتئهم من آية من آيات ربهم} أي: على التوحيد وصدق الرسل {إلا كانوا عنها معرضين} أي: لا يتأملونها ولا ينتفعون بها" (١١).  
قال السمعاني: "أي: معرضين بالجد والتكذيب" (١).

(١) تفسير الطبري: ٥٢٥-٥٢٦/٢٠.

(٢) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨١١/٢.

(٣) أخرجه الطبري: ٥٢٦/٢٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٢٦/٢٠. ثم علق عليه قائلا: "وهذا القول قريب المعنى من القول الذي قلنا، لأن معناه: اتقوا عقوبة ما بين أيديكم من ذنوبكم، وما خلفكم مما تعملون من الذنوب ولم تعملوه بعد، فذلك بعد تحويف لهم العقاب على كفرهم".

(٥) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨١١/٢.

(٦) التفسير الميسر: ٤٤٣.

(٧) تفسير الطبري: ٥٢٦/٢٠.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٨٠/٦.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٦-٥٢٧/٢٠.

(١٠) تفسير الطبري: ٥٢٦/٢٠.

(١١) تفسير ابن كثير: ٥٨٠/٦.

قال مقاتل: " فلا يتفكروا"<sup>(٢)</sup>.  
 قال الزمخشري: اي: " دأبهم الإعراض عند كل آية وموعظة"<sup>(٣)</sup>.  
 قال قتادة: " يقول: ما تأتيهم من شيء من كتاب الله إلا أعرضوا عنه"<sup>(٤)</sup>.  
 عن الحسن، قوله: {وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ}، قال: "ما يأتيهم من رسول"<sup>(٥)</sup>.  
 فوائد الآيات: [٤٦-٤١]:

- ١- بيان فضل الله على البشرية في إنجاء ذرية قوم نوح الكافرين ومنهم كان البشر وإلا لو أغرق الله الجميع المؤمنين الذرية والكافرين الآباء لم يبق في الأرض أحد.
- ٢- حماية الله تعالى للعباد ورعايته لهم وإلا لهلكوا أجمعين ولكن أين شكرهم؟
- ٣- بيان إصرار كفار قريش وعنادهم الأمر الذي لم يسبق له مثيل.
- ٤- الإشارة بالمثلية في قوله {من مثله} إلى تنوع السفن من البوارج والغوصات والطريبات الحربية.

### القرآن

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَنْطَعِمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٤٧)} [يس: ٤٧]

التفسير:

وإذا قيل للكافرين: أنفقوا من الرزق الذي من به الله عليكم، قالوا للمؤمنين مُحْتَجِّينَ: أنطعم من لو شاء الله أطعمه؟ ما أنتم -أيها المؤمنون- إلا في بُعدٍ واضح عن الحق، إذ تأمروننا بذلك.  
 سبب النزول:

عن قتادة، قوله: " {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ}، قال: نزلت في الزنادقة، كانوا لا يطعمون فقيرا، فعاب الله ذلك عليهم وغيرهم"<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ} [يس: ٤٧]، أي: " وإذا قيل للكافرين: أنفقوا من الرزق الذي من به الله عليكم"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: يقول: " وإذا قيل لهؤلاء المشركين بالله: أنفقوا من رزق الله الذي رزقكم، فأدوا منه ما فرض الله عليكم فيه لأهل حاجتكم ومسكنتكم"<sup>(٨)</sup>.

قال يحيى: " وهذا تطوع"<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: {قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَنْطَعِمَهُ} [يس: ٤٧]، أي: " قال الكفار للمؤمنين مُحْتَجِّينَ: أنطعم من لو شاء الله أطعمه؟"<sup>(١٠)</sup>.

قال الطبري: يقول: " قال الذين أنكروا وحدانية الله، وعبدوا من دونه للذين آمنوا بالله ورسوله: أنطعم أموالنا وطعامنا من لو يشاء الله أطعمه"<sup>(١١)</sup>.

قال الحسن: " اليهود تقول له"<sup>(١٢)</sup>.

(١) تفسير السمعاني: ٣٨١/٤.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٠/٣.

(٣) الكشاف: ١٩/٤.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٧١٠٧): ص ١٢٦٣/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ} [الأنعام: ٤].

(٥) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨١١/٢.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٨٩): ص ٣١٩٧/١٠.

(٧) التفسير الميسر: ٤٤٣.

(٨) تفسير الطبري ٥٢٧/٢٠.

(٩) تفسير يحيى بن سلام: ٨١١/٢.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٤٣.

(١١) تفسير يحيى بن سلام: ٨١١/٢.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٩١): ص ٣١٩٧/١٠.

قال الزجاج: " كأنهم يقولون هذا على حد الاستهزاء. وجاء في التفسير أنها نزلت في الزنادقة، وقيل في قوم من اليهود"<sup>(١)</sup>.

قال ابن فورك: معناه: " أنهم يوهمون أن الله لما كان قادرا على إطعامه وليس يشاء إطعامه فنحن أحق بذلك، وذهب عليهم موضع التعبد في تكليف الإطعام"<sup>(٢)</sup>.

قال الزمخشري: " كانت الزنادقة منهم يسمعون المؤمنين يعلقون أفعال الله تعالى بمشيئته فيقولون: لو شاء الله لأغنى فلانا، ولو شاء لأعزه، ولو شاء لكان كذا، فأخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولونه من تعليق الأمور بمشيئة الله. ومعناه: أنطعم المقول فيه هذا القول بينكم، وذلك أنهم كانوا دافعين أن يكون الغنى والفقر من الله، لأنهم معطلة لا يؤمنون بالصانع"<sup>(٣)</sup>.

وذكر الفتيبي في كتاب «المعارف»: " أن أبا الأسود الدؤلي كان من خلقه أغناهم، فهذا حجة البخلاء في البخل، وهي حجة باطلة؛ لأن الله تعالى منع الدنيا من الفقراء لا بخلا ولكن ابتلاء، وأمر الأغنياء بالإنفاق لا بحكم الحاجة إلى أموالهم لكن ابتلاء شكرهم"<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: {إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} [يس: ٤٧]، أي: " ما أنتم أيها المؤمنون إلا في ضلال ظاهر واضح حيث تأمروننا أن ننفق أموالنا على من أفقرهم الله"<sup>(٥)</sup>.

قال السمعاني: " أي: في خطأ بين"<sup>(٦)</sup>.

قال الزمخشري: " {إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}: قول الله لهم. أو حكاية قول المؤمنين لهم. أو هو من جملة جوابهم للمؤمنين"<sup>(٧)</sup>.

وفي قوله تعالى: {إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} [يس: ٤٧]، وجهان من التفسير<sup>(٨)</sup>: أحدهما: أن يكون من قيل الكفار للمؤمنين، والمعنى: ما أنتم أيها القوم في قيلكم لنا: أنفقوا مما رزقكم الله على مساكينكم، إلا في ذهاب عن الحق، وجور عن الرشد مبين لمن تأمله وتدبره، أنه في ضلال.

قال الطبري: " وهذا أولى وجهيه بتأويله"<sup>(٩)</sup>.

الثاني: أن يكون ذلك من قيل الله للمشركين، فيكون تأويله حينئذ: ما أنتم أيها الكافرون في قيلكم للمؤمنين: أنطعم من لو يشاء الله أطعمه، إلا في ضلال مبين، عن أن قيلكم ذلك لهم ضلال.

قال يحيى: " يقوله المشركون للمؤمنين"<sup>(١٠)</sup>.

## القرآن

{وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٨)} [يس: ٤٨]

التفسير:

ويقول هؤلاء الكفار على وجه التكذيب والاستعجال: متى يكون البعث إن كنتم صادقين فيما تقولونه عنه؟

(١) معاني القرآن: ٢٨٩/٤.

(٢) تفسير ابن فورك: ١٩٤/٢.

(٣) الكشاف: ١٩/٤.

(٤) نقلا عن تفسير السمعاني: ٣٨١/٤.

(٥) صفوة التفاسير: ١٥/٣.

(٦) تفسير السمعاني: ٣٨١/٤.

(٧) الكشاف: ١٩/٤.

(٨) انظر: تفسير الطبري ٥٢٧/٢٠.

(٩) تفسير الطبري ٥٢٧/٢٠.

(١٠) تفسير يحيى بن سلام: ٨١١/٢.



قال الطبري: "ويقول هؤلاء المشركون المكذبون وعيد الله، والبعث بعد الممات، يستعجلون ربهم بالعذاب {متى هذا} الوعد بقيام الساعة {إن كنتم صادقين} أيها القوم، وهذا قولهم لأهل الإيمان بالله ورسوله"<sup>(١)</sup>.

قال يحيى: "ويقولون متى هذا الوعد، أي: هذا العذاب، {إن كنتم صادقين} يكذبون به"<sup>(٢)</sup>.

قال السمعاني: "أي: وعد القيامة"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير: "يخبر تعالى عن استبعاد الكفرة لقيام الساعة في قولهم: {مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}؟ {يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا} [الشورى: ١٨]"<sup>(٤)</sup>.

## القرآن

{مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ} [يس: ٤٩]

التفسير:

ما ينتظر هؤلاء المشركون الذين يستعجلون بوعيد الله إياهم إلا نفخة الفزع عند قيام الساعة، تأخذهم فجأة، وهم يختصمون في شؤون حياتهم.

قوله تعالى: {مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ} [يس: ٤٩]، أي: "ما ينتظر هؤلاء المشركون الذين يستعجلون بوعيد الله إياهم إلا نفخة الفزع عند قيام الساعة، تأخذهم فجأة"<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: يقول: "ما ينتظر هؤلاء المشركون الذين يستعجلون بوعيد الله إياهم، إلا صيحة واحدة تأخذهم، وذلك نفخة الفزع عند قيام الساعة"<sup>(٦)</sup>.

قال يحيى: "ما ينظر كفار آخر هذه الأمة الداننين بدين أبي جهل وأصحابه، {إلا صيحة واحدة}، يعني: النفخة الأولى من إسرافيل، -وهو تفسير السدي- بها يكون هلاكهم"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: ما ينتظرون إلا صيحة واحدة، وهذه - والله أعلم - نفخة الفزع، ينفخ في الصور نفخة الفزع، والناس في أسواقهم ومعاشهم يختصمون ويتشاجرون على عاداتهم، فبينما هم كذلك إذ أمر الله تعالى إسرافيل فنفخ في الصور نفخة يطولها ويمدّها، فلا يبقى أحد على وجه الأرض إلا أصغى لبيئاً، ورفع لبيئاً - وهي صفحة العنق - يتسمع الصوت من قبل السماء. ثم يساق الموجودون من الناس إلى محشر القيامة بالنار، تحيط بهم من جوانبهم"<sup>(٨)</sup>.

قال قتادة: "قضى الله ألا تأتيكم الساعة إلا بغتة"<sup>(٩)</sup>.

عن ابن زيد، قوله: "ما ينظرون إلا صيحة واحدة"، قال: النفخة نفخة واحدة"<sup>(١٠)</sup>.  
وقال ابن زيد: "هذا مبتدأ يوم القيامة، وقرأ {فلا يستطيعون توصية}، حتى بلغ: {إلى ربهم ينسلون}"<sup>(١١)</sup>.

قوله تعالى: {وَهُمْ يَخِصِّمُونَ} [يس: ٤٩]، أي: "وهم يختصمون في شؤون حياتهم"<sup>(١٢)</sup>.

(١) تفسير الطبري ٥٢٧/٢٠.

(٢) تفسير يحيى بن سلام: ٨١١/٢.

(٣) تفسير السمعاني: ٣٨١/٤.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٨٠/٦.

(٥) التفسير الميسر: ٤٤٣.

(٦) تفسير الطبري ٥٢٨/٢٠.

(٧) تفسير يحيى بن سلام: ٨١١/٢.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٨٠/٦.

(٩) رواه يحيى بن سلام في التفسير: ٨١٢/٢.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥٢٨/٢٠.

(١١) أخرجه الطبري: ٥٣٠/٢٠.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٤٣.

قال يحيى: " في أسواقهم، يتبايعون، يذرعون الثياب ويخفض أحدهم ميزانه ويرفعه، ويحلبون اللقاح وغير ذلك من حوائجهم" (١).

عن السدي: " {وهم يخاصمون}، قال: يتكلمون" (٢).

قال الزجاج: " وقرئت: «يختصمون»، وهي جيدة أيضا ومعناها يأخذهم وبعضهم يخضم بعضا، ويجوز أن يكون تأخذهم وهم عند أنفسهم يخاصمون في الحجة في أنهم لا يبعثون، فتقوم الساعة وهم متشاغلون في متصرفاتهم" (٣).

عن عبد الله بن عمرو قال: "لينفخ في الصور وإن الناس لفي طرقهم وأسواقهم ومجالسهم، وحتى إن الرجل ليساوم الرجل بالثوب والثوب بينهما في يد هذا وهذا فلا يدعانه حتى يصعق بهما، وحتى إن الرجل ليغدو من بيته وما يرجع حتى يصعق به، وتلا هذه الآية: {فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون}" (٤).

عن أبي هريرة، يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «تقوم الساعة والرجل يحلب اللقحة، فما يصل الإناء إلى فيه حتى تقوم، والرجلان يتبايعان الثوب، فما يتبايعانه حتى تقوم، والرجل يلط في حوضه، فما يصدر حتى تقوم» (٥).

قال قتادة: " ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: "تهيج الساعة بالناس والرجل يسقي ماشيته، والرجل يصلح حوضه، والرجل يقيم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه، وتهيج بهم وهم كذلك، {فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون}" (٦).

عن أبي هريرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور، فأعطاه إسرافيل، فهو واضع على فيه شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر، قال أبو هريرة: يا رسول الله: وما الصور؟ قال: قرن قال: وكيف هو؟ قال: قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات، الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين، يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول: انفخ نفخة الفزع، فيفزع أهل السموات وأهل الأرض إلا من شاء الله، ويأمره الله فيديمها ويطولها، فلا يفتر، وهي التي يقول الله {وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق} ثم يأمر الله إسرافيل بنفخة الصعق، فيقول: انفخ نفخة الصعق، فيصعق أهل السموات والأرض إلا من شاء الله، فإذا هم خامدون، ثم يميت من بقي، فإذا لم يبق إلا الله الواحد الصمد، بدل الأرض غير الأرض والسموات، فيبسطها ويسطحها، ويمدها مد الأديم العكاظي، لا ترى فيها عوجا ولا أمثا، ثم يزرع الله الخلق زجرة، فإذا هم في هذه المبدلة في مثل مواضعهم من الأولى ما كان في بطنها كان في بطنها، وما كان على ظهرها كان على ظهرها" (٧).

## القرآن

{فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (٥٠)} [يس : ٥٠]

التفسير:

فلا يستطيع هؤلاء المشركون عند النفخ في «القرن» أن يوصوا أحداً بشيء، ولا يستطيعون الرجوع إلى أهلهم، بل يموتون في أسواقهم ومواقعهم.

(١) تفسير يحيى بن سلام: ٨١١/٢.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٠٩١): ص ٣١٩٧/١٠.

(٣) معاني القرآن: ٢٩٠/٤.

(٤) رواه يحيى بن سلام في التفسير: ٨١٢/٢، وأخرجه الطبري بنحوه في التفسير: ٥/٢٠.

(٥) صحيح مسلم (٢٩٥٤): ص ٢٢٧٠/٤.

(٦) أخرجه الطبري: ٥٢٨/٢٠.

(٧) أخرجه الطبري: ٥٢٨-٥٢٩/٢٠.

قوله تعالى: {فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً} [يس : ٥٠]، أي: "فلا يستطيع هؤلاء المشركون عند النفخ في «القرن» أن يوصوا أحداً بشيء" (١).  
قال يحيى: "أن يوصوا" (٢).  
قال ابن كثير: "أي : على ما يملكونه ، الأمر أهم من ذلك" (٣).  
قال الطبري: يقول: "فلا يستطيع هؤلاء المشركون عند النفخ في الصور أن يوصوا في أموالهم أحداً" (٤).  
قال الزجاج: "لا يستطيع أحد أن يوصي في شيء من أمره" (٥).  
عن قتادة: " {فلا يستطيعون توصية}، أي: فيما في أيديهم" (٦).  
قوله تعالى: {وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ} [يس : ٥٠]، أي: "ولا يستطيعون الرجوع إلى أهلهم، بل يموتون في أسواقهم ومواضعهم" (٧).  
قال يحيى: "من أسواقهم وحيث كانوا" (٨).  
قال الطبري: "يقول: ولا يستطيع من كان منهم خارجاً عن أهله أن يرجع إليهم، لأنهم لا يمهلون بذلك. ولكن يعجلون بالهلاك" (٩).  
قال الزجاج: "لا يلبث إلى أن يصير إلى أهله ومنزله. يموت في مكانه" (١٠).  
عن قتادة: " {ولا إلى أهلهم يرجعون}، قال: أعجلوا عن ذلك" (١١).

## القرآن

### {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ} [يس : ٥١]

التفسير:

وَنُفِخَ فِي «القرن» النفخة الثانية، فثُرِدُ أرواحهم إلى أجسادهم، فإذا هم من قبورهم يخرجون إلى ربهم سراعاً.  
قوله تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ} [يس : ٥١]، أي: "وَنُفِخَ فِي «القرن» النفخة الثانية، فثُرِدُ أرواحهم إلى أجسادهم" (١٢).  
قال يحيى: "وهذه النفخة الآخرة، والصور قرن" (١٣).  
قال الطبري: "يعنى بهذه النفخة، نفخة البعث" (١٤).  
عن ابن عمر، قال: "جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله عن الصور فقال: «قرن ينفخ فيه»" (١٥).  
عن قتادة: " {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ} : في الخلق" (١٦).

(١) التفسير الميسر: ٤٤٣.

(٢) تفسير يحيى بن سلام: ٨١٢/٢.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٨٠/٦.

(٤) تفسير الطبري: ٥٣٠ / ٢٠.

(٥) معاني القرآن: ٢٩٠/٤.

(٦) أخرجه الطبري: ٥٣٠ / ٢٠.

(٧) التفسير الميسر: ٤٤٣.

(٨) تفسير يحيى بن سلام: ٨١٢/٢.

(٩) تفسير الطبري: ٥٣٠ / ٢٠.

(١٠) معاني القرآن: ٢٩٠/٤.

(١١) أخرجه الطبري: ٥٣٠ / ٢٠.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٤٣.

(١٣) تفسير يحيى بن سلام: ٨١٢/٢.

(١٤) تفسير الطبري: ٥٣١/٢٠.

(١٥) رواه يحيى بن سلام في التفسير: ٨١٢/٢.

(١٦) رواه يحيى بن سلام في التفسير: ٨١٣/٢.

عن مجاهد: "ونفخ في الصور"، قال: كهيئة البوق" (١).

عن مجاهد: "الصور": البوق" (٢).

قال مجاهد: " هو القرن، صاحبه أخذ به، فقبض مجاهد قبضتين بكفيه على طف القرن، بين طرفيه، وبين قدر قبضة أو نحوها قد برك على ركبة إحدى رجليه، فأشار فبرك على ركبة يسراه مقعياً على قدمي عقبه تحت فخذة وإليته وأطراف أصابعه في التراب، قد نصب ركبته اليمنى ووضع قدمها في التراب" (٣).

قال يحيى: "بلغني عن محمد بن كعب القرظي، عن أبي هريرة، قال: تجعل الأرواح في الصور ثم ينفخ فيه صاحب الصور، فيذهب كل روح إلى جسده مثل النحل، فتدخل الأرواح في أجسادها" (٤).

قوله تعالى: {فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ} [يس: ٥١]، أي: "فإذا هم من قبورهم يخرجون إلى ربهم سراعاً" (٥).

قال الطبري: "مِنَ الْأَجْدَاثِ" يعني: من أجدانهم، وهي قبورهم، واحدها: «جدث»، {إلى ربهم ينسلون}، يقول: إلى ربهم يخرجون سراعاً، والنسلان: الإسراع في المشي" (٦).

قال الزجاج: "«الأجدات»: القبور، واحدها: جدث، و«ينسلون»: يخرجون بسرعة" (٧).

قال السعدي: "أي: يسرعون للحضور بين يديه، لا يتمكنون من التأني والتأخر" (٨).

عن ابن عباس، قوله: " {مِنَ الْأَجْدَاثِ}، يقول: من القبور، {يَنْسِلُونَ} يخرجون" (٩). وروي عن قتادة مثله (١٠).

عن قتادة، قال: "فإذا هم من القبور إلى ربهم يخرجون، يعني: جميع الخلق" (١١).

وفي الحديث: "شكونا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الضعف، فقال: «عليكم بالنسل»" (١٢).

## القرآن

{قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢)} [يس: ٥٢]

التفسير:

قال المكذوبون بالبعث نادمين: يا هلاكنا من أخرجنا من قبورنا؟ فيجابون ويقال لهم: هذا ما وعد به الرحمن، وأخبر عنه المرسلون الصادقون.

قوله تعالى: {قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا} [يس: ٥٢]، أي: "قال المكذوبون بالبعث

نادمين: يا هلاكنا من أخرجنا من قبورنا؟" (١٣).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٦٢٣): ص ٢٩٢٩/٩.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٦٢٤): ص ٢٩٢٩/٩.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٦٢٤): ص ٢٩٢٩/٩.

(٤) تفسير يحيى بن سلام: ٨١٣/٢.

(٥) التفسير الميسر: ٤٤٣.

(٦) تفسير الطبري: ٥٣١/٢٠.

(٧) معاني القرآن: ٢٩٠/٤.

(٨) تفسير السعدي: ٦٩٧.

(٩) أخرجه الطبري: ٥٣١ / ٢٠.

(١٠) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(١١) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨١٣/٢.

(١٢) أخرجه الخطابي في "غريب الحديث" ٣٧١ / ٢، وابن الأثير في "غريب الحديث" ٤٩ / ٥ (نسل)،

والزمخشري في "الفائق في غريب الحديث" ٣ / ٤٢١ (نسل)، وابن الجوزي في "غريب الحديث" ٢ / ٤٠٥ باب

النون مع السين.

(١٣) التفسير الميسر: ٤٤٣.

قال الطبري: " قال هؤلاء المشركون لما نفخ في الصور نفخة البعث لموقف القيامة فردت أرواحهم إلى أجسامهم، وذلك بعد نومة ناموها، {يَا وَيْلَنَا} من أيقظنا من منامنا، وقد قيل: إن ذلك نومة بين النفختين"<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير: " يعنون : من قبورهم التي كانوا يعتقدون في الدار الدنيا أنهم لا يبعثون منها ، فلما عاينوا ما كذبوه في محشرهم {قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا}، وهذا لا ينفي عذابهم في قبورهم ؛ لأنه بالنسبة إلى ما بعده في الشدة كالرقاد"<sup>(٢)</sup>.

قال القرطبي: "وقال أهل المعاني: إن الكفار إذا عاينوا جهنم وما فيها من أنواع العذاب صار ما عذبوا به في قبورهم إلى جنب عذابها كالنوم"<sup>(٣)</sup>.  
قال الزجاج: " هذا وقف التمام، وهذا قول المشركين، {مِنْ مَرْقَدِنَا}، هذا الذي كنا راقيين فيه"<sup>(٤)</sup>.

قال أبو عبيدة: " {مِنْ مَرْقَدِنَا}، أي: من منامنا"<sup>(٥)</sup>.  
قال ابن الجوزي: " قال المفسرون: إنما قالوا هذا، لأن الله تعالى رفع عنهم العذاب فيما بين النفختين"<sup>(٦)</sup>.

عن أبي بن كعب، قوله: "{يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا}، قال: ناموا نومة قبل البعث"<sup>(٧)</sup>.

عن منصور، عن رجل يقال له خيثمة في قوله: "{يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا}، قال: ينامون نومة قبل البعث"<sup>(٨)</sup>.

قال قتادة: " هذا قول أهل الضلالة. والرقدة: ما بين النفختين"<sup>(٩)</sup>.

عن مجاهد، قوله: "{يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا}، قال: الكافرون يقولونه"<sup>(١٠)</sup>.  
قال قتادة: " تكلم بأول هذه الآية أهل الضلالة وبآخرها أهل الإيمان، قال أهل الضلالة: {يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا}، قال المؤمنون: {هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ}"<sup>(١١)</sup>.

وفي قراءة ابن مسعود: «من أهبنا من مرقدنا هذا»<sup>(١٢)</sup>.  
وفي قراءة ابن مسعود -أيضا-: «من ميتنا»<sup>(١٣)</sup>.

قوله تعالى: {هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ} [يس: ٥٢]، أي: "؟ فيجابون ويقال لهم: هذا ما وعد به الرحمن، وأخبر عنه المرسلون الصادقون"<sup>(١٤)</sup>.

قال السعدي: " أي: هذا الذي وعدكم الله به، ووعدتكم به الرسل، فظهر صدقهم رأي عين، لا تحسب أن ذكر الرحمن في هذا الموضع، لمجرد الخبر عن وعده، وإنما ذلك للإخبار بأنه في ذلك اليوم العظيم، سيرون من رحمته ما لا يخطر على الظنون، ولا حسب به

(١) تفسير الطبري: ٥٣١ / ٢٠.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٨٠ / ٦.

(٣) تفسير القرطبي: ٤٢ / ١٥.

(٤) معاني القرآن: ٢٩٠ / ٤.

(٥) مجاز القرآن: ١٦٣ / ٢.

(٦) زاد المسير: ٥٢٧ / ٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٥٣٢ / ٢٠.

(٨) أخرجه الطبري: ٥٣٢ / ٢٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٥٣٢ / ٢٠.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥٣٢ / ٢٠.

(١١) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨١٣ / ٢.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٢ / ٢٠.

(١٣) نقلا عن تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٢ / ٣.

(١٤) التفسير الميسر: ٤٤٣.

الحاسبون، كقوله: {الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ} {وَوَخَّشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ} ونحو ذلك، مما يذكر اسمه الرحمن، في هذا<sup>(١)</sup>.

في قائلتي هذا الكلام: {هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلُونَ} [يس: ٥٢]، ثلاثة أقوال: أحدها: أنه قول المؤمنين، قاله قول مجاهد<sup>(٢)</sup>، وقتادة<sup>(٣)</sup>، وابن أبي ليلى<sup>(٤)</sup>.

قال مجاهد: "مما سر المؤمنون يقولون هذا حين البعث"<sup>(٥)</sup>. قال قتادة: "قال أهل الهدى: هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون"<sup>(٦)</sup>. الثاني: أنه قول الملائكة لهم، قاله الحسن<sup>(٧)</sup>، وزيد بن أسلم<sup>(٨)</sup>، ومقاتل<sup>(٩)</sup>، والفراء<sup>(١٠)</sup>، وابن قتيبة<sup>(١١)</sup>.

عن زيد بن أسلم، قال: "قال الكفار: {يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا} [يس: ٥٢] قالت الملائكة: {هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون} [يس: ٥٢]"<sup>(١٢)</sup>.

قال الفراء: "يُقال: إن الكلام انقطع عند المرقد. ثم قالت الملائكة لهم: {هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلُونَ}"<sup>(١٣)</sup>.

الثالث: أنه قول الكافرين، يقول بعضهم لبعض: هذا الذي أخبرنا به المرسلون أننا نبعث ونجازى، قاله ابن زيد<sup>(١٤)</sup>، والزجاج<sup>(١٥)</sup>.

قال ابن زيد: "ثم قال بعضهم لبعض: {هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون}، كانوا أخبرونا أننا نبعث بعد الموت، ونحاسب ونجازى"<sup>(١٦)</sup>.

قال الطبري: "والقول الأول أشبه بظاهر التنزيل، وهو أن يكون من كلام المؤمنين، لأن الكفار في قيلهم {من بعثنا من مرقدنا} دليل على أنهم كانوا بمن بعثهم من مرقدهم جهالا ولذلك من جهلهم استنبتوا، ومحال أن يكونوا استنبتوا ذلك إلا من غيرهم، ممن خالفت صفته صفتهم في ذلك"<sup>(١٧)</sup>.

عن الحسن، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بين النفختين أربعون، الأولى يميت الله بها كل حي، والأخرة يحيي بها كل ميت»<sup>(١٨)</sup>.

عن عكرمة، قال: "النفخة الأولى من الدنيا، والنفخة الثانية من الآخرة"<sup>(١٩)</sup>. وقال الحسن: "القيامة اسم جامع يجمع النفختين جميعا"<sup>(٢٠)</sup>.

(١) تفسير السعدي: ٦٩٧.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٣ / ٢٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٣ / ٢٠.

(٤) انظر: زاد المسير: ٥٢٧/٣.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٣٣ / ٢٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٥٣٣ / ٢٠.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٢٤/٥، وزاد المسير: ٥٢٧/٣.

(٨) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨١٣/٢.

(٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٢/٣.

(١٠) انظر: معاني القرآن: ٣٨٠/٢.

(١١) انظر: تأويل مشكل القرآن: ١٧٩.

(١٢) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨١٣/٢.

(١٣) معاني القرآن: ٣٨٠/٢.

(١٤) أخرجه الطبري: ٥٣٣ / ٢٠.

(١٥) انظر: معاني القرآن: ٢٩١/٤.

(١٦) أخرجه الطبري: ٥٣٣ / ٢٠.

(١٧) تفسير الطبري: ٥٣٣ / ٢٠.

(١٨) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨١٣/٢.

(١٩) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨١٣/٢.

(٢٠) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨١٣/٢.

## القرآن

{إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٣)} [يس : ٥٣]

التفسير:

ما كان البعث من القبور إلا نتيجة نفخة واحدة في «القرن» ، فإذا جميع الخلق لدينا ماثلون للحساب والجزاء.

قوله تعالى: {إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً} [يس : ٥٣]، أي: "ما كان البعث من القبور إلا نتيجة نفخة واحدة في «القرن»" (١).

قال الطبري: يقول: "إن كانت إعادتهم أحياء بعد مماتهم إلا صيحة واحدة، وهي النفخة الثالثة في الصور" (٢).

قال البيضاوي: أي: "ما كانت الفعلة إلا صيحة واحدة هي النفخة الأخيرة" (٣).

قال النسفي: " {إِنْ كَانَتْ} النفخة الأخيرة {إلا صيحة واحدة}" (٤).

قال السعدي: " {إِنْ كَانَتْ} البعثة من القبور {إلا صَيِّحَةً وَاحِدَةً} ينفخ فيها إسرافيل في الصور، فتحيا الأجساد" (٥).

قال السدي: " {إِنْ كَانَتْ} يعني: ما كانت {إلا صَيِّحَةً وَاحِدَةً} قال: وكذلك كل «إن» خفيفة تستقبلها «إلا»" (٦).

قوله تعالى: {فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ} [يس : ٥٣]، أي: "فإذا جميع الخلق لدينا ماثلون للحساب والجزاء" (٧).

عن مجاهد، في قوله: {فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ}، قال: "عند الحساب" (٨).

قال الطبري: "يقول: فإذا هم مجتمعون لدينا قد أحضروا، فأشهدوا موقف العرض والحساب، لم يتخلف عنه منهم أحد" (٩).

قال السمعي: {مُحْضَرُونَ}، أي: "حاضرون" (١٠).

قال النسفي: "الحساب" (١١).

قال السعدي: أي: "الأولون والآخرون، والإنس والجن، ليحاسبوا على أعمالهم" (١٢).

قال الزجاج: "المعنى: إن إهلاكهم كان بصيحة وبعثهم وإحياءهم بصيحة" (١٣).

قال البيضاوي: أي: "محضرون" بمجرد تلك الصيحة، وفي كل ذلك تهوين أمر البعث والحشر واستغناؤهما عن الأسباب التي ينوطان بها فيما يشاهدونه" (١٤).

## القرآن

{فَالْيَوْمَ لَا نُظَلِّمُ نَفْسًا شَيْئًا وَلَا نُجْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٤)} [يس : ٥٤]

(١) التفسير الميسر: ٤٤٣.

(٢) تفسير الطبري: ٥٣٣ / ٢٠.

(٣) تفسير البيضاوي: ٢٧٠ / ٤.

(٤) تفسير النسفي: ١٠٧ / ٣.

(٥) تفسير السعدي: ٦٩٧.

(٦) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨١٤ / ٢.

(٧) التفسير الميسر: ٤٤٣.

(٨) أخرجه الفريابي - كما في التعليق ٣ / ٥١٤ - . وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٩) تفسير الطبري: ٥٣٣ / ٢٠.

(١٠) تفسير السعدي: ٢٨٣ / ٤.

(١١) تفسير النسفي: ١٠٧ / ٣.

(١٢) تفسير السعدي: ٦٩٧.

(١٣) معاني القرآن: ٢٩١ / ٤.

(١٤) تفسير البيضاوي: ٢٧٠ / ٤.

التفسير:

في ذلك اليوم يتم الحساب بالعدل، فلا تُظلم نفس شيئاً بنقص حسناتها أو زيادة سيئاتها، ولا تُجزون إلا بما كنتم تعملونه في الدنيا.

قوله تعالى: {قَالِيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا} [يس : ٥٤]، أي: "في ذلك اليوم يتم الحساب بالعدل، فلا تُظلم نفس شيئاً بنقص حسناتها أو زيادة سيئاتها"<sup>(١)</sup>.

قال السدي: "يعني: في الآخرة، يقوله يومئذ"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: يقول: "قاليوم"، يعني: يوم القيامة {لا تظلم نفس شيئاً} كذلك ربنا لا يظلم نفساً شيئاً، فلا يوفيها جزاء عملها الصالح، ولا يحمل عليها وزر غيرها، ولكنه يوفي كل نفس أجر ما عملت من صالح، ولا يعاقبها إلا بما اجترمت واكتسبت من شيء"<sup>(٣)</sup>.

قال السدي: أي: "لا ينقص من حسناتها، ولا يزداد في سيئاتها"<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: {وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [يس : ٥٤]، أي: "ولا تُجزون إلا بما كنتم تعملونه في الدنيا"<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: يقول: "ولا تكافئون إلا مكافأة أعمالكم التي كنتم تعملونها في الدنيا"<sup>(٦)</sup>.

قال السدي: أي: "من خير أو شر، فمن وجد خيراً فليحمد الله على ذلك، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه"<sup>(٧)</sup>.

قال الزجاج: "المعنى: من جوزي فإنما يجازى بعمله"<sup>(٨)</sup>.

قال البيضاوي: "حكاية لما يقال لهم حينئذ تصويراً للموعود وتمكيناً له في النفوس"<sup>(٩)</sup>.

فوائد الآيات: [٤٧-٥٤]:

- ١- بيان علو الكافرين وطغيانهم وسخريتهم واستهزائهم، وذلك لظلمة الكفر على قلوبهم.
- ٢- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر مبادئها ونهاياتها.
- ٣- الساعة لا تأتي إلا بغتة.
- ٤- الانقلاب الكوني الذي يحدث لعظمه اختلفت آراء أهل العلم في تحديد النفخات فيه والظاهر أنها أربع الأولى نفخة الفناء والثانية نفخة البعث والثالثة نفخة الفزع والصعق والرابعة نفخة القيام بين يدي رب العالمين.
- ٥- تقرير العدل الإلهي يوم الحساب والجزاء ليطمئن كل عامل على أنه يجزى بعمله لا غير.

القرآن

{إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهِونَ (٥٥)} [يس : ٥٥]

التفسير:

إن أهل الجنة في ذلك اليوم مشغولون عن غيرهم بأنواع النعيم التي يتفكحون بها.

قال ابن كثير: "يخبر تعالى عن أهل الجنة: أنهم يوم القيامة إذا ارتحلوا من العرصات فنزلوا في روضات الجنات: أنهم في شغل عن غيرهم، بما هم فيه من النعيم المقيم، والفوز العظيم"<sup>(١٠)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٤٣.

(٢) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨١٤/٢.

(٣) تفسير الطبري: ٥٣٤/٢٠.

(٤) تفسير السدي: ٦٩٧.

(٥) التفسير الميسر: ٤٤٣.

(٦) تفسير الطبري: ٥٣٤/٢٠.

(٧) تفسير السدي: ٦٩٧.

(٨) معاني القرآن: ٢٩١/٤.

(٩) تفسير البيضاوي: ٢٧٠/٤-٢٧١.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٥٨٣/٦.



قال السعدي: "لما ذكر تعالى أن كل أحد لا يجازى إلا ما عمله، ذكر جزاء الفريقين، فبدأ بجزاء أهل الجنة، وأخبر أنهم في ذلك اليوم {في شُغْلٍ فَكَاهُونَ}، أي: في شغل مفكه للنفس، مُلِّدٌ لها، من كل ما تهواه النفوس، وتلذذه العيون، ويتمناه المتمنون، ومن ذلك افتضاض العذارى الجميلات"<sup>(١)</sup>.

واختلف أهل العلم في معنى «الشغل» الذي وصف الله جل ثناؤه أصحاب الجنة أنهم فيه يوم القيامة، على أقوال: أحدها: أن ذلك افتضاض العذارى، قاله ابن مسعود<sup>(٢)</sup>، وابن عباس<sup>(٣)</sup>، سعيد بن المسيب<sup>(٤)</sup>، وقتادة<sup>(٥)</sup>.

وقال مقاتل: "يعني: شغلوا بالنعيم، بافتضاض العذارى عن ذكر أهل النار فلا يذكر ونهم ولا يهتمون بهم"<sup>(٦)</sup>.

قال يحيى: "بلغني أن أحدهم يعطى قوة مائة شاب في الشهوة والجماع، وأنه يفتض في مقدار ليلة من ليالي الدنيا مائة عذراء بذكر لا يمل ولا ينثني وفرج لا يحفى ولا يمني في شهوة أربعين عاماً"<sup>(٧)</sup>.

الثاني: في ضرب الأوتار، قاله ابن عباس- في رواية عنه<sup>(٨)</sup>- ومسافع بن أبي شريح<sup>(٩)</sup>. الثالث: أنهم في نعمة، قاله الحسن<sup>(١٠)</sup>، ومجاهد<sup>(١١)</sup>.

وقال الحسن: "شغلهم النعيم عما فيه أهل النار من العذاب"<sup>(١٢)</sup>. الرابع: في شغل مما يلقي أهل النار، قاله إسماعيل بن أبي خالد<sup>(١٣)</sup>، وأبان بن تغلب<sup>(١٤)</sup>.

الخامس: في التزاور. قاله ابن كيسان<sup>(١٥)</sup>. السادس: في ضيافة الله. حكاه الزمخشري<sup>(١٦)</sup>.

قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله جل ثناؤه: {إن أصحاب الجنة} وهم أهلها {في شغل فاكهون} بنعم تأتيهم في شغل، وذلك الشغل الذي هم فيه نعمة، وافتضاض أباك، ولهو ولذة، وشغل عما يلقي أهل النار"<sup>(١٧)</sup>.

وروي بضم الغين «شُغْلٌ» وقرئ بتسكينها، وفيها وجهان<sup>(١٨)</sup>: أحدهما: أن «الشغل» -بالضم-: المحبوب.

الثاني: «الشغل»، -بالإسكان-، يعني: المروءة، فعلى هذا لا يجوز أن يقرأ بالإسكان في أهل الجنة ولا يقرأ بالضم في أهل النار.

ويقرأ: «فكاهون»، بغير ألف. وفي اختلاف القراءتين وجهان<sup>(١)</sup>:

- (١) تفسير السعدي: ٦٩٧.
- (٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٥٣٤.
- (٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٥٣٤-٥٣٥.
- (٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٥٣٥.
- (٥) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٢ / ٨١٤.
- (٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣ / ٥٨٢.
- (٧) تفسير يحيى بن سلام: ٢ / ٨١٤.
- (٨) انظر: النكت والعيون: ٥ / ٢٤، وتفسير ابن كثير: ٦ / ٥٨٣.
- (٩) انظر: النكت والعيون: ٥ / ٢٤.
- (١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٥٣٥.
- (١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٥٣٥.
- (١٢) أخرجه الطبري: ٢٠ / ٥٣٥.
- (١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٥٣٥.
- (١٤) انظر: النكت والعيون: ٥ / ٢٤.
- (١٥) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ٤ / ٢١١.
- (١٦) انظر: الكشاف: ٤ / ٢١١.
- (١٧) تفسير الطبري: ٢٠ / ٥٣٥.
- (١٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٥٣٥-٥٣٦، والنكت والعيون: ٥ / ٢٥.

أحدهما : أنها سواء ومعناها واحد، يقال: فاكه وفكه كما يقال: حاذر وحذر. قاله الفراء<sup>(٢)</sup>.  
الثاني : أن معناهما في اللغة مختلف:  
أ- «الفكه»: الذي يتفكه بأعراض الناس، تقول العرب للرجل إذ كان يتفكه بالطعام أو بالفاكهة أو بأعراض الناس: إن فلانا لفكه بأعراض. قالت خنساء أو عمرة بنتها<sup>(٣)</sup>:  
فكه على حين العشاء إذا ... حضر الشتاء وعزّت الجزر  
ب- «الفاكهة»: كثير الفواكه، صاحب فاكهة، قاله أبو عبيد<sup>(٤)</sup>، وأنشد قول الحطيئة<sup>(٥)</sup>:  
ودعوتني وزعمت ... أنك لابن بالصيف تامر  
قال الراغب: "الشَّغْلُ والشُّغْلُ: العارض الذي يذهل الإنسان"<sup>(٦)</sup>.  
وفي معنى «فاكهون» -ها هنا- أربعة وجوه:  
أحدها : فرحون، قاله ابن عباس<sup>(٧)</sup>، والحسن<sup>(٨)</sup>، وبه قال الزجاج<sup>(٩)</sup>.  
الثاني : ناعمون، قاله قتادة<sup>(١٠)</sup>، السدي<sup>(١١)</sup>، ومقاتل<sup>(١٢)</sup>.  
قال مقاتل: "يعني: ناعمين في ظلال كبار القصور"<sup>(١٣)</sup>.  
الثالث : معجبون ، قاله حسن-في رواية عنه-<sup>(١٤)</sup>، ومجاهد<sup>(١٥)</sup>، و قتادة-في رواية عنه-<sup>(١٦)</sup>.  
الرابع : ذو فاكهة، كما يقال: شاحم لاحم، أي: ذو شحم ولحم. قاله أبو عبيدة<sup>(١٧)</sup>، وأنشد قول الحطيئة<sup>(١٨)</sup>:  
ودعوتني وزعمت ... أنك لابن بالصيف تامر  
أي: ذو لبن وتمر، أي: عنده لبن كثير وتمر كثير.

قال الزمخشري: " {إن أصحاب الجنة اليوم في شغل} حكاية ما يقال لهم في ذلك اليوم. في مثل هذه الحكاية زيادة تصوير للموعود، وتمكين له في النفوس، وترغيب في الحرص عليه وعلى ما يثمره في شغل في أى شغل وفي شغل لا يوصف، وما ظنك بشغل من سعد بدخول الجنة التي هي دار المتقين، ووصل إلى نيل تلك الغبطة وذلك الملك الكبير والنعيم المقيم، ووقع في تلك الملاذ التي أعدها الله للمرتضين من عباده، ثوابا لهم على أعمالهم مع كرامة وتعظيم، وذلك بعد الوله والصبابة، والتقصي من مشاق التكليف ومضايق التقوى والخشية، وتخطف الأوهال، وتجاوز الأخطار وجواز الصراط. ومعينة ما لقي العصاة من العذاب"<sup>(١٩)</sup>.

- 
- (١) انظر: النكت والعيون: ٢٥/٥.  
(٢) انظر: معاني القرآن: ٣٨٠/٢.  
(٣) من شواهد أبي عبيدة في المجاز: ١٦٣ / ٢، ونسبه إلى الخنساء أو ابنتها عمرة، مع خلاف في الرواية. ولم أجده في ديوان الخنساء.  
(٤) انظر: مجاز القرآن: ١٦٣/٢-١٦٤.  
(٥) ديوانه ص ٧٥ والكتاب ٨٨ / ٢ وفتح الباري ٨ / ٤١٤.  
(٦) المفردات: ٤٥٧.  
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٦ / ٢٠.  
(٨) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨١٤ / ٢. ولفظه: «مسرورون».  
(٩) انظر: معاني القرآن: ٢٩١ / ٤.  
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٢٥ / ٥.  
(١١) تفسير الثعلبي ٨ / ١٣١.  
(١٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٢ / ٣.  
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٢ / ٣.  
(١٤) رواه عبدالرزاق في التفسير (٢٤٩٢): ص ٨٥ / ٣.  
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٦ / ٢٠.  
(١٦) رواه عبدالرزاق في التفسير (٢٤٩٢): ص ٨٥ / ٣.  
(١٧) انظر: مجاز القرآن: ١٦٣ / ٢-١٦٤.  
(١٨) ديوانه ص ٧٥ والكتاب ٨٨ / ٢ وفتح الباري ٨ / ٤١٤.  
(١٩) الكشاف: ٢١ / ٤.

عن موسى بن أيوب أنه سمع إياس بن عامر يقول: " {إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون}، إن الرجل من أهل الجنة في الخيمة مع نسائه حتى تأتيه نساء فيقلن له: اخرج إلى أهلك، فيقول: ما أنتن لي بأهل، فيقلن: بلى، نحن مما أخفى الله لك، فقد زوجتنا؛ فيشتغل بهن عن أهله الأولين؛ فذلك قول الله: {إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون}، قال: فذكرت ذلك لتبضع برودس، فقال: ذلك أبو فلان، فعرفه صدق كما قال"<sup>(١)</sup>.

## القرآن

{هُم وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِينُونَ (٥٦)} [يس: ٥٦]

التفسير:

هم وأزواجهم متنعمون بالجلوس على الأسرة المزينة، تحت الظلال الوارفة.  
قال السعدي: " {هُم وَأَزْوَاجُهُمْ} من الحور العين، اللاتي قد جمعن حسن الوجوه والأبدان وحسن الأخلاق. {في ظلالٍ على الأرائك} أي: على السرر المزينة باللباس المزخرف الحسن. {مُتَكِينُونَ} عليها، اتكاء على كمال الراحة والطمأنينة واللذة"<sup>(٢)</sup>.

قال السمعاني: {الأرائك} في التفسير: سرر من الذهب مكللة بالدر والزبرجد والياقوت، عليها حجال، وقوله: {مُتَكِينُونَ}، أي: أنهم ذوو اتكاء، وذكر الاتكاء في الجنة؛ لأنهم لا ينامون"<sup>(٣)</sup>.  
قال ثعلب: "لا تكون «الأرائك» أريكة حتى تكون تحت حجلة"<sup>(٤)</sup>.  
عن مجاهد، قوله: {هُم وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ}، قال: حلائهم في ظلل"<sup>(٥)</sup>.

قال مجاهد: "الأرائك: من لؤلؤ وياقوت"<sup>(٦)</sup>.  
قال ابن عباس: "«الأرائك»: السرر في جوف الحجال ... عليها الفرش منضود في السماء فرسخ"<sup>(٧)</sup>.

قال مقاتل: "هُم وَأَزْوَاجُهُمْ}، يعني: الحور العين حلائهم، في ظلال كبار القصور {على الأرائك}: على السرر عليها الحجال متكون"<sup>(٨)</sup>.  
قال أبو عبيدة: "«الأرائك»، واحدها: «أريكة»، وهي السرر في الحجال، قال ذو الرمة"<sup>(٩)</sup>:

خدودا جفت في السّير حتى كأنما ... يباشرن بالمعزاء مسّ الأرائك  
وقال الأعشى"<sup>(١٠)</sup>:

بين الرواق وجانب من سترها ... منها وبين أريكة الأنضاد"<sup>(١١)</sup>.  
قال الزجاج: «الأرائك»: هي الفرش في الحجال، وقيل: انها الفرش، وقيل: الأسرة، وهي على الحقيقة الفرش كانت في حجال أو غير حجال"<sup>(١٢)</sup>.  
وفي قراءة عبدالله: «في ظللٍ على الأرائك مُتَكِينِينَ»"<sup>(١٣)</sup>.

(١) التفسير القرآن من الجامع لابن وهب: (٢٩٣): ص ١٤٤/٢.

(٢) تفسير السعدي: ٦٩٧.

(٣) تفسير السمعاني: ٣٨٣/٤.

(٤) نقلا عن تفسير السمعاني: ٣٨٣/٤.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٣٨ / ٢٠.

(٦) تفسير مجاهد: ٥٦١.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٨٠٢): ص ٢٣٦٠/٧.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٢/٣.

(٩) ديوانه ٤٢٢.

(١٠) ديوانه ٩٧.

(١١) مجاز القرآن: ٤٠١/١.

(١٢) معاني القرآن: ٢٩٢/٤.

(١٣) انظر: المصاحف لأبي داود: ١٨٣.

## القرآن

{لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ} [يس: ٥٧]

التفسير:

لهم في الجنة أنواع الفواكه اللذيذة، ولهم كل ما يطلبون من أنواع النعيم. قوله تعالى: {لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ} [يس: ٥٧]، أي: "لهم في الجنة أنواع الفواكه اللذيذة"<sup>(١)</sup>. قال الطبري: "يقول لهؤلاء الذين ذكرهم تبارك وتعالى من أهل الجنة في الجنة فاكهة"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: من جميع أنواعها"<sup>(٣)</sup>.

قال السعدي: "من جميع أنواع الثمار اللذيذة، من عنب وتين ورمان، وغيرها"<sup>(٤)</sup>. قال المراغي: "وبعد أن ذكر ما لهم فيها من مجالس الأُنس - ذكر ما يتمتعون به من مأكَل ومشارب، ولذات جسمانية وروحية فقال: {لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ}، أي: لهم فيها من الفواكه مالذ وطاب، مما تقر به أعينهم، وتسر به نفوسهم، كما هو شأن المترفين المنعمين في الدنيا"<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: {وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ} [يس: ٥٧]، أي: "لهم كل ما يطلبون من أنواع النعيم"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: "يقول: ولهم فيها ما يتمنون"<sup>(٧)</sup>.

قال الواحدي: "أي: ما يتمنون"<sup>(٨)</sup>.

قال مقاتل: "يتمنون ما شاءوا من الخير"<sup>(٩)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: مهما طلبوا وجدوا من جميع أصناف الملاذ"<sup>(١٠)</sup>.

قال المراغي: "أي: ولهم فوق ذلك كل ما يتمنون وتشتاق إليه نفوسهم"<sup>(١١)</sup>.

قال السعدي: "فمهما طلبوه وتمنوه أدركوه"<sup>(١٢)</sup>.

قال ابن قتيبة: "ومنه يقول الناس: هو في خير ما ادعى؛ أي: ما تمنى. والعرب

تقول: ادع علي ما شئت؛ أي: تمن علي ما شئت"<sup>(١٣)</sup>.

وقال يحيى بن سلام: {ولهم ما يدعون}، أي: "ما يشتهون، يكون في في أحدهم الطعام فيخطر على باله طعام آخر فيتحول ذلك الطعام في فيه ويأكل من ناحية من البسرة بسرا ثم يأكل من ناحية أخرى عنباً إلى عشرة ألوان أو ما شاء الله من ذلك، ويصف الطير بين يديه، فإذا انتهى الطير منها اضطرب ثم صار بين يديه نضيجا، نصفه شواء ونصفه قدير، وكل ما اشتتهت أنفسهم وجدوه كقوله: {وفيها ما تشتيه الأنفس} [الزخرف: ٧١]"<sup>(١٤)</sup>.

عن أسامة بن زيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا هل مُشَمَّرٌ إلى الجنة؟ فإن الجنة لا خطر لها هي - ورب الكعبة - نور كلها يتلألأ وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مُطَرَّد، وثمره نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحل كثيرة، ومقام في أبد، في دار

(١) التفسير الميسر: ٤٤٤.

(٢) تفسير الطبري: ٥٣٩ / ٢٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٨٣ / ٦.

(٤) تفسير السعدي: ٦٩٧.

(٥) تفسير المراغي: ٢٢ / ٢٣.

(٦) التفسير الميسر: ٤٤٤.

(٧) تفسير الطبري: ٥٣٩ / ٢٠.

(٨) الوجيز: ٩٠٢.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٢ / ٣.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٥٨٣ / ٦.

(١١) تفسير المراغي: ٢٢ / ٢٣.

(١٢) تفسير السعدي: ٦٩٧.

(١٣) غريب القرآن: ٣٦٧.

(١٤) تفسير يحيى بن سلام: ٨١٥ / ٢.

سلامة ، وفاكهة خضرة وحَبْرَة ونعمة ، ومحلة عالية بهيئة". قالوا : نعم يا رسول الله ، نحن المشمرون لها. قال : "قولوا : إن شاء الله". قال القوم : إن شاء الله"<sup>(١)</sup>.

## القرآن

### {سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ} [يس : ٥٨]

التفسير:

ولهم نعيم آخر أكبر حين يكلمهم ربهم، الرحيم بهم بالسلام عليهم. وعند ذلك تحصل لهم السلامة التامة من جميع الوجوه.

قال المراغي: "أي ذلك الذي يتمنونه هو التسليم من الله عليهم تعظيماً لهم، والسلام أمان من كل مكروه، ونيل لكل محبوب، وذلك منتهى درجات النعيم الروحي والجسماني الذي تصبو إليه النفوس في دنياها وآخرتها، فكأن هذا إجمال. لما تقدم من اللذات التي فصلت فيما سلف"<sup>(٢)</sup>.

قال السعدي: "ولهم أيضاً {سَلَامٌ} حاصل لهم {مَنْ رَبِّ رَحِيمٍ} ففي هذا كلام الرب تعالى لأهل الجنة وسلامه عليهم، وأكده بقوله: {قَوْلًا} وإذا سلم عليهم الرب الرحيم، حصلت لهم السلامة التامة من جميع الوجوه، وحصلت لهم التحية، التي لا تحية أعلى منها، ولا نعيم مثلها، فما ظنك بتحية ملك الملوك، الرب العظيم، الرؤوف الرحيم، لأهل دار كرامته، الذي أحل عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم أبداً، فلولا أن الله تعالى قدر أن لا يموتوا، أو تزول قلوبهم عن أماكنها من الفرح والبهجة والسرور، لحصل ذلك"<sup>(٣)</sup>.

واختلف أهل العلم في تفسير الآية، على قولين:

أحدهما : أنه تبشير الله تعالى لهم بسلامتهم. حكاه الماوردي<sup>(٤)</sup>.

الثاني : أنه سلام الله تعالى عليهم إكراماً لهم ، قاله ابن عباس<sup>(٥)</sup>، وعمر بن عبدالعزيز<sup>(٦)</sup>.

قال ابن عباس: "فإن الله هو يُسَلِّمُ عليهم"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن أبي زمنين: "قوله: {سلام قولاً} منصوب على معنى: لهم سلام. يقوله الله قولاً"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن فورك: "أي: ولهم سلام يسمعونه من الله - عز وجل -، يؤذنه بدوام الأمر والسلامة، وشيوع النعمة والكرامة"<sup>(٩)</sup>.

قال السمعاني: "أكثر المفسرين أن معناه: يسلم الله عليهم سلاماً. وقوله: {قولاً} أي: يقول قولاً"<sup>(١٠)</sup>.

قال مقاتل: "وذلك أن الملائكة تدخل على أهل الجنة من كل باب يقولون سلام عليكم يا أهل الجنة من ربكم الرحيم"<sup>(١١)</sup>.

قال عمر بن عبد العزيز: "إذا فرغ الله من أهل الجنة وأهل النار، أقبل يمشي في ظلل من الغمام والملائكة، فيقف على أول أهل درجة، فيسلم عليهم، فيردون عليه السلام، وهو في

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٨٣/٦، ورواه ابن ماجة في السنن برقم (٤٣٣٢) وقال البوصيري في الزوائد (٣٢٥/٣) : "هذا إسناد فيه مقال ، الضحاك المعافري ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال الذهبي في طبقات التهذيب : مجهول وسليمان الأموي مختلف فيه وباقي رجال الإسناد ثقات".

(٢) تفسير المراغي: ٢٣-٢٢/٢٣.

(٣) تفسير السعدي: ٦٩٧.

(٤) انظر: النكت والعيون: ٢٦/٥.

(٥) الدر المنثور: ٦٦/٧، وعزاه إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٠ / ٢٠.

(٧) الدر المنثور: ٦٦/٧، وعزاه إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٨) تفسير ابن أبي زمنين: ٤٩/٤.

(٩) تفسير ابن فورك: ١٩٨/٢.

(١٠) تفسير السمعاني: ٣٨٤/٤.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٢/٣.

القرآن {سلام قولاً من رب رحيم}، فيقول: سلوا، فيقولون: ما نسألك وعزتك وجلالك، لو أنك قسمت بيننا أرزاق الثقلين لأطعمناهم وسقيناهم وكسوناهم، فيقول: سلوا، فيقولون: نسألك رضاك، فيقول: رضائي أحلكم دار كرامتي، فيفعل ذلك بأهل كل درجة حتى ينتهي، قال: ولو أن امرأة من الحور العين طلعت لأطفأ ضوء سواريتها الشمس والقمر، فكيف بالمسورة<sup>(١)</sup>.

وروي عن جابر بن عبد الله ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "بيننا أهل الجنة في نعيمهم ، إذ سطع لهم نور ، فرفعوا رؤوسهم ، فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم ، فقال : السلام عليكم يا أهل الجنة. فذلك قوله : { سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ } . قال : "فينظر إليهم وينظرون إليه ، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه ، حتى يحتجب عنهم ، ويبقى نوره وبركته عليهم وفي ديارهم"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن قتيبة: "أي: سلام يقال لهم فيها، كأنهم يتلقونه من رب رحيم"<sup>(٣)</sup>. وقال يحيى: "يأتي الملك من عند الله إلى أحدهم فلا يدخل عليه حتى يستأذن عليه يطلب الإذن من البواب الأول، فيذكره للبواب الثاني، ثم كذلك حتى ينتهي إلى البواب الذي يليه، فيقول البواب له: ملك على الباب يستأذن فيقول: ائذن له، فيدخل بثلاثة أشياء، بالسلام من الله، والتحفة، والهدية، وبأن الله عنه راض، وهو قوله: {وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكا كبيرا} [الإنسان: ٢٠]"<sup>(٤)</sup>.

قال سهل: "أهل القرآن يلحقهم من الله السلام في العاجل بقوله: {وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ} [النمل : ٥٩]، وسلام في الآجل، وهو قوله: {سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ} [يس : ٥٨]"<sup>(٥)</sup>. وفي قراءة عبد الله «سلامًا قولاً»<sup>(٦)</sup>.

فوائد الآيات: [٥٨-٥٥]:

- ١- تقرير المعاد.
- ٢- بيان نعيم الجنة.
- ٣- سلام الله تعالى على أهل الجنة ونظرهم إلى وجهه الكريم.

## القرآن

### {وَأَمَّا زُورُ الْيَوْمِ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (٥٩)} [يس : ٥٩]

التفسير:

ويقال للكفار في ذلك اليوم: تميزوا عن المؤمنين، وانفصلوا عنهم. قال ابن قتيبة: "أي: انقطعوا عن المؤمنين وتميزوا منهم. يقال: مزت الشيء من الشيء إذا عزلته عنه- فانماز وامتاز وميزته فتميز"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: يقول: "وتميزوا من المؤمنين اليوم أيها الكافرون بالله، فإنكم واردون غير موردهم، داخلون غير مدخلهم"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن كثير: "يقول تعالى مخبراً عما يؤول إليه حال الكفار يوم القيامة من أمره لهم أن يمتازوا ، بمعنى : يتميزون عن المؤمنين في موقفهم ، كقوله تعالى : { وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا

(١) أخرجه الطبري: ٥٤٠/٢٠.

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٨٣/٦، وقال: "في إسناده نظر"، ورواه ابن ماجه في السنن برقم (١٨٤) وقال البوصيري في الزوائد (٨٦/١) : "هذا إسناده ضعيف لضعف الفضل بن عيسى بن أبان القرشي".

(٣) غريب القرآن: ٣٦٧.

(٤) تفسير يحيى بن سلام: ٨١٦/٢.

(٥) تفسير التستري: ١١٦.

(٦) انظر: معاني القرآن للفراء: ٣٨٠/٢.

(٧) غريب القرآن: ٣٦٧.

(٨) تفسير الطبري: ٥٤٢/٢٠.

ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فَرَيْتُمْ بَيْنَهُمْ { يونس : ٢٨ } ، وقال تعالى : { وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِقُونَ { الروم : ١٤ } ، { يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ { الروم : ٤٣ } أي : يصيرون صدعين فرقتين ، { أَحْسَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ { الصافات : ٢٢ ، ٢٣ }" (١).

عن ابن عباس: "وَأَمَّا زُورُ الْيَوْمِ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ" قال: "تفرقوا" (٢).

قال أبو العالية: "تميزوا" (٣).

قال السدي: "كونوا على حدة" (٤).

قال قتادة: "عزلوا عن كل خير" (٥).

قال الضحاك: "إن لكل كافر في النار بيتاً يدخل ذلك البيت ويردم بابه في النار، فيكون فيه أبد الأبدين، لا يرى ولا يرى" (٦).

عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا كان يوم القيامة أمر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم، ثم يقول: { ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان } .. الآية، إلى قوله { هذه جهنم التي كنتم توعدون } { وامتازوا اليوم أيها المجرمون }، فيتميز الناس ويحثون، وهي قول الله: { وترى كل أمة } { الآية }" (٧).

## القرآن

{ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ { يس : ٦٠ } [يس : ٦٠]

التفسير:

ويقول الله لهم توبيحاً وتذكيراً: ألم أوصكم على السنة رسلي أن لا تعبدوا الشيطان ولا تطيعوه؟ إنه لكم عدو ظاهر العداوة.

قوله تعالى: { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ } [يس : ٦٠]، أي: "ويقول الله لهم توبيحاً وتذكيراً: ألم أوصكم على السنة رسلي أن لا تعبدوا الشيطان ولا تطيعوه؟" (٨).

قال الطبري: "في الكلام محذوف تقديره: ثم يقال: ألم أعهد إليكم يا بني آدم، يقول: ألم أوصكم وأمركم في الدنيا أن لا تعبدوا الشيطان فتطيعوه في معصية الله" (٩).

قال ابن قتيبة: " { ألم أعهد إليكم } ألم أمركم ألم أوصكم؟" (١٠).

قال ابن كثير: " هذا تفرغ من الله للكفرة من بني آدم ، الذين أطاعوا الشيطان وهو عدو لهم مبين ، وعصوا الرحمن وهو الذي خلقهم ورزقهم" (١١).

قوله تعالى: { إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ } [يس : ٦٠]، أي: "إن الشيطان لكم عدو ظاهر العداوة" (١٢).

قال الطبري: " يقول: وأقول لكم: إن الشيطان لكم عدو مبين، قد أبان لكم عداوته بامتناعه من السجود، لأبيكم آدم، حسداً منه له، على ما كان الله أعطاه من الكرامة، وغروره إياه، حتى أخرجه وزوجته من الجنة" (١).

(١) تفسير ابن كثير: ٥٨٤/٦.

(٢) تفسير الثعلبي: ٢٩٤/٢٢.

(٣) تفسير الثعلبي: ٢٩٤/٢٢.

(٤) تفسير الثعلبي: ٢٩٤/٢٢.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٤٢/٢٠.

(٦) تفسير الثعلبي: ٢٩٤/٢٢.

(٧) أخرجه الطبري: ٥٤٢/٢٠.

(٨) التفسير الميسر: ٤٤٤.

(٩) تفسير الطبري: ٥٤٢/٢٠.

(١٠) غريب القرآن: ٣٦٧.

(١١) تفسير ابن كثير: ٥٨٤/٦.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٤٤.

قال ابن عباس: "يريد: بين العداوة، أخرج آدم من الجنة، وهو القائل: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِنْ آءَا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢]"<sup>(٢)</sup>.

## القرآن

**{وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١)} [يس: ٦١]**

التفسير:

وأمرتكم بعبادتي وحدي، فعبادتي وطاعتي ومعصية الشيطان هي الدين القويم الموصل لمرضاتي وجنّاتي.

قوله تعالى: {وَأَنْ اعْبُدُونِي} [يس: ٦١]، أي: "وأمرتكم بعبادتي وحدي"<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: "يقول: وألم أعهد إليكم أن اعبدوني دون كل ما سواي من الآلهة والأنداد، وإياي فأطيعوا"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: قد أمرتكم في دار الدنيا بعصيان الشيطان، وأمرتكم بعبادتي"<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: {هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} [يس: ٦١]، أي: "فعبادتي وطاعتي ومعصية الشيطان هي الدين القويم الموصل لمرضاتي وجنّاتي"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: يقول: "فإن إخلاص عبادتي، وإفراد طاعتي، ومعصية الشيطان، هو الدين الصحيح، والطريق المستقيم"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن كثير: أي "وهذا هو الصراط المستقيم، فسلكتم غير ذلك واتبعتم الشيطان فيما أمركم به"<sup>(٨)</sup>.

عن مجاهد، {صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ}: "يعني: الإسلام: الدين الحق"<sup>(٩)</sup>.

عن مجاهد في قوله: "صراط مستقيم"، قال: "الحق"<sup>(١٠)</sup>.

عن عاصم الأحول، عن أبي العالية: "الصراط المستقيم، قال: هو النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه من بعده. قال عاصم: فذكرنا ذلك للحسن. فقال صدق أبو العالية ونصح"<sup>(١١)</sup>.

## القرآن

**{وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبَاً كَثِيراً أَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (٦٢)} [يس: ٦٢]**

التفسير:

ولقد أضلّ الشيطان عن الحق منكم خلقاً كثيراً، أما كان لكم عقل -أيها المشركون- ينهاكم عن اتباعه؟

قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبَاً كَثِيراً} [يس: ٦٢]، أي: "ولقد أضلّ الشيطان عن الحق منكم خلقاً كثيراً"<sup>(١٢)</sup>.

قال الطبري: يقول: "ولقد صد الشيطان منكم خلقاً كثيراً عن طاعتي، وإفرادي بالألوهة حتى عبده، واتخذوا من دوني آلهة يعبدونها"<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ٥٤٢/٢٠.

(٢) علقه الواحدي في "التفسير البسيط": ٤٨٩/٨، ولم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٣) التفسير الميسر: ٤٤٤.

(٤) تفسير الطبري: ٥٤٢/٢٠.

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٨٤/٦.

(٦) التفسير الميسر: ٤٤٤.

(٧) تفسير الطبري: ٥٤٢/٢٠.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٨٤/٦.

(٩) تفسير مجاهد: ٣٣٣.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٢٦٨): ص ١٢٨٧/٤.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (٧٢٦٧): ص ١٢٨٧/٤.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٤٤.



قال ابن قتيبة: "أي: خلقا. «وجبلا»: بالضم والتخفيف، مثله. و«الجبيل» أيضا: الخلق. قال الشاعر<sup>(٢)</sup>:

جهارا ويستمتعن بالأنس الجبيل"<sup>(٣)</sup>.

عن مجاهد: "ولقد أضل منكم جبلا، قال: خلقا"<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن عباس: "خلقاً كثيراً"<sup>(٥)</sup>. وروي عن مجاهد<sup>(٦)</sup>، ومطرف مثله<sup>(٧)</sup>.

قال قتادة: "جموعاً كثيرة"<sup>(٨)</sup>.

وحكى الضحاك: "أن الجيل الواحد: عشرة آلاف، والكثير ما لا يحصيه إلا الله تعالى"<sup>(٩)</sup>.

قال السدي: "يعني: قد أغوى إبليس منكم جبلا، يعني: خلقا كثيراً"<sup>(١٠)</sup>.

عن سفيان في قوله: "واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين"، ثم قرأ: {ولقد أضل منكم جبلا كثيراً}<sup>(١١)</sup>.

قال ابن عباس: "يريد ما رأيت من الأمم قبلكم ألم تعقلوا فتعبدوا بما رأيت من الأمم قبلكم"<sup>(١٢)</sup>.

قوله تعالى: {أَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ} [يس: ٦٢]، أي: "أفما كان لكم عقل -أيها المشركون- ينهاكم عن اتباعه؟"<sup>(١٣)</sup>.

قال السدي: "فكفروا فلم يكونوا يعقلون"<sup>(١٤)</sup>.

قال الطبري: "يقول: أفلم تكونوا تعقلون أيها المشركون، إذ أطعمتم الشيطان في عبادة غير الله، أنه لا ينبغي لكم أن تطيعوا عدوكم وعدو الله، وتعبدوا غير الله"<sup>(١٥)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: أفما كان لكم عقل في مخالفة ربكم فيما أمركم به من عبادته وحده لا شريك له، وعدوكم إلى اتباع الشيطان؟! "<sup>(١٦)</sup>.

## القرآن

{هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣)} [يس: ٦٣]

التفسير:

هذه جهنم التي كنتم توعدون بها في الدنيا على كفركم بالله وتكذيبكم رسله.

قال الطبري: "يقول: هذه جهنم التي كنتم توعدون بها في الدنيا على كفركم بالله، وتكذيبكم رسله، فكنتم بها تكذبون. وقيل: إن جهنم أول باب من أبواب النار"<sup>(١٧)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ٥٤٣/٢٠.

(٢) عجز بيت لأبي ذؤيب الهذلي. صدره -كما في اللسان، والديوان ٣٨:

\*منايا يقربن الحتوف لأهلها\*.

(٣) غريب القرآن: ٣٦٧.

(٤) أخرجه الطبري: ٥٤٣/٢٠.

(٥) علقه الواحدي في "التفسير البسيط": ٥١١/١٨.

(٦) تفسير مجاهد: ٥٦١.

(٧) النكت والعيون: ٢٧/٥.

(٨) النكت والعيون: ٢٧/٥.

(٩) النكت والعيون: ٢٧/٥.

(١٠) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨١٦/٢.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥٩١٩): ص ٢٨١٣/٩.

(١٢) علقه الواحدي في "التفسير البسيط": ٥١١/١٨.

(١٣) التفسير الميسر: ٤٤٤.

(١٤) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٨١٦/٢.

(١٥) تفسير الطبري: ٥٤٣/٢٠.

(١٦) تفسير ابن كثير: ٥٨٥/٦.

(١٧) تفسير الطبري: ٥٤٣/٢٠.

قال ابن كثير: "يقال للكفرة من بني آدم يوم القيامة ، وقد برزت الجحيم لهم تقريرا وتوبيخا : { هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ } أي : هذه التي حذرتكم الرسل فكذبتموهم ، { اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ }"<sup>(١)</sup>.

## القرآن

{اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٦٤)} [يس : ٦٤]

التفسير:

ادخلوها اليوم وقاسوا حرها؛ بسبب كفركم.

قال الطبري: "يقول: احترقوا بها اليوم وردوها؛ -يعني باليوم: يوم القيامة-، بما كنتم تجحدونها في الدنيا، وتكذبون بها"<sup>(٢)</sup>.

قال أبو الليث: "يعني: اصلوها اليوم بما كفرتم في الدنيا عقوبة لكم في الدنيا"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير: "كما قال تعالى : { يَوْمَ يُدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً \* هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذَّبُونَ \* أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ } [الطور : ١٣ - ١٥]"<sup>(٤)</sup>.

قال الماتريدي: " ادخلوها اليوم بما كنتم تكذبون بها"<sup>(٥)</sup>.

قال النسفي: " ادخلوها بكفركم وإنكاركم لها"<sup>(٦)</sup>.

قال البيضاوي: " ذوقوا حرها اليوم بكفركم في الدنيا"<sup>(٧)</sup>.

قال يحيى: " { بما كنتم تكفرون } في الدنيا"<sup>(٨)</sup>.

## القرآن

{الْيَوْمَ نَخِمْ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٦٥)} [يس

: ٦٥]

التفسير:

اليوم نطبع على أفواه المشركين فلا ينطقون، وتكلمنا أيديهم بما بطشت به، وتشهد أرجلهم بما سعت إليه في الدنيا، وكسبت من الآثام.

قوله تعالى: {الْيَوْمَ نَخِمْ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ} [يس : ٦٥]، أي: "اليوم نطبع على أفواه المشركين فلا ينطقون"<sup>(٩)</sup>.

قال الطبري: يقول: "اليوم نطبع على أفواه المشركين، وذلك يوم القيامة"<sup>(١٠)</sup>.

قال السدي: " فلا يتكلمون"<sup>(١١)</sup>.

قال ابن كثير: " هذا حال الكفار والمنافقين يوم القيامة ، حين ينكرون ما اجترموه في الدنيا ، ويحلفون ما فعلوه ، فيختم الله على أفواههم ، ويستنطق جوارحهم بما عملت "<sup>(١٢)</sup>.

عن أنس بن مالك قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فضحك حتى بدت نواجذه ، ثم قال : " أتدرون مم أضحك ؟ " قلنا : الله ورسوله أعلم. قال : " من مجادلة العبد ربه يوم

(١) تفسير ابن كثير: ٥٨٥/٦.

(٢) تفسير الطبري: ٥٤٣/٢٠.

(٣) بحر العلوم: ١٢٩/٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٨٥/٦.

(٥) تاويلات أهل السنة: ٥٣٣/٨.

(٦) تفسير النسفي: ١٠٩/٣.

(٧) تفسير البيضاوي: ٢٧٢/٤.

(٨) تفسير يحيى بن سلام: ٨١٧/٢.

(٩) التفسير الميسر: ٤٤٤.

(١٠) تفسير الطبري ٥٤٤/٢٠.

(١١) اخرجه ابن أبي حاتم(١٨٠٩٩):ص٣١٩٩/١٠.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٥٨٥/٦.

القيامة ، يقول : رب ألم تجرني من الظلم ؟ فيقول : بلى. فيقول : لا أجزى علي إلا شاهدًا من نفسي، فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا ، وبالكرام الكاتبين شهودًا. فيختم على فيه ، ويُقال لأركانه : انطقي. فتتطرق بعمله ، ثم يخلى بينه وبين الكلام ، فيقول : بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا ، فعنكُنَّ كنتُ أناضل" (١).

قوله تعالى: {وَتَكَلَّمْنَا أُيْدِيَهُمْ} [يس: ٦٥]، أي: "وتكلمنا أيديهم بما بطشت به" (٢). قال الطبري: يقول: {وتكلمنا أيديهم} بما عملوا في الدنيا من معاصي الله" (٣). قوله تعالى: {وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [يس: ٦٥]، أي: "وتشهد أرجلهم بما سعت إليه في الدنيا، وكسبت من الآثام" (٤).

قال الطبري: " قيل: إن الذي ينطق من أرجلهم: أفضادهم من الرجل اليسرى {بما كانوا يكسبون} في الدنيا من الآثام" (٥).

عن عقبة بن عامر، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "أول شيء يتكلم من الإنسان، يوم يختم الله على الأفواه، فخذ من رجله اليسرى" (٦).

عن قتادة، قوله: "{اليوم نختم على أفواههم} .... الآية، قال: قد كانت خصومات وكلام، فكان هذا آخره، {نختم على أفواههم}" (٧).

قال الشعبي: "يقال للرجل يوم القيامة: عملت كذا وكذا، فيقول: ما عملت، فيختم على فيه، وتتطرق جوارحه، فيقول لجوارحه: أبعدكن الله، ما خاصمت إلا فيكن" (٨).

قال أبو موسى: "يدعى المؤمن للحساب يوم القيامة، فيعرض عليه ربه عمله فيما بينه وبينه، فيعترف فيقول: نعم أي رب عملت عملت عملت، قال: فيغفر الله له ذنوبه، ويستتره منها، فما على الأرض خليفة ترى من تلك الذنوب شيئاً، وتبدو حسناته، فود أن الناس كلهم يرونها؛ ويدعى الكافر والمنافق للحساب، فيعرض عليه ربه عمله فيجده، ويقول أي رب، وعزتك لقد كتب علي هذا الملك ما لم أعمل، فيقول له الملك: أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا؟ فيقول: لا وعزتك أي رب، ما عملته، فإذا فعل ذلك ختم على فيه. قال الأشعري: فإني أحسب أول ما ينطق منه لفضذه اليمنى، ثم تلا: {اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون}" (٩).

## القرآن

{وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ} {يس: ٦٦}

التفسير:

ولو نشاء لطمسنا على أعينهم بأن نذهب أبصارهم، كما ختمنا على أفواههم، فبادروا إلى الصراط ليجوزوه، فكيف يتحقق لهم ذلك وقد طمست أبصارهم؟

قوله تعالى: {وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ} [يس: ٦٦]، أي: "ولو نشاء لطمسنا على أعينهم بأن نذهب أبصارهم، كما ختمنا على أفواههم" (١٠).

وفي تفسير قوله تعالى: {وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ} [يس: ٦٦]، وجهان:

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٨٥/٦-٥٨٦، وانظر الحديث في صحيح مسلم برقم (٢٩٦٩) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١٦٥٣).

(٢) التفسير الميسر: ٤٤٤.

(٣) تفسير الطبري ٢٠/٥٤٤.

(٤) التفسير الميسر: ٤٤٤.

(٥) تفسير الطبري ٢٠/٥٤٤.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠/٥٤٥.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٠/٥٤٤-٥٤٥.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٠/٥٤٤.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٠/٥٤٤.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٤٤.

أحدهما : لأعمينا أبصار المشركين في الدنيا فضلوا عن الطريق فلا يبصرون عقوبة لهم ، قاله الحسن<sup>(١)</sup>، وقتادة<sup>(٢)</sup>.

قال الحسن: " لو يشاء لطمس على أعينهم فتركهم عميا يترددون"<sup>(٣)</sup>.

قال قتادة: " لو شئنا لتركناهم عميا يترددون"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن قتيبة: " المطموس: هو الأعمى الذي لا يكون بين جفنيه شق"<sup>(٥)</sup>.

الثاني : لأعمينا قلوبهم فضلوا عن الحق فلم يهتدوا إليه، قاله ابن عباس<sup>(٦)</sup>.

قال ابن عباس: " يقول: أضللتهم وأعميتهم عن الهدى"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: " والقول الأول" أشبه بتأويل الكلام، لأن الله إنما تهدد به قوما كفارا، فلا

وجه لأن يقال: وهم كفار، لو نشاء لأضللناهم وقد أضلهم، ولكنه قال: لو نشاء لعاقبناهم على

كفرهم، فطمسنا على أعينهم فصيرناهم عميا لا يبصرون طريقا، ولا يهتدون له؛ والطمس على

العين: هو أن لا يكون بين جفني العين غر، وذلك هو الشق الذي بين الجفنين كما تطمس الريح

الأثر، يقال: أعمى مطموس وطميس"<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: {فَاسْتَبِقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ} [يس: ٦٦]، أي: " فبادروا إلى الصراط

ليجوزوه، فكيف يتحقق لهم ذلك وقد طُمت أبصارهم؟"<sup>(٩)</sup>.

قال الطبري: " يقول: فابتدروا الطريق، فأى وجه يبصرون أن يسلكوه من الطرق، وقد

طمسنا على أعينهم"<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن قتيبة: " {فاستبقوا الصراط} ليجزوا. {فأنى يبصرون} أي فكيف

يبصرون؟! "<sup>(١١)</sup>.

عن قتادة: " {فاستبقوا الصراط}، الطريق"<sup>(١٢)</sup>.

عن قتادة: " {فأنى يبصرون} فكيف يبصرون إذا أغشيناهم؟! "<sup>(١٣)</sup>.

عن مجاهد، قوله: {فاستبقوا الصراط}، قال: الطريق"<sup>(١٤)</sup>، " {فأنى يبصرون}، وقد

طمسنا على أعينهم"<sup>(١٥)</sup>.

قال ابن عباس، وقتادة، وعطاء: " يعني: ولو نشاء لفقأنا أعين ضلالتهم وأعميناهم عن

غيهم، وحولنا أبصارهم من الضلالة إلى الهدى فاهتدوا وأبصروا رشدهم، فأنى يبصرون ولم

أفعل ذلك بهم؟! "<sup>(١٦)</sup>.

وقال الحسن، والسدي: " يعني: ولو نشاء لتركناهم عميا يترددون، فكيف يبصرون

الطريق حينئذ"<sup>(١٧)</sup>. وفي رواية عنهما: " فكيف يبصرون وقد أعمينا أعينهم؟! "<sup>(١٨)</sup>.

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٥٤٥.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٥٤٥-٥٤٦.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٠ / ٥٤٥.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠ / ٥٤٥-٥٤٦.

(٥) غريب القرآن: ٣٦٧.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٠ / ٥٤٥.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٠ / ٥٤٥.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠ / ٥٤٦.

(٩) التفسير الميسر: ٤٤٤.

(١٠) تفسير الطبري: ٢٠ / ٥٤٦.

(١١) غريب القرآن: ٣٦٧.

(١٢) أخرجه يحيى بن سلام في "التفسير": ٢ / ٨١٧.

(١٣) أخرجه يحيى بن سلام في "التفسير": ٢ / ٨١٧.

(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٠٢): ص ١٠ / ٣١٩٩.

(١٥) أخرجه الطبري: ٢٠ / ٥٤٦، وابن أبي حاتم (١٨١٠٢): ص ١٠ / ٣١٩٩.

(١٦) تفسير الثعلبي: ٢٢ / ٢٩٩.

(١٧) تفسير الثعلبي: ٢٢ / ٢٩٩.

(١٨) تفسير البغوي ٦ / ٢٥.

وعن ابن عباس: "فأنى يبصرون"، يقول: فكيف يهتدون"<sup>(١)</sup>.  
وقال ابن عباس: "يقول: لا يبصرون الحق"<sup>(٢)</sup>.

## القرآن

{وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مَضِيًّا وَلَا يُرْجِعُونَ (٦٧)} [يس: ٦٧]

التفسير:

ولو شئنا لغيرنا خلقهم وأعدناهم في أماكنهم، فلا يستطيعون أن يمضوا أمامهم، ولا يرجعوا وراءهم.

قوله تعالى: {وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ} [يس: ٦٧]، أي: "ولو شئنا لغيرنا خلقهم وأعدناهم في أماكنهم"<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: يقول: "ولو نشاء لأعدنا هؤلاء المشركين من أرجلهم في منازلهم"<sup>(٤)</sup>.  
وفي قوله تعالى: {وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ} [يس: ٦٧]، أربعة وجوه من

التفسير:

أحدها: لأعدناهم على أرجلهم، قاله الحسن<sup>(٥)</sup>، وقتادة<sup>(٦)</sup>.

قال الحسن: "لو نشاء لجعلناهم كسحا لا يقومون"<sup>(٧)</sup>.

الثاني: لأهلكناهم في مساكنهم، قاله ابن عباس<sup>(٨)</sup>.

الثالث: لغيرنا خلقهم فلا ينقلبون، قاله السدي<sup>(٩)</sup>.

الرابع: معناه: لجعلناهم حجارة. قاله أبو صالح<sup>(١٠)</sup>.

قال الزمخشري: "أي: أعدناهم في منازلهم قردة وخنزير، و«المسخ»: تحويل الصورة"<sup>(١١)</sup>.

قال ابن قتيبة: "على مكانتهم} هو مثل مكانهم. يقال: مكان ومكانة ومنزل ومنزلة"<sup>(١٢)</sup>.

قوله تعالى: {فَمَا اسْتَطَاعُوا مَضِيًّا وَلَا يُرْجِعُونَ} [يس: ٦٧]، أي: "فلا يستطيعون أن يمضوا أمامهم، ولا يرجعوا وراءهم"<sup>(١٣)</sup>.

قال الطبري: "يقول: فلا يستطيعون أن يمضوا أمامهم، ولا أن يرجعوا وراءهم"<sup>(١٤)</sup>.

قال ابن كثير: " { فَمَا اسْتَطَاعُوا مَضِيًّا } أي : إلى أمام ، { وَلَا يُرْجِعُونَ } أي : إلى

وراء ، بل يلزمون حالا واحداً ، لا يتقدمون ولا يتأخرون"<sup>(١٥)</sup>.

وفي قوله تعالى: {فَمَا اسْتَطَاعُوا مَضِيًّا وَلَا يُرْجِعُونَ} [يس: ٦٧]، وجهان:

أحدهما: فما استطاعوا لو فعلنا ذلك بهم أن يتقدموا ولا يتأخروا، قاله قتادة<sup>(١٦)</sup>.

(١) أخرجه الطبري: ٥٤٧ / ٢٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٥٤٧ / ٢٠.

(٣) التفسير الميسر: ٤٤٤.

(٤) تفسير الطبري: ٥٤٧ / ٢٠.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٧ / ٢٠.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٧ / ٢٠.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٠٥): ص ٣١٩٩ / ١٠.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٧ / ٢٠.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٢٦ / ٥.

(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨١٠٤): ص ٣١٩٩ / ١٠.

(١١) الكشف: ١٣٥ / ٨.

(١٢) غريب القرآن: ٣٦٨.

(١٣) التفسير الميسر: ٤٤٤.

(١٤) تفسير الطبري: ٥٤٧ / ٢٠.

(١٥) تفسير ابن كثير: ٥٨٧ / ٦.

(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٧ / ٢٠.

الثاني : فما استطاعوا مُضِيًّا في الدنيا، ولا رجوعاً فيها ، قاله أبو صالح<sup>(١)</sup>.

## القرآن

{وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ (٦٨)} {يس : ٦٨}

التفسير:

ومن نُطِلُّ عمره حتى يهرم نُعِدُّه إلى الحالة التي ابتدأ منها حالة ضعف العقل وضعف الجسد، أفلا يعقلون أن مَنْ فعل مثل هذا بهم قادر على بعثهم؟

قوله تعالى: {وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ} {يس : ٦٨}، أي: "ومن نُطِلُّ عمره حتى يهرم نُعِدُّه إلى الحالة التي ابتدأ منها حالة ضعف العقل وضعف الجسد"<sup>(٢)</sup>.

قال الماتريدي: "أي: نصيره ضعيفا بعد أن كان قويا"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن الجوزي: أي: "من نطل عمره ننكس خلقه، فنجعل مكان القوة الضعف، وبدل الشباب الهرم، فنرده إلى أرذل العمر"<sup>(٤)</sup>.

قال الجصاص: "ومثله قوله تعالى: {ومنكم من يرد إلى أرذل العمر} [النحل: ٧٠] وسماه أرذل العمر؛ لأنه لا يرجى له بعده عود من النقصان إلى الزيادة ومن الجهل إلى العلم كما يرجى مصير الصبي من الضعف إلى القوة ومن الجهل إلى العلم، ونظيره قوله تعالى: {ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة} [الروم: ٥٤]"<sup>(٥)</sup>.

قال ابن كثير: "يخير تعالى عن ابن آدم أنه كلما طال عمره ردّ إلى الضعف بعد القوة والعجز بعد النشاط ، كما قال تعالى : {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ} [الروم : ٥٤]. وقال : {وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا} [الحج : ٥].

والمراد من هذا - والله أعلم - الإخبار عن هذه الدار بأنها دار زوال وانتقال ، لا دار دوام واستقرار"<sup>(٦)</sup>.

وفي قوله تعالى: {وَمَنْ نُعَمِّرْهُ} {يس : ٦٨}، قولان:

أحدهما : أنه بلوغ ثمانين سنة، قاله سفيان<sup>(٧)</sup>.

قال سفيان: "إذا بلغ ثمانين سنة تغير جسمه"<sup>(٨)</sup>.

الثاني : هو الهرم، قاله قتادة<sup>(٩)</sup>، ويحيى بن سلام<sup>(١٠)</sup>.

قال قتادة: "هو الهرم. يتغير سمعه، وبصره وقوته، كما رأيت"<sup>(١١)</sup>.

وقال قتادة: "يقول: من نمد له في العمر ننكسه في الخلق، لكيلا يعلم بعد علم شيئا،

يعني: الهرم"<sup>(١٢)</sup>.

قال ابن قتيبة: "أي: نرده إلى أرذل العمر"<sup>(١٣)</sup>.

قال مقاتل: "فنطول عمره"<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: النكت والعيون: ٢٩/٥.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤٤.

(٣) تأويلات أهل السنة: ٥٣٦/٨.

(٤) زاد المسير: ٥٣٠/٣.

(٥) أحكام القرآن: ٤٩٣/٣-٤٩٤.

(٦) تفسير ابن كثير: ٥٨٨/٦.

(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨١٠٧):ص١٠/٣٢٠٠.

(٨) رواه عنه الزمخشري في الكشاف: ١٣٥/٨.

(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨١٠٦):ص١٠/٣٢٠٠.

(١٠) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٨١٧/٢.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨١٠٦):ص١٠/٣٢٠٠.

(١٢) أخرجه الطبري: ٥٤٨ /٢٠.

(١٣) غريب القرآن: ٣٦٨.

وفي قوله تعالى: {تُنَكِّسُهُ فِي الْخَلْقِ} [يس: ٦٨]، وجهان من التفسير: أحدهما: نردُّه في الضعف إلى حال الضعف فلا يعلم شيئاً، وهذا معنى قول يحيى بن سلام<sup>(٢)</sup>. قال يحيى: "فيكون بمنزلة الصبي الذي لا يعقل، كقوله: {وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا} [الحج: ٥]"<sup>(٣)</sup>. الثاني: أن التنكيس في الخلق هو ضعف الجوارح بعد قوتها، أي: نغير سمعه وبصره وقوته، قاله قتادة<sup>(٤)</sup>.

قال الزجاج: "معناه: من أطلنا عمره نكسنا خلقه، فصار بدل القوة ضعفاً وبدل الشباب هرماً"<sup>(٥)</sup>.

قال الزمخشري: "أي: يرده إلى أردل العمر شبه حال الصبي الذي هو أول الخلق، وقيل: يصيره بعد القوة إلى الضعف، وبعد الزيادة إلى النقصان، وبعد الحدة والطلاوة إلى البلى والخلوقة، فكأنه نكس حاله"<sup>(٦)</sup>.

وقال ابن عباس-في رواية عطاء-: "ومن عمره يريد المشركين، نرده إلى ذهاب العقل، كما قال {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ} [التين: ٥] يريد الكافرين من ولد آدم"<sup>(٧)</sup>.

قرأ حمزة: «ننكسه»، مشددة مع ضم النون الأولى وفتح الثانية، والباقون: بفتح النون الأولى وتسكين الثانية من غير تشديد وعن عاصم كالقراءتين<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: {أَفَلَا يَعْقِلُونَ} [يس: ٦٨]، أي: "أفلا يعقلون أن من فعل مثل هذا بهم قادر على بعثهم؟"<sup>(٩)</sup>.

قال السمعاني: "معناه: أفلا يعقلون آياتي؟"<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن الجوزي: "أي: أفلا يعقلون أن من فعل هذا قادر على البعث؟"<sup>(١١)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: يتفكرون بعقولهم في ابتداء خلقهم ثم صيرورتهم إلى نفس الشَّيْبَةِ، ثم إلى الشيخوخة؛ ليعلموا أنهم خلُّقوا لدار أخرى، لا زوال لها ولا انتقال منها، ولا محيد عنها، وهي الدار الآخرة"<sup>(١٢)</sup>.

قال يحيى: "يعني به المشركين، أي: فالذي خلقكم، ثم جعلكم شباباً ثم جعلكم شيوخاً، ثم نكسكم في الخلق، فردكم بمنزلة الطفل الذي لا يعقل شيئاً قادر على أن يبعثكم يوم القيامة"<sup>(١٣)</sup>.

قال الطبري: يقول: "أفلا يعقل هؤلاء المشركون قدرة الله على ما يشاء بمعابنتهم ما يعاينون من تصريفه خلقه فيما شاء وأحب من صغر إلى كبر، ومن تنكيس بعد كبر في هرم"<sup>(١٤)</sup>.

وقرى: «أفلا تعقلون»، بالتاء على وجه الخطاب<sup>(١٥)</sup>.

فوائد الآيات: [٦٨-٥٩]:

- (١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٤/٣.
- (٢) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٨١٧/٢-٨١٨.
- (٣) تفسير يحيى بن سلام: ٨١٧/٢-٨١٨.
- (٤) انظر: النكت والعيون: ٣٠/٥.
- (٥) معاني القرآن: ٢٩٣/٤.
- (٦) الكشف: ١٣٥/٨.
- (٧) علقه الواحدي في "التفسير البسيط": ٥١٧/١٨، ولم أقف عليه.
- (٨) انظر: زاد المسير: ٥٣٠/٣.
- (٩) التفسير الميسر: ٤٤٤.
- (١٠) تفسير السمعاني: ٣٨٦/٤.
- (١١) زاد المسير: ٥٣٠/٣.
- (١٢) تفسير ابن كثير: ٥٨٨/٦.
- (١٣) تفسير يحيى بن سلام: ٨١٨/٢.
- (١٤) تفسير الطبري: ٥٤٩/٢٠.
- (١٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٨/٢٠.

- ١- تقرير المعاد وبيان مواقف منه.
- ٢- تأكيد عداوة الشيطان للإنسان.
- ٣- عجز الإنسان يوم القيامة عن كتمان شيء من سيء أعماله وفسادها.
- ٤- التحذير من عقوبة الله في الدنيا بالمسوخ ونحوه.
- ٥- مظاهر قدرة الله تعالى في رد الإنسان بعد القوة إلى حالة الضعف الأولى.

## القرآن

{وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ (٦٩) لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧٠)} [يس: ٦٩-٧٠]

التفسير:

وما عَلَّمْنَا رسولنا محمداً الشعر، وما يَنْبَغِي له أن يكون شاعراً، ما هذا الذي جاء به إلا ذكر يتذكر به أولو الألباب، وقرآن بيّن الدلالة على الحق والباطل، واضحة أحكامه وحكمه ومواعظه؛ لينذر مَنْ كان حيًّا القلب مستنير البصيرة، ويحق العذاب على الكافرين بالله؛ لأنهم قامت عليهم بالقرآن حجة الله البالغة.

سبب النزول:

قال مقاتل: "نزلت في عقبة بن أبي معيط وأصحابه، قالوا إن القرآن شعر" (١).  
قوله تعالى: {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ} [يس: ٦٩]، أي: "وما عَلَّمْنَا رسولنا محمداً الشعر، وما يَنْبَغِي له أن يكون شاعراً" (٢).

قال الطبري: يقول: "وما علمنا محمداً الشعر، وما يَنْبَغِي له أن يكون شاعراً" (٣).  
قال يحيى: "وما علمناه الشعر"، يعني: النبي عليه السلام. {وما يَنْبَغِي له} أن يكون شاعراً ولا يروي الشعر" (٤).

قال ابن كثير: "يقول تعالى مخبراً عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: أنه ما علمه الشعر، {وَمَا يَنْبَغِي لَهُ}، أي: وما هو في طبعه، فلا يحسنه ولا يحبه، ولا تقتضيه جبلته؛ ولهذا ورد أنه، عليه الصلاة والسلام، كان لا يحفظ بيتاً على وزن منتظم، بل إن أنشده زحَّفه أو لم يتمه" (٥).

قال الزجاج: "أي: ما علمنا محمداً - صلى الله عليه وسلم - قول الشعر. {وما يَنْبَغِي له}، أي: ما يتسهل له ذلك، وليس يوجب هذا أن يكون النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يتمثل ببيت شعر قط. إنما يوجب هذا أن يكون النبي عليه السلام ليس بشاعر، وأن يكون القرآن الذي أتى به من عند الله، لأنه مباين لكلام المخلوقين وأوزان أشعار العرب، والقرآن آية معجزة تدل على أن نبوة النبي - صلى الله عليه وسلم - وآياته ثابتة أبداً" (٦).

عن قتادة، قوله: "{وما علمناه الشعر وما يَنْبَغِي له}، قال: محمد صلى الله عليه وسلم، عصمه الله من ذلك" (٧).

قال الشعبي: "ما ولد عبد المطلب ذكراً ولا أنثى إلا يقول الشعر، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم" (٨).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٤/٣.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤٤.

(٣) تفسير الطبري: ٥٤٩/٢٠.

(٤) تفسير يحيى بن سلام: ٨١٨/٢.

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٨٨/٦.

(٦) معاني القرآن: ٢٩٣/٤-٢٩٤.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١١٠): ص ١٠ / ٣٢٠٠.

(٨) رواه أبو زرعة الرازي كما في تفسير ابن كثير: ٥٨٨/٦.



قال الإمام الشافعي: " لا يكاد يوجد شعر القرشي؛ وذلك أن الله جل ذكره، قال لنبيه - صلى الله عليه وسلم - : {وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو} الآية، ولا يكاد يوجد خط القرشي؛ وذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان أمياً"<sup>(١)</sup>.

عن الحسن البصري، : "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت :  
كفى بالإسلام والشيب والمرء ناهياً  
فقال أبو بكر : يا رسول الله :

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً  
قال أبو بكر ، أو عمر : أشهد أنك رسول الله، يقول الله: {وَمَا عَلَّمَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ}<sup>(٢)</sup>.  
وروى البيهقي في الدلائل : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : للعباس بن مرداس السلمي : "أنت القائل :

أتجعل نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة".  
فقال : إنما هو : "بين عيينة والأقرع" فقال : "الكل سواء"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير: "يعني : في المعنى ، صلوات الله وسلامه عليه، وقد ذكر السهيلي في "الروض الأنف" لهذا التقديم والتأخير الذي وقع في كلامه ، عليه السلام ، في هذا البيت مناسبة أغرب فيها ، حاصلها شرف الأقرع بن حابس على عيينة بن بدر الفزاري ؛ لأنه ارتد أيام الصديق ، بخلاف ذلك ، والله أعلم"<sup>(٤)</sup>.

روى الأموي في مغازيه : "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يمشي بين القتلى يوم بدر ، وهو يقول: "تُفلق هاماً....."  
فيقول الصديق ، رضي الله عنه ، متمماً للبيت<sup>(٥)</sup>:  
من رجال أعزة علينا ... وهم كانوا أعق وأظلم"<sup>(٦)</sup>.

فبيئتئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأول البيت ويستطعم أبا بكر رضي الله عنه إنشاد آخره لأنه كان لا يحسن إنشاد الشعر كما قال تعالى: {وَمَا عَلَّمَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ}<sup>(٧)</sup>.  
عن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استرأت الخبر ، تمثل فيه ببيت طرفة<sup>(٨)</sup>:  
ويأتيك بالأخبار من لم تزود"<sup>(٩)</sup>.

وقالت عائشة-رضي الله عنها- : " ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت شعر قط ، إلا بيتنا واحداً :  
تفأعل بما تهوى يكن فلعلماً... يُقال لشيءٍ كان إلا تحققاً"<sup>(١٠)</sup>.

عن قتادة : " قبل لعائشة: هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت: كان أبغض الحديث إليه، غير أنه كان يتمثل ببيت أخي بني قيس، فيجعل آخره

(١) تفسير الإمام الشافعي: ١٢٢٣/٣.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١١٢):ص٣٢٠٠/١٠-٣٢٠١، وكما في تفسير ابن كثير: ٥٨٨/٦، ورواه ابن سعد في الطبقات (٣٨٢/١) من طريق عارم عن حماد بن زيد عن علي بن زيد عن الحسن به مراسلاً.

(٣)دلائل النبوة للبيهقي (١٨١/٥).

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٨٩/٦.

(٥)البيت للحصين بن الحمام المري في الشعر والشعراء ٦٤٨ /٢.

(٦)الحماسة لأبي تمام: ١٠٧/١.

(٧) اظر: تفسير ابن كثير: ٢٢/٤. ط. العلمية.

(٨) هو عجز بيت في ديوانه : ٦٦ ، في معلقته المشهورة، أوله :

سئدي لك الأيام ما كنت جاهلاً... ويأتيك بالأخبار من لم تزود

ويأتيك بالأخبار من لم تبع له... بتاتا ولم تضرب له وقت موعد

(٩)المسند (٣١/٦) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١٠٨٣٤).

(١٠)السنن الكبرى للبيهقي (٤٣/٧) وقال : "لم أكتبه إلا بهذا الإسناد ، وفيهم من جهل حاله".

أوله، وأوله آخره، فقال له أبو بكر: إنه ليس هكذا، فقال نبي الله: "إني والله ما أنا بشاعر، ولا ينبغي لي" (١).

وثبت في الصحيحين أنه عليه الصلاة والسلام، تمثل يوم حفر الخندق بأبيات عبد الله بن رواحة، ولكن تبعًا لقول أصحابه، فإنهم يرتجزون وهم يحفرون، فيقولون: لَاهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا مَا اهْتَدَيْنَا... وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلِّينَا فَأَنْزَلْنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا... وَتَبَّتْ الْأَقْدَامُ إِنْ لَاقَيْنَا إِنْ الْأَلَى قَدْ بَعَا عَلَيْنَا... إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبِينَا ويرفع صوته بقوله: "أبيننا" ويمدها (٢).

وقد روي هذا بزحاف في الصحيح أيضًا. وكذلك ثبت أنه قال يوم حنين وهو راكب البغلة، يُقدم بها في نحر العدو:

لكن قالوا: هذا وقع اتفاقًا من غير قصد لوزن شعر، بل جرى على اللسان من غير قصد إليه. وكذلك ما ثبت في الصحيحين عن جندب بن عبد الله قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار فنكيت أصبعه، فقال: هَلْ أَنْتَ إِلَّا إصْبَعٌ نَمِيَتْ... وفي سبيل الله مَا لَقِيت (٤).

وكل هذا لا ينافي كونه صلى الله عليه وسلم ما علم شعرًا ولا ينبغي له؛ فإن الله تعالى إنما علمه القرآن العظيم، الذي { لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ } [فصلت: ٤٢]. وليس هو بشعر كما زعمه طائفة من جهلة كفار قريش، ولا كهانة، ولا مفتعل، ولا سحر يُؤثر، كما تنوعت فيه أقوال الضلال وآراء الجهال.

وقد كانت سجيته صلى الله عليه وسلم تأبى صناعة الشعر طبعًا وشرعًا، كما رواه أبو داود... عن عبد الله بن عمرو يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما أبالي ما أوتيت إن أنا شربت تريبًا، أو تعلقت تميمة، أو قلت الشعر من قبل نفسي» (٥) (٦).

عن أبي نوفل قال: "سألت عائشة: أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسامع عنده الشعر؟ فقالت: كان أبغض الحديث إليه. وقال عن عائشة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الجوامع من الدعاء، ويدع ما بين ذلك" (٧).

روي عن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "لأن يمتلى جوف أحدكم قبيحًا، خير له من أن يمتلى شعرًا" (٨).

عن شداد بن أوس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرض بيت شعر بعد العشاء الآخرة، لم تقبل له صلاة تلك الليلة" (٩).

قال ابن كثير: "وهذا حديث غريب من هذا الوجه، ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة. والمراد بذلك نظمه لا إنشاده، والله أعلم. على أن الشعر فيه ما هو مشروع، وهو هجاء المشركين الذي كان يتعاطاه شعراء الإسلام، كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، وأمثالهم وأضرابهم، رضي الله عنهم أجمعين. ومنه ما فيه حكم ومواظ وأداب، كما يوجد في شعر جماعة من الجاهلية، ومنهم أمية بن أبي الصلت الذي قال فيه النبي صلى الله

(١) أخرجه الطبري: ٢٠ / ٥٤٩، وابن أبي حاتم (١٨١١١): ص ٣٢٠٠ / ١٠.

(٢) صحيح البخاري برقم (٧٢٣٦) وصحيح مسلم برقم (١٨٠٣) من حديث البراء بن عازب، رضي الله عنه.

(٣) صحيح البخاري برقم (٢٨٦٤) وصحيح مسلم برقم (١٧٧٦).

(٤) صحيح البخاري برقم (٢٨٠٢) وصحيح مسلم برقم (١٧٩٦).

(٥) سنن أبي داود برقم (٣٨٦٩).

(٦) انظر: تفسير ابن كثير: ٦ / ٥٩٠-٥٩١.

(٧) المسند (١٤٨/٦).

(٨) سنن أبي داود برقم (٥٠٠٩).

(٩) المسند (١٢٥/٤).

عليه وسلم : « آمن شعره وكفر قلبه »<sup>(١)</sup>، وقد أُنشد بعض الصحابة منه للنبي صلى الله عليه وسلم مائة بيت ، يقول عقب كل بيت : " هيه". يعني يستطعمه ، فيزيده من ذلك"<sup>(٢)</sup>.

وقد روى أبو داود من حديث أبي بن كعب ، وبُرَيْدَةَ بن الحُصَيْبِ، وعبد الله بن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن من البيان سحراً ، وإن من الشعر حكماً"<sup>(٣)</sup>. قوله تعالى: {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ} [يس : ٦٩]، أي: " ما هذا الذي جاء به إلا ذكر يتذكر به أولو الألباب، وقرآن بيّن الدلالة على الحق والباطل، واضحة أحكامه وحكمه ومواعظه"<sup>(٤)</sup>.

قال الطبري: يقول: " ما هو محمد إلا ذكر لكم أيها الناس، ذكركم الله بإرساله إياه إليكم، ونبهكم به على حظكم، وهذا الذي جاءكم به محمد قرآن يبين لمن تدبره بعقل ولب، أنه تنزيل من الله أنزله إلى محمد، وأنه ليس بشعر ولا مع كاهن"<sup>(٥)</sup>.

قال ابن كثير: " أي : ما هذا الذي علمناه، {إلا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ}، أي : بين واضح جلي لمن تأمله وتدبره"<sup>(٦)</sup>.

قال السمعاني: " أي: تذكرة وقرآن بين"<sup>(٧)</sup>.

عن قتادة: " {إن هو إلا ذكر}، قال: هذا القرآن"<sup>(٨)</sup>.

قال سهل: " هو الذكر والتفكير"<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: {لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا} [يس : ٧٠]، أي: " لينذر مَنْ كان حيَّ القلب مستتير البصيرة"<sup>(١٠)</sup>.

قال الطبري: " يقول: إن محمد إلا ذكر لكم لينذر منكم أيها الناس من كان حي القلب، يعقل ما يقال له، ويفهم ما يبين له، غير ميت الفؤاد بليد"<sup>(١١)</sup>.

قال ابن كثير: " أي : لينذر هذا القرآن البين كلَّ حي على وجه الأرض ، كقوله : { لأنذركم به ومن بلغ } [الأنعام : ١٩] ، وقال : { وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ } [هود : ١٧]. وإنما ينتفع بنذارته من هو حي القلب ، مستتير البصيرة"<sup>(١٢)</sup>.

عن قتادة: " {لينذر من كان حيا}، قال: حي القلب، حي البصر"<sup>(١٣)</sup>.

عن الضحاك، قوله: " {لينذر من كان حيا}، قال: من كان عاقلاً"<sup>(١٤)</sup>.

وقال مقاتل: " يعني: لتنذر يا محمد بما في القرآن من الوعيد من كان مهديا في علم الله- عز وجل-"<sup>(١٥)</sup>.

قال الزجاج: " معنى: {من كان حيا}، أي" من كان يعقل ما يخاطب به، فإن الكافر كالميت في أنه لم يتدبر فيعلم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - وما جاء به حق"<sup>(١٦)</sup>.

(١) رواه ابن عبد البر في التمهيد (٧/٤) من طريق أبي بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس ، رضي الله عنه.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٩٢/٦.

(٣) سنن أبي داود برقم (٥٠١٠ - ٥٠١٢).

(٤) التفسير الميسر: ٤٤٤.

(٥) تفسير الطبري: ٥٤٩/٢٠.

(٦) تفسير ابن كثير: ٥٩٢/٦.

(٧) تفسير السمعاني: ٣٨٧/٤.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١١٠):ص١٠ / ٣٢٠٠.

(٩) تفسير التستري: ١٣٠.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٤٤.

(١١) تفسير الطبري: ٥٤٩/٢٠.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٥٩٢/٦.

(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١١٠):ص١٠ / ٣٢٠٠.

(١٤) اخرجه الطبري: ٥٥٠ / ٢٠.

(١٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٤/٣.

قوله تعالى: {وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ} [يس : ٧٠]، أي: "ويحق العذاب على الكافرين بالله؛ لأنهم قامت عليهم بالقرآن حجة الله البالغة"<sup>(١)</sup>.  
 قال الطبري: "يقول: ويحق العذاب على أهل الكفر بالله، الموليين عن اتباعه، المعرضين عما أتاهم به من عند الله"<sup>(٢)</sup>.  
 قال ابن كثير: "أي: هو رحمة للمؤمن، وحجة على الكافر"<sup>(٣)</sup>.  
 عن قتادة: "ويحق القول على الكافرين"، بأعمالهم أعمال السوء"<sup>(٤)</sup>.  
 قال الزجاج: "يجوز {ويحق القول}، أي: يوجب الحجة عليهم"<sup>(٥)</sup>.

## القرآن

{أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيئُنَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١)} [يس : ٧١]  
 التفسير:

أو لم ير الخلق أنا خلقنا لأجلهم أنعاماً ذللناها لهم، فهم مالكون أمرها؟  
 قوله تعالى: {أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيئُنَا أَنْعَامًا} [يس : ٧١]، أي: "أو لم ير الخلق أنا خلقنا لأجلهم أنعاماً ذللناها لهم"<sup>(٦)</sup>.  
 قال الطبري: يقول: "أولم يروا} هؤلاء المشركون بالله الآلهة والأوثان: {أنا خلقنا لهم} مما خلقنا من الخلق {أنعاماً} وهي المواشي التي خلقها الله لبني آدم، فسخرها لهم من الإبل والبقر والغنم"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن كثير: "يذكر تعالى ما أنعم به على خلقه من هذه الأنعام التي سخرها لهم"<sup>(٨)</sup>.  
 قيل لابن زيد: "أهي الإبل؟ فقال: نعم، قال: والبقر من الأنعام، وليست بداخلة في هذه الآية، قال: والإبل والبقر والغنم من الأنعام، وقرأ: {ثمانية أزواج}، قال: والبقر والإبل هي النعم، وليست تدخل الشاء في النعم"<sup>(٩)</sup>.  
 عن السدي: قوله: "مما عملت أيدينا}، قال: من صنعتنا"<sup>(١٠)</sup>.  
 قال السمعاني: "أي: مما تولينا خلقه وإبداعه، والأولى في «الأيدي»: أن يؤمن بها ولا تفسر"<sup>(١١)</sup>.

قوله تعالى: {فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ} [يس : ٧١]، أي: "فهم مالكون أمرها"<sup>(١٢)</sup>.  
 قال الطبري: "يقول: فهم لها مصرفون كيف شاءوا بالقهر منهم لها والضبط"<sup>(١٣)</sup>.  
 قال ابن كثير: "أي: جعلهم يقهرونها"<sup>(١٤)</sup>.  
 قال قتادة: "أي: ضابطون"<sup>(١٥)</sup>.

(١) معاني القرآن: ٢٩٤/٤.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤٤.

(٣) تفسير الطبري ٥٥٠ / ٢٠.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٩٢/٦.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١١٠): ص ١٠ / ٣٢٠٠.

(٦) معاني القرآن: ٢٩٤/٤.

(٧) التفسير الميسر: ٤٤٥.

(٨) تفسير الطبري ٥٥٠ / ٢٠.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥٩٢/٦.

(١٠) أخرجه الطبري ٥٥١/٢٠.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١١٣): ص ١٠ / ٣٢٠١.

(١٢) تفسير السمعاني: ٣٨٧/٤.

(١٣) التفسير الميسر: ٤٤٥.

(١٤) تفسير الطبري ٥٥٠ / ٢٠.

(١٥) تفسير ابن كثير: ٥٩٢/٦.

(١٦) أخرجه الطبري ٥٥٠ / ٢٠.

قال الزجاج: "معنى: {مالكون}، ضابطون، لأن القصد ههنا إلى أنها ذليلة لهم  
 ألا ترى إلى قوله {وذللناها لهم}، ومثله من الشعر<sup>(١)</sup>:  
 أصبحت لا أحمل السلاح ولا . . . أملك رأس البعير إن نفرا  
 أي: لا أضبط رأس البعير"<sup>(٢)</sup>.

## القرآن

**{وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢)} [يس: ٧٢]**

التفسير:

وسخّرناها لهم، فمنها ما يركبون في الأسفار، ويحملون عليها الأثقال، ومنها ما يأكلون.  
 قوله تعالى: {وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ} [يس: ٧٢]، أي: "وسخّرناها لهم"<sup>(٣)</sup>.  
 قال السمعاني: "أي: جعلناها ذليلة لهم"<sup>(٤)</sup>.  
 قال الطبري: "يقول: وذللنا لهم هذه الأنعام"<sup>(٥)</sup>.  
 قال ابن كثير: أي: "وهي ذليلة لهم، لا تمتنع منهم، بل لو جاء صغير إلى بعير  
 لأناخه، ولو شاء لأقامه وساقه، وذلك دليل منقاد معه. وكذا لو كان القطار مائة بعير أو أكثر،  
 لساير الجميع بسير صغير"<sup>(٦)</sup>.  
 وقال مقاتل: "فيحملون عليها ويسوقونها حيث شاءوا ولا تمتنع منها"<sup>(٧)</sup>.  
 قوله تعالى: {فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ} [يس: ٧٢]، أي: "فمنها ما يركبون في الأسفار، ويحملون  
 عليها الأثقال"<sup>(٨)</sup>.  
 قال الطبري: "يقول: فمنها ما يركبون كالإبل يسافرون عليها؛ يقال: هذه دابة  
 ركوب"<sup>(٩)</sup>.  
 قال ابن كثير: "أي: منها ما يركبون في الأسفار، ويحملون عليه الأثقال، إلى سائر  
 الجهات والأقطار"<sup>(١٠)</sup>.  
 قال قتادة: "يركبوها يسافرون عليها"<sup>(١١)</sup>.  
 قال مقاتل: "فمنها ركوبهم: حملتهم الإبل والبقر"<sup>(١٢)</sup>.  
 قال السمعاني: "الركوب: ما يركب"<sup>(١٣)</sup>.  
 قال الزجاج: "معناه: ما يركبون، والدليل قراءة من قرأ: «فمنها ركوبتهم»"<sup>(١٤)</sup>.  
 عن هارون، قال: "قراءة الحسن الأعرج وأبي عمرو والعامية: «فمنها ركوبهم»، يعني:  
 ركوبتهم حملتهم"<sup>(١)</sup>.

(١) للربيع بن ضبع في أمالي المرتضى ١/ ٢٥٥ وحماسة البحرني ٢٠١، وخرزانه الأدب ٧/ ٣٨٤، وشرح  
 التصريح ٢/ ٣٦، والكتاب ١/ ١٤٤، ولسان العرب (ضمن)، والمقاصد النحوية ٣/ ٣٩٨، وبلا نسبة في الردّ  
 على النحاة ١١٤، وشرح المفصل ٧/ ١٠٥، والمحتسب ٢/ ٩٩.

(٢) معاني القرآن: ٤/ ٢٩٤-٢٩٥.

(٣) التفسير الميسر: ٤٤٥.

(٤) تفسير السمعاني: ٤/ ٣٨٧.

(٥) تفسير الطبري ٢٠/ ٥٥١.

(٦) تفسير ابن كثير: ٦/ ٥٩٢.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/ ٥٨٤-٥٨٥.

(٨) التفسير الميسر: ٤٤٥.

(٩) تفسير الطبري ٢٠/ ٥٥١.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٦/ ٥٩٢.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٥١.

(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/ ٥٨٥.

(١٣) تفسير السمعاني: ٤/ ٣٨٧.

(١٤) معاني القرآن: ٤/ ٢٩٥.

قوله تعالى: {وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ} [يس: ٧٢]، أي: "ومنها ما يأكلون" (٢).  
 قال الطبري: أي: "لحومها" (٣).  
 قال ابن كثير: "إذا شأوا نحرروا واجتزروا" (٤).  
 قال قتادة: "ومنها يأكلون": لحومها" (٥).  
 قال مقاتل: "يعني: الغنم" (٦).

## القرآن

{وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ} [يس: ٧٣]

التفسير:

ولهم فيها منافع أخرى ينتفعون بها، كالانتفاع بأصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثًا ولباسًا، وغير ذلك، ويشربون ألبانها، أفلا يشكرون الله الذي أنعم عليهم بهذه النعم، ويخلصون له العبادة؟  
 قوله تعالى: {وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ} [يس: ٧٣]، أي: "ولهم فيها منافع أخرى ينتفعون بها، ويشربون ألبانها" (٧).  
 قال الطبري: يقول: "ولهم في هذه الأنعام منافع، وذلك منافع في أصوافها وأوبارها وأشعارها باتخاذهم من ذلك أثاثًا ومتاعًا، ومن جلودها أكنانا، ومشارب يشربون ألبانها" (٨).  
 قال ابن كثير: "أي: من أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثًا ومتاعًا إلى حين، {وَمَشَارِبُ}، أي: من ألبانها وأبوالها لمن يتداوى، ونحو ذلك" (٩).  
 قال مقاتل: "ولهم فيها منافع": في الأنعام ومنافع في الركوب عليها، والحمل عليها، وينتفعون بأصوافها وأوبارها، وأشعارها، {وفيها مشارب} ألبانها" (١٠).  
 قال السمعاني: "أي: في الأنعام منافع من الأصواف والأوبار والأشعار، وقوله: {ومشارب}، أي: من الألبان" (١١).  
 عن قتادة: "ولهم فيها منافع"، يلبسون أصوافها، {ومشارب}، يشربون ألبانها" (١٢).  
 قوله تعالى: {أَفَلَا يَشْكُرُونَ} [يس: ٧٣]، أي: "أفلا يشكرون الله الذي أنعم عليهم بهذه النعم، ويخلصون له العبادة؟" (١٣).  
 قال السمعاني: "يعني: هذه النعم" (١٤).  
 قال الطبري: "يقول: أفلا يشكرون نعمتي هذه، وإحساني إليهم بطاعتي، وإفراد الألوهية والعبادة، وترك طاعة الشيطان وعبادة الأصنام" (١٥).  
 قال ابن كثير: "أي: أفلا يُوحَدُّون خالق ذلك ومسخره، ولا يشركون به غيره؟" (١٦).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١١٥): ص ١٠/١٠٣٢٠.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤٥.

(٣) تفسير الطبري ٥٥١ / ٢٠.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٩٢/٦.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٥١ / ٢٠.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٥/٣.

(٧) التفسير الميسر: ٤٤٥.

(٨) تفسير الطبري ٥٥١ / ٢٠.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥٩٢/٦.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٥/٣.

(١١) تفسير السمعاني: ٣٨٨/٤.

(١٢) أخرجه الطبري ٥٥١ / ٢٠.

(١٣) التفسير الميسر: ٤٤٥.

(١٤) تفسير السمعاني: ٣٨٨/٤.

(١٥) تفسير الطبري ٥٥١ / ٢٠.

(١٦) تفسير ابن كثير: ٥٩٢/٦.

## القرآن

{وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ (٧٤)} [يس : ٧٤]

التفسير:

واتخذ المشركون من دون الله آلهة يعبدونها؛ طمعاً في نصرها لهم وإنقاذهم من عذاب الله. قال الطبري: "يقول: واتخذ هؤلاء المشركون من دون الله آلهة يعبدونها، طمعاً أن تنصرهم تلك الآلهة من عقاب الله وعذابه"<sup>(١)</sup>. قال ابن كثير: "يقول تعالى منكرًا على المشركين في اتخاذهم الأنداد آلهة مع الله، يبتغون بذلك أن تنصرهم تلك الآلهة وترزقهم وتقربهم إلى الله زلفى"<sup>(٢)</sup>. قال مقاتل: "واتخذوا، يعني: كفار مكة، {من دون الله آلهة}، يعني: اللات والعزى ومناة، لكي تمنعهم"<sup>(٣)</sup>.

## القرآن

{لَا يَسْتَطِيعُونَ نصرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ (٧٥)} [يس : ٧٥]

التفسير:

لا تستطيع تلك الآلهة نصر عابديها ولا أنفسهم ينصرون، والمشركون وآلهتهم جميعاً محضرون في العذاب، متبرئ بعضهم من بعض. قوله تعالى: {لَا يَسْتَطِيعُونَ نصرَهُمْ} [يس : ٧٥]، أي: "لا تستطيع تلك الآلهة نصر عابديها ولا أنفسهم ينصرون"<sup>(٤)</sup>. قال السدي: "لا تستطيع الآلهة نصرهم"<sup>(٥)</sup>. قال مقاتل: "لا تقدر الآلهة أن تمنعهم من العذاب"<sup>(٦)</sup>. قال الزجاج: "أي: هم للأصنام ينتصرون، والأصنام لا تستطيع نصرهم"<sup>(٧)</sup>. قال الطبري: يقول: "لا تستطيع هذه الآلهة نصرهم من الله إن أراد بهم سوءاً، ولا تدفع عنهم ضراً"<sup>(٨)</sup>. قال ابن كثير: "أي: لا تقدر الآلهة على نصر عابديها، بل هي أضعف من ذلك وأقل وأذل وأحق وأدخر، بل لا تقدر على الانتصار لأنفسها، ولا الانتقام ممن أرادها بسوء؛ لأنها جماد لا تسمع ولا تعقل"<sup>(٩)</sup>. قوله تعالى: {وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ} [يس : ٧٥]، أي: "والمشركون وآلهتهم جميعاً محضرون في العذاب، متبرئ بعضهم من بعض"<sup>(١٠)</sup>. قال الطبري: "يقول: وهؤلاء المشركون لآلهتهم جند محضرون"<sup>(١١)</sup>. قال ابن كثير: "يريد أن هذه الأصنام محشورة مجموعة يوم القيامة، محضرة عند حساب عابديها؛ ليكون ذلك أبلغ في خزيهم، وأدل عليهم في إقامة الحجة عليهم"<sup>(١٢)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ٥٥٢ / ٢٠.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٩٣ / ٦.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٥ / ٣.

(٤) التفسير الميسر: ٤٤٥.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١١٦): ص ٣٢٠١ / ١٠.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٥ / ٣.

(٧) معاني القرآن: ٢٩٥ / ٤.

(٨) تفسير الطبري: ٥٥٢ / ٢٠.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥٩٣ / ٦.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٤٥.

(١١) تفسير الطبري: ٥٥٢ / ٢٠.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٥٩٣ / ٦.

واختلف أهل العلم في قوله تعالى: {وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحَضَّرُونَ} [يس: ٧٥]، على أقوال: أحدها: محضرون عند الحساب، قاله مجاهد<sup>(١)</sup>. الثاني: محضرون في النار، قاله الحسن<sup>(٢)</sup>. قال الحسن: "هم لهم جند في الدنيا وهم محضرون في النار"<sup>(٣)</sup>. قال السمعاني: "وهو أنه يدعى بكل معبود عبد من دون الله، فيجاء به ومعه أتباعه، والذين عبده كأنهم جنده، فيحضرون النار، ومعناه: يدخلونها"<sup>(٤)</sup>. الثالث: محضرون للدفع عنهم والمنع منهم، قاله الحسن-في رواية أخرى-<sup>(٥)</sup>. الرابع: المعنى: وهم لهم جند محضرون في الدنيا يغضبون لهم. وهذا قول قتادة<sup>(٦)</sup>. قال قتادة: "المشركون يغضبون للآلهة في الدنيا، وهي لا تسوق إليهم خيراً، ولا تدفع عنهم سوءاً، إنما هي أصنام"<sup>(٧)</sup>. وقال مقاتل: "يقول: كفار مكة للآلهة حزب يغضبون لها ويحضرونها في الدنيا"<sup>(٨)</sup>. قال الطبري: "وهذا الذي قاله قتادة أولى القولين<sup>(٩)</sup> عندنا بالصواب في تأويل ذلك، لأن المشركين عند الحساب تنبراً منهم الأصنام، وما كانوا يعبدونه، فكيف يكونون لها جندا حينئذ، ولكنهم في الدنيا لهم جند يغضبون لهم، ويقاثلون دونهم"<sup>(١٠)</sup>.

## القرآن

{فَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ} [يس: ٧٦]

التفسير:

فلا يحزنك -أيها الرسول- كفرهم بالله وتكذيبهم لك واستهزاؤهم بك؛ إنا نعلم ما يخفون، وما يظهرون، وسنجازيهم على ذلك. قوله تعالى: {فَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ} [يس: ٧٦]، أي: "فلا يحزنك -أيها الرسول- كفرهم بالله وتكذيبهم لك واستهزاؤهم بك"<sup>(١١)</sup>. قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فلا يحزنك يا محمد قول هؤلاء المشركين بالله من قومك لك: إنك شاعر، وما جئتنا به شعر، ولا تكذيبهم بآيات الله وجحودهم نبوتك"<sup>(١٢)</sup>. قال السمعاني: "أي: قولهم فيك إنه ساحر أو كاذب أو شاعر"<sup>(١٣)</sup>. قال ابن كثير: "أي: تكذيبهم لك وكفرهم بالله"<sup>(١٤)</sup>. قال مقاتل: "كفار مكة"<sup>(١٥)</sup>.

(١) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٢ / ٢٠.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨١١٨): ص ٣٢٠٢ / ١٠.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١١٨): ص ٣٢٠٢ / ١٠.

(٤) تفسير السمعاني: ٣٨٨ / ٤. [بتصرف]

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨١١٩): ص ٣٢٠٢ / ١٠.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٢ / ٢٠.

(٧) أخرجه الطبري: ٥٥٢ / ٢٠.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٥ / ٣.

(٩) هو ذكر في تفسيره، قولين فقط.

(١٠) تفسير الطبري: ٥٥٣ / ٢٠.

(١١) التفسير الميسر: ٤٤٥.

(١٢) تفسير الطبري: ٥٥٣ / ٢٠.

(١٣) تفسير السمعاني: ٣٨٨ / ٤.

(١٤) تفسير ابن كثير: ٥٩٣ / ٦.

(١٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٥ / ٣.



قوله تعالى: {إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ} [يس: ٧٦]، أي: "إنا نعلم ما يخفون، وما يظهرون، وسنجازيهم على ذلك"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: "إنا نعلم أن الذي يدعوهم إلى قيل ذلك الحسد، وهم يعلمون أن الذي جنتهم به ليس بشعر، ولا يشبه الشعر، وأنك لست بكذاب، فنعلم ما يسرون من معرفتهم بحقيقة ما تدعوهم إليه، وما يعلنون من جحودهم ذلك بألسنتهم علانية"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: نحن نعلم جميع ما هم عليه، وسنجزئهم وصفتهم ونعاملهم على ذلك، يوم لا يفقدون من أعمالهم جليلاً ولا حقيراً، ولا صغيراً ولا كبيراً، بل يعرض عليهم جميع ما كانوا يعملون قديماً وحديثاً"<sup>(٣)</sup>.

قال مقاتل: "ما يسرون: من التكذيب، وما يعلنون: يظهر من القول بألسنتهم"<sup>(٤)</sup>.  
فوائد الآيات: [٦٩-٧٦]:

- ١- تقرير النبوة المحمدية وأن القرآن ذكر وليس شعر كما يقول المبطلون.
- ٢- الحكمة من نزول القرآن هي أن ينذر به الرسول الأحياء من أهل الإيمان.
- ٣- بيان خطأ الذين يقرأون القرآن على الأموات ويتركون الأحياء لا يقرأونه عليهم وعظاً لهم وإرشاداً وتعليماً وتذكيراً.
- ٤- وجوب ذكر النعم وشكرها بالاعتراف بها، وصرافها في مرضاة واهبها وحمده عليها.
- ٥- بيان سخف المشركين في عبادتهم أصناماً يرجون نصرتها وهم جند معبأ لنصرتها من أن يمسخها أحد بسوء.

## القرآن

{أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ} (٧٧) [يس: ٧٧]

التفسير:

أو لم ير الإنسان المنكر للبعث ابتداء خلقه فيستدل به على معاده، أنا خلقناه من نطفة مرتت بأطوار حتى كبر، فإذا هو كثير الخصام واضح الجدل؟

في سبب نزول هذه الآية والتي بعدها، أقوال:

أحدها: أنها نزلت في «أبي بن خلف الجمحي» أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- يجادله في بعث الموتى، قاله عروة بن الزبير<sup>(٥)</sup>، مجاهد<sup>(٦)</sup>، وعكرمة<sup>(٧)</sup>، وقتادة<sup>(٨)</sup>، والسدي<sup>(٩)</sup>.

قال ابن الجوزي: وهذا قول: "الجمهور، وعليه المفسرون"<sup>(١٠)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٤٥.

(٢) تفسير الطبري: ٥٥٣ / ٢٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٩٣ / ٦.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٥ / ٣.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨١٢٤): ص ٣٢٠ / ٣ / ١٠.

قال عروة: "لما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم إن الناس يحاسبون بأعمالهم، ومبعوثون يوم القيامة، أنكروا ذلك إنكاراً شديداً فعمد أبي بن خلف إلى عظم حائل قد نخر ففته، ثم ذراه في الريح ثم قال: يا محمد، إذا بليت عظامنا إنا لمبعوثون خلقاً جديداً؟ فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من استقباله إياه بالتكذيب والأذى في وجهه وجداً شديداً، فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم: {قل يحييها الذي أنشأها أول مرة}."

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٣ - ٥٥٤ / ٢٠.

(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨١٢٣): ص ٣٢٠ / ٢ / ١٠.

قال عكرمة: "جاء أبي بن خلف إلى النبي صلى الله عليه وسلم وفي يده عظم حائل فقال: يا محمد، أنى يحيي الله هذا؟ فأنزل الله: {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ}، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خلقها قبل أن أعجب من إحيائها وقد كانت»."

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٤ / ٢٠.

(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨١٢٢): ص ٣٢٠ / ٢ / ١٠.

(١٠) زاد المسير: ٥٣٣ / ٣.

قال مجاهد: "أبي بن خلف جاء بعظم، فقال: يا محمد، أتعدنا إنا إذا متنا فكنا مثل هذا العظم البالي في يده ففته، وقال: من يحيينا إذا كنا مثل هذا؟" (١).

قال قتادة: "ذكر لنا أن أبي بن خلف، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حائل، ففته، ثم ذراه في الريح، ثم قال: يا محمد من يحيي هذا وهو رميم؟ قال: «والله يحييه، ثم يميته، ثم يدخلك النار»؛ قال: فقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد" (٢).

قال السدي: "نزلت في أبي بن خلف أتى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه عظم قد دثر، فجعل يفته بين أصابعه ويقول: يا محمد، أنت الذي تحدث أن هذا سيحيا بعد ما قد بلى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم، ليميتن الآخر، ثم ليحيينه ثم ليدخلنه النار»" (٣).

الثاني: أنها نزلت في «العاص بن وائل» أخذ عظماً من البطحاء ففته بيده ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أيحيي الله هذا بعدما أرم؟ فقال رسول الله (٤): «نعم ويميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم»، فنزلت هذه الآيات فيه، قاله ابن عباس-في رواية- (٥)، وسعيد بن جبير (٦).

الثالث: أنها نزلت في «عبد الله بن أبي»، أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم حائل فكسره بيده، ثم قال: يا محمد كيف يبعث الله هذا وهو رميم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يبعث الله هذا، ويميتك ثم يدخلك جهنم، فقال الله: {قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم}. قاله ابن عباس-في رواية أخرى عنه- (٧).

والظاهر-والله أعلم- أن الخبر ورد في شأن العاص وابن خلف من وجوه متساوية، فأصل الخبر محفوظ، وإن كان اضطرب المفسرون في تعيين أحدهما.

قوله تعالى: {أولم يرَ الإنسانُ أنا خلقناه مِن نُّطْفَةٍ} [يس: ٧٧]، أي: "أو لم ير الإنسان المنكر للبعث ابتداء خلقه فيستدل به على معاده، أنا خلقناه من نطفة مرّت بأطوار حتى كبر" (٨).

قال الطبري: يقول: "أو لم ير هذا الإنسان الذي يقول {من يحيي العظام وهي رميم} أنا خلقناه من نطفة فسويناه خلقاً سوياً" (٩).

قال السعدي: "هذه الآيات الكريّمات، فيها ذكر شبهة منكري البعث، والجواب عنها بآتم جواب وأحسنه وأوضحه، فقال تعالى: {أولم يرَ الإنسانُ} المنكر للبعث والشاك فيه، أمرا يفيد اليقين التام بوقوعه، وهو ابتداء خلقه {مِن نُّطْفَةٍ} ثم تنقله في الأطوار شيئاً فشيئاً، حتى كبر وشب، وتم عقله واستتب" (١٠).

اختلف أهل العلم في الإنسان الذي عني بقوله: {أولم يرَ الإنسانُ أنا خلقناه مِن نُّطْفَةٍ} [يس: ٧٧]، على خمسة أقوال:

أحدها: عني به أبي بن خلف. قاله مجاهد (١١)، وقاتادة (١٢)، والسدي (١٣).

الثاني: أنه العاص بن وائل السهمي. قاله ابن عباس-في رواية- (١)، وسعيد بن جبير (٢).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٢١): ص ٣٢٠٢/١٠.

(٢) أخرجه الطبري ٥٥٤ / ٢٠.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٢٢): ص ٣٢٠٢/١٠.

(٤) .

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨١٢٠): ص ٣٢٠٢/١٠.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٤ / ٢٠.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٤ / ٢٠. أخرجه بسند فيه مجاهيل عن عطية العوفي، وهو واه عن ابن عباس، وهذا باطل لأن السورة مكية باجماع، وعبد الله بن أبي ابن سلول إنما كانت أخباره في العهد المدني.

وقال ابن كثير ٥٩٤/٦: "وهذا منكر؛ لأن السورة مكية، وعبد الله بن أبي ابن سلول إنما كان بالمدينة".

(٨) التفسير الميسر: ٤٤٥.

(٩) تفسير الطبري: ٥٥٥ / ٢٠.

(١٠) تفسير السعدي: ٦٩٩.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٤-٥٥٣ / ٢٠.

(١٢) انظر: تفسير الطبري ٥٥٤ / ٢٠.

(١٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨١٢٢): ص ٣٢٠٢/١٠.

الثالث: أنه أبو جهل بن هشام، وأن هذه القصة جرت له، رواه الضحاك عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>.  
الرابع: أنه أمية بن خلف، قاله الحسن<sup>(٤)</sup>.

الخامس: أنه عبد الله بن أبي. قاله ابن عباس في رواية أخرى عنه<sup>(٥)</sup>.

قال ابن كثير: "وهذا منكر؛ لأن السورة مكية، وعبد الله بن أبي بن سلول إنما كان بالمدينة. وعلى كل تقدير سواء كانت هذه الآيات قد نزلت في أبي بن خلف، أو في العاص بن وائل، أو فيهما، فهي عامة في كل مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ. والألف واللام في قوله: {أَوْلَمْ يَرَ الْإِنْسَانَ} للجنس، يعم كل منكر للبعث"<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: {فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ} [يس: ٧٧]، أي: "فإذا هو كثير الخصام واضح الجدل"<sup>(٧)</sup>.

عن الحسن: "أنه المشرك. قال وهو كقوله: {أَوْلَمْ يَرَ الْإِنْسَانَ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نَظْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ} {٧٧} وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم {٧٨} { [يس: ٧٧-٧٨] "<sup>(٨)</sup>.

قال الطبري: "يقول: فإذا هو ذو خصومة لربه، يخاصمه فيما قال له ربه إني فاعل، وذلك إخبار الله إياه أنه محيي خلقه بعد مماتهم، فيقول: من يحيي هذه العظام وهي رميم؟ إنكارا منه لقدرة الله على إحيائها، وقوله {مُبِينٌ}، يقول: يبين لمن سمع خصومته وقيله ذلك أنه مخاصم ربه الذي خلقه"<sup>(٩)</sup>.

قال الواحدي: "يعني: ألا يرى أنه مخلوق من نطفة، ثم هو يخاصم! وهذا تعجيب من جهله، وإنكار عليه خصومته، أي: كيف لا يتفكر في بدء خلقه حتى يدع خصومته"<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: أولم يستدل مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ بالبده على الإعادة، فإن الله ابتداء خلق الإنسان من سلاله من ماء مهين، فخلقه من شيء حقير ضعيف مهين، كما قال تعالى: { أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ \* فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ \* إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ } [المرسلات: ٢٠ - ٢٢]. وقال { إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ } [الإنسان: ٢] أي: من نطفة من أخلاط متفرقة، فالذي خلقه من هذه النطفة الضعيفة أليس بقادر على إعادته بعد موته؟ "<sup>(١١)</sup>.

قال السعدي: "وليعلم أن الذي أنشأه من العدم، قادر على أن يعيده بعد ما تفرق وتمزق، من باب أولى"<sup>(١٢)</sup>.

قال الزمخشري: "قبح الله عز وجل إنكارهم البعث تقبيحا لا ترى أعجب منه وأبلغ، وأدل على تمادى كفر الإنسان وإفراطه في جحود النعم وعقوق الأيادي، وتوغله في الخسة وتغلغله في القحة"<sup>(١٣)</sup>، حيث قرره بأن عنصره الذي خلقه منه هو أخس شيء وأمهنه، وهو النطفة المذرة الخارجة من الإحليل الذي هو قناة النجاسة، ثم عجب من حاله بأن يتصدى مثله

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨١٢٠): ص ٣٢٠٢/١٠.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٤ / ٢٠.

(٣) انظر: زاد المسير: ٥٣٣/٣. ضعيف جدا. عزاه ابن الجوزي للضحاك عن ابن عباس، والضحاك لم يلق ابن عباس، ورواية الضحاك هو جويبر بن سعيد، وهو متروك.

(٤) انظر: زاد المسير: ٥٣٣/٣. وهذا مرسل، ومراسيل الحسن واهية.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٤ / ٢٠.

(٦) تفسير ابن كثير: ٥٩٤/٦.

(٧) التفسير الميسر: ٤٤٥.

(٨) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٠/١.

(٩) تفسير الطبري: ٥٥٥ / ٢٠.

(١٠) التفسير الوسيط: ٥٢٠/٣.

(١١) تفسير ابن كثير: ٥٩٤/٦.

(١٢) تفسير السعدي: ٦٩٩.

(١٣) في الصحاح: وقح الرجل قحة ووقاحة، إذا صار قليل الحياء.

على مهانة أصله ودناءة أوله لمخاصمة الجبار، وشرز صفحته<sup>(١)</sup> لمجادلته، ويركب متن الباطل ويلج، ويمحك ويقول: من يقدر على إحياء الميت بعد ما رمت عظامه، ثم يكون خصامه في ألزم وصف له وألصقه به، وهو كونه منشأ من موات، وهو ينكر إنشائه من موات، وهي المكابرة التي لا مطمح وراءها"<sup>(٢)</sup>.

عن بُسْرِ ابن جَحَّاش ؛ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بَصِقَ يوماً في كَفِّهِ ، فوضع عليها أصبعه ، ثم قال : "قال الله تعالى : ابن آدم ، أتى تُعْجِزني وقد خلقتك من مثل هذه ، حتى إذا سَوَّيْتُكَ وَعَدَلْتُكَ ، مشيت بين برديك وللأرض منك وئيد ، فجمعت ومنعت ، حتى إذا بَلَغْتَ التراقي قلت : أتصدق وأتى أوان الصدقة؟"<sup>(٣)</sup>.

## القرآن

{وَضْرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) [يس : ٧٨]}

التفسير:

وضرب لنا المنكر للبعث مثلاً لا ينبغي ضربه، وهو قياس قدرة الخالق بقدرة المخلوق، ونسي ابتداء خلقه، قال: مَنْ يَحْيِي العظام البالية المتفتتة؟

قوله تعالى: {وَضْرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ} [يس : ٧٨]، أي: "وضرب لنا المنكر للبعث مثلاً لا ينبغي ضربه، وهو قياس قدرة الخالق بقدرة المخلوق، ونسي ابتداء خلقه"<sup>(٤)</sup>. قال الطبري: "يقول: ومثل لنا شبيها بقوله: {من يحيي العظام وهي رميم}، ونسي خلقنا"<sup>(٥)</sup>.

قال الواحدي: "يعني: أنه ضرب المثل في إنكار البعث بالعظم البالي، يفته بيده، ويتعجب ممن يقول: إن الله يحييه، {ونسي خلقه}"<sup>(٦)</sup>.

قال يحيى: "ونسي خلقه": وقد علم أنا خلقناه، أي: فكما خلقناه فكذلك نعيده"<sup>(٧)</sup>. قال ابن كثير: "أي: استبعد إعادة الله تعالى - ذي القدرة العظيمة التي خلقت السموات والأرض - للأجساد والعظام الرميمة، ونسي نفسه، وأن الله خلقه من العدم، فعلم من نفسه ما هو أعظم مما استبعده وأنكره وجحدته"<sup>(٨)</sup>.

قال السعدي: "لا ينبغي لأحد أن يضربه، وهو قياس قدرة الخالق بقدرة المخلوق، وأن الأمر المستبعد على قدرة المخلوق مستبعد على قدرة الخالق"<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: {قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ} [يس : ٧٨]، أي: "وقال هذا المنكر للبعث: مَنْ يَحْيِي العظام البالية المتفتتة؟"<sup>(١٠)</sup>.

قال الطبري: "يقول: فجعلنا كمن لا يقدر على إحياء ذلك من الخلق"<sup>(١١)</sup>. قال الواحدي: "قاس قدرة الله بقدرة الخلق، فأنكر إحياء العظم البالي لما لم يكن ذلك في مقدور الخلق"<sup>(١٢)</sup>.

(١) في الصحاح «الشرز» الشرس، وهو الغلظ. والمحك: اللجاج.

(٢) الكشاف: ٣٠/٤.

(٣) المسند (٣١٠/٤) وسنن ابن ماجه برقم (٢٧٠٧) وقال البوصيري في الزوائد (٣٦٤/٢) : "إسناد حديثه صحيح ورجاله ثقات".

(٤) التفسير الميسر: ٤٤٥.

(٥) تفسير الطبري: ٥٥٥ / ٢٠.

(٦) التفسير الوسيط: ٥٢٠/٣.

(٧) تفسير يحيى بن سلام: ٨٢٠/٢.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٩٤/٦.

(٩) تفسير السعدي: ٦٩٩.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٤٥.

(١١) تفسير الطبري: ٥٥٥ / ٢٠.

(١٢) التفسير الوسيط: ٥٢٠/٣.

قال السعدي: "أي: هل أحد يحييها؟ استفهام إنكار، أي: لا أحد يحييها بعد ما بليت وتلاشت. هذا وجه الشبهة والمثل، وهو أن هذا أمر في غاية البعد على ما يعهد من قدرة البشر، وهذا القول الذي صدر من هذا الإنسان غفلة منه، ونسيان لابتداء خلقه، فلو فطن لخلقته بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً فوجد عياناً، لم يضرب هذا المثل"<sup>(١)</sup>.

## القرآن

**{قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) [يس : ٧٩]}**

التفسير:

قل له: يحييها الذي خلقها أول مرة، وهو بجميع خلقه عليم، لا يخفى عليه شيء. قوله تعالى: {قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ} [يس : ٧٩]، أي: "قل له: يحييها الذي خلقها أول مرة"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: "يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم {قل} لهذا المشرك: يحييها الذي ابتدع خلقها أول مرة ولم تكن شيئاً"<sup>(٣)</sup>. قوله تعالى: {وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} [يس : ٧٩]، أي: "وهو بجميع خلقه عليم، لا يخفى عليه شيء"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن عباس: "يريد حين ابتدأه وحين يعيده"<sup>(٥)</sup>. قال مقاتل: "عليم بخلقهم في الدنيا، عليم بخلقهم في الآخرة بعد الموت خلقاً جديداً"<sup>(٦)</sup>. قال الطبري: "يقول: وهو بجميع خلقه ذو علم كيف يميت، وكيف يحيي، وكيف يبديء، وكيف يعيد، لا يخفى عليه شيء من أمر خلقه"<sup>(٧)</sup>. قال ابن كثير: "أي: يعلم العظام في سائر أقطار الأرض وأرجائها، أين ذهبت، وأين تفرقت وتمزقت"<sup>(٨)</sup>.

قال السعدي: "هذا أيضا دليل ثان من صفات الله تعالى، وهو أن علمه تعالى محيط بجميع مخلوقاته في جميع أحوالها، في جميع الأوقات، ويعلم ما تنقص الأرض من أجساد الأموات وما يبقى، ويعلم الغيب والشهادة، فإذا أقر العبد بهذا العلم العظيم، علم أنه أعظم وأجل من إحياء الله الموتى من قبورهم"<sup>(٩)</sup>.

عن رُبَيْعٍ قَالَ : قَالَ عَقِبَةُ بْنُ عَمْرٍو لِحَدِيفَةَ : أَلَا تَحَدَّثُنَا مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالَ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ : «إِنَّ رَجُلًا حَضَرَهُ الْمَوْتُ ، فَلَمَّا أَيْسَ مِنَ الْحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ : إِذَا أَنَا مِتُّ فَاجْمَعُوا لِي حَطْبًا كَثِيرًا جَزَلًا ثُمَّ أَوْقِدُوا فِيهِ نَارًا ، حَتَّى إِذَا أَكَلْتَ لَحْمِي وَخَلَصْتَ إِلَى عَظْمِي فَامْتَحِشْنِي ، فَخَذُوها فَدَقُّوها فَذَرُّوها فِي الْيَمِّ . فَفَعَلُوا ، فَجَمَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ : لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : مِنْ خَشْيَتِكَ . فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ .» فَقَالَ عَقِبَةُ بْنُ عَمْرٍو : وَأَنَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ ذَلِكَ ، وَكَانَ نَبَأَنَا"<sup>(١٠)</sup>.

## القرآن

(١) تفسير السعدي: ٦٩٩.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤٥.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠ / ٥٥٥.

(٤) التفسير الميسر: ٤٤٥.

(٥) علقه الواحدي في "التفسير البسيط": ١٨ / ٥٢٧.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان ٣ / ٥٨٦.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠ / ٥٥٥.

(٨) تفسير ابن كثير: ٦ / ٥٩٤.

(٩) تفسير السعدي: ٦٩٩.

(١٠) المسند (٣٩٥/٥)، وانظر: صحيح البخاري برقم (٦٤٨٠) وصحيح مسلم برقم (٢٧٥٦)، بالفاظ كثيرة.

{الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠)} [يس : ٨٠] :  
التفسير:

الذي أخرج لكم من الشجر الأخضر الرطب ناراً محرقة، فإذا أنتم من الشجر توقدون النار، فهو القادر على إخراج الضد من الضد. وفي ذلك دليل على وحدانية الله وكمال قدرته، ومن ذلك إخراج الموتى من قبورهم أحياء.

قوله تعالى: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا} [يس : ٨٠]، أي: "الذي أخرج لكم من الشجر الأخضر الرطب ناراً محرقة"<sup>(١)</sup>.

قال قتادة: "يقول: الذي أخرج هذه النار من هذا الشجر قادر أن يبعثه"<sup>(٢)</sup>.

قال مقاتل: "فالذي يخرج من الشجر الأخضر النار فهو قادر على البعث"<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: "يقول: الذي أخرج لكم من الشجر الأخضر ناراً تحرق الشجر، لا يمتنع عليه فعل ما أراد، ولا يعجز عن إحياء العظام التي قد رمت، وإعادتها بشراً سوياً، وخلقاً جديداً، كما بدأها أول مرة"<sup>(٤)</sup>.

قال الواحدي: "يعني: ما جعل من النار في المرخ والقفار، وهما شجرتان تتخذ الأعراب زنودها منها"<sup>(٥)</sup>.

قال السعدي: "فإذا أخرج النار اليابسة من الشجر الأخضر، الذي هو في غاية الرطوبة، مع تضادهما وشدة تخالفهما، فأخراجه الموتى من قبورهم مثل ذلك"<sup>(٦)</sup>.

قال ابن كثير: "أي : الذي بدأ خلق هذا الشجر من ماء حتى صار خَضْرًا نَضْرًا ذا ثمر وَيَنَع ، ثم أعاده إلى أن صار حطباً يابساً، توقد به النار ، كذلك هو فعال لما يشاء ، قادر على ما يريد لا يمنعه شيء، وقيل : المراد بذلك سَرْحَ المرخ والعَقَار ، ينبت في أرض الحجاز فيأتي من أراد قُدْحَ نارٍ وليس معه زناد ، فيأخذ منه عودين أخضرين ، ويقدح أحدهما بالأخر ، فتتولد النار من بينهما ، كالزناد سواء، روي هذا عن ابن عباس<sup>(٧)</sup>، رضي الله عنهما.

وفي المثل : لكل شجر نار ، واستمجد المرخ والعَقَار<sup>(٨)</sup>.

وقال الحكماء : في كل شجر نار إلا الغاب"<sup>(٩)</sup>.

قال القرطبي: "دل على كمال قدرته في إحياء الموتى بما يشاهدونه من إخراج المحرق اليابس من العود الندي الرطب. وذلك أن الكافر قال: النطفة حارة رطبة بطبع حياة فخرج منها الحياة، والعظم بارد يابس بطبع الموت فكيف تخرج منه الحياة! فأنزل الله تعالى: {الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً}، أي: إن الشجر الأخضر من الماء والماء بارد رطب ضد النار وهما لا يجتمعان، فأخرج الله منه النار، فهو القادر على إخراج الضد من الضد، وهو على كل شيء قدير"<sup>(١٠)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٢٢/٣.

(٢) أخرجه الطبري: ك ٥٥٦ / ٢٠.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٦/٣.

(٤) تفسير الطبري: ٥٥٦ / ٢٠.

(٥) التفسير الوسيط: ٥٢٠/٣.

(٦) تفسير السعدي: ٦٩٩.

(٧) وحكاه عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٣٧/٨. وذكره البغوي في "التفسير": ٢٩ / ٦.

قال عبد الله بن عباس: " {الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا} هما شجرتان، يُقال لأحدهما: المرخ، وللأخرى: العفار، فمن أراد منهم النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء، فيسحق المرخ على العفار، فيخرج منها النار -بإذن الله - عز وجل -". [تفسير الثعلبي ١٣٧ / ٨، وتفسير البغوي ٢٩ / ٦]

(٨) مجمع الأمثال للميداني برقم (٢٧٥٢).

(٩) تفسير ابن كثير: ٥٩٥/٦.

(١٠) تفسير القرطبي: ٥٩/١٥.



قال السعدي: " {بلى} قادر على ذلك، فإن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس. {وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ} وهذا دليل خامس، فإنه تعالى الخلاق، الذي جميع المخلوقات، متقدمها ومتأخرها، صغيرها وكبيرها، كلها أثر من آثار خلقه وقدرته، وأنه لا يستعصي عليه مخلوق أراد خلقه، فأعادته للأموات، فرد من أفراد آثار خلقه" (١).

قال البيضاوي: " {بلى}، جواب من الله تعالى لتقرير ما بعد النفي مشعر بأنه لا جواب سواه. {وهو الخلاق العليم}: كثير المخلوقات والمعلومات" (٢).  
عن قتادة، قوله: " {أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر}، قال: هذا مثل" (٣).

## القرآن

**{إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢)} [يس: ٨٢]**

التفسير:

إنما أمره سبحانه وتعالى إذا أراد شيئاً أن يقول له: «كن» فيكون، ومن ذلك الإمامة والإحياء، والبعث والنشور.

قال مقاتل: "أمر البعث وغيره أن يقول له مرة واحدة {كن فيكون}، لا يثني قوله" (٤).  
قال السعدي: "أي: في الحال من غير تمنع، و{شئياً} نكرة في سياق الشرط، فتعم كل شيء" (٥).

عن قتادة: قوله: " {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}، قال: ليس من كلام العرب أهون ولا أخف من ذلك فأمر الله كذلك" (٦).

قال ابن كثير: "أي: يأمر بالشيء أمراً واحداً، لا يحتاج إلى تكرار" (٧).

إذا ما أراد الله أمراً فإِنَّمَا... يَقُولُ لَهُ "كُنْ" قَوْلُهُ فَيَكُونُ" (٨).

قال الطنطاوي: " : إنما شأنه- سبحانه- في إيجاد الشيء، أنه إذا أراد إحداثه، أن يقول له كن، أي: كن موجوداً فيكون، أي: فهذا الشيء يكون ويوجد في الحال" (٩).

قال البيضاوي: " هذا تمثيل لتأثير قدرته في مراده بأمر المطاع للمطيع في حصول المأمور من غير امتناع وتوقف وافتقار إلى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعاً لمادة الشبهة، وهو قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق" (١٠).

عن الضحاك قال: " {فإنما يقول له كن فيكون}، وهذا من لغة الأعاجم. وهي بالعبرية: أصنع" (١١).

عن ابن عباس: " يقول له: كن فيكون، قال: فهو خلق الإنسان" (١٢).

عن مجاهد: {ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة} [لقمان: ٢٨] قال: " يقول: القليل والكثير عليه سواء، إنما يقول له: كن فيكون" (١٣).

(١) تفسير السعدي: ٦٩٩.

(٢) تفسير البيضاوي: ٢٧٤/٤-٢٧٥.

(٣) أخرجه الطبري: ٥٥٧/٢٠، وابن أبي حاتم (١٨١٢٥): ص ٣٢٠٣/١٠.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٧/٣.

(٥) تفسير السعدي: ٦٩٩.

(٦) أخرجه الطبري: ٥٥٧/٢٠، وابن أبي حاتم (١٨١٢٥): ص ٣٢٠٣/١٠.

(٧) من شواهد ابن كثير في التفسير: ٥٩٦/٦.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٩٦/٦.

(٩) التفسير الوسيط: ٥٨/١٢.

(١٠) تفسير البيضاوي: ٢٧٥/٤.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٣٨): ص ٢١٥/١.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٣٩): ص ٢١٥/١.

(١٣) تفسير مجاهد: ٥٤٣.



عن محمد بن إسحاق، في قوله تعالى: {قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون}، قال: "إذا  
قضى أمرا يقول: مما يشاء. وكيف فيكون كما أراد"<sup>(١)</sup>.

عن أبي ذر، رضي الله عنه، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله يقول:  
يا عبادي، كلكم مذنب إلا من عافيت، فاستغفروني أغفر لكم. وكلكم فقير إلا من أغنيت، إني  
جواد ماجد واجد أفعل ما أشاء، عطائي كلام، وعذابي كلام، إذا أردت شيئا فإنما أقول له كن  
فيكون"<sup>(٢)</sup>.

قرأ ابن عامر والكسائي {فيكون} نصب نسقا على قوله: {أن يقول له كن فيكون}، وقرأ  
الباقون {فيكون} رفعا على تقدير: فهو يكون"<sup>(٣)</sup>.

## القرآن

{فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣)} [يس: ٨٣]

التفسير:

فنتزه الله تعالى وتقدس عن العجز والشرك، فهو المالك لكل شيء، المتصرف في شؤون خلقه  
بلا منازع أو ممانع، وقد ظهرت دلائل قدرته، وتمايم نعمته، وإليه ترجعون للحساب والجزاء.

قوله تعالى: {فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ} [يس: ٨٣]، أي: "تنزهه وتمجد عن  
صفات النقص الإله العظيم الجليل، الذي بيده الملك الواسع، والقدرة التامة على كل الأشياء"<sup>(٤)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: فتنزيه الذي بيده ملك كل شيء وخزائنه"<sup>(٥)</sup>.

قال الواحدي: "نزه نفسه من أن يوصف بغير القدرة، فقال: {فسبحان الذي بيده ملكوت  
كل شيء}، أي: ملك كل شيء، والقدرة على كل شيء"<sup>(٦)</sup>.

قال الزمخشري: "فسبحان}، تنزيه له مما وصفه به المشركون، وتعجيب من أن يقولوا  
فيه ما قالوا، {بيده ملكوت كل شيء}، هو مالك كل شيء والمتصرف فيه بمواجب مشيئته  
وقضايا حكمته"<sup>(٧)</sup>.

قال البيضاوي: "تنزيه عما ضربوا له، وتعجيب عما قالوا فيه معللا بكونه مالكا للأمر  
كله قادرا على كل شيء"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: تنزيه وتقديس وتبرئة من سوء للحي القيوم، الذي بيده مقاليد  
السموات والأرض، وإليه يرجع الأمر كله، وله الخلق والأمر، قال ابن كثير: أي: "وإليه  
ترجع العباد يوم القيامة، فيجازي كل عامل بعمله، وهو العادل المتفضل.. ومعنى  
قوله: {فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ} كقوله عز وجل: {قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ} [المؤمنون: ٨٨]، وكقوله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ} [الملك: ١]، فالملك والملكوت  
واحد في المعنى، كرحمة ورحموت، ورهبة ورهبوت، وجبر وجبروت. ومن الناس من زعم  
أن الملك هو عالم الأجساد والملكوت هو عالم الأرواح، والأول هو الصحيح، وهو الذي عليه  
الجمهور من المفسرين وغيرهم"<sup>(٩)</sup>.

قال السمعاني: "ملكوت كل شيء} أي: ملك كل شيء"<sup>(١٠)</sup>.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٣٧): ص ٢١٤/١.

(٢) المسند (١٧٧/٥).

(٣) انظر: حجة القراءات: ٦-٣-٦٠٤.

(٤) صفوة التفاسير: ٢٢/٣.

(٥) تفسير الطبري: ٥٥٧/٢٠.

(٦) التفسير الوسيط: ٥٢٠/٣.

(٧) الكشف: ٣٢/٤.

(٨) تفسير البيضاوي: ٢٧٥/٤.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥٩٦/٦.

(١٠) تفسير السمعاني: ٣٩٠/٤.

قال قتادة: " {مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ} : مفاتيح كل شيء" (١).

قال مجاهد: " يعني: «خزائن كل شيء»" (٢).

قال عطاء: ملك كل شيء" (٣).

قال النحاس: " ملكوتي وملكوت -في كلام العرب- بمعنى: ملك، والعرب تقول:

«جبروتي خير من رحموتي»" (٤).

عن ابن عم لحذيفة ، عن حذيفة - وهو ابن اليمان - رضي الله عنه ، قال : قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ، فقرأ السبع الطويل في سبع ركعات ، وكان إذا رفع رأسه من الركوع قال : «سمع الله لمن حمده». ثم قال : "الحمد لذي الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة». وكان ركوعه مثل قيامه ، وسجوده مثل ركوعه ، فأنصرف وقد كادت تنكسر رجلاي" (٥).

وروي عن حذيفة ؛ أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل ، وكان يقول : «الله أكبر - ثلاثاً - ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة». ثم استفتح فقرأ البقرة ، ثم ركع فكان ركوعه نحواً من قيامه ، وكان يقول في ركوعه : «سبحان ربي العظيم». ثم رفع رأسه من الركوع ، فكان قيامه نحواً من ركوعه ، يقول : «لربي الحمد». ثم سجد ، فكان سجوده نحواً من قيامه ، وكان يقول في سجوده : «سبحان ربي الأعلى». ثم رفع رأسه من السجود ، وكان يقعد فيما بين السجدين نحواً من سجوده ، وكان يقول : «رب ، اغفر لي ، رب اغفر لي». فصلى أربع ركعات ، فقرأ فيهن البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة - أو الأنعام - - شك شعبة -" (٦).

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ تُرْجَعُونَ} [يس : ٨٣] ، أي: " وإليه وحده مرجع الخلائق للحساب والجزاء" (٧).

قال أبو العالية: " ترجعون إليه بعد الحياة" (٨).

قال الطبري: " يقول: وإليه تردون وتصيرون بعد مماتكم" (٩).

قال الواحدي: أي: " تردون بعد الموت" (١٠).

قال مقاتل: " إلى الله- عز وجل- بعد الموت لتكذيبهم" (١١).

قال ابن كثير: أي: " وإليه ترجع العباد يوم القيامة ، فيجازي كل عامل بعمله ، وهو العادل المتفضل" (١٢).

قال البيضاوي: " وعد ووعد للمقرين والمنكرين" (١٣).

روي عن ابن عباس رضي الله عنه: "كنت لا أعلم ما روي في فضل يس كيف خصت به فإذا أنه بهذه الآية" (١٤).

فوائد الآيات: [٧٧-٨٣]:

(١) رواه عنه النحاس في إعراب القرآن: ٢٧٦/٣.

(٢) تفسير مجاهد: ٤٨٧.

(٣) علقه الواحدي في "التفسير البسيط": ٥٢٩/١٨.

(٤) إعراب القرآن: ٢٧٦/٣.

(٥) المسند (٣٨٨/٥).

(٦) سنن أبي داود برقم (٨٧٤) والشمال للترمذي برقم (٢٦٠) وسنن النسائي (١٩٩/٢).

(٧) صفوة التفاسير: ٢٢/٣.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٠٦٠): ص ٣٠٠٣/٩.

(٩) تفسير الطبري: ٥٥٧/٢٠.

(١٠) التفسير الوسيط: ٥٢٠/٣.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٧/٣.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٥٩٦/٦.

(١٣) تفسير البيضاوي: ٢٧٥/٤.

(١٤) نقلاً عن تفسير البيضاوي: ٢٧٥/٤.

- ١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بإيراد أربعة براهين قاطعة.
  - ٢- مشروعية استعمال العقليات في الحجج والمجادلة.
  - ٣- تنزيه الله تعالى عن العجز والنقص وعن الشريك والولد وسائر النقائص.
  - ٤- تقرير أن الله تعالى بيده وفي تصرفه وتحت قهره كل الملكوت فلذا لا يصح طلب شيء من غيره إذ هو المالك الحق وغيره لا ملك له.
- «آخر تفسير سورة (يس)، والحمد لله وحده»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
تفسير سورة « الصافات »

سورة «الصافات»: هي السورة «السابعة والثلاثون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «السادسة والخمسون» بحسب ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة: «الأنعام»<sup>(١)</sup>.

عدد آياتها مائة وثمانون وآية عند البصريين، وآيتان عند الباقيين. وكلماتها ثمانمائة واثنان وستون. وحروفها ثلاثة آلاف وثمانمائة وست وعشرون. المختلف فيها: آيتان: {وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ} [الصافات : ٢٢]، {وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ} [الصافات : ١٦٧]، مجموع فواصلها «قدم بنا»<sup>(٢)</sup>.

■ أسماء السورة:

■ أولاً:- اسمها التوقيفي: «سورة الصافات»:

اسمها المشهور المنفق عليه «الصافات» . وبذلك سميت في كتب التفسير وكتب السنة وفي المصاحف كلها. وقد ثبتت تسميتها عن النبي-صلى الله عليه وسلم- وعن صحابته رضوان الله عليهم اجمعين، كما سيأتي في فضائل السورة.

وجه تسميتها باسم «الصافات» وقوع هذا اللفظ فيها بالمعنى الذي أريد به أنه وصف الملائكة وإن كان قد وقع في سورة «الملك»، لكن بمعنى آخر إذ أريد هنالك صفة الطير، على أن الأشهر أن «سورة الملك» نزلت بعد «سورة الصافات»<sup>(٣)</sup>.  
قال الفيروزآبادي: "سميت «والصافات»، لافتتاحها بها"<sup>(٤)</sup>.

■ ثانياً:- اسمها الإجتهدية:

١- «سورة الذبيح»:

قال السيوطي: "رأيت في كلام الجعبري أن سورة «الصافات» تسمى: «سورة الذبيح»، وذلك يحتاج إلى مستند من الأثر"<sup>(٥)</sup>.

٢- «سورة الزينة»:

ذكر البقاعي أنها تسمى أيضاً «سورة الزينة»<sup>(٦)</sup>، ولعل هذه التسمية مأخوذة من قوله تعالى في السورة نفسها: {إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ} [الصافات : ٦].

■ مكية السورة ومدنيتها:

قال ابن عباس: "نزلت سورة الصافات بمكة"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن الجوزي: "هي مكية كلها بإجماعهم"<sup>(٨)</sup>.

قال الفيروزآبادي: "السورة مكية بالاتفاق"<sup>(٩)</sup>.

■ مناسبة سورة «الصافات» مع سورة «يس»:

وجه اتصالها بما قبلها:

(١) انظر: الكشاف: ٣٣/٤.

(٢) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ٣٩٣ /١.

(٣) انظر: التحرير والتنوير: ٨١/٢٣.

(٤) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي: ٣٩٣ /١.

(٥) الإتقان: ١٩٩/١.

(٦) نقلا عن موقع اسلام ويب.

(٧) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٧٧/٧، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٨) زاد المسير: ٥٣٥/٣.

(٩) البصائر: ٣٩٣/١.

- ١- أن فيها تفصيل أحوال القرون الغابرة، التي أشير إليها إجمالاً في السورة السابقة في قوله: {أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ} [يس : ٣١].
- ٢- أن فيها تفصيل أحوال المؤمنين، وأحوال أعدائهم الكافرين يوم القيامة، مما أشير إليه إجمالاً في السورة قبلها.
- ٣- المشاكلة بين أولها وآخر سابقتها، ذلك أنه ذكر فيما قبلها قدرته تعالى على المعاد وإحياء الموتى، وعلل ذلك بأنه منشئهم، وأنه إذا تعلق إرادته بشيء كان. وذكر هنا ما هو كالدليل على ذلك. وهو وحدانيته تعالى، إذ لا يتم ما تعلق به الإرادة إيجاباً وإعداماً إلا إذا كان المرید واحداً، كما يشير إلى ذلك قوله: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} [الأنبياء : ٢٢] <sup>(١)</sup>.
- وعبارة أبي حيان هنا: "مناسبة أول هذه السورة لآخر «يس»: أنه تعالى لما ذكر المعاد وقدرته على إحياء الموتى، وأنه هو منشئهم، وإذا تعلق إرادته بشيء كان .. ذكر تعالى هنا وحدانيته. إذ لا يتم ما تعلق به الإرادة وجوداً وعدمًا إلا بكون المرید واحداً. وتقدم الكلام على ذلك في قوله تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} [الأنبياء : ٢٢]" <sup>(٢)</sup>.
- أغراض السورة ومقاصدها
- ١- تستهدف سورة الصافات إثبات وحدانية الله تعالى، وسوق دلائل كثيرة على ذلك، دلت على انفراده سبحانه بصنع المخلوقات العظيمة، التي لا قبل لغيره بصنعها، وهي العوالم السماوية بأجزائها وسكانها، ولا قبل لمن على الأرض أن يتطرق في ذلك.
- ٢- وتهدف السورة -كسائر السور المكية- بناء العقيدة في النفوس، وتخليصها من شوائب الشرك في كل صورته وأشكاله. ولكنها -بصفة خاصة- تعالج صورة معينة من صور الشرك، التي كانت سائدة في البيئة العربية الأولى، تلك السورة التي تزعم أن ثمة قرابة بين الله سبحانه وبين الجن، وتزعم أنه من التزاوج بين الله تعالى والجنة ولدت الملائكة، ثم تزعم أن الملائكة إناث، وأنهن بنات الله! هذه الأسطورة تتعرض لحملة قوية في هذه السورة، تكشف عن تهافتها، وسخفها.
- ٣- تتناول السورة جوانب العقيدة الأخرى التي تتناولها السور المكية، فتثبت فكرة التوحيد مستدلة بالكون المشهود، وتنص على أن الشرك هو السبب في عذاب المعذبين في ثنانيا مشهد من مشاهد القيامة.
- ٤- تتناول السورة قضية البعث، والحساب، والجزاء، وتعرض مشهداً مطولاً فريداً من مشاهد القيامة، ووصف حال المشركين يوم الجزاء، ووقوع بعضهم في بعض، ووصف حسن أحوال المؤمنين ونعيمهم، ومذاكرتهم فيما كان يجري بينهم وبين بعض المشركين من أصحابهم في الجاهلية، ومحاولتهم صرفهم عن الإسلام.
- ٥- تعرض السورة لقضية الوحي والرسالة، وتنظير دعوة محمد صلى الله عليه وسلم قومه بدعوة الرسل من قبله، وكيف نصر الله رسله ورفع شأنهم وبارك عليهم.
- ٦- تعرض السورة لسلسلة من قصص الرسل عليهم السلام: نوح، وإبراهيم وبنيه، وموسى وأخيه، وإلياس، ولوط، ويونس، تتكشف فيها رحمة الله لعباده، ونصره لرسله، وذكر مناقبهم وفضائلهم وقوتهم في دين الله، وما نجاهم الله من الكروب التي حفت بهم، وخاصة منقبة الذبيح إسماعيل .
- ٧- تبرز في القصص التي تضمنتها السورة قصة إبراهيم مع ابنه إسماعيل عليهما السلام، قصة الذبح والفداء، وتبرز فيها الطاعة لله والاستسلام لأمره في أروع صورها وأعماقها وأرفعها، وتبلغ الذروة التي لا يبلغها إلا الإيمان الخالص، الذي يرفع النفوس إلى ذلك الأفق السامق الوضيء.

(١) انظر: تفسير المراعي: ٤١/٢٣.

(٢) البحر المحيط: ٨٩/٩.

٨- تصف السورة ما حل بالأمة الذين كذبوا الرسل، وتنحي على المشركين فساد معتقداتهم في الله ونسبتهم إليه الشركاء، وقولهم: الملائكة بنات الله، وتكذيب الملائكة إياهم على رؤوس الأشهاد، وقولهم في النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن، وكيف كانوا يودون أن يكون لهم كتاب.

٩- وعد الله رسوله بالنصر كدأب المرسلين، ودأب المؤمنين السابقين، وأن عذاب الله نازل بالمشركين، وكون العقوبة الحسنى للمؤمنين.

١٠- جاء ختام السورة بتنزيه الله سبحانه، والاعتراف بربوبيته، والتسليم على رسوله. وكانت فاتحة السورة مناسبة لمقاصدها؛ ذلك بأن القسم بالملائكة {وَالصَّافَّاتِ} [الصافات: ١] مناسب لإثبات الوجدانية؛ لأن الأصنام لم يدعوا لها ملائكة، والذي تخدمه الملائكة هو الإله الحق؛ ولأن الملائكة من جملة المخلوقات الدال خلقها على عظم الخالق. ثم إن الصفات التي لوحظت في القسم بها مناسبة للمقاصد المذكورة بعدها، فـ {الصافات} يناسب عظمة ربها. {وَالزَّاجِرَاتِ} يناسب قذف الشياطين عن السموات، ويناسب تسيير الكواكب وحفظها من أن يدرك بعضها بعضاً، ويناسب زجرها الناس في المحشر. ويناسب أحوال الرسول والرسول عليهم الصلاة والسلام، وما أرسلوا به إلى أقوامهم. وعلى الجملة، فإن مقصود السورة تنزيه الله سبحانه عن النقائص، اللازم منه رد العباد للفصل بينهم بالعدل، اللازم منه الوجدانية مطلقاً في الإلهية وغيرها، وذلك هو المعنى الذي أشار إليه تسميتها بالصافات؛ لأن الصف يلزم منه الوحدة في الحشر، باجتماع التفرق، وفي المعنى باتحاد الكلمة، المراد منه هنا: الاتحاد في التنزيه<sup>(١)</sup>.

#### الناسخ والمنسوخ:

وذكروا فيها أربع آيات منسوخات:

- منها آيتان متصلتان أوليان هما قوله تعالى: {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ (١٧٤) وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٥)} [الصافات: ١٧٤ - ١٧٥].
  - والآيتان المتصلتان الآخرتان قوله تعالى: {وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ (١٧٨) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٩)} [الصافات: ١٧٨ - ١٧٩].
- قال هبة الله: "وبين الحينين فرق كبير، فالحين الأول انتظار امر الله تعالى بقتالهم، والحين الثاني كناية عن يوم بدر، والمشهور نسخت الأربع بآية السيف"<sup>(٢)</sup>.

#### ■ فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ يس والصافات يوم الجمعة ثم سأل الله أعطاه سؤله"<sup>(٣)</sup>.
- عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ والصافات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان، وتباعد عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك، وشهد له حافظاه يوم القيامة أنه كان مؤمناً بالمرسلين»<sup>(٤)</sup>.
- عن ابن عمر قال: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأمرنا بالتخفيف ويؤمنا بالصافات"<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: إسلام ويب. [موقع إلكتروني].

(٢) الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٤٧.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٧٧/٧، وعزاه إلى ابن أبي داود في فضائل القرآن وابن النجار في تاريخه.

(٤) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٣٨/٨، والواحي في الوسيط (٧٨٣): ص ٥٢١/٢. [ضعيف].

(٥) النسائي: (٩٥/٢) (١٠) كتاب الإمامة (٣٦) الرخصة للإمام في التطويل - رقم (٨٢٦).

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل  
أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا  
ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

## القرآن

{وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ (٤)}

[الصافات : ١-٤]

التفسير:

أقسم الله تعالى بالملائكة تصف في عبادتها صفوفًا مترابطة، وبالملائكة تزجر السحاب وتسوقه بأمر الله، وبالملائكة تتلو ذكر الله وكلامه تعالى. إن معبودكم -أيها الناس- لوحد لا شريك له، فأخلصوا له العبادة والطاعة. ويقسم الله بما شاء من خلقه، أما المخلوق فلا يجوز له القسم إلا بالله، فالحلف بغير الله شرك.

قوله تعالى: {وَالصَّافَّاتِ صَفًّا} [الصافات : ١]، أي: "أقسم بهذه الطوائف من الملائكة، الصافات قوائها في الصلاة، أو أجنحتها في ارتقاب أمر الله" (١).

قال الطبري: "أقسم الله تعالى ذكره بالصافات، وهي: الملائكة الصافات لربها في السماء، وهي جمع: صافّة" (٢).

قال السعدي: "أي: صفوفًا في خدمة ربهم، وهم الملائكة" (٣).

قال ابن زيد: "هذا قسم أقسم الله به" (٤).

قال قتادة: "قسم أقسم الله بخلق، ثم خلق، ثم خلق، والصافات: الملائكة صفوفًا في السماء" (٥).

قال الثعلبي: "الصف: ترتيب الجمع على خط كالصف في الصلاة والحرب" (٦).

وفي قوله تعالى: {وَالصَّافَّاتِ صَفًّا} [الصافات : ١]، أقوال:

أحدها : أنهم الملائكة، قاله ابن مسعود (٧)، ومسروق (٨)، وابن عباس (٩)، وسعيد بن جبير (١٠)، وعكرمة (١١)، ومجاهد (١٢)، وقتادة (١٣)، والسدي (١٤)، وحكاة ابن الجوزي عن الجمهور (١٥).

قال السدي: "يعني: صفوف الملائكة في الصلاة" (١٦).

قال ابن عباس: "هم الملائكة صفوف في السماء، لا يعرف ملك منهم من إلى جانبه، لم يلتفت منذ خلقه الله عز وجل" (١٧).

قال ابن الجوزي: "وقيل: هي الملائكة تصف أجنحتها في الهواء واقفة إلى أن يأمرها الله تعالى بما يشاء" (١٨).

قال عطاء: "ليس في السموات السبع موضع شبر إلا عليه ملك قائم أو راعع أو ساجد" (١٩).

(١) صفوة التفاسير: ٢٦/٣.

(٢) تفسير الطبري: ٧/٢١.

(٣) تفسير السعدي: ٧٠٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٨-٧ / ٢١.

(٥) أخرجه الطبري: ٧ / ٢١.

(٦) الكشف والبيان: ١٣٩/٨.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٧ / ٢١.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٧ / ٢١.

(٩) انظر: زاد المسير: ٥٣٥/٣.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٣٦/٦، وزاد المسير: ٥٣٥/٣.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٣٦/٦، وزاد المسير: ٥٣٥/٣.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٣٦/٦، وزاد المسير: ٥٣٥/٣.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٧ / ٢١.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٧ / ٢١.

(١٥) انظر: زاد المسير: ٥٣٥/٣.

(١٦) حكاة عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٢٢/٢.

(١٧) انظر: زاد المسير: ٥٣٥/٣.

(١٨) زاد المسير: ٥٣٥/٣.



عن عن أبي ذر، عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال: "إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أظت السماء وحق لها أن تظط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته لله ساجدا والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله"<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الرحمن بن العلاء بن سعد ، عن أبيه - وكان ممن بايع يوم الفتح - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لجلسائه : "أظت السماء وحق لها أن تظط ، ليس فيها موضع قدم إلا عليه ملك راعع أو ساجد". ثم قرأ : { وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ }"<sup>(٢)</sup>.

الثاني : أنهم عبَاد السماء ، قاله الضحاك ورواه عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>.  
الثالث : أنهم جماعة المؤمنين إذا قاموا في صفوفهم للصلاة ، حكاه النقاش<sup>(٥)</sup> لقوله تعالى :  
{ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَّرْصُورٌ } [الصف : ٤].

الرابع : أنها الطير، دليله قوله تعالى : { وَالطَّيْرُ صَافَاتٍ } [النور : ٤١] ، وقوله : { أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ } [الملك : ١٩] ، حكاه الثعلبي<sup>(٦)</sup>.

الخامس : أنها صفوف المجاهدين في قتال المشركين. أفاده الماوردي<sup>(٧)</sup>.  
واختلف من قال الصافات الملائكة في تسميتها بذلك على ثلاثة أقوال :  
أحدها : لأنها صفوف في السماء ، قاله قتادة<sup>(٨)</sup>.

الثاني : لأنها تصف أجنحتها في الهواء واقفة فيه حتى يأمرها الله تبارك وتعالى بما يريد ، حكاه ابن عيسى<sup>(٩)</sup>.

الثالث : لصفوفهم عند ربهم في صلاتهم ، قاله الحسن<sup>(١٠)</sup> ، والسدي<sup>(١١)</sup>.  
عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ : جُعِلَتْ صَفُوفُنَا كَصَفُوفِ الْمَلَائِكَةِ ، وَجُعِلَتْ لَنَا الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا وَجُعِلَتْ لَنَا ثُرْبَتُهَا طَهْرًا إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ"<sup>(١٢)</sup>.

عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصِفُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ ؟" قلنا : وكيف تصف الملائكة عند ربهم ؟ قال صلى الله عليه وسلم :  
"يُتِمُّونَ الصَّفُوفَ الْمُتَقَدِّمَةَ وَيَتَرَاوِنَ فِي الصَّفِّ"<sup>(١٣)</sup>.

قوله تعالى : { فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا } [الصافات : ٢] ، أي : "وأقسمُ بالملائكة التي تزجر السحاب، يسوقونه إلى حيث شاء الله"<sup>(١٤)</sup>.

(١) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير : ٨٢٢/٢.

(٢) أخرجه أحمد (١٧٣/٥ ، رقم ٢١٥٥٥) والترمذي (٥٥٦/٤ رقم ٢٣١٢) وقال: حسن غريب. وابن ماجه (١٤٠٢/٢ رقم ٤١٩٠) والحاكم (٥٥٤/٢ ، رقم ٣٨٨٣) وقال: صحيح الإسناد. وأبو الشيخ في العظمة (٩٨٢/٣ ، رقم ٥٠٧).

(٣) حديث أنس: أخرجه أيضاً: أبو نعيم في الحلية (٢٦٩/٦) . وأورده السيوطي في الدر المنثور (١٨٣/٤) وعزاه لابن مردويه. وحديث العلاء بن سعد: أخرجه ابن عساكر (٣٨١/٥٢) .

ومن غريب الحديث: "أظت السماء": صاحت وصوتت من ثقل ما عليها من ازدحام الملائكة وكثرة الساجدين فيها. "وحق لها أن تظط": وحق لها أن تصوت لأن كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلها حتى صار لها صوت.

(٤) انظر: النكت والعيون: ٣٦/٥.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٣٦/٥.

(٦) انظر: الكشف والبيان: ١٣٨/٨.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٣٦/٥.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٧/٢١.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٣٦/٥.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٣٦/٥.

(١١) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير : ٨٢٢/٢.

(١٢) صحيح مسلم برقم (٥٢٢).

(١٣) صحيح مسلم برقم (٤٣٠) وسنن أبي داود برقم (٦٦١) وسنن النسائي (٩٢/٢) وسنن ابن ماجه برقم (٩٢٢).

قال السعدي: " وهم الملائكة، يزجرون السحاب وغيره بأمر الله" (٢).  
وفي قوله تعالى: {فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا} [الصافات : ٢]، ثلاثة أقوال:  
أحدها : أنها الملائكة التي تزجر السحاب، قاله ابن مسعود (٣)، وابن عباس (٤)، ومجاهد (٥)،  
والسدي (٦)، ويحيى بن سلام (٧). وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور (٨).  
قال يحيى: " الملائكة، والرعد ملك يزجر السحاب وقد قال في آية أخرى: {فإنما هي  
زجرة واحدة} [الصافات: ١٩] وهي النفخة الآخرة ينفخ فيه صاحب الصور" (٩).  
قال مقاتل: " وهو ملك اسمه الرعد يزجر السحاب بصوته يسوقه إلى البلد الذي أمر أن  
يمطره، والبرق مخاريق من نار يسوق بها السحاب، فإذا صف السحاب بعضه إلى بعض سطع  
منه نار فيصيب الله به من يشاء وهي الصاعقة التي ذكر الله- عز وجل- في الرعد" (١٠).  
الثاني : آيات القرآن التي زجر الله بها عما زجر بها عنه في القرآن، قاله قتادة (١١)، والربيع (١٢).  
الثالث : الأمر والنهي الذي نهى الله تعالى به عباده عن المعاصي ، حكاه النقاش (١٣).  
الرابع : أنها قتل المشركين وسبيهم. أفاده الماوردي (١٤).  
قال الطبري: " والذي هو أولى بتأويل الآية عندنا ما قال مجاهد، ومن قال هم الملائكة،  
لأن الله تعالى ذكره، ابتداء القسم بنوع من الملائكة، وهم الصافون بإجماع من أهل التأويل، فلأن  
يكون الذي بعده قسما بسائر أصنافهم أشبه" (١٥).  
واختلف من قال إن «الزاجرات»: الملائكة في تسميتها بذلك على قولين :  
أحدهما : لأنها تزجر السحاب ، قاله السدي (١٦).  
الثاني : لأنها تزجر عن المعاصي قاله ابن عيسى (١٧).  
قوله تعالى: {فَالثَّالِيَاتِ ذِكْرًا} [الصافات : ٣]، أي: " وأقسمُ بالملائكة التالين لآيات الله  
على أنبيائه وأوليائه، مع التسبيح والتفديس والتحميد والتمجيد" (١٨).  
قال الطبري: " يقول: فالقارئات كتابا" (١٩).  
قال السعدي: " وهم الملائكة الذين يتلون كلام الله تعالى" (٢٠).  
وفي قوله تعالى: {فَالثَّالِيَاتِ ذِكْرًا} [الصافات : ٣]، ثلاثة أقوال:  
أحدها : الملائكة، قاله ابن مسعود (١)، وأبو صالح (٢)، والحسن (٣)، ومجاهد (٤)، والسدي (٥)،  
ويحيى بن سلام (٦). وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور (٧).

(١) صفوة التفاسير: ٢٦/٣.

(٢) تفسير السعدي: ٧٠٠.

(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم (١٨١٢٧) ص: ٤/١٠.

(٤) انظر: زاد المسير: ٥٣٥/٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٨/٢١.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٨/٢١.

(٧) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٨٢٢/٢.

(٨) انظر: زاد المسير: ٥٣٥/٣.

(٩) تفسير يحيى بن سلام: ٨٢٢/٢.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠١/٣.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٨/٢١.

(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم (١٨١٢٨) ص: ٤/١٠.

(١٣) انظر: النكت والعيون: ٣٧/٥.

(١٤) انظر: النكت والعيون: ٣٧/٥.

(١٥) تفسير الطبري: ٨/٢١.

(١٦) انظر: النكت والعيون: ٣٧/٥.

(١٧) انظر: النكت والعيون: ٣٧/٥.

(١٨) صفوة التفاسير: ٢٦/٣.

(١٩) تفسير الطبري: ٨/٢١.

(٢٠) تفسير السعدي: ٧٠٠.

قال يحيى: " {ذكرا}، يعني: الوحي" (٨).  
 قال أبو صالح: " الملائكة، يجيئون بالكتاب والقرآن من عند الله إلى الناس" (٩).  
 وقال مقاتل: " يعني به: الملائكة وهو جبريل وحده- عليه السلام- يتلو القرآن على الأنبياء من ربهم، وهو، الملقيات ذكرا، يلقي الذكر على الأنبياء" (١٠).  
 الثاني: ما ينلى في القرآن من أخبار الأمم السالفة، قاله قتادة (١١).  
 الثالث: الأنبياء يتلون الذكر على قومهم، قاله ابن عيسى (١٢)، رواه الضحاك عن ابن عباس (١٣).  
 قوله تعالى: {إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ} [الصفات: ٤]، أي: "أي إن إلهكم الذي تعبدونه أيها الناس إله واحد لا شريك له" (١٤).

قال ابن كثير: " هذا هو المقسم عليه، أنه تعالى لا إله إلا هو" (١٥).

قال قتادة: " وقع القسم على هذا" (١٦).

قال ابن الجوزي: " {وَالصَّافَاتِ صَفًا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣)} [الصفات: ١ - ٣]، هذا قسم بهذه الأشياء، وجوابه: {إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ} [الصفات: ٤]. وقيل معناه: ورب هذه الأشياء إنه واحد" (١٧).

قال الطبري: يقول: " إن معبودكم الذي يستوجب عليكم أيها الناس العبادة، وإخلاص الطاعة منكم له لوحد لا ثاني له ولا شريك. يقول: فأخلصوا العبادة وإياه فأفردوا بالطاعة، ولا تجعلوا له في عبادتكم إياه شريكا" (١٨).

قال مقاتل: " وذلك أن كفار مكة قالوا يجعل محمد- صلى الله عليه وسلم- الآلهة إلهًا واحدًا فأقسم الله بهؤلاء الملائكة {إِنَّ إِلَهُكُمْ}، يعني: أن ربكم، {لواحد} ليس له شريك" (١٩).

قال السعدي: " فلما كانوا متألّهين لربهم، ومتعبدين في خدمته، ولا يعصونه طرفة عين، أقسم بهم على ألوهيته فقال: {إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ} ليس له شريك في الإلهية، فأخلصوا له الحب والخوف والرجاء، وسائر أنواع العبادة" (٢٠).

## القرآن

{رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشَارِقِ (٥)} [الصفات: ٥]

التفسير:

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨١٢٧): ص ١٠/٤٠٤.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨١٢٩): ص ١٠/٤٠٤.

(٣) انظر: زاد المسير: ٥٣٥/٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٨/٢١.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٩/٢١.

(٦) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٨٢٢/٢.

(٧) انظر: زاد المسير: ٥٣٥/٣.

(٨) تفسير يحيى بن سلام: ٨٢٢/٢.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٢٧): ص ١٠/٤٠٤.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠١/٣.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٩/٢١.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٣٧/٥.

(١٣) انظر: زاد المسير: ٥٣٥/٣.

(١٤) صفوة التفاسير: ٢٦/٣.

(١٥) تفسير ابن كثير: ٦/٧.

(١٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٢٧): ص ١٠/٤٠٤.

(١٧) زاد المسير: ٥٣٥/٣.

(١٨) تفسير الطبري: ٩/٢١.

(١٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠١/٣.

(٢٠) تفسير السعدي: ٧٠٠.

هو خالق السموات والأرض وما بينهما، ومدبّر الشمس في مطالعها ومغاربها.  
قوله تعالى: {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا} [الصافات : ٥]، أي: " هو خالق  
السموات والأرض وما بينهما"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: " يقول: هو واحد خالق السموات السبع وما بينهما من الخلق، ومالك ذلك  
كله، والقيّم على جميع ذلك، يقول: فالعبادة لا تصلح إلا لمن هذه صفته، فلا تعبدوا غيره، ولا  
تشاركوا معه في عبادتكم إياه من لا يضر ولا ينفع، ولا يخلق شيئاً ولا يُفنيه"<sup>(٢)</sup>.  
قوله تعالى: {وَرَبُّ الْمَشَارِقِ} [الصافات : ٥]، أي: " ومدبّر الشمس في مطالعها  
ومغاربها"<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: " يقول: ومدبر مشارق الشمس في الشتاء والصيف ومغاربها، والقيّم على  
ذلك ومصالحه، وترك ذكر المغارب لدلالة الكلام عليه، واستغني بذكر المشارق من ذكرها، إذ  
كان معلوماً أن معها المغارب"<sup>(٤)</sup>.

قال السعدي: " أي: هو الخالق لهذه المخلوقات، والرازق لها، المدبر لها، فكما أنه لا  
شريك له في ربوبيته إياها، فكذلك لا شريك له في ألوهيته، وكثيراً ما يقرر تعالى توحيد الإلهية  
بتوحيد الربوبية، لأنه دال عليه. وقد أقر به أيضاً المشركون في العبادة، فيلزمهم بما أقروا به  
على ما أنكروه. وخص الله المشارق بالذكر، لدلالاتها على المغارب، أو لأنها مشارق النجوم  
التي سيذكرها"<sup>(٥)</sup>.

قال قتادة: " مشارق الشمس في الشتاء والصيف"<sup>(٦)</sup>.  
قال الزجاج: " قيل: المشارق ثلاثمائة وستون مشرقاً، ومثلها من المغارب"<sup>(٧)</sup>.  
قال السدي: " المشارق ستون وثلاث مئة مشرق، والمغارب مثلها، عدد أيام السنة"<sup>(٨)</sup>.

## القرآن

{إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ (٦)} [الصافات : ٦]  
التفسير:

إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ هِيَ النُّجُوم.  
قال ابن عباس: " بضوء الكواكب"<sup>(٩)</sup>.  
قال السمعاني: " أي: بحسن الكواكب وضيائها"<sup>(١٠)</sup>.  
قال ابن الجوزي: " {إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا}، يعني: التي تلي الأرض، وهي أدنى  
السموات إلى الأرض بزينة الكواكب، أي: بحسنها وضوئها"<sup>(١١)</sup>.  
قال ابن كثير: " يخبر تعالى أنه زين السماء الدنيا للناظرين إليها من أهل الأرض {  
بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ} ، قرئ بالإضافة وبالبدل ، وكلاهما بمعنى واحد ، فالكواكب السيارة والثوابت  
يثقب ضوءها جرم السماء الشفاف ، فتضيء لأهل الأرض ، كما قال تعالى { وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ  
الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ } [الملك : ٥] ، وقال : {

- (١) التفسير الميسر: ٤٤٦ .
- (٢) تفسير الطبري: ٩/٢١ .
- (٣) التفسير الميسر: ٤٤٦ .
- (٤) تفسير الطبري: ١٠/٢١ .
- (٥) تفسير السعدي: ٧٠٠ .
- (٦) أخرجه الطبري: ١٠/٢١ .
- (٧) معاني القرآن: ٢٩٨/٤ .
- (٨) أخرجه الطبري: ١٠/٢١ .
- (٩) تفسير الثعلبي ٨ / ١٤٠ ، وتفسير البغوي ٦ / ٣٤ .
- (١٠) تفسير السمعاني: ٣٩٢/٤ .
- (١١) زاد المسير: ٥٣٥/٣ .

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ. إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ { [الحجر : ١٦ - ١٨] }<sup>(١)</sup>.  
قال قتادة: " خلقت النجوم ثلاثا، رجوما للشياطين، ونورا يهتدى بها، وزينة لسماء الدنيا"<sup>(٢)</sup>.

وقرأ عاصم: «بزينة الكواكب»، أي: بتزيينا الكواكب، وقرأ حمزة: «بزينة الكواكب»، بخفض الباء وتنوين الزينة، والكواكب على هذه الرواية تدل على الزينة، والمعنى: إنا زينا السماء الدنيا بالكواكب<sup>(٣)</sup>.

## القرآن

### { وَحَفِظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ (٧) } [الصفافات : ٧]

التفسير:

وحفظنا السماء بالنجوم من كل شيطان متمرّد عاتٍ رجيم.  
عن قتادة، قوله: "{ وَحَفِظًا } يقول: جعلتها حفظًا-وفي رواية: "جعلناها حفظًا"<sup>(٤)</sup> - { مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ }"<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: يقول: "{ وحفظًا } للسماء الدنيا زينها بزينة الكواكب"<sup>(٦)</sup>.  
قال يحيى: "أي: وجعلناها، يعني: الكواكب حفظًا للسماء"<sup>(٧)</sup>.  
قال ابن كثير: "تقديره: وحفظناها حفظًا، { مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ } يعني: المتمرد العاتي إذا أراد أن يسترق السمع، أتاه شهاب ثاقب فأحرقه"<sup>(٨)</sup>.  
قال الزجاج: "يقذفون بها إذا استرقوا السمع"<sup>(٩)</sup>.  
قال السمعاني: "أي: وحفظناها حفظًا، { من كل شيطان } متمرّد، والشيطان: كل متمرّد عاتٍ من إنس أو جن أو جنة، قال الشاعر<sup>(١٠)</sup>:

ما ليلة القفير إلا شيطان ...

والقفير: البئر البعيدة القعر"<sup>(١١)</sup>.

قال البيضاوي: "«مارد»: خارج من الطاعة"<sup>(١٢)</sup>.

قال يحيى: "مرد على المعصية، أي: اجترأ على المعصية، وهم سراة إبليس"<sup>(١٣)</sup>.

## القرآن

### { لَّا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذُّونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (٨) نُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩) } [الصفافات : ٨-٩]

التفسير:

- 
- (١) تفسير ابن كثير: ٦/٧.  
(٢) انظر: تفسير القرطبي: ٦٤/١٥.  
(٣) انظر: تفسير السمعاني: ٣٩٢/٤.  
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٣٢): ص ٣٢٠٤/١٠.  
(٥) أخرجه الطبري: ١١/٢١، وعزاه السيوطي في "الدر المنثور: ٧٩/٧، إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.  
(٦) تفسير الطبري: ١١/٢١.  
(٧) تفسير يحيى بن سلام: ٨٢٣/٢.  
(٨) تفسير ابن كثير: ٦/٧.  
(٩) معاني القرآن: ٢٩٨/٤.  
(١٠) لم أقف عليه، وهو من شواهد السمعاني في التفسير: ٣٩٢/٤.  
(١١) تفسير السمعاني: ٣٩٢/٤.  
(١٢) تفسير البيضاوي: ٦/٥.  
(١٣) تفسير يحيى بن سلام: ٨٢٣/٢.

لا تستطيع الشياطين أن تصل إلى الملائكة الأعلى، وهي السموات ومن فيها من الملائكة، فتستمع إليهم إذا تكلموا بما يوحيه الله تعالى من شرعه وقدره، ويُرجَمون بالشهب من كل جهة؛ طرداً لهم عن الاستماع، ولهم في الدار الآخرة عذاب دائم موجه.

قوله تعالى: {لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى} [الصافات : ٨]، أي: "لا تستطيع الشياطين أن تصل إلى الملائكة الأعلى، وهي السموات ومن فيها من الملائكة، فتستمع إليهم إذا تكلموا بما يوحيه الله تعالى من شرعه وقدره"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: أي: "وحفظاً من كل شيطان مارد أن لا يسمع إلى الملائكة الأعلى، ويعني بقوله {إلى الملائكة} إلى جماعة الملائكة التي هم أعلى ممن هم دونهم"<sup>(٢)</sup>.

قال يحيى: "أي: لنلا يسمعون. {إلى الملائكة الأعلى} الملائكة في السماء، وكانوا يسمعون قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم أخباراً من أخبار السماء، فأما الوحي فلم يكونوا يقدرّون على أن يسمعه وكانوا يقعدون منها مقاعد للسمع، فلما بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم منعوا من تلك المقاعد"<sup>(٣)</sup>.

قال السمعاني: "معنى الآية: 'أنهم لا يستطيعون الاستماع إلى الملائكة الأعلى'"<sup>(٤)</sup>. قال ابن كثير: "أي: لنلا يصلوا إلى الملائكة الأعلى، وهي السموات ومن فيها من الملائكة، إذا تكلموا بما يوحيه الله مما يقوله من شرعه وقدره"<sup>(٥)</sup>.

عن قتادة: "لا يسمعون إلى الملائكة الأعلى"، قال: منعوا بها، يعني: بالنجوم"<sup>(٦)</sup>.  
عن السدي، قوله: "لا يسمعون إلى الملائكة الأعلى"، قال: الملائكة"<sup>(٧)</sup>.

عن ابن عباس، قال: حدثني رهط من الأنصار، قالوا: "بيننا نحن جلوس ذات ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ رأى كوكباً رمي به، فقال: "ما تقولون في هذا الكوكب الذي يرمي به؟" قلنا: يولد مولود، أو يهلك هالك، ويموت ملك ويملك ملك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس كذلك، ولكن الله كان إذا قضى أمراً في السماء سبح لذلك حملة العرش، فيسبح لتسبيحهم من يليهم من تحتهم من الملائكة، فما يزالون كذلك حتى ينتهي التسبيح إلى السماء الدنيا، فيقول أهل السماء الدنيا لمن يليهم من الملائكة مم سبحتم؟ فيقولون: ما ندري: سمعنا من فوقنا من الملائكة سبحوا فسيحنا الله لتسبيحهم ولكننا سنسأل، فيسألون من فوقهم، فما يزالون كذلك حتى ينتهي إلى حملة العرش، فيقولون: قضى الله كذا وكذا، فيخبرون به من يليهم حتى ينتهوا إلى السماء الدنيا، فتسترق الجن ما يقولون، فينزلون إلى أوليائهم من الإنس فيلقونه على ألسنتهم بتوهم منهم، فيخبرونهم به، فيكون بعضه حقا وبعضه كذبا، فلم تزل الجن كذلك حتى رموا بهذه الشهب"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن عباس: "كانت للشياطين مقاعد في السماء، قال: فكانوا يسمعون الوحي، قال: وكانت النجوم لا تجري، وكانت الشياطين لا ترمي، قال: فإذا سمعوا الوحي نزلوا إلى الأرض، فزادوا في الكلمة تسعاً؛ قال: فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الشيطان إذا قعد مقعده جاء شهاب، فلم يُخطئه حتى يحرقه، قال: فشكوا ذلك إلى إبليس، فقال: ما هو إلا لأمر حدث؛ قال: فبعث جنوده، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي بين جبلي نخلة؛ قال

(١) التفسير الميسر: ٤٤٦.

(٢) تفسير الطبري: ١٥/٢١-١٦.

(٣) تفسير يحيى بن سلام: ٨٢٣/٢.

(٤) تفسير السمعاني: ٣٩٣/٤.

(٥) تفسير ابن كثير: ٦/٧.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٣٢): ص ٣٢٠٤/١٠، والطبري: ١٦/٢١. [باختصار]

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٣٤): ص ٣٢٠٥/١٠.

(٨) أخرجه الطبري: ١٣/٢١.

أبو كَرَيْب: قال وكيع: يعني بطن نخلة، قال: فرجعوا إلى إبليس فأخبروه، قال: فقال هذا الذي حدث" (١).

وقال ابن عباس: "كان للجن مقاعد في السماء يسمعون الوحي، وكان الوحي إذا أوحى سمعت الملائكة كهيئة الحديد يرمى بها على الصفوان، فإذا سمعت الملائكة صلصلة الوحي خر لجباههم من في السماء من الملائكة، فإذا نزل عليهم أصحاب الوحي {قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير}، قال: فيتنادون، قال: ربكم الحق وهو العلي الكبير؛ قال: فإذا أنزل إلى السماء الدنيا، قالوا: يكون في الأرض كذا وكذا موتا، وكذا وكذا حياة. وكذا وكذا جدوبة، وكذا وكذا خصبا، وما يريد أن يصنع، وما يريد أن يبندئ تبارك وتعالى، فنزلت الجن. فأوحوا إلى أوليائهم من الإنس، مما يكون في الأرض، فبيناهم كذلك، إذ بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم، فزجرت الشياطين عن السماء ورموهم بكواكب، فجعل لا يصعد أحد منهم إلا احترق، وفزع أهل الأرض لما رأوا في الكواكب، ولم يكن قبل ذلك، وقالوا: هلك من في السماء، وكان أهل الطائف أول من فزع، فينطلق الرجل إلى إبله، فينحر كل يوم بعيرا لألهتهم، وينطلق صاحب الغنم، فيذبح كل يوم شاة، وينطلق صاحب البقر. فيذبح كل يوم بقرة، فقال لهم رجل: ويلكم لا تهلكوا أموالكم، فإن معالمكم من الكواكب التي تهتدون بها لم يسقط منها شيء، فأقلعوا وقد أسرعوا في أموالهم. وقال إبليس: حدث في الأرض حدث، فأتي من كل أرض بتربة، فجعل لا يؤتى بتربة أرض إلا شمها، فلما أتى بتربة تهامة قال: ها هنا حدث الحدث، وصرف الله إليه نفرا من الجن وهو يقرأ القرآن، فقالوا: {إننا سمعنا قرآنا عجبا} حتى ختم الآية ... ، فولوا إلى قومهم منذرين" (٢).

عن عروة، عن عائشة أنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الملائكة تنزل في العنان- وهو السحاب- فتذكر ما قضي في السماء، فتسترق الشياطين السمع، فتسمعه فتوحيه إلى الكهان، فيكذبون معها مئة كذبة من عند أنفسهم" (٣).  
قال الطبري-بعد أن ذكر الأخبار السابقة: "فهذه الأخبار تنبئ عن أن الشياطين تسمع، ولكنها ترمى بالشهب لئلا تسمع" (٤).  
وقرى: «لا يَسْمَعُونَ»، بتخفيف السين من يسمعون، بمعنى أنهم يتسَمَّعون ولا يسمعون" (٥).

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما: "أنه كان يقرأ: «لا يسمعون إلى الملا الأعلى» مخففة، وقال: إنهم كانوا يتسَمَّعون، ولكن لا يسمعون" (٦).  
قوله تعالى: {وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًا} [الصفافات : ٨-٩]، أي: "ويُرْجَمُونَ بالشهب من كل جهة طردًا لهم عن الاستماع" (٧).  
قال الطبري: يقول: "ويرمون من كل جانب من جوانب السماء دحوراء، والدحور: الدفع والإبعاد، يقال منه: ادحر عنك الشيطان: أي: ادفعه عنك وأبعده" (٨).  
قال ابن كثير: "أي : يرمون من كل جهة يقصدون السماء منها رجما يدحرون به ويزجرون، ويمنعون من الوصول إلى ذلك" (٩).

(١) أخرجه الطبري: ١٢/٢١.

(٢) أخرجه الطبري: ١٥-١٤/٢١.

(٣) أخرجه الطبري: ١٥/٢١.

(٤) تفسير الطبري: ١٥/٢١.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٢/٢١.

(٦) تفسير ابن أبي حاتم (١٨١٣٣): ص ٣٢٠٥/١٠.

(٧) التفسير الميسر: ٤٤٦.

(٨) تفسير الطبري: ١٦/٢١.

(٩) تفسير ابن كثير: ٦/٧.

قال السمعاني: "أي: يرحمون، وقوله: {من كل جانب} من جوانب السماء، والدحر هو الإبعاد"<sup>(١)</sup>.

عن قتادة: "ويقذفون من كل جانب دحورا، قذفا بالشهب"<sup>(٢)</sup>.  
عن مجاهد، قوله: "ويقذفون"، يرمون، {من كل جانب}، قال: من كل مكان. وقوله {دحورا}، قال: مطرودين"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن زيد: "الشياطين يدحرون بها عن الاستماع، وقرأ وقال: {إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب ثاقب}"<sup>(٤)</sup>.

قال السعدي: "ذكر الله في الكواكب هاتين الفائدتين العظيمتين: إحداهما: كونها زينة للسماء، إذ لولاها، لكانت السماء جرما مظلما لا ضوء فيها، ولكن زينها فيها لتستتير أرجاؤها، وتحسن صورتها، ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر، ويحصل فيها من المصالح ما يحصل.

والثانية: حراسة السماء عن كل شيطان وارد، يصل بتمرده إلى استماع الملائكة، وهم الملائكة، فإذا استمعت قذفتها بالشهب الثواقب {مِنْ كُلِّ جَانِبٍ} طردا لهم، وإبعادا عن استماع ما يقول الملائكة الأعلى"<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: {وَلَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ} [الصفوات : ٩]، أي: "ولهم في الدار الآخرة عذاب دائم موجع"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: يقول: "ولهذه الشياطين المسترقة السمع عذاب من الله واصب"<sup>(٧)</sup>.  
قال ابن كثير: "أي : في الدار الآخرة لهم عذاب دائم موجع مستمر ، كما قال : { وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ } [الملك : ٥]"<sup>(٨)</sup>.

وفي قوله تعالى: {وَلَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ} [الصفوات : ٩]، وجوه: أحدها : معناه: لهم عذاب موجع. قاله ابو صالح<sup>(٩)</sup>، والسدي<sup>(١٠)</sup>.  
الثاني: لهم عذاب دائم. وهذا قول ابن عباس<sup>(١١)</sup>، ومجاهد<sup>(١٢)</sup>، وقتادة<sup>(١٣)</sup>، وعكرمة<sup>(١٤)</sup>، وأبو عبيدة<sup>(١٥)</sup>.

وقال ابن زيد: "الواصب: الدائب"<sup>(١٦)</sup>.

قال السعدي: "أي: دائم، معد لهم، لتمردهم عن طاعة ربهم"<sup>(١٧)</sup>.  
الثالث : أنه الذي يصل وجعه إلى القلوب ، مأخوذ من الوصب. حكاه الموردي<sup>(١٨)</sup>.

(١) تفسير السمعاني: ٣٩٣/٤.

(٢) أخرجه الطبري: ١٦/٢١.

(٣) أخرجه الطبري: ١٧-١٦/٢١.

(٤) أخرجه الطبري: ١٧/٢١.

(٥) تفسير السعدي: ٧٠٠.

(٦) التفسير الميسر: ٤٤٦.

(٧) تفسير الطبري: ١٧/٢١.

(٨) تفسير ابن كثير: ٦/٧.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٧/٢١.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٧/٢١.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٧/٢١.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٧/٢١.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ١٧/٢١.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ١٧/٢١-١٨.

(١٥) انظر: مجاز القرآن: ٣٦١/١.

(١٦) أخرجه الطبري: ١٨/٢١.

(١٧) تفسير السعدي: ٧٠٠.

(١٨) انظر: النكت والعيون: ٣٩/٥.



قال الطبري: "الصواب تأويل من قال: معناه: دائم خالص، وذلك أن الله قال: ﴿وله الدين واصباً﴾، فمعلوم أنه لم يصفه بالإيلاج، وإنما وصفه بالثبات والخلوص؛ ومنه قول أبي الأسود الدؤلي<sup>(١)</sup>:

لا أشترى الحمد القليل بقاءه ... يوماً بزم الدهر أجمع واصباً  
أي: دائماً"<sup>(٢)</sup>.

## القرآن

{إِلَّا مَنْ خَطَفَ الْخَطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (١٠)} [الصفوات: ١٠]

التفسير:

إِلَّا مَنْ اخْتِطَفَ مِنَ الشَّيَاطِينِ الْخَطْفَةَ، وَهِيَ الْكَلِمَةُ يَسْمَعُهَا مِنَ السَّمَاءِ بِسُرْعَةٍ، فَيَلْقِيهَا إِلَى الَّذِي تَحْتَهُ، وَيَلْقِيهَا الْآخَرَ إِلَى الَّذِي تَحْتَهُ، فَرَبِمَا أَدْرَكَهُ الشَّهَابُ الْمَضِيءُ قَبْلَ أَنْ يَلْقِيَهَا، وَرَبِمَا أَلْقَاهَا بِقَدْرِ اللَّهِ تَعَالَى قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ الشَّهَابُ، فَيَحْرِقُهُ فَيَذْهَبُ بِهَا الْآخِرُ إِلَى الْكَهْنَةِ، فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ.

قال الطبري: "يقول: إلا من استترق السمع منهم {فأتبعه شهاب} مضيء متوقد"<sup>(٣)</sup>.  
قال السمعاني: "قال أهل التفسير: هذا استثناء منقطع، ومعناه: لكن من خطف الخطفة، والخطف هو الاستلاب بسرعة، واختطفهم واستلابهم كلام الملائكة، {فأتبعه شهاب} مضيء، والشهاب: هو النجم ها هنا"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: إلا من اختطف من الشياطين الخطفة، وهي الكلمة يسمعها، من السماء فيلقبها إلى الذي تحته، ويلقبها الآخر إلى الذي تحته، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها بقدر الله قبل أن يأتيه الشهاب فيحرقه، فيذهب بها الآخر إلى الكاهن، كما تقدم في الحديث، ولهذا قال: {إِلَّا مَنْ خَطَفَ الْخَطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ}، أي: مستنير"<sup>(٥)</sup>.

قال يحيى: "إلا من خطف الخطفة: استمع الاستماع كقوله: {إلا من استترق السمع فأتبعه شهاب مبين} [الحجر: ١٨]. قال: {فأتبعه شهاب ثاقب}، أي: مضيء"<sup>(٦)</sup>.

قال السعدي: "ولو لا أنه تعالى استثنى، لكان ذلك دليلاً على أنهم لا يستمعون شيئاً أصلاً ولكن قال: {إِلَّا مَنْ خَطَفَ الْخَطْفَةَ} أي: إلا من تلقف من الشياطين المردة، الكلمة الواحدة على وجه الخفية والسرقة {فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ} تارة يدركه قبل أن يوصلها إلى أوليائه، فينقطع خبر السماء، وتارة يخبر بها قبل أن يدركه الشهاب، فيكذبون معها مائة كذبة يروجونها بسبب الكلمة التي سمعت من السماء"<sup>(٧)</sup>.

قال سعيد بن جبير: "يقول: إلا من استترق السمع من أصوات الملائكة {فأتبعه شهاب}، يعني: الكواكب"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن زيد: "الثاقب: المستوقد"<sup>(٩)</sup>، قال: والرجل يقول: أثقب نارك، ويقول استنقب نارك استوقد نارك"<sup>(١٠)</sup>.

عن قتادة، قوله: " {فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ}، من نار وثقوبه: ضوءه"<sup>(١١)</sup>.

(١) من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن: ٣٦١/١، وروايته: "لا أبتغى الحمد".

(٢) تفسير الطبري: ١٨/٢١.

(٣) تفسير الطبري: ١٨/٢١.

(٤) تفسير السمعاني: ٣٩٣/٤.

(٥) تفسير ابن كثير: ٧-٦/٧.

(٦) تفسير يحيى بن سلام: ٨٢٤/٢.

(٧) تفسير السعدي: ٧٠٠.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٣٦): ص ١٠/٣٢٠٥.

(٩) وفي رواية ابن أبي حاتم (١٨١٤٠): ص ١٠/٣٢٠٥، قال: «المتوقد».

(١٠) أخرجه الطبري: ١٩/٢١.

(١١) أخرجه الطبري: ١٨/٢١.

عن الضحاك: " {شهاب ثاقب}، قال: ضوءه إذا انقض، فأصاب الشيطان" (١).  
قال السدي: "شهاب مضيء يحرقه حين يرمى به" (٢).  
وقال السدي الثاقب: المحرق" (٣).  
قال الزجاج: " {شهاب ثاقب} كوكب مضيء" (٤).  
قال يزيد الرقاشي: "يثقب الشيطان حتى يخرج من الجانب الآخر، فذكر ذلك لابي مجلز رضي الله عنه، فقال: ليس ذاك، ولكن ثقبه ضوءه" (٥).  
قال ابن عباس: " لا يقتلون بالشهاب، ولا يموتون، ولكنها تحرقهم من غير قتل، وتخبّل وتخدج من غير قتل" (٦).  
قال ابن عباس: " إذا رمى الشهاب لم يخطئ من رمى به، وتلا: {فأتبعه شهاب ثاقب} " (٧).  
وقال ابن عباس: " إذا رأيت الكوكب قد رمى به فتواري فإنه لا يخطئ، وهو يحرق ما أصاب ولا يقتل" (٨).  
وقال الحسن: " أنه يقتله في أسرع من الطرف" (٩).  
عن محمد بن سيرين، عن رجل قال: "كنا مع أبي قتادة على سطح فانقض كوكب، فنهانا أبو قتادة أن نتبعه أبصارنا" (١٠).  
قال عمرو: "سأل حفص الحسن: أتبع بصري الكوكب؟ فقال: قال الله: {وجعلناها رجوما للشياطين} [الملك: ٥] وقال: {أولم ينظروا في ملكوت السموات} [الأعراف: ١٨٥] كيف نعلم إذا لم ينظر إليه؟ لأتبعه بصري" (١١).  
قال عبيد الله: "سئل الضحاك هل للشياطين أجنحة؟ فقال: كيف يطيرون إلى السماء إلا ولهم أجنحة" (١٢).  
فوائد الآيات: [١-١٠]:

- ١- بيان أن الله تعالى يقسم ببعض مخلوقاته إما تنويهاً بعظمتها المقرر ضمناً لعظمة خالقها وإما بياناً لفضلها وإما لفتا لنظر العباد إلى ما فيها من الفوائد.
- ٢- تقرير التوحيد وأنه لا إله إلا الله.
- ٣- بيان الحكمة من وجود النجوم في السماء الدنيا.
- ٤- بيان أن الشياطين حرموا من استراق السمع، ولم يبق مجال لكذب الشياطين على الناس بعد أن منعوا من استراق السمع.

## القرآن

{فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ (١١)} [الصافات : ١١]

التفسير:

فاسأل -أيها الرسول- منكري البعث أهم أشد خلقاً أم من خلقنا من هذه المخلوقات؟ إنا خلقنا أباهم آدم من طين لزج، يلتصق بعضه ببعض.

- (١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٣٩): ص ٣٢٠٥/١٠.
- (٢) أخرجه الطبري: ١٨/٢١.
- (٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٤١): ص ٣٢٠٥/١٠.
- (٤) معاني القرآن: ٢٩٩/٤.
- (٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٣٨): ص ٣٢٠٥/١٠.
- (٦) أخرجه الطبري: ١٨/٢١-١٩.
- (٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٣٧): ص ٣٢٠٥/١٠.
- (٨) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٢٤/٢.
- (٩) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٢٤/٢.
- (١٠) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٢٥/٢.
- (١١) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٢٥/٢.
- (١٢) أخرجه الطبري: ١٩/٢١.

سبب النزول:

قال مقاتل: "نزلت في أبي الأشدين واسمه أسيد بن كلداء بن خلف الجمحي. وإنما كنى أبا الأشدين لشدة بطشه وفي ركائنه بن عبد يزيد بن هشام ابن عبد مناف.. ونزلت في أبي الأشدين أيضا {أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا} [النازعات : ٢٧]، بعثا بعد الموت {أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا} [النازعات : ٢٧]"<sup>(١)</sup>.

قال الماوردي: "نزلت هذه الآية في ركائنه بن زيد بن هاشم بن عبد مناف وأبي الأشد ابن أسيد بن كلاب الجمحي"<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: {فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا} [الصفافات : ١١]، أي: "فاسأل -أيها الرسول- منكري البعث أهم أشد خلقًا أم من خلقنا من هذه المخلوقات؟"<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فاستفت يا محمد هؤلاء المشركين الذي ينكرون البعث بعد الممات والنشور بعد البلاء: يقول: فسلمهم: أهم أشد خلقًا؟ يقول: أخلقهم أشد أم خلق من عددنا خلقه من الملائكة والشياطين والسموات والأرض؟"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: "يقول تعالى : فَسَلْ هَؤُلَاءِ الْمُنْكَرِينَ لِلْبَعْثِ : أَيَمَا أَشَدُّ خَلْقًا هُمْ أَمْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالشَّيَاطِينِ وَالْمَخْلُوقَاتِ الْعَظِيمَةِ ؟ - وقرأ ابن مسعود : "أم من عددنا" - فإنهم يُقَرِّونَ أن هذه المخلوقات أشد خلقًا منهم، وإذا كان الأمر كذلك فلم ينكرون البعث ؟ وهم يشاهدون ما هو أعظم مما أنكروا. كما قال تعالى : { لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } [غافر : ٥٧]"<sup>(٥)</sup>.

عن مجاهد: "أهم أشد خلقًا أم من خلقنا، قال: السموات والأرض والجبال"<sup>(٦)</sup>.

عن سعيد بن جبير، قوله: "أم من خلقنا، قال: من الأموات والملائكة"<sup>(٧)</sup>.

قال الزجاج: "أهم أشد خلقًا أم من خلقنا من الأمم السالفة قبلهم وغيرهم من السموات والأرضين"<sup>(٨)</sup>.

عن السدي: "فاستفتهم أهم أشد خلقًا، قال: يعني المشركين، سلمهم أهم أشد خلقًا: أم من خلقنا؟"<sup>(٩)</sup>.

وفي قراءة عبد الله بن مسعود: «أهم أشد خلقًا أم من عددنا»<sup>(١٠)</sup>.

عن الضحاك أنه قرأ: «أهم أشد خلقًا أم من عددنا؟» وفي قراءة عبد الله بن مسعود: «عددنا»، يقول: {رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق}، يقول: أهم أشد خلقًا، أم السموات والأرض؟ يقول: السموات والأرض أشد خلقًا منهم"<sup>(١١)</sup>.

عن قتادة: "فاستفتهم أهم أشد خلقًا أم من عددنا من خلق السموات والأرض، قال

الله: {الخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس} ... الآية"<sup>(١٢)</sup>.

قوله تعالى: {إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ طِينٍ لَزِيبٍ} [الصفافات : ١١]، أي: "إنا خلقنا أباهم آدم من طين لزج، يلتصق ببعضه ببعض"<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٢/٣-٦٠٣.

(٢) النكت والعيون: ٤١/٤.

(٣) التفسير الميسر: ٤٤٦.

(٤) تفسير الطبري: ١٩/٢١.

(٥) تفسير ابن كثير: ٧/٧.

(٦) أخرجه الطبري: ١٩/٢١.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٤٤): ص ٣٢٠٦/١٠.

(٨) معاني القرآن: ٢٩٩/٤.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٠/٢١.

(١٠) تفسير الطبري: ١٩/٢١.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٠/٢١.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٠/٢١.

قال الطبري: " يقول: إنا خلقناهم من طين لاصق. وإنما وصفه جل ثناؤه باللزوب، لأنه تراب مخلوط بماء، وكذلك خلق ابن آدم من تراب وماء ونار وهواء؛ والتراب إذا خلط بماء صار طينا لازبا"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: " ثم بين أنهم خُلِقُوا من شيء ضعيف ، فقال { إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ }"<sup>(٣)</sup>.

قال يحيى: " يعني: خلق آدم، كان أول خلقه ترابا، ثم كان طينا، قال: من تراب"<sup>(٤)</sup>.  
قال ابن عباس: " اللازب، والحمأ، والطين، واحد، كان أوله ترابا، ثم صار حمأ منتنا، ثم صار طينا لا زبا فخلق الله منه آدم"<sup>(٥)</sup>.

وفي قوله تعالى: { إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ } [الصفوات : ١١]، وجوه من التفسير:  
أحدها : ملتصق، قاله ابن عباس<sup>(٦)</sup>، منه قول علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-<sup>(٧)</sup> :  
تعلم فإن الله زادك بسطة ... وأخلاق خير كلها لك لازب

وقال ابن زيد: " اللازب: الذي يلتصق كأنه غراء، ذلك اللازب"<sup>(٨)</sup>.  
الثاني : اللازق، أي: الذي يلزق باليد، قاله قتادة<sup>(٩)</sup>، والضحاك-في رواية-<sup>(١٠)</sup>.  
وقال ابن عباس: " من التراب والماء فيصير طينا يلزق"<sup>(١١)</sup>.

وقال ابن مسعود: " «اللازب»: الذي يلزق بعضه إلى بعض"<sup>(١٢)</sup>.  
الثالث: لازم، قاله مجاهد<sup>(١٣)</sup>، وبه قال أبو عبيدة<sup>(١٤)</sup>، وانشد قول النابغة<sup>(١٥)</sup>:  
ولا يحسبون الخير لا شرَّ بعده ... ولا يحسبون الشرَّ ضربة لازب  
وقول النجاشي<sup>(١٦)</sup>:

بنى اللوم بيتا فاستقرت عماده ... عليكم بنى التجار ضربة لازب  
قال الزجاج: " لازب، ولازم، ومعناها واحد، أي: لازق"<sup>(١٧)</sup>.  
قال الماوردي: "والفرق بين اللاصق واللازق أن اللاصق هو الذي قد لصق بعضه ببعض ، واللازق هو الذي يلزق بما أصابه"<sup>(١٨)</sup>.

قال يحيى: " يلصق ويلزق واحد، هي لغة، وهي تقال بالسين يلسق أيضا، وقال مجاهد:  
{لازب}: لازم، وهو واحد"<sup>(١٩)</sup>.  
الرابع : لزج ، قاله عكرمة<sup>(٢٠)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٤٦.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/٢١.

(٣) تفسير ابن كثير: ٧/٧.

(٤) تفسير يحيى بن سلام: ٨٢٥/٢.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨١٤٦):ص٣٢٠٦/١٠.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٢١، وابن أبي حاتم(١٨١٤٥):ص٣٢٠٦/١٠.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٤٠/٥.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٢/٢١.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٢١.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٢١.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٢/٢١.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨١٤٧):ص٣٢٠٦/١٠.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٢١.

(١٤) انظر: مجاز القرآن: ١٦٧/٢.

(١٥) ديوانه من الستة : ٣.

(١٦) البيت في تفسير الطبري: ٢٠/٢١، وتفسير القرطبي ٦٩ /١٥.

(١٧) معاني القرآن: ٢٩٩/٤.

(١٨) النكت والعيون: ٤٠/٥.

(١٩) تفسير يحيى بن سلام: ٨٢٥/٢.

(٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٢١.

الخامس: أن «اللازب»: الطين الجيد. قاله ابن عباس-في رواية أخرى-(<sup>١</sup>)، والضحاك(<sup>٢</sup>).  
السادس: أنه الطين الحر الجيد اللزج. قاله ابن عباس -أيضا-(<sup>٣</sup>).  
وقال ابن عباس: "اللزج الطيب"(<sup>٤</sup>).

## القرآن

### {بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (١٢)} [الصفات : ١٢]

التفسير:

بل عجبْتَ -أيها الرسول- من تكذيبهم وإنكارهم البعث، وأعجب من إنكارهم وأبلغ أنهم يستهزئون بك، ويسخرون من قولك.

قال ابن كثير: "أي: بل عجبْتَ - يا محمد - من تكذيب هؤلاء المنكرين للبعث، وأنت موقن مصدق بما أخبر الله به من الأمر العجيب، وهو إعادة الأجسام بعد فنائها. وهم بخلاف أمرك، من شدة تكذيبهم يسخرون مما تقول لهم من ذلك"(<sup>٥</sup>).

وفي قوله تعالى: {عَجِبْتَ} [الصفات : ١٢]، قراءتان: إحداهما: «عَجِبْتُ»، بضم التاء، قرأ بها علي بن أبي طالب، وابن مسعود(<sup>٦</sup>)، وابن عباس، وأبو عبد الرحمن السلمي، وعكرمة، وقتادة، وأبو مجلز، والنخعي، وطلحة بن مصرف، والأعمش، وابن أبي ليلي، وحمزة، والكسائي في آخرين(<sup>٧</sup>).

وفي هذه القراءة: "ويكون التعجب مضافاً إلى الله تعالى، وإن كان لا يتعجب من شيء لأن التعجب من حدوث العلم بما لم يعلم، والله تعالى عالم بالأشياء قبل كونها"(<sup>٨</sup>).

قال شقيق: "قرأت عند شريح: {بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ}، فقال: إن الله لا يعجب من شيء، إنها يعجب من لا يعلم. قال: فذكرت ذلك لإبراهيم النخعي فقال: إن شريحا شاعر يعجبه علمه، وعبد الله أعلم بذلك منه. قرأها: «بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ»"(<sup>٩</sup>).

قال الفراء: "والرفع أحب إلي لأنها قراءة عليّ وابن مسعود وعبد الله بن عباس، و«العجب» وإن أسند إلى الله فليس معناه من الله كمعناه من العباد، ألا ترى أنه قال: {فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ}، وليس السخري من الله كمعناه من العباد، وكذلك قوله: {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ}، ليس ذلك من الله كمعناه من العباد، ففي ذا بيان لكسر قول شريح، وإن كان جائزاً، لأن المفسرين قالوا: بَلْ عَجِبْتَ يا محمد ويسخرون هم. فهذا وجه النصب"(<sup>١٠</sup>).

قال الزجاج: "وقد أنكروا هذه القراءة، وقالوا: الله - عز وجل - لا يعجب، وإنكارهم هذا غلط. لأن القراءة والرواية كثيرة والعجب من الله - عز وجل - خلافه من

الآدميين كما قال: {ويمكر الله}، و {سخر الله منهم}، {وهو خادعهم}. و«المكر» من الله والخداع خلافه من الآدميين.

(١) انظر: تفسير الطبري: [٢٢/٢١].

(٢) انظر: تفسير الطبري: [٢٢/٢١].

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢١/٢١.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٢/٢١.

(٥) تفسير ابن كثير: ٨/٧.

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨١٤٩):ص٣٢٠٦/١٠.

(٧) انظر: السبعة في القراءات: ٥٤٧، ومعاني القرآن للفراء: ٣٨٤/٢، والنكت والعيون: ٤١/٥، وزاد المسير: ٥٣٧/٣.

(٨) النكت والعيون: ٤١/٥.

(٩) أخرجه الفراء في معاني القرآن: ٣٨٤/٢، وابن أبي حاتم(١٨١٥٠):ص٣٢٠٦/١٠-٣٢٠٧.

(١٠) معاني القرآن: ٣٨٤/٢.

وأصل «العجب» في اللغة: أن الإنسان إذا رأى ما ينكره ويقل مثله قال: عجبت من كذا وكذا، وكذا إذا فعل الأدميون ما ينكره الله جاز أن يقول فيه: عجبت والله قد علم الشيء قبل كونه، ولكن الإنكار إنما يقع والعجب الذي يلزم به الحجة عند وقوع الشيء<sup>(١)</sup>.

وفي تفسير «العجب» على هذه القراءة وجهان :  
أحدهما : يعني بل أنكرت. حكاة النقاش<sup>(٢)</sup>.  
الثاني : يعني: أنهم قد حلوا محل من يتعجب منه. وهذا قول علي بن عيسى<sup>(٣)</sup>.  
والقراءة الثانية : «عَجِبْتَ»، بفتح التاء. قرأ بها ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر.

وأضاف التعجب إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، كأنه قال: بل عجبت يا محمد، ويسخرون هم، قاله قتادة<sup>(٤)</sup>.

قال ابن السائب: "أنت تعجب منهم، وهم يسخرون منك"<sup>(٥)</sup>.  
وفيما عجب منه، أقوال:  
أحدهما : من القرآن حين أعطيه، قاله قتادة<sup>(٦)</sup>.  
قال قتادة: "عجب محمد عليه الصلاة والسلام من هذا القرآن حين أعطيه، وسخر منه أهل الضلالة"<sup>(٧)</sup>.

وفي رواية عن قتادة: "عجبت من كتاب الله ووحيه ويسخرون بما جئت به"<sup>(٨)</sup>.  
قال الزجاج: "معناه في الفتح: بل عجبت يا محمد من نزول الوحي عليك ويسخرون"<sup>(٩)</sup>.

الثاني : من الكفار إذ لم يؤمنوا بالقرآن، وهو معنى قول ابن زياد<sup>(١٠)</sup>.  
الثالث: من إنكارهم البعث. ذكره الزجاج<sup>(١١)</sup>.  
وفي قوله: {وَيَسْخَرُونَ} [الصفات : ١٢]، وجهان<sup>(١٢)</sup>:  
أحدهما : من الرسول إذا دعاهم.  
الثاني : من القرآن إذا تلى عليهم.  
قال أبو عبيدة: "يَسْتَسْخَرُونَ" و«يسخرون»: سواء"<sup>(١٣)</sup>.  
عن قتادة: "ويسخرون"، يعني: أهل مكة"<sup>(١٤)</sup>.

## القرآن

### {وَإِذَا نَكَّرُوا لَنَا يَدْكُرُونَ (١٣)} [الصفات : ١٣]

- 
- (١) معاني القرآن: ٣٠٠/٤.  
(٢) انظر: النكت والعيون: ٤١/٥.  
(٣) انظر: النكت والعيون: ٤١/٥.  
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/٢١.  
(٥) انظر: زاد المسير: ٥٣٧/٣.  
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/٢١.  
(٧) أخرجه الطبري: ٢٣/٢١، وابن أبي حاتم (١٨١٥١): ص ٣٢٠٧/١٠، بزيادة: {ويسخرون}، يعني: أهل مكة".  
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٥١): ص ٣٢٠٧/١٠.  
(٩) معاني القرآن: ٢٩٩/٤.  
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٤١/٥.  
(١١) انظر: معاني القرآن: ٢٩٩/٤-٣٠٠، وحكاة ابن الجوزي في زاد المسير: ٥٣٧/٣.  
(١٢) انظر: النكت والعيون: ٤١/٥.  
(١٣) مجاز القرآن: ١٦٧/٢.  
(١٤) أخرجه الطبري: ٢٣/٢١، وابن أبي حاتم (١٨١٥١): ص ٣٢٠٧/١٠، بزيادة: {ويسخرون}، يعني: أهل مكة".

التفسير:

وإذا ذكروا بما نسوه أو غفلوا عنه لا ينتفعون بهذا الذكر ولا يتدبرون.  
قال الطبري: يقول: "وإذا ذكر هؤلاء المشركون حجج الله عليهم ليعتبروا ويتفكروا، فينبوا إلى طاعة الله، لا ينتفعون بالتذكير فيذكروا"<sup>(١)</sup>.  
قال الشوكاني: "أي: وإذا وعظوا بموعظة من مواظ الله أو مواظ رسوله، لا يتعظون بها ولا ينتفعون بما فيه"<sup>(٢)</sup>.  
قال مقاتل: "وإذا وعظوا بالقرآن لا يتعظون"<sup>(٣)</sup>.  
قال قتادة: "أي، لا ينتفعون، ولا يبصرون"<sup>(٤)</sup>.  
قال القاسمي: " {وإذا ذكروا} أي: بما يؤيده، أو وعظوا وخوفوا من المخالفة، {لا يذكرون}، أي: ما يقتضيه؟ لتعنتهم وعنادهم. أو لا يخافون ولا يتعظون"<sup>(٥)</sup>.  
قال السعدي: " {و} من العجب أيضا أنهم {إذا ذكروا} ما يعرفون في فطرهم وعقولهم، وفطنوا له، وألفت نظرهم إليه {لا يذكرون} ذلك، فإن كان جهلا فهو من أدل الدلائل على شدة بلادتهم العظيمة، حيث ذكروا ما هو مستقر في الفطر، معلوم بالعقل، لا يقبل الإشكال، وإن كان تجاهلا وعنادا، فهو أعجب وأغرب"<sup>(٦)</sup>.

القرآن

{وإذا رأوا آية يستسخرونَ (١٤)} [الصفات : ١٤]

التفسير:

وإذا رأوا معجزة دالة على نبوتك يسخرون منها ويعجبون.  
قال الطبري: يقول: وإذا رأوا حجة من حجج الله عليهم، ودلالة على نبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، يسخرون ويستهزون"<sup>(٧)</sup>.  
قال ابن كثير: "أي: {وإذا رأوا} دلالة واضحة على ذلك، يستهزون"<sup>(٨)</sup>.  
قال الزجاج: "أي: إذا رأوا آية معجزة استسخروا واستهزأوا"<sup>(٩)</sup>.  
قال مقاتل: " {وإذا رأوا آية}، يعني: انشقاق القمر بمكة فصار نصفين، {يستسخرون}: سخروا فقالوا هذا عمل السحرة"<sup>(١٠)</sup>.  
قال قتادة: "أي: يسخرون منه ويستهزون"<sup>(١١)</sup>.  
قال مجاهد: " يستهزون، يستخسرون"<sup>(١٢)</sup>.  
قال السعدي: " ومن العجب [أيضا] أنهم إذا أقيمت عليهم الأدلة، وذكروا الآيات التي يخضع لها فحول الرجال وألباب الألباء، يسخرون منها ويعجبون"<sup>(١٣)</sup>.

القرآن

(١) تفسير الطبري: ٢٣/٢١.

(٢) فتح القدير: ٤٤٦/٤.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٣/٣.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٥٢): ص ٣٢٠٧/١٠.

(٥) محاسن التاويل: ٢٠٥/٨.

(٦) تفسير السعدي: ٧٠١.

(٧) تفسير الطبري: ٢٤/٢١.

(٨) تفسير ابن كثير: ٨/٧.

(٩) معاني القرآن: ٣٠٠/٤.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٣/٣.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٥٢): ص ٣٢٠٧/١٠.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٤/٢١.

(١٣) تفسير السعدي: ٧٠١.

{وَقَالُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٥) إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (١٦) أَوْ آبَاؤُنَا  
الْأَوَّلُونَ (١٧)} [الصافات : ١٥-١٧]  
التفسير:

وقالوا: ما هذا الذي جئت به إلا سحر ظاهر بين. إذا متنا وصيرنا ترابًا وعظامًا بالية أبنا لمبعوثون من قبورنا أحياء، أو يُبعث آبؤنا الذين مضوا من قبلنا؟

قوله تعالى: {وَقَالُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ} [الصافات : ١٥]، أي: "وقالوا: ما هذا الذي جئت به إلا سحر ظاهر بين" (١).

قال الطبري: يقول: "وقال هؤلاء المشركون من قريش بالله لمحمد صلى الله عليه وسلم: ما هذا الذي جئنا به إلا سحر «مبين»: يبين لمن تأمله ورآه أنه سحر" (٢).

قال ابن كثير: "أي: إن هذا الذي جئت به إلا سحر مبين" (٣).

قال السعدي: "ومن العجب أيضا، قولهم للحق لما جاءهم: {إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ} فجعلوا أعلى الأشياء وأجلها، وهو الحق، في رتبة أخس الأشياء وأحقها" (٤).

قوله تعالى: {إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ} [الصافات : ١٦]، أي: "إذا متنا وصيرنا ترابًا وعظامًا بالية أبنا لمبعوثون من قبورنا أحياء" (٥).

قال الطبري: "يقولون، منكروين بعث الله إياهم بعد بلاتهم: أننا لمبعوثون أحياء من قبورنا بعد مماتنا، ومصيرنا ترابا وعظاما، قد ذهب عنها اللحم" (٦).

قال ابن كثير: "يستبعدون ذلك ويكذبون به" (٧).

قال السعدي: "ومن العجب أيضا، قياسهم قدرة رب الأرض والسموات، على قدرة الآدمي الناقص من جميع الوجوه، فقالوا استبعادا وإنكارا: {إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ}.. {أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ} [الصافات : ١٧]، أي: "أو يُبعث آبؤنا الذين مضوا من قبلنا؟" (٨).

قوله تعالى: {وَقَالُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ} [الصافات : ١٧]، أي: "وقالوا: ما هذا الذي جئت به إلا سحر مبين" (٩).

قال الطبري: أي: "الذين مضوا من قبلنا، فبادوا وهلكوا" (١٠).

عن قتادة: "أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أننا لمبعوثون أو آبؤنا الأولون، تكذيبا بالبعث" (١١).

قال مقاتل: "قالوا ذلك تعجبا" (١٢).

## القرآن

{قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ (١٨)} [الصافات : ١٨]

التفسير:

قل لهم -أيها الرسول-: نعم سوف تُبعثون، وأنتم أذلاء صاغرون.

(١) التفسير الميسر: ٤٤٦.

(٢) تفسير الطبري: ٢٤/٢١.

(٣) تفسير ابن كثير: ٨/٧.

(٤) تفسير السعدي: ٧٠١.

(٥) التفسير الميسر: ٤٤٦.

(٦) تفسير الطبري: ٢٥-٢٤/٢١.

(٧) تفسير ابن كثير: ٨/٧.

(٨) تفسير السعدي: ٧٠١.

(٩) التفسير الميسر: ٤٤٦.

(١٠) تفسير الطبري: ٢٥/٢١.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٥/٢١.

(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٤/٣.



قال الطبري: يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء: نعم أنتم مبعوثون بعد مصيركم ترابا وعظاما أحياء كما كنتم قبل مماتكم، وأنتم صاغرون أشد الصغر"<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: قل لهم يا محمد: نعم تبعثون يوم القيامة بعد ما تصيرون ترابا وعظاما، {وَأَنْتُمْ} حقيرون تحت القدرة العظيمة، كما قال تعالى {وَكُلُّ أُنُوفِهِ دَاخِرِينَ} [النمل: ٨٧]، وقال: {إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر: ٦٠]"<sup>(٢)</sup>.

عن قتادة والسدي: "وأنتم داخرون"، أي: صاغرون"<sup>(٣)</sup>.

قال القرطبي: "أي: صاغرون أدلاء، لأنهم إذا رأوا وقوع ما أنكروه فلا محالة يذلون، وقيل: أي: ستقوم القيامة وإن كرهتم، فهذا أمر واقع على رغمكم وإن أنكرتموه اليوم بزعمكم"<sup>(٤)</sup>.

قال السعدي: "ولما كان هذا منتهى ما عندهم، وغاية ما لديهم، أمر الله رسوله أن يجيبهم بجواب مشتمل على ترهيبهم، فقال: {قُلْ نَعَمْ} ستبعثون، أنتم وأباؤكم الأولون {وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ} ذليلون صاغرون، لا تمتنعون، ولا تستعصون على قدرة الله"<sup>(٥)</sup>.

## القرآن

{فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ (١٩)} [الصافات: ١٩]

التفسير:

فإنما هي نفخة واحدة، فإذا هم قائمون من قبورهم ينظرون أهوال يوم القيامة.

قوله تعالى: {فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ} [الصافات: ١٩]، أي: "وما هي إلا صيحة واحدة ينفخ فيها إسرافيل في الصور للقيام من القبور"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: يقول: "فإنما هي صيحة واحدة، وذلك هو النفخ في الصور"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: إنما هو أمر واحد من الله عز وجل، يدعوهم دعوة واحدة أن يخرجوا من الأرض"<sup>(٨)</sup>.

قال القرطبي: "أي: صيحة واحدة، وهي النفخة الثانية. وسميت الصيحة زجرة، لأن مقصودها الزجر أي يزجر بها كزجر الإبل والخيل عند السوق"<sup>(٩)</sup>.

قال السعدي: "ينفخ إسرافيل فيها في الصور {فَإِذَا هُمْ} مبعوثون من قبورهم"<sup>(١٠)</sup>.

عن السدي، قوله: "زجرة واحدة"، قال: نفخة واحدة، وهي النفخة الآخرة"<sup>(١١)</sup>.

عن مجاهد، قوله: {فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ}، قال: صيحة"<sup>(١٢)</sup>.

قال مقاتل: "صيحة واحدة من إسرافيل لا مثوية لها"<sup>(١٣)</sup>.

قوله تعالى: {فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ} [الصافات: ١٩]، أي: "فإذا هم قيام في أرض المحشر ينظر بعضهم إلى بعض"<sup>(١٤)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ٢٥/٢١.

(٢) تفسير ابن كثير: ٨/٧.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٥/٢١.

(٤) تفسير القرطبي: ٧٢/١٥.

(٥) تفسير السعدي: ٧٠١.

(٦) التفسير الميسر: ٤٤٦.

(٧) تفسير الطبري: ٢٥/٢١.

(٨) تفسير ابن كثير: ٨/٧.

(٩) تفسير القرطبي: ٧٢/١٥.

(١٠) تفسير السعدي: ٧٠١.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٥٣): ص ٣٢٠٧/١٠، والطبري: ٢٥/٢١. [باختصار]

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٥٤): ص ٣٢٠٧/١٠.

(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٤/٣.

(١٤) التفسير الميسر: ٤٤٦.

قال الطبري: "يقول: فإذا هم شاخصة أبصارهم ينظرون إلى ما كانوا يوعدونه من قيام الساعة ويعابونهم"<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير: أي: "فإذا هم قيام بين يديه ، ينظرون إلى أهوال القيامة"<sup>(٢)</sup>.  
قال مقاتل: " {فإذا هم ينظرون} إلى البعث الذي كذبوا به، فلما نظروا وعابوا البعث ذكروا قول الرسل إن البعث حق"<sup>(٣)</sup>.

قال السعدي: " {يَنْظُرُونَ} كما ابتدئ خلقهم، بعثوا بجميع أجزائهم، حفاة عراة غرلا وفي تلك الحال، يظهرون الندم والخزي والخسار، ويدعون بالويل والثبور"<sup>(٤)</sup>.

## القرآن

### {وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ (٢٠)} [الصفات : ٢٠]

التفسير:

وقالوا: يا هلاكنا هذا يوم الحساب والجزاء.

قال الطبري: يقول: " وقال هؤلاء المشركون المكذبون إذا زجرت زجرة واحدة، ونفخ في الصور نفخة واحدة: {يا ويلنا} هذا يوم الجزاء والمحاسبة"<sup>(٥)</sup>.

قال ابن كثير: يخبر تعالى عن قيل الكفار يوم القيامة أنهم يرجعون على أنفسهم بالملامة ، ويعترفون بأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم في الدار الدنيا ، فإذا عابوا أهوال القيامة ندموا كلَّ الندم حيث لا ينفعهم الندم ، { وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ }"<sup>(٦)</sup>.

قال السعدي: " فقد أقرروا بما كانوا في الدنيا به يستهزءون"<sup>(٧)</sup>.

عن قتادة: " {هذا يوم الدين}، قال: يدين الله فيه العباد بأعمالهم"<sup>(٨)</sup>.

قال السدي: " يوم الحساب"<sup>(٩)</sup>.

قال مقاتل: " يوم الحساب الذي أخبرنا به النبي- صلى الله عليه وسلم- "<sup>(١٠)</sup>.

قال أبو عبيدة: " {يَوْمُ الدِّينِ}: الثواب والحساب، تقول العرب: كما تدين تدان"<sup>(١١)</sup>.

## القرآن

### {هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢١)} [الصفات : ٢١]

التفسير:

فيقال لهم: هذا يوم القضاء بين الخلق بالعدل الذي كنتم تكذبون به في الدنيا وتكفرونه.

قال الطبري: يقول: " هذا يوم فصل الله بين خلقه بالعدل من قضائه الذي كنتم به تكذبون في الدنيا فتكفرونه"<sup>(١٢)</sup>.

قال ابن كثير: فتقول لهم الملائكة والمؤمنون : { هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ } . وهذا يقال لهم على وجه التقرير والتوبيخ"<sup>(١٣)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ٢٥/٢١.

(٢) تفسير ابن كثير: ٨/٧.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٤/٣.

(٤) تفسير السعدي: ٧٠١.

(٥) تفسير الطبري: ٢٦/٢١.

(٦) تفسير ابن كثير: ٩/٧.

(٧) تفسير السعدي: ٧٠١.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٦/٢١.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٦/٢١.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٤/٣.

(١١) مجاز القرآن: ١٦٨/٢.

(١٢) تفسير الطبري: ٢٦/٢١.

(١٣) تفسير ابن كثير: ٩/٧.

قال السعدي: " فيقال لهم: { هَذَا يَوْمُ الْقَصْلِ } بين العباد فيما بينهم وبين ربهم من الحقوق، وفيما بينهم وبين غيرهم من الخلق" (١).  
 قال قتادة: " يعني: يوم القيامة" (٢).  
 قال السدي: " يوم يقضى بين أهل الجنة وأهل النار" (٣).  
 قال يحيى: " يوم القضاء، يقضى فيه بين المؤمنين والمشركين، فيدخل المؤمنون الجنة، ويدخل المشركون النار" (٤).  
 قال أبو عبيدة: " الفصل: قطع القضاء" (٥).  
 فوائد الآيات: [١١-٢١]:

- ١- بيان أصل خلق الإنسان وهو الطين اللازب أي اللاصق باليد.
- ٢- بيان موقفين متضادين الرسول يعجب من كفر المشركين وتكذيبهم والمشركون يسخرون من دعوته إياهم إلى الإيمان وعدم التكذيب بالله ولقائه.
- ٣- تقرير البعث وبيان طريقة وقوعه.
- ٤- عدم الانتفاع بالإيمان عند معانيه العذاب.

### القرآن

{ أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣) وَفَفَوْهُمُ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (٢٤) } [الصافات : ٢٢-٢٤]  
 التفسير:

ويقال للملائكة: اجمعوا الذين كفروا بالله ونظراءهم وآلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، فسوقهم سوقاً عنيفاً إلى جهنم. واحبسوهم قبل أن يصلوا إلى جهنم؛ إنهم مسؤولون عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت عنهم في الدنيا، مساءلة إنكار عليهم وتكيت لهم.  
 قوله تعالى: { أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ } [الصافات : ٢٤]، أي: " ويقال للملائكة: اجمعوا الذين كفروا بالله ونظراءهم من العصاة والمجرمين" (١).  
 قال الطبري: في الكلام، محذوف، والتقدير: " فيقال: احشروا الذين ظلموا، ومعنى ذلك اجمعوا الذين كفروا بالله في الدنيا وعصوه وأزواجهم وأشياعهم على ما كانوا عليه من الكفر بالله" (٢).

قال ابن عباس: " تقول الملائكة للزبانية: { احشروا الذين ظلموا وأزواجهم }" (٣).  
 وفي قوله تعالى: { وَأَزْوَاجَهُمْ } [الصافات : ٢٤]، أربعة أوجه:  
 أحدها : أمثالهم وأشباههم، قاله هذا قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٤)، وابن عباس-في رواية- (٥)، ومجاهد (٦)، وقاتادة (٧)، والسدي (٨)، والنعمان بن بشير (٩).  
 قال قتادة: " أشباههم. من الكفار مع الكفار" (١٠).

(١) تفسير السعدي: ٧٠١.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٦/٢١.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٦/٢١.

(٤) تفسير يحيى بن سلام: ٨٢٧/٢.

(٥) مجاز القرآن: ١٦٨/٢.

(٦) التفسير الميسر: ٤٤٧، وصفوة التفاسير: ٢٨/٣.

(٧) تفسير الطبري: ٢٧/٢١.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٥٦): ص ٣٢٠٧/١٠.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٧/٢١.

(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨١٥٨): ص ٣٢٠٨/١٠.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٨/٢١.

(١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨١٦٠): ص ٣٢٠٨/١٠.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٨/٢١.

(١٤) انظر: زاد المسير: ٥٣٨/٣.

وقال مجاهد: " أمثالهم" (٢).  
 وقال مجاهد: " القتل مع القتل والزنا مع الزنا وأكلة الربا مع أكلة الربا" (٣).  
 قال عمر بن الخطاب: " ضرباءهم" (٤).  
 وفي لفظ آخر لعمر: " إخوانهم" (٥).  
 وفي لفظ لابن عباس، قال: " نظراءهم" (٦).  
 وعن زيد بن أسلم، في قوله: " أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم" قال: أزواجهم في الأعمال وقرأ {وكنتم أزواجا ثلاثة} [الواقعة: ٧]، الآية {فأصحاب الميمنة} [الواقعة: ٨] زوج، {وأصحاب المشئمة} [الواقعة: ٩] زوج، {والسابقون} [الواقعة: ١٠] زوج" (٧).  
 قال القرطبي: " الزاني مع الزاني، وشارب الخمر مع شارب الخمر، وصاحب السرقة مع صاحب السرقة" (٨).  
 وروي عن عمر قال: يحشر صاحب الربا مع صاحب الربا وصاحب الزنا مع صاحب الزنا وصاحب الخمر مع صاحب الخمر" (٩).  
 الثاني: يعني: أتباعهم، ومن أشبههم من الظلمة. قاله ابن عباس (١٠).  
 الثالث: الذين ظلموا وأشياعهم، قاله قتادة (١١)، وأبو العالية (١٢). ومنه قول الشاعر (١٣):  
 فكبا الثور في وسيل وروض ... مونق النبت شامل الأزواج  
 قال أبو العالية: " الذين ظلموا وأشياعهم" (١٤).  
 قال قتادة: " وأشياعهم، الكفار مع الكفار" (١٥).  
 الرابع: قرناؤهم من الشياطين الذين أضلوهم، قاله مقاتل (١٦).  
 الخامس: -وهو قول ابن زيد- يعني: "أزواجهم في الأعمال، وقرأ {وكنتم أزواجا ثلاثة} (٧) فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة (٨) والسابقون السابقون" [الواقعة: ٧-١٠]، فالسابقون زوج وأصحاب الميمنة زوج، وأصحاب الشمال زوج، قال: كل من كان من هذا حشره الله معه. وقرأ: {وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ} [التكوير: ٧]، قال: زوجت على الأعمال، لكل واحد من هؤلاء زوج، زوج الله بعض هؤلاء بعضا، زوج أصحاب اليمين أصحاب اليمين، وأصحاب المشأمة أصحاب المشأمة، والسابقين السابقين، قال: فهذا قوله: {أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم}، قال: أزواج الأعمال التي زوجهن الله" (١٧).  
 السادس: نساؤهم الموافقات على الكفر، رواه النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١٨)، وابن عباس في رواية (١).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٦٠): ص ٣٢٠٨/١٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٨/٢١.

(٣) الدر المنثور: ٨٤/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٧/٢١.

(٥) رواه سفيان الثوري، كما في تفسير ابن كثير: ٩/٧.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٧/٢١.

(٧) الدر المنثور: ٨٤/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٨) تفسير القرطبي: ٧٣/١٥.

(٩) انظر: زاد المسير: ٥٣٨/٣.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٧/٢١.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٨/٢١.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٧/٢١.

(١٣) الشعر لا نسبة في النكت والعيون: ٤٣/٥.

(١٤) أخرجه الطبري: ٢٧/٢١.

(١٥) أخرجه الطبري: ٢٨/٢١.

(١٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠١/٤.

(١٧) أخرجه الطبري: ٢٨/٢١.

(١٨) انظر: النكت والعيون: ٤٣/٥.

وحكي عن الحسن: " أن أزواجهم: المشركات" (٢).  
 قوله تعالى: {وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ} [الصافات : ٢٤]، أي: " وما كانوا يعبدون من الأوثان والأصنام" (٣).  
 قال الطبري: يقول: "احشروا هؤلاء المشركين وآلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، فوجههم إلى طريق الجحيم" (٤).  
 قال ابن كثير: " أي : من الأصنام والأنداد ، تحشر معهم في أماكنهم" (٥).  
 عن قتادة: " {وما كانوا يعبدون من دون الله}: الأصنام" (٦).  
 وقال مقاتل: " يعني: إبليس وجنده، نزلت في كفار قريش نظيرها في «يس» { ألم أعهد إليكم ... } الآية { ... أن لا تعبدوا الشيطان}، يعني: إبليس وحده" (٧).  
 قوله تعالى: {فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ} [الصافات : ٢٤]، أي: " فعرفوهم طريق الجحيم ووجههم إليها" (٨).  
 قال ابن كثير: " أي : أرشدوهم إلى طريق جهنم ، وهذا كقوله تعالى : { وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا } [الإسراء : ٩٧]" (٩).  
 قال ابن عباس: " يقول: وجههم، وقيل: إن الجحيم الباب الرابع من أبواب النار" (١٠).  
 وقال ابن عباس: " سوقوهم" (١١).  
 وقال ابن عباس: " دلوهم إلى صراط الجحيم قال: طريق النار" (١٢).  
 قال مقاتل: " يعني: ادعوهم إلى طريق {الجحيم}، والجحيم: ما عظم الله- عز وجل- من النار" (١٣).  
 قال الصابوني: " وفي لفظ {اهدوهم} تهكم وسخرية، فإذا لم يهتدوا في الدنيا إلى الصراط المستقيم، فليهتدوا اليوم إلى صراط الجحيم" (١٤).  
 قوله تعالى: {وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ} [الصافات : ٢٤]، أي: " احبسوهم عند الصراط لأنهم سيسألون عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت عنهم في الدنيا، مساءلة إنكار عليهم وتبكييت لهم" (١٥).  
 قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: احبسوا أيها الملائكة هؤلاء المشركين الذين ظلموا أنفسهم وأزواجهم، وما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة {إنهم مسئولون}" (١٦).

- (١) انظر: تفسير ابن كثير: ٩/٧، وقال: " وهذا غريب ، والمعروف عنه الأول ، كما رواه مجاهد وسعيد بن جببر ، عنه : { أَرْوَجَهُمْ } : فَرَنَاءَهُمْ".  
 (٢) انظر: زاد المسير: ٥٣٩/٣.  
 (٣) صفوة التفاسير: ٢٨/٣.  
 (٤) تفسير الطبري: ٢٨/٢١.  
 (٥) تفسير ابن كثير: ٩/٧.  
 (٦) أخرجه الطبري: ٢٩/٢١.  
 (٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٤/٣.  
 (٨) صفوة التفاسير: ٢٨/٣.  
 (٩) تفسير ابن كثير: ٩/٧.  
 (١٠) أخرجه الطبري: ٢٩/٢١.  
 (١١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٦١): ص: ٣٢٠٨/١٠.  
 (١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٦٢): ص: ٣٢٠٨/١٠.  
 (١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٥-٦٠٤/٣.  
 (١٤) صفوة التفاسير: ٢٨/٣.  
 (١٥) التفسير الميسر: ٤٤٧، و صفوة التفاسير: ٢٨/٣.  
 (١٦) تفسير الطبري: ٢٩/٢١.

قال ابن كثير: "أي : قفوهم حتى يُسألوا عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت عنهم في الدار الدنيا"<sup>(١)</sup>.

وفي قوله تعالى: {إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ} [الصفات : ٢٤]، وجوه من التفسير: أحدها : عن «لا إله إلا الله»، قاله يحيى بن سلام<sup>(٢)</sup>.

الثاني : للسؤال عن أعمالهم و عما دعوا إليه من بدعة ، رواه أنس مرفوعاً<sup>(٣)</sup>.  
عن أنس بن مالك قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أيما رجل دعا رجلا إلى شيء كان موقوفا لازما به، لا يغادره، ولا يفارقه»، ثم قرأ هذه الآية: {وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ}<sup>(٤)</sup>.

الثالث : عن جلسائهم، قاله عثمان بن زائدة<sup>(٥)</sup>.

قال عثمان بن زائدة : "كان يقال إن أول ما يسأل، عنه العبد يوم القيامة، عن جلسائه"<sup>(٦)</sup>.

الرابع : محاسبون، قاله ابن عباس<sup>(٧)</sup>.

قال ابن عباس: "احبسوهم إنهم محاسبون"<sup>(٨)</sup>.

الخامس : معناه: وقفوا هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم وأزواجهم إنهم مسئولون عما كانوا يعبدون من دون الله. حكاه الطبري<sup>(٩)</sup>.

السادس : يسألهم هل يعجبهم ورود النار. قاله ابن مسعود<sup>(١٠)</sup>.

قال أبو الزعراء: "كنا عند عبد الله، فذكر قصة، ثم قال: يتمثل الله للخلق فيلقاهم، فليس أحد من الخلق كان يعبد من دون الله شيئاً إلا وهو مرفوع له يتبعه قال: فيلقى اليهود فيقول: من تعبدون؟ فيقولون: نعبد عزيراً، قال: فيقول: هل يسركم الماء؟ فيقولون: نعم، فيريهم جهنم وهي كهية السراب، ثم قرأ: {وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا}، قال: ثم يلقى النصارى فيقول: من تعبدون؟ فيقول: المسيح، فيقول: هل يسركم الماء؟ فيقولون: نعم، فيريهم جهنم، وهي كهية السراب، ثم كذلك لمن كان يعبد من دون الله شيئاً، ثم قرأ عبد الله: {وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ}<sup>(١١)</sup>.

## القرآن

### {مَا لَكُمْ لَّا تَتَّصِرُونَ} (٢٥) [الصفات : ٢٥]

التفسير:

ويقال لهم توبيخاً: ما لكم لا ينصر بعضهم بعضاً؟

قال الطبري: "يقول: ما لكم أيها المشركون بالله لا ينصر بعضهم بعضاً"<sup>(١٢)</sup>.

قال يحيى: "يقال لهم: {ما لكم لا تتناصرون} : لا ينصر بعضهم بعضاً"<sup>(١٣)</sup>.

قال ابن كثير: "أي : كما زعمتم أنكم جميع منتصر"<sup>(١٤)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير: ٩/٧.

(٢) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٨٢٨/٢.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٠/٢١.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٠/٢١.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨١٦٤): ص ٣٢٠٨/١٠.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٦٣): ص ٣٢٠٨/١٠.

(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨١٦٣): ص ٣٢٠٨/١٠.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٦٣): ص ٣٢٠٨/١٠.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٠/٢١.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٩/٢١-٣٠.

(١١) أخرجه الطبري: ٣٠-٢٩/٢١.

(١٢) تفسير الطبري: ٣٠/٢١.

(١٣) تفسير يحيى بن سلام: ٨٢٨/٢.

(١٤) تفسير ابن كثير: ٩/٧.

قال مقاتل: "يقول الخازن: {ما لكم لا تتاصرون}، نظيرها في الشعراء: {هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ} [الشعراء : ٩٣]، يقوله للكفار، ما لشركائكم الشياطين لا يمنعونكم من العذاب"<sup>(١)</sup>.  
 عن قتادة، قوله " {ما لكم لا تتاصرون}، لا والله لا يتناصرون، ولا يدفع بعضهم عن بعض"<sup>(٢)</sup>.  
 وقال السدي: لا يمنع بعضهم بعضا من دخول النار"<sup>(٣)</sup>.

## القرآن

{بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦)} [الصافات : ٢٦]

التفسير:

بل هم اليوم منقادون لأمر الله، لا يخالفونه ولا يحيدون عنه، غير منتصرين لأنفسهم.  
 قال الطبري: "يقول: بل هم اليوم مستسلمون لأمر الله فيهم وقضائه، موقنون بعذابه"<sup>(٤)</sup>.  
 قال يحيى: "استسلموا"<sup>(٥)</sup>.  
 قال مقاتل: "مستسلمون للعذاب"<sup>(٦)</sup>.  
 قال ابن كثير: "أي : منقادون لأمر الله ، لا يخالفونه ولا يحيدون عنه"<sup>(٧)</sup>.  
 عن قتادة، قوله " {بل هم اليوم مستسلمون}، في عذاب الله"<sup>(٨)</sup>.

## القرآن

{وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٧)} [الصافات : ٢٧]

التفسير:

وأقبل بعض الكفار على بعض يتلامون ويتخاصمون.  
 قال الطبري: "قيل: معنى ذلك: وأقبل الإنس على الجن، يتساءلون"<sup>(٩)</sup>.  
 قال مقاتل: " {يتساءلون}، يتكلمون"<sup>(١٠)</sup>.  
 قال ابن كثير: " يذكر تعالى أن الكفار يتلامون في عرصات القيامة ، كما يتخاصمون في دركات النار ، { فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَدُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ. قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ } [غافر : ٤٧ ، ٤٨]. وقال : { وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ. قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنْحُنُّ أَسَدًا مُؤْمِنِينَ. قَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [سبأ : ٣١ - ٣٣]"<sup>(١١)</sup>.

عن قتادة، قوله: " {وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون}، الإنس على الجن"<sup>(١٢)</sup>.

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٥/٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٠/٢١.

(٣) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٢٨/٢.

(٤) تفسير الطبري: ٣٠/٢١.

(٥) تفسير يحيى بن سلام: ٨٢٨/٢.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٥/٣.

(٧) تفسير ابن كثير: ٩/٧.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٠/٢١.

(٩) تفسير الطبري: ٣٠/٢١.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٥/٣.

(١١) تفسير ابن كثير: ١٠/٧.

(١٢) أخرجه الطبري: ٣٠/٢١.

قال ابن عباس: " ذلك إذا بعثوا في النفخة الثانية" (١).

قال النحاس: " فربما توهم الجاهل أن هذا من قول جَلَّ وعزَّ: {فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ} [المؤمنون: ١٠١] وليس منه في شيء لأن قوله جَلَّ وعزَّ: {فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ}، إنما هو لا يتساءلون بالأرحام فيقول أحدهم: أسألك بالرحم التي بيني وبينك إما نفعتني أسقطت حقاً لك عليّ أو وهبت لي حسنة، لأن قبله: {فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ}، أي: ليس ينتفعون بالأنساب التي بينهم كما جاء بالحديث «إن الرجل يوم القيامة ليسرّ بأن يصحّ له على أبيه أو على ابنه حقّ فيأخذه منه لأنها الحسنات والسيئات» (٢)، وفي حديث آخر «رحم الله امرأ كانت لأخيه عنده مظلمة في مال أو عرض فأتاه فاستحلّه قيل أن يطلبه به فيأخذ من حسناته فإن لم تكن له حسنات زيد عليه من سيئات المطالب» (٣)، و«يتساءلون» هاهنا إنما هو أن يسأل بعضهم بعضاً ويوبّخه في أنه أضلّه أو فتح له باباً من المعصية يبيّن ذلك أن بعده: {إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ} (٤).

## القرآن

{قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨) قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩)} [الصافات : ٢٨-٢٩]

التفسير:

قال الأتباع للمتبعين: إنكم كنتم تأتوننا من قبل الدين والحق، فتهوتون علينا أمر الشريعة، وتنفروننا عنها، وتزيفون لنا الضلال. وقال المتبعون للتابعين: ما الأمر كما تزعمون، بل كانت قلوبكم منكرة للإيمان، قابلة للكفر والعصيان.

قوله تعالى: {قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ} [الصافات : ٢٨]، أي: " قال الأتباع للمتبعين: إنكم كنتم تأتوننا من قبل الدين والحق، فتهوتون علينا أمر الشريعة، وتنفروننا عنها، وتزيفون لنا الضلال" (٥).

قال الطبري: " قالت الإنس للجن: إنكم أيها الجن كنتم تأتوننا من قبل الدين والحق فتخدعوننا بأقوى الوجوه، واليمين: القوة والقدرة في كلام العرب" (٦).

قال السمعاني: " أي: عن الأيمان التي حلفوا بها أنهم صادقون" (٧).  
وختلف أهل العلم في قوله تعالى: {تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ} [الصافات : ٢٨]، على وجوه من

التفسير:

أحدها : كنتم تقهروننا بالقدرة منكم علينا ، لأننا كنا أذلاء وكنتم أعزاء، قاله ابن عباس (٨)، وبه قال الفراء (٩)، والنحاس (١٠)، و«اليمين»: القدرة والقوة. وكذلك قوله: {قَرَأَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ}، أي: بالقوة والقدرة، وقال الشاعر (١١):

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٦٦) ص: ٣٢٠٩/١٠.

(٢) لم اقف عليه بهذا اللفظ، ونقله عنه القرطبي في التفسير: ٧٤/١٥.

(٣) أخرجه الترمذي في صفة القيامة ٢٥٤/٩.

(٤) إعراب القرآن: ٢٨١/٣-٢٨٢.

(٥) التفسير الميسر: ٤٤٧.

(٦) تفسير الطبري: ٣١/٢١.

(٧) تفسير السمعاني: ٣٩٧/٤.

(٨) انظر: النكت والعيون: ٤٥/٥.

(٩) انظر: معاني القرآن: ٣٨٤/٢-٣٨٥.

(١٠) انظر: معاني القرآن: ٢٢/٦.

(١١) للشماخ في ديوانه ص ٣٣٦، ولسان العرب (عرب) ، (يمن) ، وتهذيب اللغة ٨ / ٢٢١ ، ١٥ / ٥٢٣ ، وجمهرة اللغة ص ٣١٩ ، ٩٩٤ ، وتاج العروس (عرب) ، ومقاييس اللغة ٦ / ١٥٨ ، والإصابة ٤ / ٢٣٤ ، والشعر والشعراء ١ / ٢٧٨ ، وخزانة الأدب ١ / ٤٥٣ ، ٢ / ٢٢٣ ، وتفسير البحر المحيط ١ / ١٦٠ ، والعمدة ٢ / ١٣١ ، وأمالي القالي ١ / ٢٧٤ ، ونقد الشعر ص ٢٥ ، والبيت بلا نسبة في تفسير الطبري ٣١/٢١ .



إذا ما غاية رُفعت لمجدٍ ... تلقاها عَرَابُهُ باليمين  
أي: بالقدرة والقوة.

قال الفراء: "يقول: كنتم تأتوننا من قبل الدين، أي: تأتوننا تخدعوننا بأقوى الوجوه"<sup>(١)</sup>.  
قال النحاس: أي: "إنكم كنتم تأتوننا من الجهة التي هي أقوى الجهات وهي جهة الدين  
فتشكوننا فيه، وقد قيل هذا في قوله جل وعز: {وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ} [الزمر: ٦٧]،  
وهو معروف في كلام العرب. والله أعلم بما أراد"<sup>(٢)</sup>.  
الثاني: يعني: من قبل ميامنكم. قاله ابن خفيف<sup>(٣)</sup>.  
الثالث: من قبل الخير فتصدوننا عنه وتمنعوننا منه، قاله الحسن<sup>(٤)</sup>، وقتادة<sup>(٥)</sup>، وبه قال  
الزمخشري<sup>(٦)</sup>.

قال الحسن: "كانوا يأتونهم، عند كل خير ليصدوهم، عنه"<sup>(٧)</sup>.  
وقال قتادة: "قالت الإنس للجن: إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين، قال: من قبل الخير،  
فتنهوننا عنه، وتبطنوننا عنه"<sup>(٨)</sup>.

وقال ابن زيد: "قال بنو آدم للشياطين الذين كفروا: {إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين}، قال:  
تحولون بيننا وبين الخير، ورددتمونا عن الإسلام والإيمان، والعمل بالخير الذي أمر الله به"<sup>(٩)</sup>.  
قال الزمخشري: "اليمين لما كانت أشرف العضوين وأمتتهما وكانوا يثيمنون بها، فيها  
يصفحون ويماسحون ويناولون ويتناولون، ويزاولون أكثر الأمور، ويتشاءمون بالشمال، ولذلك  
سموها: الشؤمى، كما سموا أختها اليمنى، وتيمنوا بالسانح<sup>(١٠)</sup>، وتطيروا بالبارح، وكان الأعرس  
معيبا عندهم، وعضدت الشريعة ذلك، فأمرت بمباشرة أفضل الأمور باليمين، وأرادلها  
بالشمال. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيامن في كل شيء"<sup>(١١)</sup>. وجعلت اليمين  
لكاتب الحسنات، والشمال لكاتب السيئات، ووعد المحسن أن يؤتى كتابه بيمينه، والمسيء أن  
يؤتاه بشماله: استعيرت لجهة الخير وجانبه، فقيل: أتاه عن اليمين، أي: من قبل الخير وناحيته،  
فصدّه عنه وأضله، وجاء في بعض التفاسير: من أتاه الشيطان من جهة اليمين: أتاه من قبل  
الدين فلبس عليه الحق. ومن أتاه من جهة الشمال: أتاه من قبل الشهوات. ومن أتاه من بين يديه:  
أتاه من قبل التكذيب بالقيامة وبالثواب والعقاب. ومن أتاه من خلفه: خوفه الفقر على نفسه وعلى  
من يخلف بعده، فلم يصل رحما ولم يؤد زكاة"<sup>(١٢)</sup>.  
الرابع: من قبل «لا إله إلا الله». قاله يزيد الرشك<sup>(١٣)</sup>.  
الخامس: من حيث نأمنكم، قاله عكرمة<sup>(١٤)</sup>.  
السادس: من قبل الدين أنه معكم، وهو معنى قول الكلبي<sup>(١)</sup>.

(١) معاني القرآن: ٣٨٤/٢-٣٨٥.

(٢) معاني القرآن: ٢٢/٦.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٤٥/٥.

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨١٦٧): ص ٣٢٠٩/١٠.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٣١/٢١.

(٦) انظر: الكشاف: ٤٠-٣٩/٤.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٦٧): ص ٣٢٠٩/١٠.

(٨) أخرجه الطبري: ٣١/٢١.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٢/٢١.

(١٠) السانح: المار من اليسار إلى اليمين. والبارح عكسه. أفاده الصحاح.

(١١) متفق عليه من حديث عائشة رضی الله عنها، إذ قالت: "كان الرسول (يعجبه التيامن في تنعله وترجله  
وطهوره وفي شأنه كله".

رواه البخاري (١٦٨)، ومسلم (٢٦٨).

(١٢) الكشاف: ٤٠-٣٩/٤.

(١٣) انظر: تفسير ابن كثير: ١٠/٧.

(١٤) انظر: النكت والعيون: ٤٥/٥، وتفسير ابن كثير: ١١/٧.

السابع : من الجهة التي نحبّها و نناقدا إليها و تغرّونا بذاك . و العرب تتفاعل لما كان على اليمين ، و تسميه : السانح . حكاة النحاس<sup>(٢)</sup> .  
الثامن : تأتوننا مجيء من إذا حلف لنا صدّقناه : حكاة النحاس - أيضا<sup>(٣)</sup> .  
التاسع : من قبل النصيحة و اليمين ، و العرب تتيمن بما جاء عن اليمين و يجعلونه من دلائل الخير و يسمونه السانح ، و تنتظير بما جاء عن الشمال و يجعلونه من دلائل الشر و يسمونه : البارح ، و هو معنى قول عليّ بن عيسى<sup>(٤)</sup> .  
العاشر : من قبل الحق أنه معكم ، قاله مجاهد<sup>(٥)</sup> ، و السدي<sup>(٦)</sup> .  
و قال السدي : " تأتوننا من قبل الحق تزينون لنا الباطل ، و تصدوننا عن الحق " <sup>(٧)</sup> .  
و قال مجاهد : " الكفار تقوله للشياطين " <sup>(٨)</sup> .  
قال مقاتل : " يعنون : من قبل الحق ، نظيرها في الحاقة { لأخذنا منه باليمين } [ الحاقة : ٤٥ ] : بالحق " <sup>(٩)</sup> .  
الحادي عشر : من قبل الأموال ترغبون فيها أنها تنال بما تدعون إليه فتتبعون عليه ، و هو معنى قول الحسن<sup>(١٠)</sup> .  
قوله تعالى : { قالوا بل لم نكفروا مؤمنين } [ الصافات : ٢٩ ] ، أي : " وقال المتبوعون للتابعين : ما الأمر كما تزعمون ، بل كانت قلوبكم منكرا للإيمان ، قابلة للكفر و العصيان " <sup>(١١)</sup> .  
قال الحسن : " لو كنتم مؤمنين مُعْتَمِ مِنْنا " <sup>(١٢)</sup> .  
قال قتادة : " قالت الجن للإنس : { بل لم نكفروا مؤمنين } حتى بلغ { قومًا طاعين } " <sup>(١٣)</sup> .  
قال الطبري : " قالت الجن للإنس مجيبة لهم : بل لم تكونوا بتوحيد الله مقرين ، و كنتم للأصنام عابدين " <sup>(١٤)</sup> .  
قال ابن كثير : " تقول القادة من الجن ، و الإنس للأتباع : ما الأمر كما تزعمون ؟ بل كانت قلوبكم منكرا للإيمان ، قابلة للكفر و العصيان " <sup>(١٥)</sup> .  
قال الزجاج : " أي : إنما الكفر من قبلكم " <sup>(١٦)</sup> .  
قال السمعاني : " أي : رؤساء يقولون ذلك للأتباع " <sup>(١٧)</sup> .

## القرآن

{ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاعِينَ (٣٠) } [ الصافات : ٣٠ ]

التفسير :

- (١) انظر : النكت و العيون : ٤٥/٥ .
- (٢) انظر : إعراب القرآن : ٢٨٢/٣ .
- (٣) انظر : إعراب القرآن : ٢٨٢/٣ .
- (٤) انظر : النكت و العيون : ٤٦/٥ .
- (٥) انظر : تفسير الطبري : ٣١/٢١ .
- (٦) انظر : تفسير الطبري : ٣٢/٢١ .
- (٧) أخرجه الطبري : ٣٢/٢١ .
- (٨) أخرجه الطبري : ٣١/٢١ .
- (٩) تفسير مقاتل بن سليمان : ٦٠٥/٣ .
- (١٠) انظر : النكت و العيون : ٤٦/٥ .
- (١١) التفسير الميسر : ٤٤٧ .
- (١٢) الدر المنثور : ٨٦/٧ ، و عزاه إلى ابن أبي شيبة ، و ابن المنذر ، و ابن أبي حاتم .
- (١٣) أخرجه الطبري : ٣١/٢١ ، و انظر : الدر المنثور : ٨٦/٧ ، و عزاه إلى عبد بن حميد ، و ابن المنذر ، و ابن أبي حاتم .
- (١٤) تفسير الطبري : ٣٢/٢١ .
- (١٥) تفسير ابن كثير : ١١/٧ .
- (١٦) معاني القرآن : ٣٠٢/٤ .
- (١٧) تفسير السمعاني : ٣٩٧/٤ .

وما كان لنا عليكم من حجة أو قوة، فنصدكم بها عن الإيمان، بل كنتم -أيها المشركون- قومًا طاغين متجاوزين للحق.

قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ} [الصافات : ٣٠]، أي: "وما كان لنا عليكم من حجة أو قوة، فنصدكم بها عن الإيمان"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: "يقول: قالوا: وما كان لنا عليكم من حجة، فنصدكم بها عن الإيمان، ونحول بينكم من أجلها وبين اتباع الحق"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: من حجة على صحة ما دعوناكم إليه"<sup>(٣)</sup>.

عن السدي، قوله: "وما كان لنا عليكم من سلطان"، قال: الحجة"<sup>(٤)</sup>.

قال مقاتل: "من ملك، فنكرهكم على متابعتنا"<sup>(٥)</sup>.

قال قتادة: "قالت لهم الجن: {بل لم تكونوا مؤمنين}، حتى بلغ: {قوما طاغين}"<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: {بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ} [الصافات : ٣٠]، أي: "بل كنتم -أيها المشركون- قومًا طاغين متجاوزين للحق"<sup>(٧)</sup>.

قال الطبري: "يقول: قالوا لهم: بل كنتم أيها المشركون قوما طاغين على الله، متعدين إلى ما ليس لكم التعدي إليه من معصية الله وخلاف أمره"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: بل كان فيكم طغيان ومجاوزة للحق، فلهذا استجبتم لنا وتركتم الحق الذي جاءكم به الأنبياء، وأقاموا لكم الحجج على صحة ما جاءكم به، فخالفتموهم"<sup>(٩)</sup>.

قال مقاتل: "بل كنتم قوما طاغين: عاصين"<sup>(١٠)</sup>.

عن السدي، قوله: {بل كنتم قوما طاغين}، قال: كفار ضلال"<sup>(١١)</sup>.

قال النحاس: "أي: متزايدين في الكفر، وطغى الماء إذا زاد"<sup>(١٢)</sup>.

فوائد الآيات: [٢٢-٣٠]:

١- بيان صور لموقف من مواقف القيامة.

٢- بيان أن الأشباه في الكفر والفجور أو في الفسق تحشر مع بعضها بعضا.

٣- عدم جدوى براءة العابدين من المعبودين واحتجاج التابعين على المتبوعين.

## القرآن

{فَحَقُّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ (٣١)} [الصافات : ٣١]

التفسير:

فلزمننا جميعاً وعيد ربنا، إنا لذائقو العذاب، نحن وأنتم، بما قدمنا من ذنوبنا ومعاصينا في الدنيا.

قال السعدي: "أي: حق علينا قدر ربنا وقضاؤه، أنا وإياكم سنذوق العذاب، ونشترك في

العقاب"<sup>(١٣)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٤٧.

(٢) تفسير الطبري: ٣٢/٢١.

(٣) تفسير ابن كثير: ١١/٧.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٢/٢١.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٥/٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٢/٢١.

(٧) التفسير الميسر: ٤٤٧.

(٨) تفسير الطبري: ٣٢/٢١.

(٩) تفسير ابن كثير: ١١/٧.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٥/٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٣٢/٢١.

(١٢) إعراب القرآن: ٢٨٢/٣.

(١٣) تفسير السعدي: ٧٠٢.

قال ابن كثير: "يقول الكبراء للمستضعفين : حقت علينا كلمة الله: إنا من الأشقياء الذائقين العذاب يوم القيامة"<sup>(١)</sup>.

قال ابن قتيبة: "يعني: نحن وأنتم ذائقون العذاب"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: يقول: "فحق علينا قول ربنا، فوجب علينا عذاب ربنا، إنا لذائقون العذاب نحن وأنتم بما قدمنا من ذنوبنا ومعصيتنا في الدنيا؛ فهذا خبر من الله عن قيل الجن والإنس"<sup>(٣)</sup>.  
قال الزجاج: أي: "حقت علينا كلمة العذاب، {إنا لذائقون}، أي: إن الجماعة، المضل والصال في النار"<sup>(٤)</sup>.

قال النحاس: "أي: فحق علينا ما كتبه الله جلّ وعزّ، وما أعلم به ملائكته صلوات الله عليهم أجمعين. وهذا موافق للحديث: «إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ كَتَبَ لِلنَّارِ أَهْلًا وَلِلْجَنَّةِ أَهْلًا لَا يَزَادُ فِيهِمْ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُمْ»<sup>(٥)</sup><sup>(٦)</sup>.

عن قتادة: "فحق علينا قول ربنا، {..... الآية}. قال: هذا قول الجن"<sup>(٧)</sup>.

## القرآن

{فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنْأَا كُنَّا غَاوِينَ (٣٢)} [الصافات : ٣٢]

التفسير:

فأضللناكم عن سبيل الله والإيمان به، إنا كنا ضالين من قبلكم، فهلكنا؛ بسبب كفرنا، وأهلكناكم معنا.

قوله تعالى: {فَأَغْوَيْنَاكُمْ} [الصافات : ٣٢]، أي: "فأضللناكم عن سبيل الله والإيمان به"<sup>(٨)</sup>.

قال السدي: "الشياطين تقول {فأغويناكم} في الدنيا {إنا كنا غاوين}"<sup>(٩)</sup>.

قال الطبري: "يقول: فأضللناكم عن سبيل الله والإيمان به"<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن كثير: "أي : دعوناكم إلى الضلالة"<sup>(١١)</sup>.

قال السعدي: "أي: دعوناكم إلى طريقتنا التي نحن عليها، وهي الغواية، فاستجبتم لنا، فلا تلمونا ولوموا أنفسكم"<sup>(١٢)</sup>.

قال يحيى: "تقوله الشياطين للمشركين، أي: فأضللناكم"<sup>(١٣)</sup>.

قال النحاس: "أي: كنا سببا لعيكم"<sup>(١٤)</sup>.

قوله تعالى: {إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ} [الصافات : ٣٢]، أي: "إنا كنا ضالين من قبلكم، فهلكنا؛ بسبب كفرنا، وأهلكناكم معنا"<sup>(١٥)</sup>.

قال يحيى: "ضالين"<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير: ١١/٧.

(٢) تأويل مشكل القرآن: ٢٣٩.

(٣) تفسير الطبري: ٣٣/٢١.

(٤) معاني القرآن: ٣٠٢/٤.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه في التفسير ١١ / ١٩٥، وابن ماجة في سننه في المقدمة الحديث رقم (٨٢).

(٦) إعراب القرآن: ٢٨٢/٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٣/٢١.

(٨) التفسير الميسر: ٤٤٧.

(٩) الدر المنثور: ٨٦/٧، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(١٠) تفسير الطبري: ٣٣/٢١.

(١١) تفسير ابن كثير: ١١/٧.

(١٢) تفسير السعدي: ٧٠٢.

(١٣) تفسير يحيى بن سلام: ٨٢٩/٢.

(١٤) إعراب القرآن: ٢٨٢/٣.

(١٥) التفسير الميسر: ٤٤٧.

قال الطبري: يقول: "إنا كنا ضالين؛ وهذا أيضا خبر من الله عن قيل الجن والإنس" (٢).  
قال ابن كثير: "أي: دعوناكم إلى ما نحن فيه، فاستجبت لنا" (٣).

## القرآن

{فَأِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣)} [الصفات : ٣٣]

التفسير:

فإن الأتباع والمنتبوعين مشتركون يوم القيامة في العذاب، كما اشتركوا في الدنيا في معصية الله.

قال السدي: " {فَأِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ} وَمَنْ أَعْوَرَا فِي الدُّنْيَا {فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ} " (٤).

قال السدي: "لا يمنع بعضكم بعضاً من دخول النار" (٥).

قال الطبري: "يقول: فإن الإنس الذين كفروا بالله وأزواجهم، وما كانوا يعبدون من دون الله، والذين أعوروا الإنس من الجن يوم القيامة في العذاب مشتركون جميعاً في النار، كما اشتركوا في الدنيا في معصية الله" (٦).

قال السمعاني: "يعني: أنهم جميعاً في العذاب" (٧).

قال النحاس: "أي: الضالّ والمضلّ" (٨).

قال ابن كثير: "أي: الجميع في النار، كل بحسبه" (٩).

عن ابن زيد: في قوله {فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون}، قال: "هم والشياطين" (١٠).

قال يحيى: "يقرب كل واحد منهم هو وشيطانه في سلسلة واحدة" (١١).

قال السدي: "أي: يوم القيامة {فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ} وإن تفاوتت مقادير عذابهم

بحسب جرمهم، كما اشتركوا في الدنيا على الكفر، اشتركوا في الآخرة بجزائه" (١٢).

وقال القشيري: "يشتركون في العذاب ولكن تفاوتت أنصباؤهم، كما أنهم يشتركون في

الزلة ولكن تختلف مقادير زلاتهم" (١٣).

## القرآن

{إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (٣٤)} [الصفات : ٣٤]

التفسير:

إنا هكذا نفعل بالذين اختاروا معاصي الله في الدنيا على طاعته، فنذيقهم العذاب الأليم.

قال الطبري: يقول: "إنا هكذا نفعل بالذين اختاروا معاصي الله في الدنيا على طاعته،

والكفر به على الإيمان، فنذيقهم العذاب الأليم، ونجمع بينهم وبين قرنائهم في النار" (١٤).

قال البيضاوي: "مثل ذلك الفعل، نفعل بالمشركين" (١٥).

(١) تفسير يحيى بن سلام: ٨٢٩/٢.

(٢) تفسير الطبري: ٣٣/٢١.

(٣) تفسير ابن كثير: ١١/٧.

(٤) الدر المنثور: ٨٦/٧، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٥) علقه يحيى بن سلام ٨٢٨/٢.

(٦) تفسير الطبري: ٣٣/٢١.

(٧) تفسير السمعاني: ٣٩٧/٤.

(٨) إعراب القرآن: ٢٨٢/٣.

(٩) تفسير ابن كثير: ١١/٧.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٣/٢١.

(١١) تفسير يحيى بن سلام: ٨٢٩/٢-٨٣٠.

(١٢) تفسير السدي: ٧٠٢.

(١٣) لطائف الإشارات: ٢٣١/٣.

(١٤) تفسير الطبري: ٣٣/٢١.

(١٥) تفسير البيضاوي: ٩/٥.

قال يحيى: " {بالمجرمين} : {بالمشركين} " (١).  
قال الزجاج: " المجرمون: المشركون خاصة " (٢).  
قال السمعاني: " «الجرم» -ها هنا-: هو الشرك " (٣).

## القرآن

{إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥)} [الصفات : ٣٥]

التفسير:

إن أولئك المشركين كانوا في الدنيا إذا قيل لهم: لا إله إلا الله، ودعوا إليها، وأمروا بترك ما ينافيها، يستكبرون عنها وعلى من جاء بها.  
سبب النزول:

قال مقاتل بن سليمان: " {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ} نزلت في الملائكة من قريش الذين مشؤوا إلى أبي طالب، فقال لهم النبي - صلى الله عليه وسلم -: «قولوا: لا إله إلا الله. تملكون بها العرب، وتدين لكم العجم بها» (٤).

قال الطبري: يقول: " وإن هؤلاء المشركين بالله الذين وصف صفتهم في هذه الآيات كانوا في الدنيا إذا قيل لهم: قولوا {لا إله إلا الله}، يتعظمون عن قيل ذلك ويتكبرون " (٥).  
قال الزجاج: {إذا قيل لهم لا إله إلا الله}، " يعني: عن توحيد الله عز وجل، وألا يجعلوا الأصنام آلهة " (٦).

قال ابن كثير: " {إِنَّهُمْ كَانُوا} في الدار الدنيا { إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ}، يستكبرون أن يقولوها ، كما يقولها المؤمنون " (٧).

قال البيضاوي: {يستكبرون} " عن كلمة التوحيد، أو على من يدعوهم إليه " (٨).  
قال السدي: " يعني: المشركين خاصة " (٩).

وقال القشيري: " احتجابهم بقلوبهم أوقعهم في وهدة عذابهم ذلك لأنهم استكبروا عن الإقرار بربوبيته. ولو عرفوه لافتخروا بعبوديته قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ} [الأعراف : ٢٠٦]، وقال: {لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ} [النساء : ١٧٢]، فإن من عرف الله فلا لذة له إلا في طاعته " (١٠).

عن قتادة، قوله: " {إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون}، قال: قال عمر بن الخطاب: احضروا موتاكم، ولقتوهم لا إله إلا الله، فإنهم يرون ويسمعون " (١١).

عن أبي هريرة ، رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فمن قال : لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه ، وحسابه على الله ، وأنزل الله في كتابه - وذكر قوما استكبروا - فقال : { إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ } " (١٢).

(١) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٠/٢.

(٢) معاني القرآن: ٣٠٣/٤.

(٣) تفسير السمعاني: ٣٩٧/٤.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان ٦٠٦/٣.

(٥) تفسير الطبري: ٣٣/٢١.

(٦) معاني القرآن: ٣٠٣/٤.

(٧) تفسير ابن كثير: ١١/٧.

(٨) تفسير البيضاوي: ٩/٥.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٤/٢١.

(١٠) لطائف الإشارات: ٢٣١/٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٣٤/٢١.

(١٢) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١١/٧، و رواه مسلم في صحيحه برقم (٢١) بدون ذكر الآية من طريق يونس عن الزهري به.



قال ابن كثير: "يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق في جميع شرعة الله له من الإخبار والطلب"<sup>(١)</sup>.

عن قتادة: "بل جاء بالحق"، بالقرآن"<sup>(٢)</sup>.

قال السعدي: "أي: مجيئه حق، وما جاء به من الشرع والكتاب حق"<sup>(٣)</sup>.

قال البيضاوي: "رد عليهم بأن ما جاء به من التوحيد حق قام به البرهان"<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: {وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ} [الصفافات : ٣٧]، أي: "وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ فِيمَا أَخْبَرُوا بِهِ عَنْهُ مِنْ شَرَعِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ"<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: "وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِ"<sup>(٦)</sup>.

قال قتادة: "أي: صدق من كان قبله من المرسلين"<sup>(٧)</sup>.

قال البيضاوي: "أي: ما جاء به من التوحيد تطابق عليه المرسلون"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: صدقهم فيما أخبروه عنه من الصفات الحميدة، والمناهج السديدة، وأخبر عن الله في شرعه وقدره وأمره كما أخبروا، {مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ} الآية [فصلت : ٤٣]"<sup>(٩)</sup>.

قال السعدي: "أي: ومجيئه صدق المرسلين، فلولا مجيئه وإرساله لم يكن الرسل صادقين، فهو آية ومعجزة لكل رسول قبله، لأنهم أخبروا به وبشروا، وأخذ الله عليهم العهد والميثاق، لأن جاءهم، ليؤمنن به ولينصرنه، وأخذوا ذلك على أممهم، فلما جاء ظهر صدق الرسل الذين قبله، وتبين كذب من خالفهم، فلو قدر عدم مجيئه، وهم قد أخبروا به، لكان ذلك قادحا في صدقهم. وصدق أيضا المرسلين، بأن جاء بما جاءوا به، ودعا إلى ما دعوا إليه، وآمن بهم، وأخبر بصحة رسالتهم ونبوتهم وشرعهم"<sup>(١٠)</sup>.

فوائد الآيات: [٣٧-٣١]:

- ١- بيان هلاك الضال ومن أضله والغاوي ومن أغواه.
- ٢- بيان ما كان يوجهه المشركون لرسول الله من التهم الباطلة ورد الله تعالى عليها.
- ٣- التعظيم من شأن لا إله إلا الله وأنها دعوة كل الرسل التي سبقت النبي -صلى الله عليه وسلم-
- ٤- تقرير التوحيد والبعث والجزاء والنبوة المحمدية.

## القرآن

### {إِنكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ (٣٨)} [الصفافات : ٣٨]

التفسير:

إنكم -أيها المشركون- بقولكم وكفركم وتكذيبكم لذائقو العذاب الأليم الموجه.  
قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من أهل مكة، القائلين لمحمد: شاعر مجنون {إنكم} أيها المشركون {لذائقو العذاب} الموجه في الآخرة"<sup>(١١)</sup>.  
قال الصابوني: "أي: إنكم أيها المجرمون لمعذبون أشد العذاب"<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير: ١٢/٧.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٤/٢١.

(٣) تفسير السعدي: ٧٠٢.

(٤) تفسير البيضاوي: ٩/٥.

(٥) التفسير الميسر: ٤٤٧.

(٦) تفسير الطبري: ٣٤/٢١.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٤/٢١.

(٨) تفسير البيضاوي: ٩/٥.

(٩) تفسير ابن كثير: ١٢/٧.

(١٠) تفسير السعدي: ٧٠٢.

(١١) تفسير الطبري: ٣٥/٢١.



قال يحيى: {الأليم}: "الموجع، يقوله للمشركين، يعني: عذاب جهنم"<sup>(٢)</sup>.  
 قال عبدالقاهر الجرجاني: "خطاب متوجه إلى كفار قريش"<sup>(٣)</sup>.  
 قال الماتريدي: "بالتكذيب والرد لذلك كله"<sup>(٤)</sup>.  
 قال السعدي: "ولما كان قولهم السابق: {إِنَّا لَذَائِقُونَ} قولاً صادراً منهم، يحتمل أن يكون صدقاً أو غيره، أخبر تعالى بالقول الفصل الذي لا يحتمل غير الصدق واليقين، وهو الخبر الصادر منه تعالى، فقال: {إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ} أي: المؤلم الموجع"<sup>(٥)</sup>.  
 قال البغوي: "قوله تعالى: {الذائقو العذاب}: الوجه الجر بالإضافة. وقرئ شاذاً بالنصب؛ وهو سهو من قارئه؛ لأن اسم الفاعل تحذف منه النون، وينصب إذا كان فيه الألف واللام"<sup>(٦)</sup>.  
 قال أبو العالية: "الأليم: الموجع في القرآن كله"<sup>(٧)</sup>، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك<sup>(٨)</sup>.

## القرآن

{وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٩)} [الصفات : ٣٩]

التفسير:

وما تجزون في الآخرة إلا بما كنتم تعملونه في الدنيا من المعاصي.  
 قال الطبري: "يقول: وما تثابون في الآخرة إذا ذقتم العذاب الأليم فيها {إلا} ثواب {ما كنتم تعملون} في الدنيا، معاصي الله"<sup>(٩)</sup>.  
 قال الخازن: "أي: في الدنيا من الشرك والتكذيب"<sup>(١٠)</sup>.  
 قال النسفي: أي: "بلا زيادة"<sup>(١١)</sup>.  
 قال السعدي: "وَمَا تُجْزَوْنَ} في إذاعة العذاب الأليم، {إلا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}، فلم نظلمكم، وإنما عدلنا فيكم"<sup>(١٢)</sup>.

## القرآن

{إِنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ (٤٠) أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ (٤١) فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ (٤٢) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٤٣)} [الصفات : ٤٠-٤٣]

التفسير:

إلا عباد الله تعالى الذين أخلصوا له في عبادته، فأخلصهم واختصهم برحمته؛ فإنهم ناجون من العذاب الأليم. أولئك المخلصون لهم في الجنة رزق معلوم لا ينقطع. ذلك الرزق فواكه متنوعة، وهم مكرمون بكرامة الله لهم في جنات النعيم الدائم.  
 قوله تعالى: {إِنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ} [الصفات : ٤٠]، أي: "إلا عباد الله تعالى الذين أخلصوا له في عبادته، فأخلصهم واختصهم برحمته؛ فإنهم ناجون من العذاب الأليم"<sup>(١٣)</sup>.

(١) صفوة التفاسير: ٢٩/٣.

(٢) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٠/٢.

(٣) درج الدرر: ١٤٦٧/٤.

(٤) تاويلات أهل السنة: ٥٦٠/٨.

(٥) تفسير السعدي: ٧٠٢.

(٦) تفسير البغوي: ١٠٨٩/٢.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (٤٤٥١): ص ٨٢٣/٣.

(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٤٤٥١): ص ٨٢٣/٣.

(٩) تفسير الطبري: ٣٥/٢١.

(١٠) تفسير الخازن: ١٨/٤.

(١١) تفسير النسفي: ١٢٢/٣.

(١٢) تفسير السعدي: ٧٠٢.

(١٣) التفسير الميسر: ٤٤٧.

قال الطبري: "يقول: إلا عباد الله الذين أخلصهم يوم خلقهم لرحمته، وكتب لهم السعادة في أم الكتاب، فإنهم لا يذوقون العذاب، لأنهم أهل طاعة الله، وأهل الإيمان به"<sup>(١)</sup>.  
قال مقاتل: "استثنى المؤمنين فقال: {إلا عباد الله المخلصين} بالتوحيد، لا يذوقون العذاب"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: ليسوا يذوقون العذاب الأليم، ولا يناقشون في الحساب، بل يتجاوز عن سيئاتهم، إن كان لهم سيئات، ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، إلى ما يشاء الله تعالى من التضعيف"<sup>(٣)</sup>.

عن قتادة: " {إلا عباد الله المخلصين}، قال: هذه ثنية الله"<sup>(٤)</sup>.  
قال يحيى: "استثنى المؤمنين، وهم من كل ألف واحد"<sup>(٥)</sup>.  
قوله تعالى: {أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ} [الصفافات: ٤١]، أي: "أولئك المخلصون لهم في الجنة رزق معلوم لا يقطع"<sup>(٦)</sup>.  
قال يحيى: "الجنة"<sup>(٧)</sup>.

عن قتادة والسدي: " {أولئك لهم رزق معلوم}، في الجنة"<sup>(٨)</sup>.  
قال الطبري: "يقول: هؤلاء هم عباد الله المخلصون لهم رزق معلوم؛ وذلك الرزق المعلوم: هو الفواكه التي خلقها الله لهم في الجنة"<sup>(٩)</sup>.

قال مقاتل: "يعني بـ«المعلوم»: حين يشتهونه يؤتون به"<sup>(١٠)</sup>.  
قال السمعاني: " {معلوم} أي: مقدر، ورزقهم المقدر هو رزقهم بكرة وعشيا"<sup>(١١)</sup>.  
قال النسفي: "يجوز أن يراد رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت كقوله {وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا} [مريم: ٦٢]، والنفس إليه أسكن"<sup>(١٢)</sup>.

قوله تعالى: {فَوَاكِهَةٌ} [الصفافات: ٤٢]، أي: "ذلك الرزق فواكه متنوعة"<sup>(١٣)</sup>.  
قال السمعاني: "الفواكه: جمع الفاكهة"<sup>(١٤)</sup>.  
قال الصابوني: "وخصَّ الفواكه بالذكر لأن كل ما يؤكل في الجنة إنما هو على سبيل التفكه والتلذذ"<sup>(١٥)</sup>.

قال النسفي: "فسر الرزق المعلوم بالفواكه وهي كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعني أن رزقهم كله فواكه لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات لأن أجسادهم محكمة مخلوقة للأبد فما يأكلونه للتلذذ"<sup>(١٦)</sup>.  
قوله تعالى: {وَهُمْ مُكْرَمُونَ} [الصفافات: ٤٢]، أي: "وهم مكرمون بكرامة الله لهم"<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ٣٥/٢١.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٦/٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ١٢/٧.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٥/٢١.

(٥) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٠/٢.

(٦) التفسير الميسر: ٤٤٧.

(٧) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٠/٢.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٥/٢١.

(٩) تفسير الطبري: ٣٥/٢١.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٦/٣.

(١١) تفسير المساني: ٣٩٨/٤.

(١٢) تفسير النسفي: ١٢٢/٣.

(١٣) التفسير الميسر: ٤٤٧.

(١٤) تفسير المساني: ٣٩٨/٤.

(١٥) صفوة التفسير: ٢٩/٣.

(١٦) تفسير النسفي: ١٢٢/٣.

قال الطبري: " يقول: وهم مع الذي لهم من الرزق المعلوم في الجنة، مكرمون بكرامة الله التي أكرمهم الله بها"<sup>(٢)</sup>.  
 قال السمعاني: " {وهم مكرمون} أي: بإدخالهم الجنة"<sup>(٣)</sup>.  
 قال النسفي: أي: "منعمون"<sup>(٤)</sup>.  
 قال ابن كثير: " أي : يُخَدَمون ويرزقون ويرفَهون وينعمون "<sup>(٥)</sup>.  
 قوله تعالى: {فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ} [الصفافات : ٤٣]، أي: " في رياض وبساتين يتنعمون فيها"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: " يعني: في بساتين النعيم"<sup>(٧)</sup>.  
 قال السمعاني: " يعني: إنهم في جنات النعيم"<sup>(٨)</sup>.  
 عن مالك بن دينار، قال: "جنات النعيم بين جنان الفردوس وبين جنات عدن، وفيها جوارى خلقن من ورد الجنة، قيل: فمن يسكنها؟ قال: الذين عملوا بالمعاصي فلما ذكروا عظمتي راقبوني والذين انتنت أصلابهم من خشيتي وعزتي إني لأهم بعذاب أهل الأرض فإذا نظرت إلى أهل الجوع والعطش من مخافتني صرفت عنهم العذاب"<sup>(٩)</sup>.

## القرآن

### {عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ} (٤٤) [الصفافات : ٤٤]

التفسير:

ومن كرامتهم عند ربهم وإكرام بعضهم بعضاً أنهم على سرر متقابلين فيما بينهم.  
 قال الطبري: " يعني: أن بعضهم يقابل بعضاً، ولا ينظر بعضهم في قفا بعض"<sup>(١٠)</sup>.  
 قال يحيى: " السرر مرمولة بالذهب وبقضبان اللؤلؤ الرطب، {متقابلين}: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض. وقال بعضهم: ذلك في الزيارة إذا تزاوروا"<sup>(١١)</sup>.  
 قال مقاتل: " في الزيارة"<sup>(١٢)</sup>.  
 قال الزجاج: السرر: جمع سرير، مثل كئيب وكئب. ومعنى {متقابلين}، ينظر بعضهم إلى وجوه بعض ولا ينظر في أقاء بعض، وصفوا مع نعمهم بحسن العشرة وتهذيب الأخلاق، وصفاء المودة"<sup>(١٣)</sup>.  
 عن مجاهد، قوله: "{على سرر متقابلين}، قال: لا يرى بعضهم قفا بعض"<sup>(١٤)</sup>.  
 عن زيد بن أبي أوفى قال: " خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية { عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ }، ينظر بعضهم إلى بعض"<sup>(١٥)</sup>.

(١) التفسير الميسر: ٤٤٧.

(٢) تفسير الطبري: ٣٦/٢١.

(٣) تفسير المساني: ٣٩٨/٤.

(٤) تفسير النسفي: ١٢٢/٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ١٢/٧.

(٦) صفوة التفاسير: ٢٩/٣.

(٧) تفسير الطبري: ٣٦/٢١.

(٨) تفسير المساني: ٣٩٨/٤.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٥٩٤): ص ١١٧٠/٤.

(١٠) تفسير الطبري: ٣٦/٢١.

(١١) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٠/٢.

(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٦/٣.

(١٣) معاني القرآن: ١١٠/٥.

(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٤٠٤): ص ٢٢٦٧/٧.

(١٥) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١٢/٧. وقال: حديث غريب".

ورواه البخاري في التاريخ الكبير (٣٨٦/٣) في ترجمة زيد بن أبي أوفى من طريق حسان بن حسان به ، وقال

عن أبي صلح في قوله: {إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ} [الحجر : ٤٧]، قال: "عشرة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ملك وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعبد الله بن مسعود"<sup>(١)</sup>.

## القرآن

{يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (٤٥) بِيَضَاءٍ لُدَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (٤٦) لَا فِيهَا عَوْدٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ (٤٧)} [الصافات : ٤٥-٤٧]

التفسير:

يدار عليهم في مجالسهم بكؤوس خمر، من أنهار جارية، لا يخافون انقطاعها، بيضاء في لونها، لذيفة في شربها، ليس فيها أذى للجسم ولا للعقل.

قوله تعالى: {يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ} [الصافات : ٤٥]، أي: "يدار عليهم في مجالسهم بكؤوس خمر، من أنهار جارية"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: يقول: "يطوف الخدم عليهم بكأس من خمر جارية ظاهرة لأعينهم غير غائرة، والكأس عند العرب: كل إناء فيه شراب، فإن لم يكن فيه شراب لم يكن كأساً، ولكنه يكون إناء"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: بخمر من أنهار جارية، لا يخافون انقطاعها ولا فراغها"<sup>(٤)</sup>.

قال يحيى: "هي الخمر، و«المعين»: الجاري الطاهر"<sup>(٥)</sup>.

قال أبو عبيدة: "الكأس الإناء بما فيه والمعين الماء الطاهر الجاري"<sup>(٦)</sup>.

قال الزجاج: "من معين، أي: من خمر تجري كما يجري الماء على وجه الأرض من العيون"<sup>(٧)</sup>.

عن قتادة: "يطاف عليهم بكأس من معين، قال: كأس من خمر جارية، والمعين: هي الجارية"<sup>(٨)</sup>.

عن السدي، قوله: "بكأس من معين"، قال: الخمر"<sup>(٩)</sup>.

قال سعيد بن جبير: "المعين: الخمر"<sup>(١٠)</sup>.

قال الضحاك: "كل كأس في القرآن فهو خمر"<sup>(١١)</sup>.

قال الزجاج: "الكأس: الإناء إذا كانت فيه خمر فهو كأس، ويقع الكأس لكل إناء مع شرابه، فإن كان فارغاً فليس بكأس"<sup>(١٢)</sup>.

قال مالك، عن زيد بن أسلم: "خمر جارية بيضاء، أي: لونها مشرق حسن بهي لا كخمر الدنيا في منظرها البشع الرديء، من حمرة أو سواد أو أصفرار أو كدورة، إلى غير ذلك مما ينفر الطبع السليم"<sup>(١٣)</sup>.

: "لا يتابع عليه".

(١) تفسير سفيان الثوري (٤٧٤: ٦: ٩): ص ١٦٠.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤٧.

(٣) تفسير الطبري: ٣٦/٢١.

(٤) تفسير ابن كثير: ١٣/٧.

(٥) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٠/٢.

(٦) مجاز القرآن: ١٦٠/٢.

(٧) معاني القرآن: ٣٠٣/٤.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٦/٢١.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٦/٢١.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٧٩): ص ٣٢١١/١٠.

(١١) أخرجه الطبري: ٣٦/٢١.

(١٢) معاني القرآن: ٣٠٣/٤.

(١٣) نقلاً عن تفسير ابن كثير: ١٣/٧.

قوله تعالى: {بَيِّضَاءَ لَذَّةً لِلشَّارِبِينَ} [الصفافات : ٤٦]، أي: " هذه الخمر بيضاء في لونها، لذيفة في شربها"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: "يعني بالـ«بيضاء»: الكأس، { لذة للشاربين}، يقول: هذه الخمر لذة يلتذها شاربوها"<sup>(٢)</sup>.

قال يحيى: " {بيضاء}، يعني: الخمر"<sup>(٣)</sup>.

قال الزجاج: " {لذة للشاربين}، أي: ذات لذة"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: " أي: طعمها طيب كلونها ، وطيب الطعم دليل على طيب الريح ، بخلاف خمر الدنيا في جميع ذلك"<sup>(٥)</sup>.

قال السدي: "في قراءة عبد الله: «صفراء»"<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: {لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنرَفُونَ} [الصفافات : ٤٧]، أي: " ليس فيها ما يغتال عقولهم فيفسدها، ولا هم يسكرون بشربها كما تفعل خمر الدنيا"<sup>(٧)</sup>.

وفي قوله تعالى: {لَا فِيهَا غَوْلٌ} [الصفافات : ٤٧]، وجوه من التفسير:

أحدها : أي: ليس فيها صداع ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس<sup>(٨)</sup>.

الثاني : ليس فيها وجع البطن ، قاله ابن عباس -أيضا-<sup>(٩)</sup>، ومجاهد<sup>(١٠)</sup>، وابن زيد<sup>(١١)</sup>.

قال ابن زيد: " الغول: ما يوجع البطن، وشارب الخمر ههنا يشتهي بطنه"<sup>(١٢)</sup>.

الثالث: ليس فيها أذى ولا مكروه، قاله سعيد بن جبيرة<sup>(١٣)</sup>.

قال الماوردي: " وهذه الثلاثة متقاربة لاشتقاق الغول من الغائلة"<sup>(١٤)</sup>.

الرابع : ليس فيها وجع بطن، ولا صداع رأس. قاله قتادة<sup>(١٥)</sup>.

وقال سعيد بن جبيرة في رواية-: " وجع بطن ولا هم"<sup>(١٦)</sup>.

الخامس : أنها لا تغتال عقولهم، قاله السدي<sup>(١٧)</sup>، وأبو عبيدة<sup>(١٨)</sup>، والطبري<sup>(١٩)</sup>، ومنه قول الشاعر<sup>(٢٠)</sup>:

وما زالت الكأس تغتالنا ... وتذهب بالأول الأول

- 
- (١) التفسير الميسر : ٤٤٧، وصفوة التفاسير : ٢٩/٣.
- (٢) تفسير الطبري: ٣٧-٣٦/٢١.
- (٣) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٠/٢.
- (٤) معاني القرآن: ٣٠٣/٤.
- (٥) تفسير ابن كثير: ١٣/٧.
- (٦) أخرجه الطبري: ٣٦/٢١.
- (٧) صفوة التفاسير: ٢٩/٣.
- (٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٧/٢١.
- (٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٨/٢١.
- (١٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٨/٢١.
- (١١) انظر: تفسير الطبري: ٣٨/٢١.
- (١٢) أخرجه الطبري: ٣٨/٢١.
- (١٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٨/٢١.
- (١٤) انظر: النكت والعيون: ٤٧/٥.
- (١٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٨/٢١.
- (١٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٧٩): ص ٣٢١١/١٠.
- (١٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٨/٢١.
- (١٨) انظر: مجاز القرآن: ١٦٩/٢.
- (١٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٧/٢١.
- (٢٠) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١٦٩/٢، وتفسير الطبري: ٣١/٢١، وتفسير القرطبي: ٧٩/١٥ وهو منسوب لمطيع بن إياس في نسخة.
- «مطيع»: الذي ورد اسمه في الفروق: مطيع بن إياس بن أبي قرعة ويكنى مطيع أبا سلم أدرك الدولتين وكان شاعرا ظريفا. انظر السمط ص ٦٠٠ والأغاني ٧٠/١٣.

قال الطبري: "يقول: لا تذهب هذه الخمر بعقول شاربيها كما تذهب بها خمور أهل الدنيا إذا شربوها فأكثرها منها"<sup>(١)</sup>.

قال ابن قتيبة: "أي لا تغتال عقولهم فتذهب بها. يقال: الخمر غول للحلم، والحرب غول للنفوس. وغالني غولا. و«الغول»: البعد"<sup>(٢)</sup>.

قال السجستاني: "غول: إذهاب الشيء. يقال: الخمر غول للحلم، والحرب غول للنفوس. وقوله جل وعز: {لا فيها غول}، أي: لا تغتال عقولهم فتذهب بها"<sup>(٣)</sup>.

السادس: أي: لا تذهب بها عقولهم، ولا يصيبهم منها وجع. قاله الزجاج<sup>(٤)</sup>.  
السابع: ليس فيها إثم، قاله الكلبي<sup>(٥)</sup>.

قال الطبري: "ولكل هذه الأقوال التي ذكرناها وجه، وذلك أن الغول في كلام العرب: هو ما غال الإنسان فذهب به، فكل من ناله أمر يكرهه ضربوا له بذلك المثل، فقالوا: غالت فلانا غول، فالذهب العقل من شرب الشراب، والمشتكي البطن منه، والمصدع الرأس من ذلك، والذي ناله منه مكروه كلهم قد غالته غول.

فإذا كان ذلك كذلك، وكان الله تعالى ذكره قد نفى عن شراب الجنة أن يكون فيه غول، فالذي هو أولى بصفته أن يقال فيه كما قال جل ثناؤه: {لا فيها غول} فيعم بنفي كل معاني الغول عنه، وأعم ذلك أن يقال: لا أذى فيها ولا مكروه على شاربيها في جسم ولا عقل، ولا غير ذلك"<sup>(٦)</sup>.

وفي قوله تعالى: {وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ} [الصفافات: ٤٧]، وجوه من التفسير:

أحدها: لا تذهب عقولهم بالسكر، قاله ابن عباس<sup>(٧)</sup>، ومجاهد<sup>(٨)</sup>، وقتادة<sup>(٩)</sup>، والسدي<sup>(١٠)</sup>، ومقاتل<sup>(١١)</sup>، ومنه قول الشاعر<sup>(١٢)</sup>:

لعمري لئن أنزفتم أو صحوئتم ... لبئس الندامي كنتم آل أبحرا

قال ابن قتيبة: "أي: لا تذهب خمرهم وتقطع ولا تذهب عقولهم. يقال: نزف الرجل؛ إذا ذهب عقله وإذا نفذ شرابه"<sup>(١٣)</sup>.

قال أبو عبيدة: "تقول العرب: لا يقطع عنه وينزف سكر"<sup>(١٤)</sup>.

قال الفراء: "العرب تقول: شرب فلان حتى نزف، إذا ذهب عقله من السكر"<sup>(١٥)</sup>.

الثاني: لا يقينون. قاله ابن عباس<sup>(١٦)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ٣٧/٢١.

(٢) غريب القرآن: ٣٦٩.

(٣) غريب القرآن: ٣٥٢.

(٤) انظر: معاني القرآن: ٣٠٣/٤.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٤٧/٥. وحكاة الطبري: ٣٩/٢١، دون نسبة.

(٦) تفسير الطبري: ٣٩/٢١.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٩/٢١-٤٠.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٠/٢١.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٠/٢١.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٠/٢١.

(١١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٦/٣.

(١٢) البيت للأبيورد الرّياحيّ في مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١٦٩/٢، والبيت في الطبري ٣٢ / ٢٣ والصاح واللسان والتاج (نزف) وهو في القرطبي (٧٩ / ١٥) منسوب إلى الخطيئة.

وانظر ترجمة «الأبيورد»، في المعمرين: رقم ٥٨، والأغاني: ٩ / ١٢.

(١٣) غريب القرآن: ٣٦٩.

(١٤) مجاز القرآن: ١٦٩/٢.

(١٥) كتاب فيه لغات القرآن: ١٢٣.

(١٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨١٧٧): ص ١٠ / ٣٢١١، وانظر: الدر المنثور: ٨٨/٧.

قال ابن عباس: " في الخمر أربع خصال. السكر، والصداع، القيء، والبول، فنزه الله خمر الجنة عنها {لا فيها غول}: لا تغول عقولهم من السكر، {ولا هم عنها ينزفون}: لا يقيئون، عنها كما يقى صاحب خمر الدنيا، عنها، والقيء مستكره"<sup>(١)</sup>.  
الثالث: لا يبولون، حكاها الماوردي<sup>(٢)</sup>.

وفي الحديث: "إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون" قالوا: فما بال الطعام؟ قال: "جشاء ورشح كرشح المسك"<sup>(٣)</sup>.  
الرابع: معناه: لا مكروه فيها ولا أذى. قاله سعيد بن جبير<sup>(٤)</sup>.  
الخامس: أي: لا تفنى، مأخوذ من: نزع الركية، قاله أبو عمرو بن العلاء<sup>(٥)</sup>، ومنه قول الشاعر<sup>(٦)</sup>:

دَعِينِي-لَا أَبَا لَكَ -لَنْ تُطِيقِي ... لِحَاكِ اللّٰه! فَدُ أَنْزَفْتِ رِيقِي

وقد يختلف هذا التفسير باختلاف القراءة، فقرأ حمزة والكسائي: «ينزفون» -بكسر الزاي-، وقرأ الباقون: «يُنزَفون» -بفتح الزاي-، والفرق بينهما أن الفتح من: نزع فهو منزوف، إذا ذهب عقله بالسكر، والكسر من: أنزع فهو منزوف، إذا فنيت خمره<sup>(٧)</sup>.  
قال الماوردي: " وإنما صرف الله تعالى السكر عن أهل الجنة لئلا ينقطع عنهم التذاذ نعيمهم"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن كثير: " فنزه الله خمر الآخرة عن الآفات التي في خمر الدنيا، من صداع الرأس ووجع البطن - وهو الغول - وذهابها بالعقل جملة"<sup>(٩)</sup>.

#### القرآن

**{وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ (٤٩)} [الصفافات : ٤٩]**

التفسير:

وعندهم في مجالسهم نساء عفيفات، لا ينظرن إلى غير أزواجهن حسان الأعين، كأنهن ببيض مصون لم تمسه الأيدي.

قوله تعالى: {وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ} [الصفافات : ٤٨]، أي: " وعندهم في مجالسهم نساء عفيفات، لا ينظرن إلى غير أزواجهن حسان الأعين"<sup>(١٠)</sup>.

قال مقاتل: " حافظات النظر من الرجال غير أزواجهن لا يرون غيرهم من العشق، حسان الأعين"<sup>(١١)</sup>.

قال يحيى: " يعني: الأزواج، قصر طرفهن على أزواجهن لا يردن غيرهم. {عين} عظام العيون"<sup>(١٢)</sup>.

قال الطبري: يقول: " وعند هؤلاء المخلصين من عباد الله في الجنة قاصرات الطرف، وهن النساء اللواتي قصرن أطرافهن على بعولتهن، لا يردن غيرهم، ولا يمددن أبصارهن إلى

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٧٧) ص: ٣٢١١/١٠، وانظر: الدر المنثور: ٨٨/٧. وزاد نسبه لابن مردويه.

(٢) انظر: النكت والعيون: ٤٧/٥.

(٣) رواه مسلم (٢٨٣٥)، كتاب الجنة، باب: في صفات الجنة وأهلها.

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨١٧٩) ص: ٣٢١١/١٠.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٤٧/٥.

(٦) البيت لذي جدن الحميري، في سيرة ابن هشام: ٣٨/١، واخبار مكة للأزرقي: ١٣٤/١، وتاريخ الطبري:

١٢٥/٢، والكشف والبيان: ٢٨٩/١٠، وبلا نسبة في النكت والعيون: ٤٨/٥.

المعنى: أبيضت ريقى في فمى، وقلة الريق من الحصر، وكثرت من قوة النفس وثبات الجأش.

(٧) انظر: السبعة في القراءات: ٥٤٧، وتفسير الطبري: ٣٩/٢١، والنكت والعيون: ٤٨/٥.

(٨) النكت والعيون: ٤٨/٥.

(٩) تفسير ابن كثير: ١٣/٧.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٤٧.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٧/٣.

(١٢) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣١/٢.

غيرهم، يعني بالـ«عين»: النجل العيون عظامها، وهي جمع عيناء، والعيناء: المرأة الواسعة العين عظيمنتها، وهي أحسن ما تكون من العيون<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: عفيفات لا ينظرن إلى غير أزواجهن، حسان الأعين"<sup>(٢)</sup>.

عن ابن عباس: "وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ، يقول: عن غير أزواجهن"<sup>(٣)</sup>.

عن مجاهد: "وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ، قال: على أزواجهن؛ زاد الحارث في حديثه: لا تبغي غيرهم"<sup>(٤)</sup>.

قال قتادة: "قصرن طرفهن على أزواجهن، فلا يردن غيرهم"<sup>(٥)</sup>.

قال السدي: "قصرن أبصارهن وقلوبهن على أزواجهن، فلا يردن غيرهم"<sup>(٦)</sup>.

قال ابن زيد: "لا ينظرن إلا إلى أزواجهن، قد قصرن أطرافهن على أزواجهن، ليس كما يكون نساء أهل الدنيا"<sup>(٧)</sup>.

وفي «العين»، وجهان من التفسير:

أحدهما: العظام الأعين، قاله السدي<sup>(٨)</sup>، وابن زيد<sup>(٩)</sup>، ويحيى بن سلام<sup>(١٠)</sup>، والأخفش<sup>(١١)</sup>، وقطرب<sup>(١٢)</sup>، وأبو عبيدة<sup>(١٣)</sup>.

قال ابن زيد: "العيناء: العظيمة العين"<sup>(١٤)</sup>.

قال يحيى: "بلغني عن عبد الله بن عمرو قال: شفر عينها أطول من جناح النسر"<sup>(١٥)</sup>.

وروي عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: قلت: "يا رسول الله أخبرني عن قول الله: {حور عين}، قال: «العين: الضخام العيون؛ شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر»"<sup>(١٦)</sup>.

الثاني: الحسان العيون، قاله مجاهد<sup>(١٧)</sup>، ومقاتل<sup>(١٨)</sup>، وابن كثير<sup>(١٩)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: حسان الأعين، وقيل: ضخام الأعين. هو يرجع إلى الأول، وهي النجلاء العيناء، فوصف عيونهن بالحسن والعفة، كقول زليخا في يوسف حين جملة وأخرجته على تلك النسوة، فأعظمته وأكبرته، وظن أنه ملك من الملائكة لحسنه وبهاء منظره، قالت: {فَدَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ} [يوسف: ٣٢]، أي: هو مع هذا الجمال عفيف تقي نقي، فأرتهن جماله الظاهر وأخبرتتهن بجماله الباطن، وهكذا الحور العين {خَيْرَاتٌ حِسَانٌ} [الرحمن: ٧٠]، ولهذا قال: {وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ}"<sup>(٢٠)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ٤١/٢١.

(٢) تفسير ابن كثير: ١٣/٧-١٤.

(٣) أخرجه الطبري: ٤١/٢١.

(٤) أخرجه الطبري: ٤١/٢١.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٢/٢١.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٢-٤١/٢١.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٢/٢١.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٢/٢١.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٢/٢١.

(١٠) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٨٣١/٢.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٤٨/٥.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٤٨/٥.

(١٣) انظر: مجاز القرآن: ١٧٠/٢.

(١٤) أخرجه الطبري: ٤٢/٢١.

(١٥) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣١/٢.

(١٦) أخرجه الطبري: ٤٢/٢١.

(١٧) الدر المنثور: ٨٩/٧، وعزاه إلى ابن جرير، وعبد بن حميد، وانظر: النكت والعيون: ٤٨/٥.

(١٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٧/٣.

(١٩) انظر: تفسير ابن كثير: ١٤/٧.

(٢٠) تفسير ابن كثير: ١٤/٧.



قال الزجاج: " «عين»: كبار الأعين حسانها. الواحدة: عيناء" (١).  
قوله تعالى: {كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ} [الصفافات : ٤٩]، أي: " كأنهن بيض مصون لم تمسه الأيدي" (٢).

قال ابن كثير: " وصفهن بترافة الأبدان بأحسن الألوان" (٣).  
وفي قوله تعالى: {كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ} [الصفافات : ٤٩]، وجهان من التفسير:  
أحدهما : يعني: اللؤلؤ، وبه شبهن في بياضه وصفائه، قاله ابن عباس (٤).  
عن أنس رضي الله، عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا أول الناس  
خروجا إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا حزنوا، وأنا شفيعهم إذا حبسوا. لواء  
الحمد يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي عز وجل ولا فخر، يطوف علي ألف خادم  
كأنهن البيض المكنون- أو: اللؤلؤ المكنون» (٥).

الثاني : يعني: البيض المعروف في قشره، و«المكنون»: المصون.  
عن السدي: " {كأنهن بيض مكنون}، قال: البيض في عشه" (٦).  
قال مقاتل: " شبهن ببياض البيض الذي الصفرة في جوفه" (٧).  
وفي تشبيههم بـ«البيض المكنون»، أربعة أوجه :  
أحدها : تشبيهاً ببيض النعام يُكنّ بالريش من الغبار والريح فهو أبيض إلى الصفرة ، قاله  
الحسن (٨)، وابن زيد (٩).

عن الحسن وزيد بن اسلم: " {كأنهن بيض مكنون}، قال: محصون، لم تمرته الأيدي" (١٠).  
قال ابن زيد: " البيض الذي يكنه الريش، مثل بيض النعام الذي قد أكنه الريش من  
الريح، فهو أبيض إلى الصفرة فكأنه يبرق، فذلك المكنون" (١١).

قال ابن قتيبة: " العرب تشبه النساء ببيض النعام. قال امرؤ القيس (١٢):  
كِبْرُ الْمُقَانَاتِ الْبَيَاضُ بِصُفْرَةٍ ... غَدَاها نَمِيرُ المَاءِ غَيْرِ مُحَلَّلٍ  
و«المكنون»: المصون. يقال: كننت الشيء؛ إذا صنته؛ وأكننته: أخفيت» (١٣).  
الثاني : شبهن بطن البيض في البياض، وهو الذي داخل القشر، وذلك أن ذلك لم يمسه شيء،  
قاله سعيد بن جبير (١٤)، وقتادة (١٥).

قال سعيد بن جبير: " كأنهن بطن البيض" (١٦).  
قال قتادة: " لم تمر به الأيدي ولم تمسه، يشبهن بياضه" (١٧).  
الثالث : تشبيهاً ببياض البيض حين ينزع قشرة قبل أن تمسه الأيدي، قاله السدي (١٨).

(١) معاني القرآن: ٣٠٤/٤.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤٧.

(٣) تفسير ابن كثير: ١٤/٧.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٣/٢١.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٨٩): ص: ٣٢١٢/١٠.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٨٥): ص: ٣٢١٢/١٠.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٧/٣.

(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨١٨٦): ص: ٣٢١٢/١٠، وحكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ٤٨/٥.

(٩) نانظر: تفسير الطبري: ٤٣/٢١.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٨٦)، (١٨١٨٧): ص: ٣٢١٢/١٠.

(١١) أخرجه الطبري: ٤٣/٢١.

(١٢) ديوانه: ١١٦، والبيت له في اللسان ٦٨/٢٠، والبحر ٣٦٠/٧.

(١٣) غريب القرآن: ٣٧١.

(١٤) نانظر: تفسير الطبري: ٤٣/٢١.

(١٥) نانظر: تفسير الطبري: ٤٣/٢١.

(١٦) أخرجه الطبري: ٤٣/٢١.

(١٧) أخرجه الطبري: ٤٣/٢١.

(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٣/٢١.

الرابع : تشبيهاً بالسخاء الذي يكون بين القشرة العليا ولباب البيض، قاله عطاء الخراساني<sup>(١)</sup>. قال الطبري: " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: شبهن في بياضهن، وأنهن لم يمسهن قبل أزواجهن إنس ولا جان ببياض البيض الذي هو داخل القشر، وذلك هو الجلدة الملبسة المح قبل أن تمسه يد أو شيء غيرها، وذلك لا شك هو المكنون؛ فأما القشرة العليا فإن الطائر يمسه، والأيدي تباشرها، والعش يلقاها، والعرب تقول لكل مصون مكنون ما كان ذلك الشيء لؤلؤا كان أو بيضا أو متاعا، وتقول لكل شيء أضمرته الصدور: أكننته، فهو مكن"<sup>(٢)</sup>.

قال أبو عبيدة: " كل لؤلؤ أو بيض أو متاع صنته، فهو مكنون، وكل شيء أضمرته في نفسك فقد أكننته. قال أبو دهبيل<sup>(٣)</sup>:"

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغوّ ... اص ميزت من جوهر مكنون"<sup>(٤)</sup>.  
عن أم سلمة "قلت: يا رسول الله أخبرني عن قوله: {كأنهن بيض مكنون}، قال: "رقتهن كرقعة الجلدة التي رأيتها في داخل البيضة التي تلي القشر وهي الغرقى"<sup>(٥)</sup>.  
فوائد الآيات: [٣٨-٤٩]:

١- بيان عدالة الحق تبارك وتعالى في أنه يجزي السيئة بمثلها ولا يؤاخذ أحداً بغير كسبه في الحياة الدنيا.

٢- بيان فضل الله تعالى إذ يجزي المؤمنين الحسنة بعشر أمثالها إلى أكثر من سبعمائة.

٣- تقرير البعث وبيان بعض ما يجري فيه من قول وعمل.

٤- وصف نعيم أهل الجنة طعاما وشراباً وجلوساً واستمتاعاً.

#### القرآن

{فَأَقْبِلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٥٠) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١)} [الصفافات : ٥٠-٥١]

التفسير:

فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن أحوالهم في الدنيا وما كانوا يعانون فيها، وما أنعم الله به عليهم في الجنة، وهذا من تمام الأنس. قال قائل من أهل الجنة: لقد كان لي في الدنيا صاحب ملازم لي.

قوله تعالى: {فَأَقْبِلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ} [الصفافات : ٥٠]، أي: " فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن أحوالهم في الدنيا وما كانوا يعانون فيها، وما أنعم الله به عليهم في الجنة"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: يقول: " فأقبل بعض أهل الجنة على بعض يتساءلون، يقول: يسأل بعضهم بعضاً"<sup>(٧)</sup>.

قال يحيى: " يعني: أهل الجنة"<sup>(٨)</sup>.

قال مقاتل: " أي: أهل الجنة حين يتكلمون، يكلم بعضهم بعضاً"<sup>(٩)</sup>.

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٨١٨٤): ص ٣٢١٢/١٠، وتفسير عبدالرزاق (٢٥١٩): ص ٩٢/٣، والدر المنثور: ٨٩/٧.

(٢) تفسير الطبري: ٤٣/٢١-٤٤.

(٣) من الأبيات المختلف في عزوها قديما وكانوا يرونها نارة لأبي دهبيل وتارة أخرى لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت في خبر مع ابنة معاوية يطول ذكره انظره في الأغاني في ١٣/١٤٣ والخزانة ٣/٢٨٠. والاصفهانى لم يذكر أبا دهبيل، والكلمة في الكامل ص ١٦٨ والصاحح واللسان (سنن) والأمالى للقالى ٣/١٨٨ وانظر السمط (الذيل ص ٨٨) والبيت في الطبري ٤٣/٢١ والقرطبي ٨١/١٥.

(٤) مجاز القرآن: ١٧٠/٢.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٤/٢١.

(٦) التفسير الميسر: ٤٤٧.

(٧) تفسير الطبري: ٤٤/٢١.

(٨) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣١/٢.

عن قتادة وابن زيد: "فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون"، أهل الجنة"<sup>(٢)</sup>.  
قال ابن كثير: "يخبر تعالى عن أهل الجنة أنه أقبل بعضهم على بعض يتساءلون ، أي :  
عن أحوالهم ، وكيف كانوا في الدنيا ، وماذا كانوا يعانون فيها ؟ وذلك من حديثهم على شرايبهم ،  
 واجتماعهم في تنادهم وعشرتهم في مجالسهم ، وهم جلوس على السرر ، والخدم بين أيديهم ،  
 يسعون ويجيئون بكل خير عظيم ، من مأكّل ومشارب وملابس ، وغير ذلك مما لا عين رأت ،  
 ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر"<sup>(٣)</sup>.

قال السعدي: "قوله: {فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ} وحذف المعمول، والمقام مقام  
لذة وسرور، فدل ذلك على أنهم يتساءلون بكل ما يلتذون بالتحدث به، والمسائل التي وقع فيها  
النزاع والإشكال. ومن المعلوم أن لذة أهل العلم بالتساؤل عن العلم، والبحث عنه، فوق اللذات  
الجارية في أحاديث الدنيا، فلهم من هذا النوع النصيب الوافر، ويحصل لهم من انكشاف الحقائق  
العلمية في الجنة ما لا يمكن التعبير عنه"<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: {قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ} [الصافات : ٥١]، أي: "قال قائل من أهل  
الجنة: لقد كان لي في الدنيا صاحب ملازم لي"<sup>(٥)</sup>.  
قال الطبري: يقول: "قال قائل من أهل الجنة إذ أقبل بعضهم على بعض يتساءلون: {إني  
كان لي قرين}"<sup>(٦)</sup>.

واختلف أهل التفسير في القرين الذي ذكر في هذا الموضع، على أقوال:  
أحدها : أنه الشيطان كان يغويه فلا يطيعه ، قاله مجاهد<sup>(٧)</sup>.

الثاني : شريك له كان يدعوّه إلى الكفر فلا يجيبه، قاله ابن عباس<sup>(٨)</sup>.

قال ابن عباس: "هو الرجل المشرك يكون له الصاحب في الدنيا من أهل الإيمان، فيقول  
له المشرك: إنك لتصدق بأنك مبعوث من بعد الموت أئذا كنا ترابا؟ فلما أن صاروا إلى الآخرة  
وأدخل المؤمن الجنة، وأدخل المشرك النار، فاطلع المؤمن، فرأى صاحبه في سواء الجحيم:  
{قال تالله إن كدت لتردين}"<sup>(٩)</sup>.

وقال يحيى: "صاحب في الدنيا"<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن كثير: "ولا تنافي بين كلام مجاهد ، وابن عباس ؛ فإن الشيطان يكون من الجن  
فيوسوس في النفس ، ويكون من الإنس فيقول كلاما تسمعه الأذنان ، وكلاهما متعاديان، قال الله  
تعالى : { يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ عُرُورًا } [الأنعام : ١١٢] وكل منهما يوسوس  
، كما قال تعالى : {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ  
الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)} [الناس : ١ - ٦]"<sup>(١١)</sup>.  
الثالث: ما رواه خصيف، عن فرات بن ثعلبة البهراني في قوله: " {إني كان لي قرين}، قال: إن  
رجلين كانا شريكين، فاجتمع لهما ثمانية آلاف دينار، وكان أحدهما له حرفة، والآخر ليس له  
حرفة، فقال الذي له حرفة للآخر: ليس لك حرفة، ما أراني إلا مفارقك ومقاسمك، فقسامه  
وفارقه؛ ثم إن الرجل اشترى دارا بألف دينار كانت لملك قد مات فدعا صاحبه فأراه، فقال: كيف  
ترى هذه الدار ابتعتها بألف دينار؟ قال: ما أحسنها؛ فلما خرج قال: اللهم إن صاحبي هذا قد

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٧/٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٤/٢١.

(٣) تفسير ابن كثير: ١٥/٧.

(٤) تفسير السعدي: ٧٠٣.

(٥) التفسير الميسر: ٤٤٧.

(٦) تفسير الطبري: ٤٥/٢١.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٥/٢١.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٥/٢١.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٥/٢١.

(١٠) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣١/٢.

(١١) تفسير ابن كثير: ١٥/٧.

ابتاع هذه الدار بألف دينار، وإني أسألك دارا من دور الجنة، فتصدق بألف دينار؛ ثم مكث ما شاء الله أن يمكث، ثم إنه تزوج امرأة بألف دينار، فدعاه وصنع له طعاما؛ فلما أتاه قال: إني تزوجت هذه المرأة بألف دينار؛ قال: ما أحسن هذا؛ فلما انصرف قال: يا رب إن صاحبي تزوج امرأة بألف دينار، وإني أسألك امرأة من الحور العين، فتصدق بألف دينار؛ ثم إنه مكث ما شاء الله أن يمكث، ثم اشترى بستانين بألفي دينار، ثم دعاه فأراه، فقال: إني ابتعت هذين البستانين، فقال: ما أحسن هذا؛ فلما خرج قال: يا رب إن صاحبي قد اشترى بستانين بألفي دينار، وأنا أسألك بستانين من الجنة، فتصدق بألفي دينار؛ ثم إن الملك أتاهما فتوفاهما؛ ثم انطلق بهذا المتصدق فأدخله دارا تعجبه، فإذا امرأة تطلع يضيء ما تحتها من حسنهما، ثم أدخله بستانين، وشيئا الله به عليم، فقال عند ذلك: ما أشبه هذا برجل كان من أمره كذا وكذا. قال: فإنه ذاك، ولك هذا المنزل والبستانان والمرأة. قال: فإنه كان لي صاحب يقول: {أنتك لمن المصدقين}، قيل له: فإنه في الجحيم، قال: فهل أنتم مطلعون؟ فاطلع فرآه في سواء الجحيم، فقال عند ذلك: {تالله إن كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين}... الآيات<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: " وهذا التأويل الذي تأوله فرات بن ثعلبة يقوي قراءة من قرأ: «إنك لمن المصدقين»، بتشديد الصاد بمعنى: لمن المتصدقين، لأنه يذكر أن الله تعالى ذكره إنما أعطاه ما أعطاه على الصدقة لا على التصديق"<sup>(٢)</sup>.

وقال حفص: "سألت إسماعيل السدي عن هذه الآية: {قال قائل منهم إني كان لي قرين. يقول إنك لمن المصدقين}، قال: فقال لي: ما ذكرك هذا؟ قلت: قرأته أنفا فأحببت أن أسألك، عنه؟ فقال: أما فاحفظ، كان شريكان في بني إسرائيل، أحدهما مؤمن والآخر كافر، فافترقا على ستة آلاف دينار، كل واحد منهما ثلاثة آلاف دينار، فمكثا ما شاء الله أن يمكثا، ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن: ما صنعت في مالك؟ أضربت به شيئا؟ أتجرت به في شيء؟ فقال له المؤمن: لا، فما صنعت أنت؟ فقال: اشتريت به أرضا ونخلا وثمارا وأنهارا. قال: فقال له المؤمن: أو فعلت؟ فقال: نعم. قال: فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ما شاء الله أن يصلي، فلما انصرف أخذ ألف دينار فوضعها بين يديه، ثم قال: اللهم إن فلانا يعني شريكه الكافر اشترى أرضا ونخلا وثمارا وأنهارا بألف دينار، ثم يموت غدا ويتركها، اللهم إني اشتريت منك بهذه الألف دينار أرضا ونخلا وثمارا في الجنة قال: ثم أصبح فقسما في المساكين. قال: ثم مكثا ما شاء الله أن يمكثا ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن: ما صنعت في مالك؟ أضربت به في شيء؟ أتجرت به في شيء؟ قال: لا، فما صنعت أنت؟ فقال له المؤمن: أو فعلت؟ قال: نعم. قال: فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ما شاء الله أن يصلي، فلما انصرف أخذ ألف دينار فوضعها بين يديه، ثم قال: اللهم إن فلانا يعني شريكه الكافر اشترى رقيقا من الدنيا بألف دينار، يموت غدا ويتركهم أو يموتون فيتركونه، اللهم وإني اشتريت منك بهذه الألف دينار رقيقا في الجنة ثم أصبح فقسما في المساكين. قال: ثم مكثا ما شاء الله أن يمكثا، ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن: ما صنعت في مالك؟ أضربت به في شيء؟ أتجرت به في شيء؟ قال: لا، فما صنعت أنت؟ قال: أمري كله قد تم إلا شيئا واحدا، فلانة قد ماتت، عنها زوجها فأصدقته ألف دينار فجاءتني بها ومثلها معها. فقال له المؤمن: أو فعلت؟ قال: نعم. فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ما شاء الله أن يصلي فلما انصرف أخذ الألف دينار الباقية، فوضعها بين يديه، وقال: «اللهم إن فلانا يعني شريكه الكافر- تزوج زوجة من أزواج الدنيا فيموت غدا فيتركها، أو تموت فتتركه، اللهم وإني أخطب إليك بهذه الألف دينار حوراء عينا في الجنة، ثم أصبح فقسما بين المساكين. قال: فبقي المؤمن ليس، عنده شيء. قال: فلبس قميصا من قطن وكساء من صوف ثم أخذ مرا فجعله على رقبتة، يعمل الشيء ويحفر الشيء بقوته. قال: فجاءه رجل

(١) أخرجه الطبري: ٤٥/٢١-٤٦.

(٢) تفسير الطبري: ٤٦/٢١.



النار، فلما أدخل الجنة المؤمن ذكر أخاه، فقال لإخوانه من أهل الجنة: {إني كان لي قرين}، يعني: صاحب"<sup>(١)</sup>.

## القرآن

{يَقُولُ أَأَنْتَ لِمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣)} [الصفافات : ٥٢-٥٣]

التفسير:

يقول: كيف تصدق بالبعث الذي هو في غاية الاستغراب؟ إذا متنا وتمزقنا وصرنا ترابًا وعظامًا، نُبعث ونُحاسب ونُجازى بأعمالنا؟

قوله تعالى: {يَقُولُ أَأَنْتَ لِمِنَ الْمُصَدِّقِينَ} [الصفافات : ٥٣]، أي: "يقول: كيف تصدق بالبعث الذي هو في غاية الاستغراب؟"<sup>(٢)</sup>.

قال مقاتل: "بالبعث"<sup>(٣)</sup>.

قال يحيى: "على الاستفهام"<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: أنت تصدق بالبعث والنشور والحساب والجزاء؟! يعني: يقول ذلك على وجه التعجب والتكذيب والاستبعاد، والكفر والعناد"<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: {إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ} [الصفافات : ٥٣]، أي: "إذا متنا وتمزقنا وصرنا ترابًا وعظامًا، نُبعث ونُحاسب ونُجازى بأعمالنا؟"<sup>(٦)</sup>.

قال الطبري: " {أنا لمدِينون}، يقول: أنا لمحاسبون ومجزيون بعد مصيرنا عظاما ولحومنا ترابا"<sup>(٧)</sup>.

قال يحيى: "أي: لا نبعث ولا نحاسب وهما اللذان في سورة الكهف: {وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ} [الكهف : ٣٢]، إلى آخر قصتهما"<sup>(٨)</sup>.

قال مقاتل: "يعنى: المحاسبين في أعمالنا"<sup>(٩)</sup>.

قال السدي: يعني: "لمحاسبون"<sup>(١٠)</sup>.

عن ابن عباس، قوله، " {أنا لمدِينون}، يقول: أنا لمجازون بالعمل، كما تدين تدان"<sup>(١١)</sup>.

عن قتادة، قوله: " {أنا لمدِينون} : أنا لمحاسبون"<sup>(١٢)</sup>.

قال أبو عبيدة: " أي: مجزيون، يقال: دنته، أي: جزيته بكذا وكذا"<sup>(١٣)</sup>.

قال ابن قتيبة: " أي: مجزيون بأعمالنا. يقال: دنته بما صنع؛ أي جزيته"<sup>(١٤)</sup>.

مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فُتُصَبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصَبِحَ مَاءً زَافِرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١) وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣)} [الكهف : ٣٢ - ٤٣].

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٧/٣-٦٠٨.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤٧.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٨/٣.

(٤) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣١/٢.

(٥) تفسير ابن كثير: ١٥/٧.

(٦) التفسير الميسر: ٤٤٧.

(٧) تفسير الطبري: ٤٦/٢١.

(٨) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣١/٢.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٨/٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٦/٢١، وحكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٣١/٢.

(١١) أخرجه الطبري: ٤٦/٢١.

(١٢) أخرجه الطبري: ٤٦/٢١.

(١٣) مجاز القرآن: ١٧٠/٢.

(١٤) غريب القرآن: ٣٧١.

## القرآن

{قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥)} [الصفافات : ٥٤-٥٥]

التفسير:

قال هذا المؤمن الذي أدخل الجنة لأصحابه: هل أنتم مُطَّلِعُونَ لنرى مصير ذلك القرين؟ فاطلع فرأى قرينه في وسط النار.

قوله تعالى: {قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ} [الصفافات : ٥٤]، أي: "قال ذلك المؤمن لإخوانه في الجنة: هل أنتم مُطَّلِعُونَ إلى النار لننظر كيف حال ذلك القريب؟"<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: مشرفون. يقول المؤمن لأصحابه وجلسائه من أهل الجنة"<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري: "قال هذا المؤمن الذي أدخل الجنة لأصحابه: {هل أنتم مُطَّلِعُونَ} في النار، لعلي أرى قريني الذي كان يقول لي: إنك لمن المصدقين بأننا مبعوثون بعد الممات"<sup>(٣)</sup>.

قال مقاتل: "ثم قال المؤمن لإخوانه في الجنة: {هل أنتم مُطَّلِعُونَ} إلى النار، فتنظرون منزلة أخي فردوا عليه أنت أعرف به منا، فاطلع أنت، ولأهل الجنة في منازلهم كوى فإذا شاءوا نظروا إلى أهل النار"<sup>(٤)</sup>.

عن ابن عباس، قوله: "{هل أنتم مُطَّلِعُونَ}"، يقول: مُطَّلِعُونَ إليه حتى أنظر إليه في النار"<sup>(٥)</sup>.

قال قتادة: "سأل ربه أن يطلعه"<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: {فَاطَّلَعَ فَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ} [الصفافات : ٥٥]، أي: "فنظر فأبصر صاحبه الكافر في وسط الجحيم يتلظى سعيرها"<sup>(٧)</sup>.

قال مقاتل: " {فاطلع} المؤمن {فراه} فرأى أخاه {في سواء}، يعني: في وسط الجحيم، أسود الوجه أزرق العينين مقرونا مع شيطانه في سلسلة"<sup>(٨)</sup>.

قال الطبري: "يقول: فاطلع في النار فراه في وسط الجحيم. وفي الكلام متروك استغني بدلالة الكلام عليه من ذكره، وهو فقالوا: نعم"<sup>(٩)</sup>.

عن ابن عباس والحسن، قوله: "{في سواء الجحيم}"، يعني: في وسط الجحيم"<sup>(١٠)</sup>.

عن قتادة، قوله: "{في سواء الجحيم}"، وسطها"<sup>(١١)</sup>.

وقال قتادة: "ذكر لنا أن كعب الأحبار رضي، عنه قال: في الجنة كوى. فإذا أراد أحد من أهلها أن ينظر إلى عدوه في النار اطلع فازداد شكرا"<sup>(١٢)</sup>.

قال أبو عبيدة: "سمعت عيسى ابن عمر، يقول: كنت وأنا شاب أقعد بالليل فأكتب حتى ينقطع سوائى، أي: وسطى"<sup>(١٣)</sup>.

قال مطرف بن عبد الله: "والله لولا أنه عرفه ما عرفه، لقد غيرت النار حبره وسبره"<sup>(١)</sup>.

(١) صفوة التفاسير: ٣١/٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ١٦/٧.

(٣) تفسير الطبري: ٤٦/٢١.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٨/٣.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٩٣): ص ١٠/٣٢١٥.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٨/٢١.

(٧) صفوة التفاسير: ٣١/٣.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٨/٣.

(٩) تفسير الطبري: ٤٦/٢١.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٨/٢١.

(١١) أخرجه الطبري: ٤٨/٢١.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٩٥): ص ١٠/٣٢١٦، وانظر: تفسير ابن كثير: ١٦/٧.

(١٣) مجاز القرآن: ١٧٠/٢.

عن قتادة، عن خلود العصري، قال: "لولا أن الله عرفه إياه ما عرفه، لقد تغير خبره وسيرة بعده، وذكر لنا أنه اطلع فرأى جماجم القوم، فقال: {تالله إن كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين}"<sup>(٢)</sup>.  
قال السدي: "كان ابن عباس يقرؤها: «هل أنتم مطلعوني فاطلع فرآه في سواء الجحيم»، قال: في وسط الجحيم"<sup>(٣)</sup>.

## القرآن

{قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لِتُرْدِينَ (٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٥٧)} [الصافات : ٥٦-٥٧]

التفسير:

قال المؤمن لقرينه المنكر للبعث: لقد قاربت أن تهلكني بصدك إياي عن الإيمان لو أطعتك. ولولا فضل ربي بهدائي إلى الإيمان وتثبيتي عليه، لكنت من المحضرين في العذاب معك.  
قوله تعالى: {قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لِتُرْدِينَ} [الصافات : ٥٦]، أي: "قال المؤمن لقرينه المنكر للبعث: والله لقد قاربت أن تهلكني بصدك إياي عن الإيمان لو أطعتك"<sup>(٤)</sup>.  
قال الطبري: "يقول: فلما رأى قرينه في النار قال: تالله إن كدت في الدنيا لتهلكني بصدك إياي عن الإيمان بالبعث والثواب والعقاب"<sup>(٥)</sup>.  
قال ابن كثير: "يقول المؤمن مخاطباً للكافر: والله إن كدت لتهلكني لو أطعتك"<sup>(٦)</sup>.  
قال أبو عبيدة: "أرديته: أهلكته، وردى هو، أي: هلك"<sup>(٧)</sup>.  
قال ابن قتيبة: "إن كدت لتردين {أي لتهلكني}. يقال: أرديت فلانا، أي أهلكته. و"الردى": الموت والهلاك"<sup>(٨)</sup>.

قال الطبري: "يقال منه: أردى فلان فلانا: إذا أهلكه، وردى فلان: إذا هلك، كما قال الأعشى"<sup>(٩)</sup>.

أفي الطوف خفت علي الردى ... وكم من رد أهله لم يرم  
يعني بقوله: «وكم من رد»: وكم من هالك"<sup>(١٠)</sup>.

قال يحيى: {لتردين}: "لتباعدي من الله، يقوله المؤمن لصاحبه"<sup>(١١)</sup>.

عن السدي، قوله: "إن كدت لتردين"، قال: لتهلكني"<sup>(١٢)</sup>.

وقال السدي: "يعني: تالله لقد كدت تغوين"<sup>(١٣)</sup>.

وفي قراءة عبد الله: «إن كدت لتغوين»"<sup>(١٤)</sup>.

(١) أخرجه الطبري: ٤٨/٢١-٤٩.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٨/٢١.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٩/٢١.

(٤) التفسير الميسر: ٤٤٨. [بتصرف]

(٥) تفسير الطبري: ٥٠/٢١.

(٦) تفسير ابن كثير: ١٦/٧.

(٧) مجاز القرآن: ١٧٠/٢.

(٨) غريب القرآن: ٣٧١.

(٩) لبيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ٤١) من قصيدة ميمية مطولة يمدح بها قيس بن معد كرب. والبيت من أبيات في آخرها يخاطب الشاعر بها ابنته التي تخشى عليه الموت بسبب طول أسفاره وكثرتها، فيرد عليها قائلاً: أخفت علي الموت بسبب السفر؟ فانظري كم إنسان يموت ولا يبرح ديار أهله!

(١٠) تفسير الطبري: ٥١-٥٠/٢١.

(١١) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٢/٢.

(١٢) أخرجه الطبري: ٥٠/٢١.

(١٣) حكاة عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٣٢/٢.

(١٤) معاني القرآن للفراء: ٣٨٥/٢.



قوله تعالى: {وَلَوْ لَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ} [الصافات : ٥٧]، أي: "ولولا فضل ربي بهدائتي إلى الإيمان وتثييتي عليه، لكنت من المحضرين في العذاب معك"<sup>(١)</sup>.  
 قال الطبري: "يقول: ولولا أن الله أنعم علي بهدائه، والتوفيق للإيمان بالبعث بعد الموت، لكنت من المحضرين معك في عذاب الله"<sup>(٢)</sup>.  
 قال ابن كثير: "أي: ولولا فضل الله علي لكنت مثلك في سواء الجحيم حيث أنت، محضر معك في العذاب، ولكنه تفضل عليّ ورحمني فهداني للإيمان، وأرشدني إلى توحيده {وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ} [الأعراف : ٤٣]"<sup>(٣)</sup>.  
 قال الفراء: "لكنت من المحضرين"، أي: معك في النار محضراً"<sup>(٤)</sup>.  
 قال الزجاج: "أي: أحضر العذاب كما أحضرت"<sup>(٥)</sup>.  
 عن قتادة: "لكنت من المحضرين"، أي: في عذاب الله"<sup>(٦)</sup>.  
 عن السدي، قوله: "لكنت من المحضرين"، قال: من المعذبين"<sup>(٧)</sup>.

## القرآن

{أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَتْنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَوْمَ الْعَظِيمُ (٦٠)} [الصافات : ٥٨-٦٠]

التفسير:

أحقاً أننا مخلدون منعمون، فما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى في الدنيا، وما نحن بمعذبين بعد دخولنا الجنة؟ إن ما نحن فيه من نعيم لهُوَ الظَّفَرُ العظيم.

قوله تعالى: {أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَتْنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩)} [الصافات : ٥٨-٥٩]، أي: "أحقاً أننا مخلدون منعمون، فما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى في الدنيا، وما نحن بمعذبين بعد دخولنا الجنة؟"<sup>(٨)</sup>.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هذا المؤمن الذي أعطاه الله ما أعطاه من كرامته في جنته سروراً منه بما أعطاه فيها: أفما نحن بميتين غير موتتنا الأولى في الدنيا، وما نحن بمعذبين بعد دخولنا الجنة"<sup>(٩)</sup>.

وفي تفسير قوله تعالى: {أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَتْنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩)} [الصافات : ٥٨-٥٩]، وجوه:

أحدها: أنه إذا ذبح الموت، قال أهل الجنة: {أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَتْنَا الْأُولَى} التي كانت في الدنيا {وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ}، فيقال لهم: لا، فعند ذلك قالوا: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَوْمَ الْعَظِيمُ}، فيقول الله تعالى: {المثل هذا فليعمل العاملون}، قاله ابن السائب<sup>(١٠)</sup>.

قال ابن الجوزي: "وقيل: يقول ذلك للملائكة"<sup>(١١)</sup>.

وروي عن عكرمة قال: "قال ابن عباس -رضي الله عنهما-، في قول الله تبارك وتعالى لأهل الجنة: {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الطور : ١٩]، قال ابن عباس، -

(١) التفسير الميسر: ٤٤٨.

(٢) تفسير الطبري: ٥١/٢١.

(٣) تفسير ابن كثير: ١٦/٧.

(٤) معاني القرآن: ٣٨٥/٢.

(٥) معاني القرآن: ٣٠٦/٤.

(٦) أخرجه الطبري: ٥١/٢١.

(٧) أخرجه الطبري: ٥١/٢١.

(٨) التفسير الميسر: ٤٤٨.

(٩) تفسير الطبري: ٥١/٢١.

(١٠) انظر: زاد المسير: ٥٤٢/٣.

(١١) انظر: زاد المسير: ٥٤٢/٣.

رضي الله عنهما- : قوله : {هَنِيئًا}، أي : لا يموتون فيها. فعندها قالوا : {أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ. إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ} (١).

والثاني: أنه قول المؤمن لأصحابه، فقالوا له: إنك لا تموت، فقال: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}، قاله مقاتل (٢).

وقال مقاتل: "ثم أقبل المؤمن على أصحابه فقال: {أفما نحن بميتين}، عرف المؤمن أن كل نعيم معه الموت فليس يتم، {إلا موتتنا الأولى} التي كانت في الدنيا، {وما نحن بمعذبين} (٣).

وقال أبو سليمان الدمشقي: "إنما خاطب المؤمن أهل الجنة بهذا على طريق الفرح بدوام النعيم، لا على طريق الاستفهام، لأنه قد علم أنهم ليسوا بميتين، ولكن أعاد الكلام ليزداد بتكراره على سمعه سرور (٤).

والثالث: أنه قول المؤمن لقرينه الكافر على جهة التوبيخ بما كان ينكره، ذكره الثعلبي (٥)، وبه قال الصابوني (٦).

وقال الصابوني: "أي: هل لا تزال على اعتقادك بأننا لن نموت إلا موتة واحدة، وأنه لا بعث ولا جزاء ولا حساب ولا عذاب؟ وهو أسلوب ساخر لاذع يظهر فيه التشفي من ذلك القرين الكافر، والتحدث بنعمة الله عليه (٧).

قال ابن كثير: "قوله: {أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ. إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ}، هذا من كلام المؤمن مغبطا نفسه بما أعطاه الله من الخلد في الجنة والإقامة في دار الكرامة، لا موت فيها ولا عذاب (٨).

قوله تعالى: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [الصافات : ٦٠]، أي: "إن ما نحن فيه من نعيم لهو الظفر العظيم (٩).

قال الطبري: "يقول: إن هذا الذي أعطناه الله من الكرامة في الجنة، أنا لا نعذب ولا نموت لهو النجاء العظيم مما كنا في الدنيا نحذر من عقاب الله، وإدراك ما كنا فيها، نؤمل بإيماننا، وطاعتنا ربنا (١٠).

وقال مقاتل: "فقل له: إنك لا تموت فيها، فقال عند ذلك: إن هذا لهو الفوز العظيم (١١).  
عن قتادة، قوله: {أفما نحن بميتين} إلى قوله: {الفوز العظيم}، قال: هذا قول أهل الجنة (١٢).

قال الحسن البصري: "علموا أن كل نعيم بعد الموت يقطعه، فقالوا: {أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ. إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ}، قيل: لا. قالوا: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (١٣).

قال السعدي: "فهل فوز يطلب فوقه؟ أم هو غاية الغايات، ونهاية النهايات، حيث حل عليهم رضا رب الأرض والسموات، وفرحوا بقربه، وتنعموا بمعرفته واستروا برويته، وطربوا لكلامه؟ (١٤).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٩٢): ص ٣٢١٥/١٠، وانظر: تفسير ابن كثير: ١٦/٧.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٨/٣.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٨/٣.

(٤) انظر: زاد المسير: ٥٤٢/٣.

(٥) انظر: الكشف والبيان: ١٤٥/٨.

(٦) انظر: صفوة التفاسير: ٣١/٣.

(٧) صفوة التفاسير: ٣١/٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ١٦/٧.

(٩) التفسير الميسر: ٤٤٨.

(١٠) تفسير الطبري: ٥١/٢١.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٨/٣.

(١٢) أخرجه الطبري: ٥١/٢١.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨١٩٧): ص ٣٢١٦/١٠، وانظر: تفسير ابن كثير: ١٦/٧.

## القرآن

### {لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (٦١)} [الصفات : ٦١]

التفسير:

لمثل هذا النعيم الكامل، والخلود الدائم، والفوز العظيم، فليعمل العاملون في الدنيا؛ ليصيروا إليه في الآخرة.

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: لمثل هذا الذي أعطيت هؤلاء المؤمنين من الكرامة في الآخرة، فليعمل في الدنيا لأنفسهم العاملون، ليدركوا ما أدرك هؤلاء بطاعة ربهم"<sup>(١)</sup>.

قال السمعاني: "أي: لمثل هذا المنزل، ولمثل هذا النعيم، فليعمل العاملون"<sup>(٢)</sup>.

قال البغوي: "أي: لمثل هذا المنزل ولمثل هذا النعيم الذي ذكره من قوله: {وأولئك لهم رزق معلوم} إلى {فليعمل العاملون}"<sup>(٤)</sup>.

قال الفراء: "وهذا من قول الله"<sup>(٥)</sup>.

قال القشيري: "يقال: بل الملائكة يقولون لهم هذا، ويقال: الحقّ- سبحانه- إذا أراهم مقامهم في الجنة يقول لهم: {لمثل هذا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ}"<sup>(٦)</sup>.

قال السعدي: "فهو أحق ما أنفقت فيه نفائس الأنفاس وأولى ما شمر إليه العارفون الأكياس، والحسرة كل الحسرة، أن يمضي على الحازم، وقت من أوقاته، وهو غير مشغول بالعمل، الذي يقرب لهذه الدار، فكيف إذا كان يسير بخطاياها إلى دار البوار؟"<sup>(٧)</sup>.  
فوائد الآيات: [٥٠-٦١]:

١- بيان عظمة الله تعالى في إقدار المؤمن على أن يتكلم مع من هو في وسط الجحيم ويرى صورته ويتخاطب معه ويفهم بعضهم بعضاً، والعرض التلفازي اليوم قد سهل إدراك هذه الحقيقة.

٢- التحذير من قرناء السوء كالشباب الملحد وغيره.

٣- بيان كيف كان المكذبون يسخرون من المؤمنين ويعدونهم متخلفين عقلياً.

٤- لا موت في الآخرة، وإنما حياة أبدية في النعيم أو في الجحيم.

٥- الحث على كثرة الأعمال الصالحة، والبعد عن الأعمال الفاسدة.

## القرآن

### {أَذَلِكْ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٦٢)} [الصفات : ٦٢]

التفسير:

أذلك الذي سبق وصفه من نعيم الجنة خير ضيافة وعطاء من الله، أم شجرة الزقوم الخبيثة الملعونة، طعام أهل النار؟

سبب النزول الآيتان [٦٢-٦٣]:

قال السدي: "قال أبو جهل لما نزلت: {إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ} [الدخان : ٤٣]، قال:

تعرفونها في كلام العرب: أنا أتاكم بها، فدعا جارية، فقال: ائتيني بتمر وزبد، فقال: دونكم تزقوموا، فهذا الزقوم الذي يخوفكم به محمد، فأنزل الله تفسيرها: {أَذَلِكْ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ

(٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٣)} [الصفات : ٦٢ - ٦٣]، قال: لأبي جهل وأصحابه"<sup>(٨)</sup>.

(١) تفسير السعدي: ٧٠٣.

(٢) تفسير الطبري: ٥٢/٢١.

(٣) تفسير السمعاني: ٤٠٠/٤-٤٠١.

(٤) تفسير البغوي: ٤٢/٧.

(٥) معاني القرآن: ٣٨٥/٢.

(٦) لطائف الإشارات: ٢٣٤/٣.

(٧) تفسير السعدي: ٧٠٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٥٣/٢١.

قال الطبري: يقول: "أهذا الذي أعطيت هؤلاء المؤمنين الذين وصفت صفتهم من كرامتي في الجنة، ورزقتهم فيها من النعيم خير، أو ما أعددت لأهل النار من الزقوم"<sup>(١)</sup>.  
قال يحيى: "أي: إنه خير نزلا من شجرة الزقوم"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: "يقول الله تعالى: أهذا الذي ذكره من نعيم الجنة وما فيها من مآكل ومشارب ومناجح وغير ذلك من الملاذ - خير ضيافة وعطاء {أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ}؟ أي: التي في جهنم، وقد يحتمل أن يكون المراد بذلك شجرة واحدة معينة، كما قال بعضهم من أنها شجرة تمتد فروعها إلى جميع محال جهنم كما أن شجرة طوبى ما من دار في الجنة إلا وفيها منها غصن، وقد يحتمل أن يكون المراد بذلك جنس شجر، يقال له: الزقوم، كقوله تعالى: {وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبْغٌ لِلْأَكْلِينَ} [المؤمنون: ٢٠]، يعني الزيتون. ويؤيد ذلك قوله تعالى: {ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكْذِبُونَ. لَأَكْلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ} [الواقعة: ٥١، ٥٢]"<sup>(٣)</sup>.

قال البيضاوي: "شجرة الزقوم" شجرة ثمرها نزل أهل النار، وانتصاب {نزلا} على التمييز أو الحال، وفي ذكره دلالة على أن ما ذكر من النعيم لأهل الجنة بمنزلة ما يقام للنازل ولهم وراء ذلك ما تقصر عنه الأفهام، وكذلك الزقوم لأهل النار، وهو: اسم شجرة صغيرة الورق دفر مرة تكون بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة"<sup>(٤)</sup>.

قال يحيى: "بلغني أنها في الباب السادس وأنها تحيا بلهب النار كما يحيا شجركم ببرد الماء، قال: فلا بد لأهل النار من أن ينحدروا إليها، يعني: من كان فوقها، فيأكلون منها"<sup>(٥)</sup>.

## القرآن

{إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٣)} [الصافات: ٦٣]

التفسير:

إنا جعلناها فتنة افتتن بها الظالمون لأنفسهم بالكفر والمعاصي، وقالوا مستنكرين: إن صاحبكم ينبئكم أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر.

قال الطبري: "ذكر أن الله تعالى لما أنزل هذه الآية قال المشركون: كيف ينبت الشجر في النار، والنار تحرق الشجر؟ فقال الله: {إنا جعلناها فتنة للظالمين}، يعني: لهؤلاء المشركين الذين قالوا في ذلك ما قالوا"<sup>(٦)</sup>.

قال ابن قتيبة: {فتنة للظالمين}، "أي: عذابا"<sup>(٧)</sup>.

قال البيضاوي: "محنة وعذابا لهم في الآخرة، أو ابتلاء في الدنيا فإنهم لما سمعوا أنها في النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر، ولم يعلموا أن من قدر على خلق حيوان يعيش في النار ويلتذ بها فهو أقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الإحراق"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن كثير: "معنى الآية: إنما أخبرناك يا محمد بشجرة الزقوم اختبارا تختبر به الناس، من يصدق منهم ممن يكذب، كقوله تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا} [الإسراء: ٦٠].

(١) تفسير الطبري: ٥٢/٢١.

(٢) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٣/٢.

(٣) تفسير ابن كثير: ١٨/٧.

(٤) تفسير البيضاوي: ١١/٥.

(٥) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٤/٢.

(٦) تفسير الطبري: ٥٢/٢١.

(٧) غريب القرآن: ٣٧٢.

(٨) تفسير البيضاوي: ١١/٥.

وقوله: { إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ }، أي: أصل منبتها في قرار النار، { طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ } تبشيع لها وتكريه لذكرها<sup>(١)</sup>.  
قال يحيى: " { للظالمين }: للمشركين"<sup>(٢)</sup>.

عن مجاهد، قوله: " { إنا جعلناها فتنة للظالمين }، قال: قول أبي جهل: إنما الزقوم التمر والزبد أتزقمه"<sup>(٣)</sup>.

قال مقاتل: " { إنا جعلناها }، يعني: الزقوم، { فتنة للظالمين }، يعني: لمشركي مكة منهم عبد الله ابن الزبيري، وأبو جهل بن هشام، والملا من قريش الذين مشوا إلى أبي طالب، وذلك أن ابن الزبيري قال: إن الزقوم بكلام اليمن التمر والزبد. فقال أبو جهل: يا جارية، ابغنا تمرا وزبدا، ثم قال لأصحابه: تزقموا من هذا الذي يخوفنا به محمد. يزعم أن النار تنبت الشجر والنار تحرق الشجر، فكان الزقوم فتنة لهم"<sup>(٤)</sup>.

## القرآن

{ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لَأَكَلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ (٦٨) } [الصافات: ٦٤-٦٨]

التفسير:

إنها شجرة تنبت في قعر جهنم، ثمرها قبيح المنظر كأنه رؤوس الشياطين، فإذا كانت كذلك فلا تسأل بعد هذا عن طعمها، فإن المشركين لأكلون من تلك الشجرة فمالئون منها بطونهم. ثم إنهم بعد الأكل منها لشاربون شراباً خليطاً قبيحاً حاراً، ثم إن مردّهم بعد هذا العذاب إلى عذاب النار. سبب نزول الآيات: [٦٤-٦٨]:

قال قتادة: " لما نزلت هذه الآية { إنا جعلناها فتنة للظالمين } دعا أبو جهل بتمر وزبد فقال: تزقموا فما نعلم الزقوم إلا هذا، فأنزل الله: { إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ } [الصافات: ٦٤] إلى قوله: { ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ (٦٨) } [الصافات: ٦٧-٦٨]"<sup>(٥)</sup>.

وفي رواية قال قتادة: " لما ذكر شجرة الزقوم افتتن الظلمة، فقالوا: يبنئكم صاحبكم هذا أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر، فأنزل الله ما تسمعون: { إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ } [الصافات: ٦٤]، غذيت بالنار ومنها خلقت"<sup>(٦)</sup>.

قال يحيى بن سلام: " أخبرني صاحب لي عن السدي قال: لما نزلت: { أَدْلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الرَّقُومِ } [الصافات: ٦٢]، قالوا: ما نعرف هذه الشجرة، فقال عبد الله بن الزبيري: لكني والله أعرفها، هي شجرة تكون بإفريقية، فلما نزل: { إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) } طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ { (٦٥) } [الصافات: ٦٤-٦٥]، قالوا ما يشبه هذه التي يصف محمد ما قال ابن الزبيري"<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: { إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ } [الصافات: ٦٤]، أي: "إنها شجرة تنبت في قعر جهنم"<sup>(٨)</sup>.

قال القرطبي: " أي: قعر النار ومنها منشؤها ثم هي متفرعة في جهنم"<sup>(٩)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير: ١٩/٧.

(٢) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٣/٢.

(٣) أخرجه الطبري: ٥٣/٢١.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٩/٣.

(٥) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٣٣/٢.

(٦) أخرجه الطبري: ٥٢/٢١.

(٧) تفسير يحيى بن سلام في التفسير: ٨٣٣/٢.

(٨) التفسير الميسر: ٤٤٨.

قال السعدي: " فهذا مخرجها، ومعدنها أشر المعادن وأسوؤها، وشر المغرس، يدل على شر الغراس وخسته، ولهذا نبهنا الله على شرها بما ذكر أين تنبت به، وبما ذكر من صفة ثمرتها"<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: {طَلْعَهَا كَأَنَّه رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ} [الصافات : ٦٥] ، أي: " ثمرها قبيح المنظر كأنه رؤوس الشياطين"<sup>(٣)</sup>.

قال قتادة: " أي: غذيت بالنار، ومنها خلقت"<sup>(٤)</sup>.

قال الطبري: يقول: " كأن طلع هذه الشجرة، يعني شجرة الزقوم في قبحه وسماجته رءوس الشياطين في قبحها"<sup>(٥)</sup>.

قال السعدي: " فلا تسأل بعد هذا عن طعمها، وما تفعل في أجوافهم وبطنهم، وليس لهم عنها مندوحة ولا معدل"<sup>(٦)</sup>.

قال الماوردي: " يعني: بالطلع الثمر"<sup>(٧)</sup>.

قال ابن قتيبة: " {طلعها}، أي: حملها. سمي طلعا لطلوعه في كل سنة"<sup>(٨)</sup>.

قال ابن الجوزي: " {طلعها}، أي: ثمرها، وسمي طلعا، لطلوعه كأنه رؤوس الشياطين"<sup>(٩)</sup>.

قال البيضاوي: " {طلعها}: حملها مستعار من طلع التمر لمشاركته إياه في الشكل، أو الطلوع من الشجر. كأنه رؤوس الشياطين في تناهي القبح والهول، وهو تشبيهه بالمتخيل كتشبيهه الفائق الحسن بالملك"<sup>(١٠)</sup>.

قال يحيى: " أي: ثمرتها، {كأنه رءوس الشياطين}، يقبحها بذلك"<sup>(١١)</sup>.

قال ابن فورك: " قيل: لشجرة الزقوم ثمرة مرة خشنة منتنة الرائحة"<sup>(١٢)</sup>.

عن قتادة، قوله: " {طلعها كأنه رءوس الشياطين}، قال: شبهه بذلك"<sup>(١٣)</sup>.

عن وهب بن منبه، قوله: " {طلعها كأنه رؤوس الشياطين}، قال: شعور الشياطين، قائمة إلى السماء"<sup>(١٤)</sup>.

وفي وجه تشبيه شجرة الزقوم برؤوس الشياطين، أقوال<sup>(١٥)</sup>:

أحدها : أنه أراد الشياطين بأعيانها موصوفة بالقبح وإن كانت لا تُرى، والشيء إذا استقبح شبه بالشياطين، فيقال: كأنه شيطان، والشيطان لا يُرى ولكنه يُستشعر أنه أقبح ما يكون من الأشياء لو رُئي لرُئي في أقبح صورته، قال امرؤ القيس<sup>(١٦)</sup>:

(١) تفسير القرطبي: ٨٦/١٥.

(٢) تفسير السعدي: ٧٠٤.

(٣) التفسير الميسر: ٤٤٨.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨١٩٨):ص٣٢١٦/١٠.

(٥) تفسير الطبري: ٥٣/٢١.

(٦) تفسير السعدي: ٧٠٤.

(٧) النكت والعيون: ٥١/٥.

(٨) غريب القرآن: ٣٧٢.

(٩) زاد المسير: ٥٤٣/٣.

(١٠) تفسير البيضاوي: ١٢/٥.

(١١) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٤/٢.

(١٢) تفسير ابن فورك: ٢٢٧/٢.

(١٣) أخرجه الطبري: ٥٣/٢١.

(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨١٩٩):ص٣٢١٦/١٠.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٣/٢١-٥٤، ومعاني القرآن للزجاج: ٣٠٦/٤، والنكت والعيون: ٥١/٥-٥٢، وزاد المسير: ٥٤٣/٣، وتفسير ابن كثير: ١٩/٧.

(١٦) "ديوان امرئ القيس": ص ١٢٥، "تهذيب اللغة" (غال) ١٩٣ / ٨، "المخصص" ١١ / ٨، "اللسان" (غول) ٣٣١٨ / ٦، "البحر المحيط" ٣٠٤ / ٢.

المشرفي: السيف، (مسنونة زرق): سهام محددة الأزجه صافية، شبهها بأنياب الأغوال، تشنيعا ومبالغة في

أيقئني والمشرقي مضاجعي ... ومسنونة زُرق كَأنياب أغوال  
فشببها بأنياب الأغوال وإن لم يرها الناس.  
قال الزجاج: " ولم ير الغول قط ولا أنيابها ولكن التمثيل بما يستقبح أبلغ في باب  
المذكر، يمثل بالشیطان وفي باب ما يستقبح في المؤنث يشبه بالغول" (١).  
قال النحاس: " المقصود هو ما وقع عليه التعارف من المعاني فإذا قيل فلان شیطان فقد  
علم أن المعنى فلان قبيح خبيث ومنه قولهم تشيطن إذا تخبث" (٢).  
قال ابن أبي زمنين: " الشيء إذا استقبح يقال: كأنه وجه شیطان، وكأنه رأس شیطان،  
والشیطان لا يرى، ولكنه يستشعر أنه أقيح ما يكون من الأشياء لو نظر إليه" (٣).  
الثاني: أنه أراد رأس حية تسمى عند العرب شیطاناً وهي قبيحة الرأس، وبها يضرب المثل في  
القبح، فشبه طلوعها برعوس الحيات. ذكره الفراء (٤)، والزجاج (٥).  
قال الفراء: " العرب تسمى بعض الحيات شیطاناً، وهو حية ذو عرف، كما قال  
الشاعر وهو يذم امرأة له" (٦).  
عن جرد تحلف حين أحلف ... كمثل شیطان الحماط أعرف" (٧).  
قال الواحدي: " عن جرد: سليطة وثأبة، والحماط: شجر، وأعرف: ذو عرف. والعرب  
تقول إذا رأت منظرًا قبيحًا كأنه شیطان الحماطة" (٨).  
الثالث: أنه أراد شجرة يكون بين مكة واليمن يسمى: «رؤوس الشياطين»، قاله مقاتل (٩)، وابن  
السائب (١٠).  
قال النحاس: " وقد قيل: هو نبت باليمن قبيح المنظر شبهت به يقال له: الأستن  
والشیطان، وليس ذلك بمعروف عند العرب" (١١).  
قال الفراء: " والأوجه الثلاثة يذهب إلى معنى واحد في القبح" (١٢).  
قال ابن كثير: " وإنما شبهها برعوس الشياطين وإن لم تكن معروفة عند المخاطبين؛  
لأنه قد استقر في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر. وقيل: المراد بذلك ضرب من الحيات،  
رعوسها بشعة المنظر، وقيل: جنس من النبات، طلعه في غاية الفحاشة.  
وفي هذين الاحتمالين نظر، وقد ذكرهما ابن جرير (١٣)، والأول أقوى وأولى، والله  
أعلم" (١٤).

الوصف، والأغوال: الشياطين، وقيل: الحيات.

(١) معاني القرآن: ٣٠٦/٤ - ٣٠٧.

(٢) معاني القرآن: ٣٤/٦.

(٣) تفسير ابن أبي زمنين: ٦٢/٤.

(٤) انظر: معاني القرآن: ٣٨٧/٢.

(٥) انظر: معاني القرآن: ٣٠٦/٤.

(٦) البيت من الرجز، ولم أقف على قائله، وقد ذكره غير منسوب للفراء في "معاني القرآن" ٣٨٧/٢، الطبري  
في "تفسيره" ٦٤/٢٣، ابن عطية في "المحرر الوجيز" ٤/٤٧٦، السمين الحلبي في "الدر" ٥/٥٠٥،  
والأزهري في "التهذيب" ٣/٣٧٠ - ٤/٤٠٢ - ١١/٣١٣، والزاهر ١/١٧٠، والثعلبي في الكشف والبيان:  
١٤٦/٨، وابن منظور في "اللسان" ٣/٣١١.

والعنجد: المرأة السيئة الخلق.

(٧) معاني القرآن: ٢٨٧/٢.

(٨) التفسير البسيط: ٦٣/١٩.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٥٢/٥.

(١٠) انظر: زاد المسير: ٥٤٣/٣.

(١١) معاني القرآن: ٣٤/٦.

(١٢) معاني القرآن: ٢٨٧/٢.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٤-٥٣/٢١.

(١٤) تفسير ابن كثير: ١٩/٧.

قال ابن فورك: " قيل: قد دل الله أنه سوء خلق الشياطين في النار حتى لو رآهم راء من العباد لاستوحش غاية؛ فلذلك شبه برءوسهم" (١).

قال القشيري: " ذكر صفة هوان الأعداء، وما هم به من صفة المذلة والعذاب في النار من أكل الضريع، ومن شراب الزقوم التي هي في قبح صورة الشياطين" (٢).

في قراءة عبد الله: «إنها شجرة نابثة في أصل الجحيم» (٣).

قوله تعالى: {فَأَيْنُهُمْ لَأَكْلُونَ مِنْهَا فَمَالُؤُنَ مِنْهَا الْبُطُونُ} [الصافات : ٦٦] ، أي: " فإن المشركين لآكلون من تلك الشجرة، فمالئون منها بطونهم" (٤).

قال الطبري: يقول: " فإن هؤلاء المشركين الذين جعل الله هذه الشجرة لهم فتنة، لآكلون من هذه الشجرة التي هي شجرة الزقوم، فمالئون من زقومها بطونهم" (٥).

قال البيضاوي: " {لآكلون منها}، من الشجرة أو من طلعتها. {فمالؤن منها البطون}، لغلبة الجوع أو الجبر على أكلها" (٦).

قال ابن كثير: " ذكر تعالى أنهم يأكلون من هذه الشجرة التي لا أبشع منها ، ولا أقبح من منظرها ، مع ما هي عليه من سوء الطعم والريح والطبع ، فإنهم ليضطرون إلى الأكل منها ، لأنهم لا يجدون إلا إياها ، وما في معناها ، كما قال تعالى : {لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ . لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ} [الغاشية : ٦ ، ٧]" (٧).

عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية ، وقال : " اتقوا الله حق تقاته ، فلو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا ، لأفسدت على أهل الأرض معاشهم فكيف بمن يكون طعامه ؟" (٨).

قوله تعالى: {ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ} [الصافات : ٦٧] ، أي: " ثم إنهم بعد الأكل منها لشاربون شراباً خليطاً قبيحاً حاراً" (٩).

قال الطبري: يقول: " ثم إن لهؤلاء المشركين على ما يأكلون من هذه الشجرة شجرة الزقوم شوبا، وهو الخلط من الماء المحموم" (١٠).

قال ابن قتيبة: " أي: خلطا من الماء الحار يشربونه عليها" (١١).

قال البيضاوي: " {ثم إن لهم عليها}، أي: بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم، ويجوز أن يكون: {ثم} لما في شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة. {لشوبا من حميم}: لشرابا من غساق، أو صديد مشوبا بماء حميم يقطع أمعاءهم" (١٢).

قال الماوردي: " يعني: لمزاجاً من حميم، و«الحميم»: الحار الذاني من الإحراق، قال الشاعر (١٣):

- 
- (١) تفسير ابن فورك: ٢٢٧/٢.
- (٢) لطائف الإشارات: ٢٣٤/٣.
- (٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٣/٢١.
- (٤) التفسير الميسر: ٤٤٨.
- (٥) تفسير الطبري: ٥٤/٢١.
- (٦) تفسير البيضاوي: ١٢/٥.
- (٧) تفسير ابن كثير: ١٩/٧.
- (٨) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٢٠/٧، ورواه الترمذي برقم (٢٥٨٥) والنسائي في الكبرى برقم (١١٠٧٠)، وابن ماجه في السنن برقم (٤٣٢٥).
- (٩) التفسير الميسر: ٤٤٨.
- (١٠) تفسير الطبري: ٥٥/٢١.
- (١١) غريب القرآن: ٣٧٢.
- (١٢) تفسير البيضاوي: ١٢/٥.
- (١٣) الشعر بدون نسبة في النكت والعيون: ١٤/٤، والتشبيهات لابن أبي العون: ٢١، تصحيح الفصيح وشرحه لابن دُرُسْتَوَيْه: ٤٧٦، وسر الفصاحة: ٢١٧، وبرواية: كأنَّ الحميم على متنها ... إذا اغترفته باطاسها



كأن الحميم على متنها .... إذا اغترفته بأطاساسها  
جُمان يجول على فضة ... علته حدائد دواسها  
ومنه سمي: القريب حميمًا، لقربه من القلب ، وسمي المحموم لقرب حرارته من الإحراق، قال  
الشاعر<sup>(١)</sup>:

أحم الله ذلك من لقاءٍ ... أحاد أحاد في الشهر الحلال  
أي: أدناه فيمزج لهم الزقوم بالحميم ليجمع لهم بين مرارة الزقوم وحرارة الحميم تغليظًا لعذابهم  
وتشديدًا لبلاتهم<sup>(٢)</sup>.

قال السدي: "الشوب: الخلط، وهو المزج"<sup>(٣)</sup>.  
عن قتادة، قوله: "ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم"، قال: مزاجا من حميم<sup>(٤)</sup>.  
عن ابن عباس، قوله: "ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم"، يقول: لمزجا<sup>(٥)</sup>.  
قال ابن عباس: "يعني: شرب الحميم على الزقوم"<sup>(٦)</sup>.  
قال يحيى: " {حميم} : وهو الماء الحار فيقطع أمعاءهم، كقوله: {وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا}  
[مُحَمَّدٌ : ١٥]: حارًا، {فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ} [مُحَمَّدٌ : ١٥]، والحميم: الحار الذي لا يستطيع من  
حره"<sup>(٧)</sup>.

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان  
يقول: «يقرب يعني إلى أهل النار- ماء فيتكرهه، فإذا أدنى منه شوى وجهه، ووقعت فروة  
رأسه فيه، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره»<sup>(٨)</sup>.

قال ابن زيد: "حميم يشاب لهم بغساق مما تغسق أعينهم، وصيد من قيحهم ودمائهم مما  
يخرج من أجسادهم"<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: {ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ} [الصفات : ٦٨] ، أي: "ثم إن مردهم بعد  
هذا العذاب إلى عذاب النار"<sup>(١٠)</sup>.

قال الطبري: يقول: "ثم إن مآبهم ومصيرهم لآلى الجحيم"<sup>(١١)</sup>.  
قال البيضاوي: أي: "إلى دركاتها أو إلى نفسها، فإن الزقوم والحميم نزل يقدم إليهم قبل  
دخولهم، وقيل الحميم خارج عنها لقوله تعالى: هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون  
بينها وبين حميم أن يوردون إليه كما تورد الإبل إلى الماء ثم يردون إلى الجحيم، ويؤيده أنه  
قريء «ثم إن منقلبهم»"<sup>(١٢)</sup>.

قال ابن كثير: "أي : ثم إن مردهم بعد هذا الفصل لآلى نار تتأجج ، وجحيم تتوقد ،  
وسعير تتوهج ، فتارة في هذا وتارة في هذا ، كما قال تعالى : { يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ أَنْ  
[الرحمن : ٤٤] . هكذا تلا قتادة هذه الآية عند هذه الآية ، وهو تفسير حسن قوي"<sup>(١٣)</sup>.

جمانُ يجولُ على فضةٍ ... جلتُهُ حدائدُ دواسها

- (١) الشعر بدون نسبة في النكت والعيون: ١٤/٤ .
- (٢) النكت والعيون: ٥٢/٥ .
- (٣) أخرجه الطبري: ٥٥/٢١ .
- (٤) أخرجه الطبري: ٥٥/٢١ .
- (٥) أخرجه الطبري: ٥٥/٢١ .
- (٦) أخرجه الطبري: ٥٥/٢١ .
- (٧) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٤/٢ .
- (٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٢٠٠):ص١٠/٣٢١٧ .
- (٩) أخرجه الطبري: ٥٥/٢١ .
- (١٠) التفسير الميسر: ٤٤٨ .
- (١١) تفسير الطبري: ٥٦-٥٥/٢١ .
- (١٢) تفسير البيضاوي: ١٢/٥ .
- (١٣) تفسير ابن كثير: ٢١/٧ .

قال قتادة: " فهم في عناء وعذاب من نار جهنم، وتلا هذه الآية: {يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمِ آن} [الرحمن : ٤٤]"<sup>(١)</sup>.

وقال مقاتل: " {ثم إن مرجعهم}، بعد الزقوم وشرب الحميم {إلى الجحيم}، وذلك قوله- عز وجل-: {يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمِ آن} [الرحمن : ٤٤]"<sup>(٢)</sup>.

قال القرطبي: " قيل: إن هذا يدل على أنهم كانوا حين أكلوا الزقوم في عذاب غير النار ثم يردون إليها"<sup>(٣)</sup>.

قال سعيد بن جبیر: " إذا جاع أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم، فأكلوا منها فاختلفت جلود وجوههم، فلو إن مارا يمر بهم يعرفهم لعرف وجوههم فيها، ثم يصب عليهم العطش، فيستغيثون فيغاثون بماء كالمهل. - وهو الذي قد انتهى حره- فإذا أدنوه من أفواههم اشتوى من حره لحوم وجوههم التي قد سقطت، عنها الجلود، ويصهر ما في بطونهم، فيمشون تسيل أمعاؤهم، وتتساقط جلودهم ثم يضربون بمقامع من حديد، فيسقط كل عضو على حياله، يدعون بالثبور"<sup>(٤)</sup>.

قال السدي: " في قراءة عبد الله: «ثم إن منقلبهم لإلى الجحيم»<sup>(٥)</sup>، وكان عبد الله يقول: والذي نفسي بيده، لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، ثم قال: {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا}"<sup>(٦)</sup>.

عن أبي عبيدة، قال: "قال عبد الله بن مسعود: لا ينتصف النهار حتى يقيل أهل الجنة وأهل النار ثم قرأ: {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا}، ثم قرأ: {إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لِلَّيْلِ الْجَحِيمِ} [الصافات : ٦٨]"<sup>(٧)</sup>.

وقال الزمخشري: " فإن قلت: ما معنى حرف التراخي في قوله: {ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا}، وفي قوله: {ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ}، قلت: في الأول وجهان:

أحدهما: أنهم يملئون البطون من شجر الزقوم، وهو حارّ يحرق بطونهم ويعطشهم، فلا يسقون إلا بعد ملئ تعذيباً بذلك العطش، ثم يسقون ما هو أحرّ وهو الشراب المشوب بالحميم. والثاني: أنه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة، ثم ذكر الشراب بما هو أكره وأبشع، فجاء بثم للدلالة على تراخي حال الشراب عن حال الطعام ومباينة صفة لصفته في الزيادة عليه. ومعنى الثاني: أنهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم، وهي الدركات التي أسكنوها إلى شجرة الزقوم، فيأكلون إلى أن يتملئوا، ويسقون بعد ذلك، ثم يرجعون إلى دركاتهم، ومعنى التراخي في ذلك بين"<sup>(٨)</sup>.

## القرآن

{إِنَّهُمْ أَقْوَامٌ آبَاءُهُمْ ضَالِّينَ (٦٩) فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ (٧٠)} [الصافات : ٦٩-٧٠] التفسير:

إنهم وجدوا آباءهم على الشرك والضلال، فسارعوا إلى متابعتهم على ذلك.

(١) أخرجه الطبري: ٥٦/٢١.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٩/٣.

(٣) تفسير القرطبي: ٨٨/١٥.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٢٠٢): ص ٣٢١٧/١٠.

(٥) وفي تفسير ابن كثير: ٢١/٧، بلفظ: «ثم إن مقيلهم لإلى الجحيم».

(٦) أخرجه الطبري: ٥٦/٢١.

(٧) تفسير سفيان الثوري (٧٣٣: ٣: ١): ص ٢٢٦. وفي تفسير ابن كثير: ٢١/٧، بلفظ: «ثم إن مقيلهم لإلى

الجحيم». وقال ابن كثير: "على هذا التفسير تكون "ثم" عاطفة لخبر على خبر".

(٨) الكشف: ٤٧/٤.

قوله تعالى: {إِنَّهُمْ أَلَفُوا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ} [الصفافات : ٦٩]، أي: "إنهم وجدوا آباءهم على الشرك والضلال"<sup>(١)</sup>.

قال الطبري: "يقول: إن هؤلاء المشركين الذين إذا قيل لهم: قولوا لا إله إلا الله يستكبرون، وجدوا آباءهم ضلالاً عن قصد السبيل، غير سالكين مَحَجَّةَ الحق"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير: "أي: إنما جازيناهم بذلك لأنهم وجدوا آباءهم على الضلالة فاتبعوهم فيها بمجرد ذلك، من غير دليل ولا برهان"<sup>(٣)</sup>.

عن أنس، قوله: {إِنَّهُمْ أَلَفُوا آبَاءَهُمْ}، قال: وجدوا آباءهم"<sup>(٤)</sup>.

قال يحيى: " {إِنَّهُمْ أَلَفُوا} وجدوا، أدركوا"<sup>(٥)</sup>.

قال مقاتل: "يقول: يسعون في مثل أعمال آبائهم"<sup>(٦)</sup>.

قال القرطبي: "أي: صادفهم كذلك فاقتدوا بهم"<sup>(٧)</sup>.

عن مجاهد، قوله: {إنهم أَلَفُوا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ}، قال جاهلين"<sup>(٨)</sup>.

قال الزمخشري: "علل استحقاتهم للوقوع في تلك الشدائد كلها بتقليد الآباء في الدين، واتباعهم إياهم على الضلال، وترك اتباع الدليل. و«الإهراع»: الإسراع الشديد، كأنهم يحثون حثاً"<sup>(٩)</sup>.

قال البيضاوي: "الإهراع: الإسراع الشديد كأنهم يزعمون على الإسراع على آثارهم، وفيه إشعار بأنهم بادروا إلى ذلك من غير توقف على نظر وبحث"<sup>(١٠)</sup>.

قوله تعالى: {فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ} [الصفافات : ٧٠]، أي: "فهم يُسرعون في اتباع خطاهم من غير دليل ولا برهان"<sup>(١١)</sup>.

قال الطبري: "يقول: فهؤلاء يُسرعون بهم في طريقهم، ليقفوا آثارهم وسنتهم؛ يقال منه: أهرع فلان: إذا سار سيرا حثيثاً فيه شبه بالرعدة"<sup>(١٢)</sup>.

قال ابن قتيبة: "أي: يسرعون، و«الإهراع»: الإسراع، وفيه شبيه بالرعدة"<sup>(١٣)</sup>.

عن السدي، قوله: {يُهْرَعُونَ}، قال: يُسرعون"<sup>(١٤)</sup>.

قال ابن زيد: "يستعجلون إليه"<sup>(١٥)</sup>.

عن مجاهد: "فهم على آثارهم يهرعون"، قال: كهيئة الهرولة"<sup>(١٦)</sup>.

عن قتادة: "فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ"، أي: يُسرعون إسراعاً في ذلك"<sup>(١٧)</sup>.

قال أبو عبيدة: "يستحثون من خلفهم ويعطف أوائلهم"<sup>(١٨)</sup>.

قال الكلبي: "يعملون مثل أعمالهم"<sup>(١)</sup>.

- (١) التفسير الميسر: ٤٤٨.
- (٢) تفسير الطبري: ٥٦/٢١.
- (٣) تفسير ابن كثير: ٢١/٧.
- (٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٢٠٣): ص ٣٢١٧/١٠.
- (٥) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٤/٢.
- (٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٩/٣.
- (٧) تفسير القرطبي: ٨٨/١٥.
- (٨) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٢٠٤): ص ٣٢١٧/١٠.
- (٩) الكشاف: ٤٧/٤.
- (١٠) تفسير البيضاوي: ١٢/٥.
- (١١) صفوة التفاسير: ٣٣/٣.
- (١٢) تفسير الطبري: ٥٦/٢١.
- (١٣) غريب القرآن: ٣٧٢.
- (١٤) أخرجه الطبري: ٥٧/٢١.
- (١٥) أخرجه الطبري: ٥٧/٢١.
- (١٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٢٠٤): ص ٣٢١٧/١٠.
- (١٧) أخرجه الطبري: ٥٧/٢١.
- (١٨) مجاز القرين: ١٧١/٢.

## القرآن

### {وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ (٧١)} [الصفات : ٧١]

التفسير:

ولقد ضلَّ عن الحق قبل قومك -أيها الرسول- أكثر الأمم السابقة.  
قال الطبري: يقول: "ولقد ضل يا محمد عن قصد السبيل ومَحجة الحق قبل مشركي قومك من قريش أكثر الأمم الخالية من قبلهم"<sup>(٢)</sup>.  
قال يحيى: " {وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ} قبل مشركي العرب. {أكثر الأولين}، كقوله: {كان أكثرهم مشركين} [الروم: ٤٢]"<sup>(٣)</sup>.  
قال الزمخشري: " {وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ}، قبل قومك قريش"<sup>(٤)</sup>.  
قال السدي: " يعني: غوي قبلهم أكثر الأولين فكفروا"<sup>(٥)</sup>.  
قال ابن كثير: " يخبر تعالى عن الأمم الماضية أن أكثرهم كانوا ضالين يجعلون مع الله آلهة أخرى"<sup>(٦)</sup>.

## القرآن

### {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ (٧٢)} [الصفات : ٧٢]

التفسير:

ولقد أرسلنا في تلك الأمم مرسلين أنذروهم بالعذاب فكفروا.  
قال الطبري: "يقول: ولقد أرسلنا في الأمم التي خلت من قبل أمتك، ومن قبل قومك المكذبيك منذرين تنذروهم بأسنا على كفرهم بنا، فكذبوهم ولم يقبلوا منهم نصائحهم، فأحللنا بهم بأسنا وعقوبتنا"<sup>(٧)</sup>.  
قال مقاتل: "رسلا يندرونهم العذاب"<sup>(٨)</sup>.  
قال يحيى: " في الذين قبلهم. {منذرين}، يعني: الرسل، أي: فكذبوهم"<sup>(٩)</sup>.  
قال الزمخشري: " {مُنْذِرِينَ} أنبياء حذروهم العواقب"<sup>(١٠)</sup>.  
قال الشوكاني: " أي: أرسلنا في هؤلاء الأولين رسلا أنذروهم العذاب وبينوا لهم الحق فلم ينجع ذلك فيهم"<sup>(١١)</sup>.  
قال ابن كثير: " ذكر تعالى أنه أرسل فيهم منذرين ، يندرون بأس الله، ويحذرونهم سطوته ونقمته ، ممن كفر به وعبد غيره"<sup>(١٢)</sup>.  
قال الالوسي: أي: " أنبياء أنذروهم سوء عاقبة ما هم عليه من الباطل، وتكرير القسم لإبراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمون كل من الجملتين"<sup>(١٣)</sup>.

(١) حكاه عنه البغوي في التفسير: ٤٣/٧.

(٢) تفسير الطبري: ٥٧/٢١.

(٣) تفسير يحيى بن سلام : ٨٣٤/٢.

(٤) الكشاف: ٤٧/٤.

(٥) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٣٤/٢.

(٦) تفسير ابن كثير: ٢٢/٧.

(٧) تفسير الطبري: ٥٧/٢١.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦١٠/٣.

(٩) تفسير يحيى بن سلام : ٨٣٥/٢.

(١٠) الكشاف: ٤٧/٤.

(١١) فتح القدير: ٤٥٧/٤.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٢٢/٧.

(١٣) روح المعاني: ٩٤/١٢.

## القرآن

### {فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ (٧٣)} [الصفات : ٧٣]

التفسير:

فتأمل كيف كانت نهاية تلك الأمم التي أنذرت، فكفرت؟ فقد عُدِّت، وصارت للناس عبرة. قال الطبري: "يقول: فتأمل وتبين كيف كان غيبُ أمر الذين أنذرتهم أنبيائونا، وإلام صار أمرهم، وما الذي أعقبهم كفرهم بالله، ألم نهلكهم فنصيرهم للعباد عبرة ولمن بعدهم عظة؟"<sup>(١)</sup> قال الالوسي: أي: "من الهول والفظاعة لما لم يلتفتوا إلى الإنذار ولم يرفعوا إليه رأساً، والخطاب إما لسيد المخاطبين صلى الله عليه وسلم أو لكل من يتأتى منه مشاهدة آثارهم، وحيث كان المعنى أنهم أهلكوا إهلاكاً فظيماً"<sup>(٢)</sup>.

قال الزمخشري: "{المُنْذِرِينَ}" الذين أنذروا وحذروا، أي أهلكوا جميعاً"<sup>(٣)</sup>. قال الشوكاني: "أي: الذين أنذرتهم الرسل فإنهم صاروا إلى النار. قال مقاتل: يقول كان عاقبتهم العذاب، يحذر كفار مكة"<sup>(٤)</sup>.

قال مقاتل: "فكذبوا الرسل فعذبهم الله- عز وجل- في الدنيا، يحذر كفار مكة لئلا يكذبوا محمدا- صلى الله عليه وسلم- فينزل بهم العذاب في الدنيا"<sup>(٥)</sup>.

قال الحسن: "كيف عذب الله قوم نوح، وقوم لوط، وقوم صالح، والأمم التي عذب الله"<sup>(٦)</sup>.

قال يحيى: "كان عاقبتهم أن دمر الله عليهم ثم صيرهم إلى النار"<sup>(٧)</sup>. قال ابن كثير: "أي: تمادوا على مخالفة رسلهم وتكذيبهم. فأهلك المكذبين ودمرهم"<sup>(٨)</sup>.

## القرآن

### {إِنَّا عِبَادُ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ (٧٤)} [الصفات : ٧٤]

التفسير:

إلا عباد الله الذين أخلصهم الله، وخصَّهم برحمته لإخلاصهم له. قال الطبري: "يقول تعالى: فانظر كيف كان عاقبة المنذرين، إلا عباد الله الذين أخلصناهم للإيمان بالله وبرسله"<sup>(٩)</sup>.

قال ابن كثير: "ونجى المؤمنين ونصرهم وظفرهم"<sup>(١٠)</sup>.

قال البغوي: أي: "الموحدين نجوا من العذاب"<sup>(١١)</sup>.

قال القرطبي: "أي: الذين استخلصهم الله من الكفر"<sup>(١٢)</sup>.

قال مقاتل: "ثم استثنى فقال- جل وعز-: {إلا عباد الله المخلصين}: الموحدين، فإنهم نجوا من العذاب بالتوحيد"<sup>(١٣)</sup>.

قال يحيى: "استثنى من آمن وصدق الرسل"<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير الطبري: ٥٧/٢١.

(٢) روح المعاني: ٩٤/١٢.

(٣) الكشاف: ٤٧/٤.

(٤) فتح القدير: ٤٥٧/٤.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦١٠/٣.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٢٠٥): ص ٣٢١٨/١٠.

(٧) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٥/٢.

(٨) تفسير ابن كثير: ٢٢/٧.

(٩) تفسير الطبري: ٥٨/٢١.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٢٢/٧.

(١١) تفسير البغوي: ٤٣/٧.

(١٢) تفسير القرطبي: ٨٨/١٥.

(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦١٠/٣.

قال الزمخشري: أي: "الذين آمنوا منهم وأخلصوا دينهم لله، أو أخلصهم الله لدينه على القراءتين" (٢).

قال البيضاوي: أي: "إلا الذين تنبهوا بإنذارهم فأخلصوا دينهم لله، والمقصود خطاب قومه فإنهم أيضا سمعوا أخبارهم ورأوا آثارهم" (٣).

قال الشوكاني: "أي: إلا من أخلصهم الله بتوفيقهم إلى الإيمان والتوحيد، وقرئ «المخلصين»، بكسر اللام، أي: الذين أخلصوا لله طاعتهم ولم يشوبوها بشيء مما يغيرها" (٤).

قال السعدي: "أي: الذين أخلصهم الله، وخصهم برحمته لإخلاصهم، فإن عواقبهم صارت حميدة" (٥).

قال الألوسي: "أي: الذين أخلصهم الله تعالى بتوفيقهم للإيمان والعمل بموجب الإنذار" (٦).

عن السدي، قوله: "﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾، قال: الذين استخلصهم الله" (٧).

قال القاسمي: "فإنه تعالى نصرهم وجعل العاقبة لهم" (٨).

قال أبو العالية: "أسس الدين على الإخلاص لله وحده لا شريك له" (٩).

فوائد الآيات: [٦٢-٧٤]:

- ١- بيان أحسن الأساليب في الدعوة وهو الترهيب والترغيب.
- ٢- تقرير البعث والجزاء بأسلوب العرض للأحداث التي تتم في القيامة.
- ٣- التنديد بالاتباع في الضلال للأباء والأجداد وأهل البلاد.
- ٤- إهلاك الله تعالى للظالمين وإنجاؤه للمؤمنين عند الأخذ بالذنوب في الدنيا والآخرة.
- ٥- إن الإخلاص بالنسبة للأعمال - كالروح للجسد، فالفرق بين عمل بإخلاص وعمل لا إخلاص، فيه كالفرق بين البشر السوي والتمثال الشاخص، وعلى قدر ما يحقق العبد في الإخلاص لربه يكون ترقية في «المخلصين»، الذين صرف الله عنهم غواية الشيطان واثني عليهم في كل أمة، وبين نجاتهم حين هلاك أممهم.

قال تعالى حكاية عن إبليس: ﴿إِنَّا عِبَادُكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ [ص: ٨٣]، وقال في هذه السورة تعقيبا على إهلاك الأمم عامة: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ (٧٣) ﴿إِنَّا عِبَادُ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ [الصافات: ٧٣-٧٤]، وعن قوم إلياس خاصة، قال فيها: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْهَمُ لَمُحْضَرُونَ﴾ (١٢٧) ﴿إِنَّا عِبَادُ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ [الصافات: ١٢٧-١٢٨].

وكرر ذلك في مواضع من هذه السورة وغيرها، كقوله عن يوسف لما عصمه من الفاحشة: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]، ولهذا كثر الحديث عن الصدق والإخلاص في كتاب الله، وجاء الحديث عن الصدق في السور التي تعرضت للنفاق وأهله، كسورة براءة والأحزاب والمنافقون ومحمد والحجرات والحشر (١٠). نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(١) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٥/٢.

(٢) الكشاف: ٤٧/٤.

(٣) تفسير البيضاوي: ١٢/٥.

(٤) فتح القدير: ٤٥٧/٤.

(٥) تفسير السعدي: ٧٠٤.

(٦) روح المعاني: ٩٤/١٢.

(٧) أخرجه الطبري: ٥٨/٢١.

(٨) محاسن التأويل: ٢١٣/٨.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٦٢١): ص ٢١٤٦/٧.

(١٠) انظر: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، سفر بن عبد الرحمن الحوالي: ٤١٢.

انتهى الجزء التاسع والعشرون من التفسير، ويليه الجزء الثلاثون بإذن الله، وبدايته  
تفسير الآية (٧٥) من سورة «الصفات».